كيم إيل سونغ

المؤلفات

يا شغيلة العالم كله اتحدوا !

كيم إيل سونغ

المؤلفات

٤٩

المذكرات "فى دوامة القرن" ٥

(ايار ١٩٣٦ – آذار ١٩٣٧)

دار النشر باللغات الاجنبية
بيونغ يانغ ٠ كوريا
٩٨ زوتشيه (٢٠٠٩)

온 겨레의 단합된
힘으로써만 조국의
운명을 구원할수
있다는것이 간고한
항일혁명투쟁의
력사적교훈이다.

김일성

ترجمة الكلمة المخطوطة فى الصفحة السابقة

لا يمكـن انقـاذ مصـير الـوطن الا بـالقوى المتحـدة للامـة كلها. هذا هو الدرس التاريخى الذى استخلصناه فى نضالنا الثورى المرير ضد اليابان.

كيم إيل سونغ

فهرس

الفصل الخامس عشر   توسع الجبهة السرية

الفصل الثالث عشر   التوجه الى جبل بايكدو

(ايار ١٩٣٦ ــ آب ١٩٣٦)

١ــ ضرب القائد وانغ واجتذاب وان شون

كان ربيع عام ١٩٣٦ بالنسبة لنا رائعا الى أقصى الحدود، طرحنا فيه مهمات كثيرة. فتنظيم فرقة جديدة، وتأسيس جمعية استعادة الوطن، والاعداد لانشاء قاعدة جبل بايكدو... اضافة الى الاحداث الكبيرة والجدية التى وقعت فى مآنشان ومناطق اخرى من أراضى فوسونغ، طرحت علينا كلها ما لا حصر له من المهمات الطارئة.

وكانت تلك المهمات تتطلب حلولا مستعجلة، مما جعل الوقت والاستقرار ضروريين لنا.

ولكن الوضع الذى أحاط بنا فى ذلك الحين لم يكن يتيح لنا الاستقرار. فالقوتان المسيطرتان على منطقة فوسونغ كانتا تضايقاننا وتضعان العقبات امام نشاطاتنا، كل منهما على طريقتها. وكانت احدى هاتين القوتين هى، الوحدة "التأديبية" التابعة لشرطة منشوكو العميلة بقيادة مسؤولها وانغ، والثانية هى وحدة الشعب الجبلية بقيادة وان شون (وهى قوة صينية معادية لليابان).

ويحمل اسم القائد وانغ معنى آخر أيضا هو ملك "التأديب".

فمنذ أيام خدمته فى جيش أمير الحرب المستبد تشانغ تسو لين، كان متخصصا ماهرا فى "تأديب اللصوص".

وعندما شكل تانغ جى يو جيش الدفاع الذاتى بعد حادثة ١٨ ايلول، انضم وانغ الى ذلك الجيش وعمل لبعض الوقت تحت راية مناهضة اليابان. لهذا السبب تقربنا منه عندما قمنا بالحملة الى منشوريا الجنوبية واحتفظنا بعلاقات لا بأس بها معه. ولكن ما ان توغل تانغ جى يو الى عمق الاراضى الصينية وحل جيشه، حتى استسلم للجيش اليابانى ليصبح رئيس الشرطة العاملة تحت راية دولة منشوكو العميلة، وقدم منذ ذلك الحين خدماته للامبريالية اليابانية كعميل مخلص لها، مظهرا دون تحفظ مهارته فى "التأديب" التى كان قد صقلها فى وقت سابق.

لم يكن يرجع من عمليات "التأديب" صفر اليدين مطلقا. فقد كان يصيب هدفه، ويقطع رأس أو أذنى ضحاياه ليقدمها الى أسياده اليابانيين الذين كانوا يغدقون عليه المديح والمكافآت. وكان وانغ يلاحق ويعذب بشكل خاص اتباع وان شون.

وكانت القوات الصينية المعادية لليابان العاملة فى فوسونغ ومحيطها ترتعش هلعا بمجرد رؤية ظل وانغ، وكانت تطلق عليه تسمية "لى دو سون فوسونغ".

فقد كان لى دو سون السىء السمعة فى محافظة آنتو المجاورة قاتلا مرهوبا، اشتهر فى كل انحاء تشينتاو بعناده وغلظته وفظاظته. وكان وانغ قاتلا لا يختلف عنه بهذا المعنى.

لقد ظهر هذا الشخص فى ربيع ذلك العام تحديدا باعتباره العدو الرئيسى لنا والعقبة الكبرى أمامنا.

وبالقدر نفسه تقريبا كانت وحدة جيش الانقاذ الوطنى بقيادة وان شون تعرقل نشاطاتنا. عندما انتقلنا باتجاه فوسونغ، كنا نفكر فى التعامل معه كحليف رئيسى، ولكن رجاله لم يتوقفوا عند حد عدم اعتبارنا اصدقاء، بل راحوا يعاملوننا كأعداء. كان يتوجب على مقاتلينا عدم معاقبة وحدات الشغب الجبلية هؤلاء عندما تحولوا الى لصوص وانتزعوا من كيم سان هو الاقمشة التى حصل عليها لصنع ملابس لأطفال مآنشان، ولكنهم غضبوا مع ذلك كثيرا واتخذوا اجراءات عقابية مفرطة. وقد أدى ذلك الي تعقيد الامور، لأنه كان يعنى التسبب بازعاجات مفاجئة لنا.

"بما ان (جيش كوريو الأحمر) هو جيش مستقيم ونزيه، فانه لا يتسامح مع من

يستولون على ممتلكات الفقراء مهما كانت ضئيلة. وهو لا يريد أن يتفهم أن وحداتنا الجبلية تمر بمصاعب. ان اعضاء هذا الجيش أناس لا يمكن التفاهم معهم."

هذا ما كانوا يقولونه عنا. واذا ما التقوا برفاق لنا منفردين، كانوا يستفزونهم دون مبرر أو يحاولون الاعتداء عليهم. فكان ذلك بالنسبة لنا صعوبة جدية يسببها لنا من يتوجب عليهم أن يكونوا حلفاءنا فى الجبهة المشتركة.

لقد وجدنا انفسنا فى وضع مماثل لذلك الوضع الذى كنا عليه عند تأسيس جيش حرب العصابات فى تشينتاو. واذا كان ثمة اختلاف فانه يتمثل فى ان القائد وانغ الذى ينتمى الى المعسكر المعادى، ومثله القائد وان شون الذى يمكن له أن يكون حليفنا، كانا يخافاننا على السواء، لأن قوانا لم تعد ضعيفة كما كانت من قبل، ولان هيبتها العسكرية أصبحت مشهورة ومعترفا بها.

بأى طريقة يمكننا ازالة تلك العقبات والتوصل الى الاستقرار؟

لقد قادنا البحث عن حل الى اتخاذ قرار التعايش بأى طريقة مع وانغ دون تبادل الاعتداءات، والى تشكيل جبهة مشتركة مع وان شون.

بعثت رسالة الى وانغ كان مما قلته فيها:

"... اننا نعرف بعضنا جيدا منذ زمن بعيد، ولهذا اود التحدث اليك بكل صراحة.

ان عدونا الرئيسى هو الجيش اليابانى. نحن لا ننوى القتال ضد جنود وشرطة منشوكو العملاء الذين لا يعتدون علينا. وبناء عليه، نعرض عليك البقاء بسلام مؤكدين لك انه اذا وافقت على شروطنا فلن نهاجم قوات الشرطة التى تحت قيادتك ولا المراكز الشرطية الخاضعة لاشرافك..."

بعد هذه المقدمة، أوضحت له شروطنا. وهى: وقف عمليات "التأديب" ضد وحدات الشعب الجبلية؛ والسماح لعاملى الجيش الثورى الشعبى السريين بحرية التنقل والاقامة فى المدن المسورة والقرى؛ والتخلى عن قمع الوطنيين الذين يساندون ويساعدون نشاطات الجيش الثورى الشعبى بهمة واطلاق سراح المعتقلين الوطنيين فورا. وأخيرا، ضمنا له انه اذا وافق على هذا الطرح، فاننا سنعمل قدر

المستطاع على عدم اثارة الشغب فى "حفظ الأمن العام" ضمن منطقة محافظة فوسونغ.

وبعد عدة أيام، أرسل الينا القائد وانغ جوابه الذى اعرب فيه عن موافقته التامة على اقتراحنا، وقبوله بالتالى شروطنا الثلاثة.

هكذا تم التوصل الى هذا النوع من الاتفاق السرى، وبمقتضاه توقفنا عن مهاجمة بعضنا البعض. وحيث ان الطرفين راقبا تعهدهما باخلاص، فانه لم يقع أى صدام لبعض الوقت.

لقد تصرف وانغ مثلما طلبنا منه، فقد أوقف عمليات "التأديب" ضد وحدات الشغب الجبلية؛ وغض الطرف لتمكين عاملينا السريين ومراسلينا من التنقل بحرية فى المدن وقرى الاعتقال الجماعى الخاضعة لسلطته؛ وقلص القمع وعمليات الاعتقال ضد الوطنيين الكوريين.

ومن جهتنا، قررنا عدم مهاجمة وحداته أو اثارة البلبلة فى مناطق تمركزها.

بعد ان أحرقت وثائق الاتهامات الخاصة "بمينساينغدان" أصبحت أحذر مقاتلينا بحزم كلما ارسلتهم للقيام بعمليات الحصول على الأسلحة، بألا يثيروا القلاقل فى محافظة فوسونغ وبأن يشنوا المعارك ويحصلوا على الأسلحة من مناطق أخرى.

ولم يكن وانغ أحمق ولا بأى شكل. بل كان شديد الذكاء والحساسية. وكان يعرف جيدا كيف عملنا فى تشينتاو وفى منشوريا الشمالية ومدى قوتنا وسطوتنا. وربما كان هذا هو السبب الذى جعله يحجم عن الدخول فى مواجهة معنا.

عندما علم بخبر ظهورنا فى اراضى فوسونغ، قال لمرؤوسيه:

"تجنبوا الصدام مع (جيش كوريو الأحمر). اذا ما هاجمتموه بغباء، فسيطحن حتى عظامكم. لا تستفزوه مستخفين بقلة عدد جنوده. والأفضل لكم ان تتجنبوا اشعاره بالاستياء. ولا تخوضوا ضده معارك لن يكون بمقدوركم كسبها."

فصاروا اذا لمحوا مقاتلينا بزيهم ذى اللون الكستنائى، يتظاهرون بأنهم لم يروهم ويبتعدون من المكان. أما اذا اكتشفوا بالمقابل وجود رجال وحدة الشغب الجبلية ذوى الزى الاسود، فكانوا يهاجمونهم بعناد. ولم يكن المقاتلون الذين تحت

أمرتى كثيرى العدد بالمقارنة مع رجال وان شون الذين يزيد عددهم على الالف رجل، ولكننا لم نكن نحن من نتعرض لضربات القائد وانغ، وانما رجال وحدة وان شون الجبلية وحدهم.

ان تضمين الاتفاق مطلبا يقضى بعدم الحاق الضرر بوحدات وان شون، كان يهدف الى الحفاظ على القوى المناهضة لليابان ودعمها.

وكانت عمليات هذه القوى قد أخذت تضعف فى النصف الثانى من عقد الثلاثينات.

فوحدات وانغ دى لين، وتانغ جى يو، ولى دو، وشو بينغ وين وغيرها من الوحدات التى كانت تشكل القوة الرئيسية لجيش الانقاذ الوطنى، كانت قد انسحبت الى عمق الاراضى الصينية عبر شانهايكوان او الاراضى السوفييتية، بينما واصلت الوحدات المسلحة الصامدة المناهضة لليابان، مثل وحدة وانغ ديان يانغ ووحدة ديان تشين، واصلت الكفاح مصممة على القتال حتى الرجل الأخير من أجل انقاذ البلاد ولو كلفها ذلك حياتها، ولكن تم القضاء عليها وتصفيتها اخيرا.

ورفعت وحدات دونغ تشاو، ووانغ يو جين وغيرها الراية البيضاء واستسلمت.

كما ازداد عدد المستسلمين فى الوحدات الكبيرة والصغيرة التابعة لقوات وان شون وغيرها من الوحدات المتآخية معها والمرابطة فى المناطق الحدودية بمحافظتى فوسونغ ورينتشيانغ. وبلغ الامر فى خريف عام ١٩٣٥ حد وقوع مهزلة الترحيب باكثر من تسعين منشقا من وحدة ما سينغ شان فى تشوشوتان.

أما بقية قوات جيش الانقاذ الوطنى، المبعثرة فى مجموعات صغيرة، فقد توغلت الى مناطق جبلية نائية، حيث خاضت مقاومة سلبية او تحولت الى عصابات للسطو والسلب.

وقد ادى هذا الوضع الى ظهور ميل جزئى لدى بعض الشيوعيين الى احتقار الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان، بل والاحساس بعدم جدواها. ولو اننا اعرضنا عن هذا الواقع، لكان معنى تصرفنا هو اننا لم نكن جادين فيما يتعلق بمسألة الجبهة المشتركة.

فى الوقت الذى كنا نحاول فيه الوصول الى اتفاق سلام من القائد وانغ، بدأنا التفاوض مع قوات وان شون من أجل فتح جبهة مشتركة.

كان هناك فى وحدتنا مقاتل متقدم فى السن اتى الينا من قوات الشعب الجبلية. وقد ارسلت من خلاله رسالة الى وان شون كان مضمونها كما يلى:

"... ان اسمك معروف على نطاق واسع فى جيشنا الثورى. وبمجرد وصولنا الى فوسونغ كنا ننوى مقابلتك للتعارف وتبادل الآراء حول الاجراءات لخوض النضال المشترك ضد منشوكو واليابان. ولكن قبل ان نتصافح وقع صدام كريه، مما حال دون تقاربنا. اننا آسفون لذلك.

وفى الاستجواب الذى اجراه مفوضنا السياسى مع جنود وحدة الشعب الجبلية الذين سقطوا جرحى عندما هاجموا قافلة تموين للجيش الثورى، اعترفوا بانهم قطاع طرق انشقوا منذ شهرين أو ثلاثة شهور عن الوحدات التى تحت قيادتكم.

وعلى الرغم من هذا الواقع، انتشرت الشائعة القائلة ان مقاتلينا هم الذين هاجموا عناصر قوات الشعب الجبلية التى تقودها انت، وكانت تلك مكيدة من الأعداء الذين لا يريدون لنا ان نقيم علاقات جيدة فيما بيننا.

اننى اتمنى من اعماق قلبى ازالة سوء التفاهم وعدم الثقة بين جيشينا، والتخلى عن مشاعر الكراهية والعداء، واقامة الجبهة المشتركة المناهضة لليابان كأشقاء ورفاق فى السلاح...".

لم يرد وان شون على رسالتنا، وتجاهل اقتراحنا. وكان سبب صمته واضحا. فقد كان ذلك يعنى انه قادر على ترتيب الأمور وحده، دون الاعتماد علينا. وقد كانت تتوفر فى فوسونغ ومحيطها فعلا امكانية العمل هكذا، بغطرسة. فالقائد وانغ التزم بتعهداته بتخفيف هجماته ضد قوات وان شون وغيرها من الوحدات المناهضة لليابان. وتوقف عمليا عن شن عمليات "التأديب"، واكتفى بالتظاهر بانه يشنها، وهكذا اصبح بامكان وحدات وان شون الكبيرة والصغيرة على السواء ان تحافظ على وجودها دون دعم من أحد. وقد أدى ذلك بالنسبة لنا الى نتيجة عكسية، اذ شجعهم، وان كان بشكل معزول، على اقتراف أعمال

معرقلة. ولكن تحذيراتنا المتكررة، دفعتهم الى التوقف عن ذلك تدريجيا.

صحيح اننا لم نتوصل الى اقامة الجبهة المشتركة، ولكننا توصلنا الى اقرار الهدوء.

وقد توقف عن مضايقتنا كل من جيش وانغ وجيش وان شون على السواء. ووسط هذا الهدوء الذى كلفنا جهدا كبيرا، استطعنا تكريس كل الوقت لانجاز مهماتنا.

كما اجرينا مفاوضات سلام أيضا فى مانجيانغ ودايانغ مع عسكريى وشرطة منشوكو العملاء فى المنطقة وحصلنا على تعهد منهم بعدم الاعتداء علينا.

ففى اواخر نيسان ١٩٣٦، وصلنا لأول مرة الى مانجيانغ. وكان فيها نحو ثلاثين شرطيا. ولو اننا اردنا تصفيتهم لاستطعنا عمل ذلك فى مثل لمح البصر؛ ولكننا لم نلجأ الى استخدام السلاح، بل اوفدنا اليهم مبعوثا للتفاوض معهم.

اقترحنا عليهم ما يلى: اننا سنحجم عن مهاجمتهم شريطة أن يتركونا بسلام طوال اقامتنا فى تلك الدسكرة؛ وكنا نريدهم ان يتجاهلوا وجودنا، واذا ما انبهم قادتهم بعد ذلك فيمكنهم ان يقولوا لهم انهم لم يستطيعوا مقاومتنا لان عددنا كبير جدا.

وافق الشرطيون على اقتراحنا فورا. وكانوا ممتنين جدا لمجرد ان رجال جيش حرب العصابات اقترحوا عليهم التفاوض بدلا من مهاجمتهم.

أمر لى دونغ هاك بنصب مدفع رشاش الى جوار أحد البيوت القريبة من ثكنة فرقة الدفاع، على ان يتولى رماته الذين يرتدون الملابس المدنية المراقبة ليلا ونهارا. انتهزت هذه الفرصة لكى استكمل الجزء الاكبر من الوثائق المتعلقة بتشكيل جمعية استعادة الوطن التى ستجرى مناقشتها وفحصها فى اجتماع دونغكانغ. وحيث انه لم يكن هناك خطر التعرض لهجمات معادية، فقد تقدم العمل بسرعة كبيرة.

لقد كنا نعامل الخصوم الذين لا يريدون القتال ضدنا بتسامح وشهامة. وكان هذا توجها حافظنا عليه بصرامة فيما يتعلق بالعدو منذ بدء الكفاح المسلح المناهض لليابان، وقاعدة عمل للجيش الثورى الشعبى الكورى جرى الالتزام بها باخلاص طوال هذه الحرب.

فنحن لم نحمل البنادق من أجل القتل، وانما من اجل الدفاع عن الحياة. وكان انقاذ الوطن والمواطنين تحديدا هو هدفنا ومهمتنا. اما البنادق فكنا نستخدمها فقط لمعاقبة الاعداء الذين خنقوا الامة الكورية وسلبوها الحياة والثروات بغزوهم أرض بلادنا.

لهذا السبب، تحول سيف عدالة جيشنا الى سلاح حنون يحمى اولئك الذين يحبون الحياة، ولكنه اصبح بالمقابل بتارا ولا يرحم المعارضين المتعنتين أعداء الحياة.

بقى القائد وانغ هادئا طول الربيع، ولكنه عاد الى "تأديب" القوات المناهضة لليابان مع بداية الصيف. لم نعرف ما هو العامل الذى دفعه الى ذلك. ويبدو ان جنود الحامية والدرك اليابانيين المرابطين فى حاضرة محافظة فوسونغ هم الذين حرضوه. فقد عادت الى الظهور على أعمدة الكهرباء فى شوارع فوسونغ الرؤوس المقطوعة للصينيين المناهضين لليابان، وحدثت انشقاقات جديدة فى وحدات وان شون الجبلية. ان ظهور الطبيعة الانانية وقصيرة البصر لهذه القوات التى تمتاز بضعف روح مناهضة اليابان والانقاذ الوطنى لديها، سببت مرة اخرى العذاب لنا، نحن الذين كنا نسعى جاهدين لتوحيد القوى المناهضة لليابان. ولو لم تتوقف عمليات وانغ "التأديبية"، لما استطاعت وحدات وان شون ان تتفادى تفككها وانحلالها. ولهذا، وجدت نفسى مضطرا الى بعث رسالتى الثانية الى وانغ.

"... لقد تلقينا الخبر المؤسف بانك قد عبأت قواتك البوليسية وعدت الى القيام بالعمليات (التأديبية) ضد وحدات الشعب الجبلية. فاذا كان ذلك صحيحا، فانه يعنى خرق التعهد الذى ابرمته معنا. ننصحك بان تعمل باعتبارات دقيقة، ودون خيانات تلوث شرفك.

اننا نحذرك من ان تسامحنا لن يجدى نفعا مع من يتحدانا ويعارضنا بعناد..."

بقيت هذه الرسالة دون جواب الى ان انقضى اكثر من اسبوع. ولم تتوقف فى اثناء ذلك عمليات "التأديب" ضد وحدات وان شون. كان يبدو ان وانغ يريد التأكيد على انه ليس جبانا وانه لا ينثنى امام التحذير، وان لديه الجرأة للقتال.

توافدت الى عدة مواقع استراتيجية فى محافظة فوسونغ تعزيزات قوامها مئات من جنود "التأديب" فى جيش كوانتونغ. فصار وانغ يتعجرف بشكل لم يسبق له مثيل.

فى اوائل شهر تموز، وجهت اليه رسالة أخيرة.

وبعد اربعة أو خمسة ايام، وبدلا من ان نتلقى جوابه، تلقينا خبرا يفيد بان جنوده قد عادوا الى مهاجمة أحد معسكرات وان شون فى داجيانتشانغ. كنا فى ذلك الحين فى منطقة غابات تقع بين محافظتى فوسونغ ورينتشيانغ.

اثار عمل وانغ حفيظتنا وسخطنا. ولم نكن نأمل بالطبع ان يواصل قائد شرطة دولة منشوكو العميلة الذى تحركه اليد اليابانية الحفاظ على تعهداته مع الشيوعيين حتى النهاية.

لم نكن ننكر فى الوقت نفسه انهم صينيون ايضا، ولديهم افكارهم التى يتبنونها على طريقتهم. وبعض الثقة التى لمسناها فى تلك الافكار شكلت الاساس الذى ارتكزنا اليه للعمل على تفكيك جيش منشوكو العميل. وقد انطلقنا من تلك الثقة فى نهاية المطاف، عندما اقنعنا وانغ وابرمنا معه اتفاق عدم الاعتداء.

ان معظم ضباط الفئة الوسطى والدنيا من هذا الجيش الذين تمتعوا بثقتنا، حافظوا باخلاص على تعهداتهم. هذا ما جرى، على سبيل المثال، مع قائد الفوج الذى تعرفت عليه بالصدفة فى ايمو، وآمر الكتيبة فى دابوتشايهى الذى كان يرسل لنا بانتظام مجلة "تشولكون".

اما وانغ الذى كنا نعرفه منذ زمن بعيد بالمقابل، فقد تخلى عن تعهده مثلما يتخلى عن حذاء مهترئ. ان الخيانة هى المصير الوحيد الذى لا بد أن يصل اليه الاشخاص الذين لا يمتلكون القناعة. واعتقد ان وانغ لم يكن مقتنعا بان الامبريالية اليابانية ستندحر وسيكون النصر حليف الشعبين الكورى والصينى.

لم يكن بامكاننا التسامح مع سلوكه الغادر. وقد اغرقنا السخط خصوصا لانه كان يرد بنيران الاسلحة على انتظارنا الصبور واخلاصنا.

استدعيت كيم سان هو وطلبت منه أن يختار نحو ٣٠ مقاتلا بارعا، وان يوجه عقوبة مناسبة الى القائد وانغ بالتعاون مع الفوج العاشر.

وفى الوقت نفسه، انتقلت على رأس الوحدة الرئيسية بصمت نحو جبل زويزيشان، بالقرب من سينانتشا.

كانت سينانتشا عبارة عن قرية اعتقال جماعى غير كبيرة، ولكنها كانت تشكل نقطة انطلاق مهمة للقوات "التأديبية" المعادية؛ وكان فيها مركز للشرطة وعناصر من فرقة الدفاع الذاتى.

كان الهدف الرئيسى من خطة معركة سينانتشا يتلخص فى ان نوجه الى وانغ الضربة التى يستحقها لانه خرق العهد، وان نفرض انفسنا على الاعداء فى المجال العسكرى، اضافة الى الحصول من خلال العملية على اسلحة واعتدة حربية اخرى من اجل تسليح الفرقة الجديدة التى خاضت معركة فى نهر توداوسونغارى، وكانت تخطط بعد ذلك مباشرة لخوض معركة اخرى واسعة النطاق فى لاولنغ.

ولو نجحت الفرقة فى هذه المعركة، لكانت ستحصل على كمية لا بأس بها من الاسلحة. فقد شنت الهجوم وفق خطة عملياتية مفصلة، ولكن حين برز أمر طارئ، لم تستطع العمل وفق ما فكرت به. وكان ما حدث هو ان أحد جنود الدورية المعادية المتقدمة توغل فى منطقة الكمين كى يتبول، وحين اكتشف وجود أحد رجال جيش حرب العصابات، استولى عليه الفزع لدرجة انه اطلق عيارا ناريا. كما اطلق مقاتلنا النار أيضا دون ترو. وقد قتل رجالنا وجرحوا عشرات الأعداء وحصلوا على بعض الأسلحة كغنيمة، ولكن العملية لم تنفذ بالدقة التى جرى بها التخطيط لها.

ما لم نستطع تحقيقه فى لاولنغ، أى توجيه ضربة مدوية الى العدو، اصبحنا نأمل بالتعويض عنه بالزيادة فى سينانتشا.

كان هناك فى وحدتنا شخص صينى خدم من قبل فى شرطة منشوكو العميلة فى سينانتشا، ولكنه انشق عن تلك الشرطة بعد ان شعر بالقرف من ممارسات آمره القبيحة. وحسب أقواله فان آمر مركز الشرطة فى سينانتشا كان رجلا شريرا، مكروها من الناس، يتصرف كطاغية ليس فى تعامله مع أهالى قرية الاعتقال الجماعى وحسب، وانما مع مرؤوسيه كذلك. وقد قال لنا ذلك الصينى بنبرة حانقة انه حين قرر الانتقال الى جانب جيش حرب العصابات، وضع لنفسه هدفا اوليا يتمثل

فى اعدام الآمر يانغ قبل ان يشارك فى تحرير الصين. وقد اخترنا سينانتشا كموقع للمعركة بعد لاولنغ لاننا اخذنا بعين الاعتبار، ضمن امور اخرى، حقيقة ان ذلك الصينى المنشق يعرف الاوضاع فى سينانتشا جيدا.

قررنا شن الهجوم فى وضح النهار. فقد كان من عادة رجال الشرطة ان يتناولوا طعام الغداء وينظفوا اسلحتهم ما بين الساعة ١٢ والساعة ١٣ ظهرا. فاذا ما باغتناهم فى هذا الوقت بالذات، حين تكون أسلحتهم مفككة، فاننا نستطيع السيطرة عليهم دون مواجهة مقاومة جدية من جانبهم.

تقدم مقاتلو جيش حرب العصابات متنكرين بملابس الفلاحين وهم يعتمرون قبعات القش ويحملون أدوات العمل، وعندما مروا بسرعة من بوابة السور، داهموا مركز الشرطة كالبرق الخاطف. استسلم الآمر ورجاله الآخرون دون مقاومة تقريبا. ولقى عناصر فرقة الدفاع الذاتى المصير نفسه. وفور الانتهاء من العملية، اقمنا منصة مرتجلة قبالة مركز الشرطة وقدمنا عليها عرضا فنيا. ثم اضرمنا النار بعد ذلك بالمبنى وانسحبنا باتجاه سيكانغ.

قمنا بعملية توضيح سياسية للاسرى، ثم قدمنا لهم نقودا ونصحناهم بالعودة الى مسقط رؤوسهم. وقد سأل أحدهم بصوت خافت رفيقا لنا:

"أيها السيد المغاور، كيف استطعتم المرور من بوابة السور؟"

فرد عليه المغاور مازحا:

"طيرانا."

"الرب يعلم كيف مررتم! ولكن، ما الذى كان يفعله هؤلاء الحراس البائسون؟"

لقد شكل الهجوم على مركز شرطة سينانتشا، ومثلما اردنا، ضربة نفسية قاسية للآمر وانغ. ومن اجل أن يحافظ على شرفه الشخصى، صار عليه الآن ان يكثف من عملياته "التأديبية".

كيم سان هو، ومعه مجموعة مؤلفة من نحو ثلاثين رجلا، ظهر فى حاضرة محافظة فوسونغ المسورة للقيام بمهمة اجتذاب وانغ. أمر رجاله بان يتنكروا بزى قوات الشغب الجبلية. وتنكر هو نفسه بزى قائد فصيلة. كنا نعرف ان لون هذا الزى الأسود هو أفضل طعم لفتح شهية وانغ.

وفى احدى الليالى، نزلت المجموعة الى قرية قريبة من المدينة المسورة، وتظاهرت بانها من قوات الشغب الجبلية، مثيرة الصخب بالقائها بعض ممتلكات الفلاحين خارجا، ثم فعلت الشىء نفسه فى قرية هوانغنيهيجى، لتنسحب بعد ذلك باتجاه الوادى القريب.

وحين علم وانغ بما حدث، استشاط غضبا وتوجه فى صبيحة اليوم التالى على رأس وحدته نحو هوانغنيهيجى بأقصى سرعة.

وقبل أن يبدأ المطاردة التى اجتذبته اليها جماعة من رجال جيش حرب العصابات، تبجح امام القرويين قائلا:

"انتظرونى دون قلق. سأقضى على جميع قطاع الطرق هؤلاء. أعدوا مأدبة فاخرة، لاننى سأعود قبل موعد الغداء ومعى رؤوس هؤلاء الاوغاد الوقحين."

بدأ رجال الشرطة صعود الجبل مقتفين اثر جماعة الاستدراج، ولكن كانت قد انتشرت هناك كمائن مقاتلى الفوج العاشر الذين انضم اليهم عند الفجر كيم سان هو ومجموعته.

نصب مقاتلونا هياكل على صورة الرجال لكى يجتذبوا انتباه وانغ، واختبأوا بين تلك الهياكل ليفتحوا النار أولا.

حين رأى وانغ تلك الأشباح التى ترتدى الزى الاسود، تقدم مع رجاله باندفاع شديد نحوها وهو يصرخ طالبا منها الاستسلام. ولكن عناد "جنود القوة الجبلية" الذين لم يرفعوا ايديهم ولم يهربوا ولم يسقطوا ارضا، أخرج وانغ عن طوره. بذل جهودا يائسة وهو يطلق النار من مسدسين، ولكنه لم يستطع النجاة.

لسنا ندرى ما هو الدرس الذى استخلصه فى اللحظة الاخيرة من حياته. فاذا كان قد توصل فى تلك اللحظة الى ادراك النهاية التى تنتظر من يخون القضية العادلة، فاننا نستطيع القول ان هذا من حسن الحظ. وحتى لو أدرك ذلك حينئذ، فان الوقت كان قد فات.

اجتذب خبر هزيمة الآمر وانغ قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى مناطق مختلفة، ممن جاؤوا ليطلبوا من كيم سان هو ان يبيعهم رأسه. كانوا يقولون

انهم يريدون الثأر ممن قطع رؤوس الكثيرين من ضباط وجنود وحداتهم وعلقها على الأعمدة، وكانوا يريدون تعليق رأسه فى اعلى بوابة مدينة فوسونغ المسورة ليراه الجميع.

أصدرت الى كيم سان هو الامر بارسال الجثة سليمة، دون أن تمس شعرة منها، الى شرطة محافظة فوسونغ.

وقد علمنا فيما بعد انه اقيمت له جنازة فخمة. وكان ذلك سببا فى تزايد الحديث عن جيشنا. وقد انتشرت على نطاق واسع بين الاعداء الاشاعة القائلة بان الموت وحده هو ما ينتظر كل من يعترضنا.

وقد اوردت رواية "تاريخ" التى كتبها هان سول يا وصفا مفصلا نسبيا لمعركتى سينانتشا وهوانغنيهيجى اللتين قضى فيهما على وانغ.

بعد ان ازحنا وانغ من طريقنا، قررنا سحق القوات اليابانية لكى نبسط سيطرتنا على منطقة فوسونغ كلها. أرسلنا كشافين فى كل الاتجاهات ليجمعوا المعلومات، وهكذا عرفنا ان هناك مفرزة يابانية مؤلفة من نحو ٦٠ جنديا تنتقل فى مركب من فوسونغ باتجاه رينتشيانغ. فسارعت الى نصب كمين دون اضاعة الوقت. وقد اسفرت هذه المعركة عن نجاح باهر بالنسبة لنا، اذ لم يستطع الهرب من بين الجنود الذين كانوا فى المركب سوى عشرة جنود ونيف، اما الباقون فقد ابتلعهم الماء.

وبعد بضع عمليات من هذا النوع، أصبحت منطقة فوسونغ بكاملها خاضعة لاشرافنا تماما.

فى صيف ذلك العام، اقمنا لبعض الوقت فى داينغ. وكنا نأوى فى الخيام المنصوبة حول ينبوع المياه الكبريتية ونمارس نشاطات متنوعة، منها انشاء المنظمات القاعدية لجمعية استعادة الوطن واقامة مطبعة ومشغل للخياطة وآخر لاصلاح الاسلحة، ومستشفى ومعسكرات سرية أخرى فى غابات فوسونغ ورينتشيانغ.

كان الاعداء يرابطون على مقربة منا، فى الجهة الاخرى من جبل صغير. لدى وصولنا الى داينغ نقلنا اليهم رسالة تحذيرية قلنا لهم فيها اننا ننوى البقاء لبعض

الوقت الى جوار ينبوع المياه الكبريتية، وانه عليهم عدم الظهور أمامنا وعدم الهرب أيضا، بل البقاء فى مكانهم بهدوء وتزويدنا ببعض الاشياء التى نحتاج اليها مقابل أن نضمن الحفاظ على حياتهم وسلامتهم...

لم يكونوا يتجاسرون على المس بنا مهما كانوا قريبين منا، كما انهم لم يتجرؤوا على الهرب. وقاموا بكل وداعة بتزويدنا بالمؤن مثلما نصحناهم. فاذا ما طلبنا منهم على سبيل المثال احذية قماشية أو دقيق القمح، كانوا يرسلونها الينا.

وفى هذه الفترة بالذات بعث الى وان شون رسولا لينقل الى تحيته وتهنئته بانتصارنا على وانغ. وقد جاء بعد فترة بنفسه لزيارتى. لقد كان شيخا عنيدا، حتى انه لم يرد علينا حين كتبنا اليه، بل وارسلنا اليه سفيرا ليحثه بالحاح على تشكيل الجبهة المشتركة. ولكنه جاء هذه المرة من تلقاء نفسه. لقد كان الأمر مفاجئا. فقد كنا نحن من حاولنا التقرب من القائد يو ومن وو وى تشينغ من اجل انشاء الجبهة المشتركة، أما الآن، وبعد أن دحرنا وانغ، ها هو ذا وان شون المشهور جدا يأتى بنفسه للقاء بنا.

منذ الوهلة الأولى بدا لى شخصا مسنا، عمره اكثر من خمسين سنة بكثير. وكانت عيناه معكرتين، ربما نتيجة التسمم بالافيون. وقد بادرنى قائلا حين رآنى:

"جنود وحدتنا المناهضة لليابان يرون أن القائد كيم وحده هو المحسن اليهم لأنه خلصهم من وانغ. اننى أقوم بهذه الزيارة لأقدم الشكر لكم، ولأعرب فى الوقت نفسه عن رغبتى فى التآخى مع حضرتكم. ارجوكم أيها القائد كيم ان تنسى كل الاساءات التى سببتها لكم حتى الآن بخرفى، وان تتعامل بشهامة وكرم اخلاق مع هذا العجوز الذى قطع طريقا طويلا وهو يحمل النوايا الطيبة، وان تقيم علاقات الاخوة، اى جياجيالى."

شعرنا بالتردد لهنيهة امام هذا الاقتراح. وقلت له انى سأفكر بالموافقة عليه اذا ما نفذ هو نفسه بعض الشروط التى طرحتها من قبل على القائد يو وعلى وو وى تشينغ عند تشكيل الجبهة المشتركة. وكانت شروطى تتضمن فيما تتضمنه، وجوب حفاظ الوحدات المناهضة لليابان على علاقات جيدة مع قواتنا، كما هى العلاقات بين

جيشين صديقين؛ وان لا يستسلموا تحت اى ظروف امام الامبريالية اليابانية، وألا يعودوا الى سلب ونهب ممتلكات الشعب، وان يوفروا الحماية بكل السبل لعاملينا السريين ومراسلينا، وان يتبادلوا المعلومات معنا بشكل منتظم.

وكانت المفاجأة فى ان وان شون تلقى هذه الشروط دون اى اعتراض. وكلما قدمت له تفسيرات متممة لهذه الشروط، كان يوافق عليه بانحناءة من رأسه دون ان يتوقف عن القول: "آراء ثمينة" او "افكار متبصرة".

وبعد بضع ساعات من المحادثات، شكلنا الجبهة المشتركة واصبح الجيشان صديقين.

ولم يخلف وان شون التزامه معنا ولو مرة واحدة.

ان عمليات معاقبة وانغ واجتذاب وان شون شكلت حدثا بالنسبة للجيش الثورى الشعبى الكورى فى الفترة التالية لاجتماع نانهوتو. ولم يقتصر مغزاها على اظهار سطوته بفرض نفسه على الاعداء على الصعيد العسكرى. ان الجهود المضنية التى بذلناها فى منطقة فوسونغ شكلت ركيزة وطيدة لاعداد نقطة استناد لتقدمنا الى منطقة جبل بايكدو. لقد ترك ذلك السهر والجهد ذكريات منقوشة فى الذاكرة لا يمكن نسيانها على طريق تشكيل الجبهة المشتركة للشعبين والقوى الوطنية الكورية والصينية.

٢ـ فى المدينة العزيزة

كان وان شون يعقد آمالا كبيرة على اقامة جياجيالى أو التآخى الروحى معنا. وبهذه المبادرة، أراد التوصل الى علاقات المودة وحسن الجوار مع جيشنا الثورى الشعبى لتحقيق التفوق العسكرى على العدو. وكان وو وى تشينغ قد طلب ذلك أيضا. فقد كانت هذه الميول الى التحالف مع جيشنا وتقييد الشيوعيين بهذه الرابطة امرا مشتركا لدى الوحدات الصينية المناهضة لليابان، مستفيدة بذلك من وسائل الجياجيالى.

ومع ذلك، لم يكن اقرار الجياجيالى او التآخى يعنى بحد ذاته اقامة الجبهة المشتركة المناهضة لليابان، كما ان تطوره لم يكن يعنى وجود تحالف وطيد. فالعلاقات الرفاقية الراسخة لا يمكن التوصل اليها الا فى خضم المعركة، ولا يمكن التأكد من قيمتها وجدواها الا فى سياق المحن المتتالية.

ان العمليات العسكرية المشتركة التى تهدف الى ابقاء العدو فى وضع حرج مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الجديدة التى نشأت بتقدمنا نحو جبل بايكدو، يمكن لها ان تكون سببا وجيها لتحويل الوحدات الصينية المناهضة لليابان الى حليف مخلص للجيش الثورى الشعبى وتعزيز التحالف معها.

لقد كان الهجوم على حاضرة محافظة فوسونغ، فى آب ١٩٣٦، معركة نموذجية مثلت مساهمة خاصة فى تعزيز الجبهة المشتركة.

سألت وان شون وأنا شارد الفكر:

"ها قد أصبحنا فى الجبهة المشتركة، فما رأيك بان نهاجم معا مدينة كبيرة مسورة؟"

فرد على بسعادة ودون أن يفكر مطولا:

"أجل، أنا موافق. لن يكون هناك عدو لا نستطيع هزيمته ما دمنا نعمل مع

جيش القائد كيم. ان الحماسة التى تبعثها فى تجعلنى قادرا على تقرير مصير العالم بأسره. فلنهاجم معا مدينة كبيرة محصنة."

كان رده مفعما بالقناعة الى درجة اثارت ذهولى. فهو، كقائد لوحدة شغب جبلية، كان معتادا دائما على اطلاق ساقيه للريح امام الجيش اليابانى، دون أن يتجرأ على مواجهته. ولم أعرف اذا ما كان يتبجح حينذاك بسبب تأثير الافيون الذى يدخنه.

لم يتردد وان شون عن تدخين الافيون أمامنا اعرابا عن الثقة الفريدة التى يولينا اياها. اذ لم يكن من عادة المأفونين الصينيين تدخين الافيون امام الغرباء مطلقا. وقد كان اعتباره ايانا اصدقاء حميمين امرا جيدا من نواح عديدة. لم يكن وان شون يتعاطى المخدر الى ان شغل قيادة وحدة مناهضة لليابان. كما انه قاتل بشجاعة واندفاع. وقد جعله تراكم المآثر فى كل معركة يرتقى دون ابطاء الى قيادة وحدة كبيرة.

ولكن وحدته وقعت فى احدى المرات فى حصار فرضه عليها الجيش اليابانى، وكادت ان تتلاشى من الوجود. وقد اوقع الخروج من الحصار عددا كبيرا من الاصابات فى صفوفه، وتمكن وان شون نفسه من النجاة بمشقة كبيرة. هذه المحنة المأساوية حولته الى شخص متشائم. أما جنوده غير المنضبطين والمسلحين بأسلحة بائسة، فقد كانوا يرون فى الجيش اليابانى خصما شديد البأس ينقض عليهم مثل قطيع من بنات آوى مطلقا صرخات يائسة. اضف الى ذلك ان القائد وانغ كان يطاردهم ويوجه اليهم الضربات فى كل مكان.

تقهقر وان شون الى جبل وعر، حيث بنى سورا من اللبن وحبس نفسه هناك متخليا عن خوض المعارك، وكان يقيم أود وحدته بصعوبة بما ينتزعه من الاهالى، وقد ساهم ذلك بطبيعة الحال فى تطبعه بطباع قطاع الطرق. وبدأ "زعيم قطاع الطرق" العجوز بقتل الوقت فى تدخين الافيون مطلقا الزفرات والحسرات.

وقد دفع الضجر من الحياة العسكرية عددا كبيرا من جنوده للعودة الى قراهم وهجر السلاح، أو التحول الى قطاع طرق، بل وكان منهم من استسلموا فى ثكنة جيش منشوكو العميل رافعين الراية البيضاء. وكان الضباط يقضون وقتهم فى ألعاب القمار دون أن يعرفوا حتى كيف تسير الاحوال. وكثيرا ما كانوا يضربون

مرؤوسيهم أو يوجهون اليهم أقذع الشتائم؛ وقد أدى هذا التعسف الى تدهور لا يوصف فى العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين.

كانت الوحدة على وشك التلاشى.

ولانقاذها من الأزمة كان علينا ان نحقق التحالف معها، وان ننظم استنادا الى هذه القاعدة، عمليات مشتركة لكى نقنع رجالها بانه يمكنهم الخروج منتصرين فى المعارك. وكان هذا هو السبب الذى دفعنا لان نطرح على وان شون الهجوم على مدينة مسورة كبيرة بعد أن عقدنا التحالف، وكان رده الفورى علينا بالايجاب. وهكذا، تم حل المسألة ببساطة كبيرة.

قال وان شون:

"لدى رؤية القائد كيم يهاجم قوات وانغ، أحس جميع جنودى بالاعجاب والتقدير. واذا ما علموا باننا سنهاجم مدينة مع جيشك، فانهم سيصفقون ترحيبا بذلك أيضا. لذا فاننى ارجوك أن تسرع فى وضع خطة العمليات."

لقد تأثر كثيرا لانتصاراتنا فى معارك لاولنغ وسينانتشا وسيكانغ وداينغ وغيرها، وكان يرى أن منهج القتال وتكتيكه اللذين طبقناهما امر سحرى.

سألنى عن منهجى القتالى الذى اتاح لى احراز انتصارات متتالية، واستذكر انه منذ عصرى تشونتشيو وتسانغو (الفترة ما بين عامى ٧٧٠ و٤٧٦ قبل الميلاد والفترة ما بين عامى ٤٧٥ و٢٢١ قبل الميلاد) كان القادة العسكريون الصينيون المشهورون يحققون الانتصارات بالاستفادة من الذكاء فى حين كان اليابانيون يقاتلون مستفيدين من الشجاعة.

فأجبته مبتسما بان منهج القتال هو أمر مهم بكل تأكيد، ولكن الاهم منه هو الحالة المعنوية للجنود.

قال وان شون انه يمكن منذ النظرة الاولى معرفة ان جميع مرؤوسى يتمتعون بروح قتالية عالية وتصميم فريد، اما جنوده فهم حمقى دون استثناء، ولا يمكن الثقة بهم. ثم اطلق زفرة طويلة.

فقلت له مواسيا:

"لا حاجة الى الاحساس بخيبة الأمل أيها السيد القائد. اذا ما خضنا النضال المشترك المناهض لليابان بشكل صائب، فان جنودك سيستعيدون الشجاعة. وعليك الآن أن تختار مدينة مناسبة لمهاجمتها."

هز احدى يديه بسرعة وأكد على انه من الأفضل أن اقوم أنا باختيار الهدف.

درسنا الموضوع معا، ولكننا لم نتوصل الى تطابق فى وجهات النظر. فمع انه كان يرغب، كما رأيت، فى مهاجمة حاضرة محافظة فوسونغ، الا انه لم يصمم على ذلك، وهو الأمر الذى طمأن روحى، ذلك ان تلك المدينة، مثلها مثل جيلين، كانت مكانا عزيزا على قلبى لا يمكننى نسيانها مدى الحياة.

لقد كانت حاضرة محافظة عادية، يوجد الكثير من المدن المماثلة لها فى أى بقعة من اراضى منشوريا. وحين كنت أتعلم فى مدرستها الابتدائية، لم يكن يوجد فيها بناء واحد يضم اكثر من طابقين، كما لم تكن تتوفر فيها خدمات الكهرباء. أما مئات البيوت التى كانت موزعة فى شوارعها، فكانت فى غالبيتها مجرد اكواخ سقوفها من القش. وقد كانت تتخللها بالطبع بعض البيوت ذات القرميد أو الآجر أو المبنية جيدا من الخشب، ولكنها كانت قليلة جدا بحيث يمكن عدها على الاصابع.

ومع ذلك، كنت أحب تلك العشش والاكواخ المزنرة بالفقر كما لو كانت جزءا من كيانى، واينما حللت كنت اتذكر بحنان فريد، كما لو اننى اتذكر قريتى الحبيبة، شارع سياونانمين ونهر توداوسونغارى اللذين كنت اتردد عليهما.

وفى هذه المدينة استمعت الى وصية والدى التى كانت بمثابة بوصلة لحياتى التالية. كانت قد انقضت عشر سنوات على دفن والدى فى يانغديتشون التى ذهبت اليها وراء تابوته. وكما يقول المثل الشائع، فان عشر سنوات كافية لتبديل الجبال والانهار، وربما تكون قد تبدلت طبيعة المشهد المحيط بقبره.

لقد كان لحشر العدو فى مأزق فى فوسونغ مغزى كبير من عدة نواح من أجل انجاز هدفنا الاستراتيجى فى التقدم نحو جبل بايكدو. وكنت أعرف ذلك خيرا من الجميع، ولكننى لم اكن استطيع مع ذلك اتخاذ قرار الهجوم عليها فى الحال.

بعد أن ودعت وان شون، وبينما كنت أوجه عمل المنظمات القاعدية لجمعية

استعادة الوطن، كرست نفسى لتنظيم عمليات استطلاع مكثفة حول عدة مدن لاختيار واحدة مناسبة لشن الهجوم عليها.

وبينما كنا نعد العدة للعمليات المشتركة مع وحدة وان شون، وصلنا فجأة ودون اشعار مسبق لى هونغ بين قائد المفرزة الأولى فى قوات وو وى تشينغ، على رأس رجاله. جاء ووجهه مغطى بالعرق وزيه العسكرى متسخ بالغبار والملح، اذ كان قد قطع مسيرة اضطرارية طويلة متحملا قيظ الصيف.

كانت المفرزة تشكل جزءا من الوحدة الرئيسية فى قوات وو وى تشينغ، وتتمتع بقدرة قتالية كبيرة. وكان لى هونغ بين نفسه ضابطا مقتدرا، ومخلصا لقائده الى حد ان وو وى تشينغ كان يقول عنه انه ذراعه اليمنى، وكان يتمتع بثقته بالقدر ذاته. وقد كان صديقى القديم الذى اتبادل معه حتى رواية النكات البذيئة دون مواربة.

تساءلت بينى وبين نفسى: لماذا ظهرت وحدة وو وى تشينغ فى فوسونغ بحثا عن جيشنا الثورى الشعبى المنطلق نحو الجنوب، وهى الوحدة التى انفصلت عنه بعد اللقاء القصير فى تشينغكوجى بمنشوريا الشمالية؟

ودون أن يستريح "لى" من التعب الذى تراكم خلال رحلته الطويلة، بدأ ينقل لى بسعادة تحيات وو:

"لقد ارسلنى القائد وو. وقد امرنى القائد العجوز بان ابحث فى كل مكان عن جيشكم المنطلق الى الجنوب، صوب جبل بايكدو، للقيام بعمليات مشتركة معكم."

ثم أضاف قائلا:

"عندما طلب منى ذلك شعرت بالحيرة، فسألته الى أى جهة من جهات أرض منشوريا الشاسعة كالبحر يجب على أن أذهب لأبحث عن جيش كيم إيل سونغ الذى ينتقل مثل الاشباح بخفة تفوق التصور، فأجابنى قائلا: (يالك من أحمق، لماذا انت قلق الى هذا الحد؟ لا يهمنى اذا ما كنت ستذهب مجانبة أو على أربع قوائم، وعلى كل حال، اذهب الى حيث يسمع دوى رصاص كثير، وستجد هناك القائد كيم). وقد كان مصيبا، اذ اننى سمعت صوت الرصاص يدوى هنا تحديدا، فى منطقة فوسونغ."

تدخلت قائلا:

"اجل، صحيح ان جيشنا يطلق النار هنا كل يوم. سنهاجم عما قريب حاضرة كبيرة بالاشتراك مع رجال وان شون. واذا كنت لا تعارض، فاننى أريد ان تشارك مفرزتك فى هذه العملية؛ ما رأيك؟"

"ليس هناك ما يمنعنى من القيام بذلك، خصوصا وان القائد وو ارسلنى الى هنا وهو يدفعنى دفعا للقيام بعمليات مشتركة. وقد أكد لى انه سيلحق بنا عندما ينتهى من انجاز المهمات المتبقية عليه."

لقد كان انضمام مفرزة لى هونغ بين الينا سببا فى مضاعفة سعادتنا فى الوقت الذى انتهينا فيه من التوصل الى تحالف مع قوات وان شون.

أحسست وكأن اعصارا يعصف فى قلبى، ذلك أن "لى" قادم لمساعدة جيشنا الثورى الشعبى دون أن يعبأ بالمسيرة الطويلة. خلال لقائنا فى تشينغكوجى، كان وو وى تشينغ خامد الهمة، يكثر من التذمر من سلوك جو باو جونغ الذى لم يتعامل معه كقائد لجبهة القوات المناهضة لليابان. وحتى ذلك الحين، لم يشر تقريبا الى مسألة التعاون.

ومع ذلك، فان ارساله لى هونغ بين والطلب منه بان يحافظ حتى الموت على الجبهة المتحدة مع الحزب الشيوعى الذى يقوده كيم إيل سونغ، كان اعرابا عن تأييده وثقته الثابتة فينا. صحيح انه كان قد تذبذب لبعض الوقت على اثر دخول وانغ دى لين الى عمق الاراضى الصينية بالمرور عبر الاتحاد السوفييتى، ولكنه ما يزال يسعى بثبات الى التعاون، ولا يتخلى عن العمل العظيم المتمثل فى الجبهة المتحدة، وهذا كله فى الحقيقة سلوك جدير بالثناء.

من حسن الحظ ان وان شون كان ما يزال الى جانبنا، وهكذا شارك لى هونغ بين فى النقاش معنا حول العمليات المشتركة، دون أن يتاح له الوقت حتى لمجرد فك اربطة حذائه.

عدنا الى التشاور حول مسألة تحديد هدف الهجوم.

اقترحت مهاجمة مينغتشيانغ. ففى صيف عام ١٩٣٢، وبينما كنت عائدا من زيارة لوحدة ريانغ سى بونغ المرابطة فى تونغهوا، اقمت هناك نحو شهر تقريبا،

عملت خلاله على تعزيز صفوفنا واعادة تنظيم المنظمات السرية. وحيث اننا كنا نعرف الموقع جيدا ولدينا فيه قاعدة دعم جاهزة، فان مهاجمتنا له ستتيح لنا الخروج ظافرين من المعركة بكل سهولة.

أعرب وان شون عن استيائه، وتعلل بان المكان بعيد جدا، واننا حتى اذا تمكنا من تحقيق الانتصار، فانه من المحتمل ان نقع فى حصار معاد ونحن فى طريق العودة. وكان ما يزال متمسكا برغبته فى الهجوم على فوسونغ.

واقترح لى هونغ بين كذلك صارخا وهو يضم قبضتيه بشدة:

"فلنهاجم فوسونغ ايها القائد كيم."

لقد كانت لديه اسبابه للتصرف على هذا النحو. فقبل أن يغادر ايمو، أرسل آمر سرية لديه اسمه مو جين سينغ فى دورية متقدمة ليستكشف مكان وجودنا، ولكن هذا الآمر وقع اسيرا فى يد وحدة الدرك فى فوسونغ اثناء ادائه مهمته.

أراد العدو اجباره على الاعتراف بالهدف من قدومه الى فوسونغ وبمن عليه أن يلتقى. ولكن مو جين سينغ احتفظ بالصمت. وحين تعب رجال الدرك الهمجيون من تعذيبه، صبوا ماء يغلى فى فمه. وعلى الفور احترقت وتشوهت انسجة فمه وحلقه، وغطت اورام الحروق شفتيه. ولكن الاسير ذا الارادة الحديدية بقى صامتا رغم ذلك كله ولم يستسلم.

واخيرا، اقتادوه الى جدار عند الطرف الشمالى لفوسونغ، لكى يرموه بالرصاص مع جماعة من فلاحى المنطقة الوطنيين الذين وجهوا اليهم ظلما تهمة "التواطؤ مع قطاع الطرق الشيوعيين". ولكن الرصاص لم يصبه لحسن الحظ فى مقتل، وسقط فوق جسد آخر. وقد حمله رجل طيب القلب الى بيته وعالجه حتى شفى ثم أعاده الى وحدته. ومن خلال طائر الفينيق هذا، اطلع العالم بأسره على الاغتيالات الدنيئة التى يقترفها الجنود والشرطة اليابانيون المرابطون هناك.

وقد تحدث لى هونغ بين عن بعض تلك الاغتيالات الشرسة التى رآها مو جين سينغ وسمع عنها وهو فى مركز الدرك:

بعد سقوط القائد وانغ قتيلا، اغلق رجال الجيش والشرطة اليابانيون ابواب

المدينة المسورة بحجة البحث عن "المتواطئين مع قطاع الطرق الشيوعيين"، واقروا تصريح مرور للأهالى الذين يجتازون تلك البوابات. وكانوا يعتقلون ويعذبون كل من لا يحمل ذلك التصريح أو من يحمل تصريحا انتهت مدة صلاحيته، وكانوا يقتلون من يقاومهم دون أن تراه حتى الجرذان أو الطيور، ويفعلون ذلك بوحشية لم يعرف لها مثيل سواء فى التاريخ القديم أو المعاصر. فقد كانوا يجمعون المعتقلين فى الفندق القائم بالقرب من جسر سيمينتشياو، وعند الفجر يقتلونهم بطريقة سيتشام على ضفة البحيرة بالقرب من نهر توداوسونغارى، خارج سيمين. أما طريقة سيتشام فهى طريقة فى القتل تبعث القشعريرة حتى فى الضوارى، وتتم بذبح الشخص بسيف حاد جدا لكى يرى الجلاد دمه وتترسخ الطباع العسكرية لديه. وكانوا يلقون بالجثث فى البحيرة، ولهذا كان من الطبيعى جدا ان يطلق اهالى فوسونغ على البحيرة اسم مستنقع الموت. وكان العدو يسارع الى اعتقال كل من يفشى هذا السر ليقتله بالطريقة نفسها.

لقد فار الدم فى قلبى من السخط. وأحسست بقوة تأنيب الضمير عندما ادركت ان ما فكرت به من وجوب عدم كسر ذكرياتى الجميلة عن فوسونغ بالرصاص أو تلويثها بدخان البارود، لم يكن الا عاطفة لا طائل وراءها.

وللحقيقة اقول انه من بين المدن المحيطة بجبل بايكدو، كانت فوسونغ جنبا الى جنب مع رينتشيانغ وتشانغباى، هى النقطة الاستراتيجية العسكرية التى كان العدو يوليها اهتماما خاصا. فقد كانت الامبريالية اليابانية تعتبرها مركز اسناد من أجل "ضمان الامن فى منطقة دونغبيآنداو" وكانت تبقى هناك اعدادا ضخمة من الجنود، منها جيش كوانتونغ وجيش منشوكو العميل والشرطة وغيرها.

كما كانت تعشش هناك قوات داكاهاسى المختارة التى كان يقال انها تمرست فى خضم المعارك الفعلية. لهذا كان حشر كل هذه القوات فى مأزق يكتسب اهمية بالغة من اجل فرض سيطرتنا على منطقة جبل بايكدو.

كان يقلقنى دائما احساسى بسماع نداءات ثأر لا اعرف مصدرها تقول:

فلنثأر لاحقاد الشعب بتصفية العدو الهمجى المعشش فى حاضرة محافظة

فوسونغ! فلننقذ الابرياء المحكومين بالموت على طريقة سيتشام فى الحاضرة التى تحولت الى جهيم!

فاتخذت القرار: سنهاجمها اولا. ولماذا علينا الذهاب الى مينغتشيانغ والتغاضى عن مأساة سكان فوسونغ الابرياء الذين تربطنى بهم علاقة حميمة ويتحولون كل يوم الى ضحايا للسيف اليابانى؟ فاذا هاجمنا المدينة، سنتمكن من الثأر للاهالى، وترسيخ القاعدة الصلبة للجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان، كما اننا سنتمكن من السيطرة على منطقة جبل بايكدو بسهولة اكبر؛ هذه معركة يجب علينا عدم تأجيلها لحظة واحدة؛ وستكون تحيتى القلبية والاعراب عن محبتى المتأججة والصادقة لسكانها جميعا.

وهكذا قررت مهاجمتها وفتح فجوة حاسمة من اجل السيطرة على منطقة شمال غربى جبل بايكدو.

بعد الاتفاق على الهدف من الهجوم، أعدنا تنظيم عملية الاستطلاع للمدينة، وقمنا بذلك بمزيد من التفصيل هذه المرة.

وقد اتاح لنا تحليل التقارير ان ندرك بشكل مسبق بان المعركة ستكون قاسية جدا. فقد كانت فى المدينة منشآت دفاعية أكثر متانة مما كنا نتصوره: فهى محاطة بسور متين من اللبن وبابراج للرشاشات، مثل جميع مدن منشوريا الاخرى.

الشىء الوحيد لصالحنا كان يتمثل فى ان حراس البوابات ينتمون الى سرية من جيش منشوكو العميل خاضعة لتأثيرنا، اضافة الى اننى كنت أعرف المدينة معرفة مفصلة.

وكانت هناك فى تلك السرية جمعية مناهضة لليابان شكلها نشطاء سياسيون سريون من جيشنا. وكان مسؤول الجمعية هو معاون آمر السرية وانغ الذى وعدنا بأن يفتح جميع ابواب السور دفعة واحدة فى لحظة الهجوم، وانه سيفرز للحراسة اعضاء موثوقين من المنظمة ليفعلوا ذلك.

دعونا الي اجتماع لمناقشة العمليات ووزعنا المهمات القتالية. كان على جيشنا ان يحتل الحصن القائم على الجبل الشرقى ويتقدم بعد ذلك نحو بوابتى دانانمين

وسياونانمين لتصفية الاعداء داخل الحاضرة. وكان على القوات الصينية المناهضة لليابان ان تشن الهجوم عبر دونغمين وبييمين. كما خططنا لان تقوم وحدات صغيرة من الجيش الثورى الشعبى بمهاجمة سونغشوجين ووانليانغهى قبل يوم من المعركة لتشتيت انتباه العدو الذى كان يسهر على حماية الحاضرة وحدها.

يمكن القول ان خطة العمليات كانت معدة بطريقة مثالية. وكنا واثقين من ان المعركة ستتوج بانتصار الجيش المتحالف.

ولكن، خلافا لتوقعاتنا، اصطدم الهجوم على فوسونغ بعقبات خطيرة منذ الخطوة الاولى. وكان السبب الاساسى يتمثل فى ان القوات الصينية المناهضة لليابان لم تحترم ساعة الوصول المتفق عليها، وتحركت على هواها. فمفرزة لى هونغ بين التى سيطر عليها الحماس، انطلقت مباشرة نحو دونغمين دون المرور من نقطة اللقاء فى جيانتشانغكو، والاسوأ من ذلك هو ان القوة التابعة لوحدة وان شون لم تحترم ساعة الوصول المتفق عليها، وهو الامر الذى أقلقنى أشد القلق. بعثت مراسلا الي هذه الوحدة الاخيرة، ولكن جنودها لم يظهروا فى جيانتشانغكو حتى بعد اكثر من ساعة من مغادرة المراسل. لقد حددنا نحن القادة جميعنا يوم وساعة الهجوم بالاستناد الى حسابات مفصلة وكافية للظروف المواتية والمعاكسة.

كان آمرو الوحدات المناهضة لليابان يتقيدون بالحسابات الخرافية لاختيار يوم الهجوم. فكان لى هونغ بين مهتما جدا برقم اليوم والساعة الموعودين. وكان يقول انه حسب فلسفة النور والظلام، فان الاعداد الزوجية تمثل الظلام والاعداد الفردية تمثل النور، وانه من أجل اكتساب الحظ فى كل الاعمال المهمة لا بد من اختيار أعداد فردية، أى ١، ٣، ٥، ٧ وهكذا على التوالى، لتحديد يوم وساعة التنفيذ.

لم نأخذ هذه الفلسفة بعين الاعتبار، وان كنا قد حددنا، بمحض الصدفة، موعد بدء المعركة فى الساعة الواحدة من اليوم السابع عشر (اليوم الاول من الشهر السابع فى التقويم القمرى)، وقد ارضى هذا الاختيار لى هونغ بين.

أما وان شون الذى وصل الى جيانتشانغكو على رأس عدد من جنوده، فكان يأتى ويروح من مكان الى آخر دون أن يدرى ما عليه عمله، وفرض على جنوده ان

يضموا اكفهم ويرتلوا شيئا مثل الصلوات وهم يتوجهون نحو السماء الشرقية. ربما كان يتوسل العون من آلهة السماء والارض. وكان قادة بعض الوحدات الاخرى يوبخونه دون هوادة، قائلين انه قد غدر بهم. وكان العرق يتصبب بغزارة على وجنتى المتهم.

حين رأيت القائد العجوز يقف مرتبكا ومحرجا وسط نظرات الآخرين العدائية، لم أستطع كبح دفقة من الشفقة عليه. ومهما بدا الامر غريبا، فاننى كنت اشعر برغبة فى الدفاع عنه بدلا من تحميله المسؤولية. وللحقيقة أقول انه عند الاعداد للعمليات المشتركة اظهر حماسة ومبادرة اكثر من الجميع. وكثيرا ما كان يؤكد على جنوده ضرورة الاحترام الصارم للمواعيد والانضباط فى العمليات. وقد شكل ذلك كله دون ريب دعما كبيرا وتشجيعا بالغا لنا نحن الذين كنا نولى اهتماما فائقا للجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان.

وبالرغم من هذه الجهود النزيهة من أجل تحقيق التحالف مع الجيش الثورى الشعبى، الا انه عرقل عمليا تحقيق العمليات العسكرية المشتركة؛ ومن هنا، فان هذا التناقض الكريه قادنى فى النهاية الى الرثاء لحاله.

واقول بصراحة اننى لم أكن فى ظروف تسمح لى بالشفقة على أى كان أو النظر اليه كمسكين، فمع مرور كل ثانية كان يتزايد القلق الذى يثقل على قلبى باعتبارى المسؤول عن قيادة المعركة. وقد كانت تلك هى المرة الاولى التى احسست فيها بذلك الشعور من الغم والبلبلة خلال مئات المعارك التى توليت قيادتها.

كنت الوم نفسى لاننى عند مناقشة خطة العمليات لم اشدد كثيرا على ضرورة الاحترام الصارم للموعد المتفق عليه. فقد شددت بشكل خاص على وجوب عدم التعرض لحياة اهالى المدينة وممتلكاتهم، وعدم تلويث العلاقات بين الجيش وبقية ابناء الشعب. ولم اكن ارغب فى أن ارى أو اسمح بان تتكرر هنا فى ارض فوسونغ الاساءات التى اقترفها جنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان عند الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ.

بل اننا لم نشعر بالقلق من احتمال تأخر وصول وحدة وان شون، ولم نبد

اهتماما بذلك، بحيث سببت لنا النتيجة تلك الصدمة كما اعتقد.

وبسبب الظرف الطارئ الذى أصبح يهدد مصير المعركة، ظهر وضع جدى فرض علينا احد خيارين، فاما التخلى عن المعركة أو اتخاذ اجراء استثنائى. لم يكن بمقدورنا التخلى عن العمليات التى اعددنا لها بصعوبة، لان ذلك سيكون كمن يسكب ماء باردا على الحماس الذى تأجج عشية المعركة بين جنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان وجنود جيشنا الثورى الشعبى.

لم يصل رجال وان شون فى الموعد المحدد بسبب نقص سجائر الافيون لديهم. فقد كان عدد كبير من ضباطه وجنوده من مدمنى الأفيون، ويقال انهم لم يستطيعوا ضمان وتيرة المسير لانهم لم يتنشقوا الدخان المخدر.

لقد ارسلنا لهم الافيون، دون رغبة منا، لكى نضمن الانتصار فى العملية المشتركة.

ولو لم نلجأ الى هذه الوسيلة الاستثنائية، فلربما كانوا سيقضون اليوم كله على الطريق.

عندما هاجمنا حاضرة محافظة ايمو، كشف لى وانغ ريون تشينغ ان القوات الصينية المناهضة لليابان قد قاتلت بشكل جيد نسبيا الى جانبنا بفضل الأفيون، وقد اعتبرت كلامه ذاك مجرد مزاح. ولكننى حين علمت ان مرؤوسى وان شون لم يحافظوا على وتيرة مسيرتهم بسبب نقص المخدر، أدركت انه كان يقول الحقيقة.

لقد تخلفت جميع وحداته الفرعية كثيرا عن المجىء الى الموقع المتفق عليه. وعندما ظهر اخيرا آمر الفوج الذى كان يقود الوحدة الرئيسية وهو يلهث وأراد تقديم تقريره المتأخر الى وان شون، هدده هذا الاخير وهو يشهر مسدسه الرشاش بانه سيقتله. وقد لمست حينئذ للمرة الاولى فى حياتى مدى خطورة المخدرات، مما اضطرنى فيما بعد الى اصدار الامر الصارم باقتياد كل من يدمن على هذه الرذيلة فى صفوف جيش حرب العصابات الى جدار الاعدام.

يروى التاريخ انه بسبب الافيون بدأ يتهاوى، اذا صح التعبير، القرميد اللامع لامبراطورية تشنغ التى كانت تزدهى بتقاليدها العريقة منذ مئات السنين، الى ان

انهارت اعمدتها. لقد خاضت تشنغ فى وقت من الاوقات حربين ضد انكلترا التى ادخلت الافيون تهريبا الى اراضيها. فالمخدرات التى كان يجرى انتاجها فى الهند راحت تتدفق على امبراطورية تشنغ لتحول ملايين الناس الى مدمنى افيون، بينما كانت كميات هائلة من الفضة تنتقل الى الخارج. وقد حققت انكلترا ارباحا طائلة من هذه التجارة.

لقد نهض لين زو شى وغيره من رواد تشنغ جنبا الى جنب مع ابناء شعبهم ضد المعتدين الانكليز الذين كانوا يهربون الافيون. وبالرغم من المقاومة العنيدة، تم التخلى للانكليز عن هونغ كونغ التى تشكل جزءا من الاراضى الصينية، بفعل الممارسات الخيانية للطبقة الحاكمة.

وباختصار، يمكن القول ان الافيون قد ابتلع الصين. وقد كانت رذيلة هذه المادة هى العار الاكبر والالم الاعظم اللذين خلفتهما امبراطورية تشنغ للصينيين فى القرنين التاسع عشر والعشرين. وحتى وقت متقدم من عقد الثلاثينات، كانت تباع كميات كبيرة مهربة من الافيون فى منطقة منشوريا. وكان هناك اناس كثيرون يدخنون الافيون سواء بين الاغنياء وكبار الموظفين أو بين السكان العاديين ممن لا يملكون ما يقيمون به أودهم فى اليوم التالى. وكلما كنت أرى مدمنى الافيون الذين يتطلعون ساهين الى الدنيا بعيون مضطربة وانوف متسخة، لم اكن استطيع كبح آلام قلبى وانا اتذكر تاريخ العذاب الطويل الذى فرض على الشعب الجار اراقة الكثير من الدماء والدموع.

على الرغم من ان جميع الوحدات قد ركضت حتى أحست بطعم الحديد فى الحلوق، الا ان ذلك كان اشبه باطلاق النفير بعد مرور الموكب. فأعضاء جمعية مناهضة اليابان فى سرية جيش منشوكو العميل الذين كانوا يتولون حراسة بوابات السور وينتظرون الاشارة، انسحبوا من مواقعهم بعد أن وضعوا رملا فى علبة آلية الرشاشات عندما حان موعد تبديل الحراس. وهكذا، فان خطة عملياتنا لم تسر على ما يرام منذ البداية بعد ان كنا نتوقع الدخول خلسة الى داخل الاسوار عبر البوابات لنقوم بتصفية العدو دفعة واحدة.

والواقع اننى فكرت فى تلك اللحظة حتى فى التخلى عن خوض المعركة. وربما كان التصرف الاكثر صوابا فى مثل تلك الظروف هو تأجيل العملية الى اليوم التالى.

ولكننا على الرغم من ذلك كله لم نتراجع عن خوض المعركة، لان حقدنا على العدو كان يكبر ونحن نرى حاضرة محافظة فوسونغ المضرجة بالدماء وكانت آمالنا المعقودة على هذه المعركة لبسط سيطرتنا على منطقة جبل بايكدو عظيمة جدا.

ما الذى سيحدث اذا ما تراجعنا دون مهاجمة المدينة ونحن نملك ما يزيد على ١٨٠٠ مقاتل؟ سيشهر بنا الجميع ويصموننا باننا رعاع بائسون. وعندئذ سيتحول مشروع الجبهة المشتركة المناهضة لليابان العظيم الى مجرد فقاعة صابون، ولن يكون لرصاصنا الذى سيدوى عما قريب فى منطقة جبل بايكدو أى نتيجة أو صدى.

استنهضت آمرى الجيش الثورى الشعبى بالقول انه مهما بلغت صعوبة الوضع فانه علينا ان نحقق الانتصار فى العملية التى اعددنا لها بمشقة، وذلك بان نقف فى مقدمة الصفوف عاقدين العزم على التضحية بأنفسنا.

وهكذا صاحبت بدء الهجوم على حاضرة محافظة فوسونغ تقلبات معقدة.

ما ان اصدرت الامر بالهجوم حتى استولى رجال الجيش الثورى الشعبى دفعة واحدة على برج الجبل الشرقى وتقدموا نحو سياونانمين. وهرع جنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان كذلك باتجاه بوابتى بييمين ودونغمين. وجرت فى الشارع قبالة سياونانمين معركة بالسلاح الابيض. وكان هناك رشاش فى البرج يطلق نيرانه على المتقدمين باتجاه البوابة. وكان ازيز رصاصه قويا الى حد اوشكت معه ان افقد قدرة على السمع، اذ اننى كنت قد اقمت موقع قيادتى بالقرب منه.

تمكنت وحدات الجيش الثورى الشعبى من تحطيم بوابة السور وعبرت منها الى الداخل تحت حماية سرية الرشاشات.

فى الوقت الذى كان فيه جنودنا يشنون الهجوم الاول مجازفين بحياتهم، وصلنى تقرير يقول ان قوات وان شون اخذت تتراجع مذعورة من قصف المدافع المعادية. فامرت قائد السرية لى دونغ هاك بالذهاب على جناح السرعة مع رجاله الى بوابة بييمين لمساعدتهم.

وبعد قليل من ذلك، اخذ رجال لى هونغ بين المكلفون بالاستيلاء على بوابة دونغمين، اخذوا بالتراجع دون ان يكبحوا الهجوم المعاكس، مما اتاح للعدو الذى كان يخرج من تلك البوابة التقدم باتجاه سياونانمين.

والادهى من ذلك اننى تلقيت معلومات تفيد بان الجماعة التى يقودها زون كوانغ قد انسحبت متخلية عن الهجوم على وانليانغهى، مما سبب لى القلق. وكان السبب فى انسحابهم هو عدم قدرتهم على عبور نهر توداوسونغارى لارتفاع منسوب المياه فيه. وكون جنود وان شون قد هربوا جميعهم دفعة واحدة متخلين عن الهجوم على بوابة بييمين، لم يكن السبب فيه هو خوفهم فقط من مدافع العدو، وانما كذلك خطأهم فى الظن بان تلك الجماعة هى مدد للعدو قد يتوجه لمهاجمتهم من الخلف.

لقد كان لتشتت التشكيلات الهجومية لقوات وان شون تأثير سلبى على خاصرتها؛ ووجدت وحدة لى هونغ بين نفسها مفككة تماما.

وكما هو واضح، فان زون كوانغ لم يخبرنى فى الوقت المناسب بتخليه عن الهجوم، مما كان له نتائج وخيمة على المسيرة العامة للمعركة.

كان النهار على وشك الطلوع، ولم نكن قد تمكنا من معالجة الوضع الذى كان يزداد سوءا بالنسبة لنا.

فى تلك اللحظة، جاء لى هونغ بين راكضا وباغتنى بالقول: "ايها القائد، يبدو ان كل شىء قد اخفق وضاع. واذا ما تأخرنا لوقت أطول، فانهم سيهجموننا تماما دون ريب."

كان يرغب فى ان ننسحب فورا.

وفيما هو يتطلع الى سماء الصباح التى بدأت تنقشع، صاح بيأس.

"آه! هكذا سننتهى!"

فصحت به وانا اشده من كتفيه:

"يا آمر المفرزة، أنصحك بألا تيأس الى هذا الحد. فكلما كان الوضع فى غير صالحنا، كلما توجب علينا التزام الحيطة واليقظة لكى نحول الطالح الى صالح. ألا تعرف المثل القائل: الصالح موجود فى الطالح والطالح، موجود فى الصالح؟"

لم أقل ذلك لأنه كان لدى مشروع عبقرى لتحويل الطالح الى صالح. اذ لم يكن لدى سوى العزيمة على استعادة زمام المبادرة فى المعركة، ممارسا تكتيك الاستدراج منتهزا فرصة بدء للقوات الصينية المناهضة لليابان بالانسحاب.

ان اجتذاب العدو الى خارج الاسوار عند تحول الوضع الى غير صالحنا فى المعركة، وحشره فى احد الاودية لمحاصرته وتصفيته، كان يشكل المبدأ التكتيكى لنشاطات جيش حرب العصابات، كما انه كان فى الوقت نفسه شكلا آخر كنا قد وضعناه فى الحسبان مسبقا. ولكن هذا الاحتمال يمكن له ان يأتى بنتائج باهرة فى الليل.

كان علينا ان نختار واحدا من احتمالين: فاما ان ننسحب من ميدان المعركة قبل طلوع النهار واما ان نقاتل حتى الموت بالهجوم الجبهى.

وبالرغم من اننى عزمت على اسلوب استدراج العدو، الا اننى كنت مترددا فى تنظيم الانسحاب خشية فقدان المقاتلين. وفى هذه اللحظة بالذات، ظهرت معجزة بدت لنا وكأنها مساعدة من السماء: ففجأة، بدأ يغطى المدينة ومحيطها ضباب كثيف جدا جعل الرؤية مستحيلة حتى على بعد بوصة واحدة. لقد كان ذلك أشبه بسحر من السماء والأرض.

اصدرت الامر الى قادة جميع الوحدات بالانسحاب نحو الجبل الشرقى وتلة سياومالوكو، واقتياد جنودهم المشتتين الى هناك.

بدأ العدو مطاردتنا بجنون.

عندما بدأنا ارتقاء الجبل الشرقى، دوى صوت طلقة نارية عند الاختناق البارز فى القسم الأوسط من الجبل. توقفت قلقا. فقد كنا قد تركنا هنا سبع أو ثمانى مقاتلات من جيش حرب العصابات ليعددن لنا طعام الفطور الذى كنا سنتناوله بعد انتهاء المعركة. واذا صح ظنى، فان العدو قد أدرك ان وحداتنا تنسحب اساسا نحو الجبل الشرقى، ولهذا حاول ان يحتل ذلك الاختناق الجبلى مسبقا ليضرب قيادتنا وقواتنا الرئيسية من جهتين.

أصبح اطلاق النار أشد كثافة. ولم يعد هناك من شك فى ان المقاتلات يخضن معركة قاسية فى مواجهة قوات معادية كبيرة.

فبعثت اليهن جندى ارتباط، فعاد ليطلعنى على عزم الرفيقتين كيم هواك سيل وكيم جونغ سوك على الدفاع عن ذلك الموقع بدمائهما من اجل ضمان أمن القيادة. وقد نجت القيادة فعلا بفضل صمود المقاتلات البطولى. فلو لم يواجهن الاعداء لما كان بامكاننا ان نكون أول من يصعد الجبل الشرقى. والى جانب اولئك الرفيقات، دافعت السرية الرابعة من الفوج السابع فى جيشنا بحزم عن القيادة.

فبينما كانت تدور رحى معركة عنيفة فى ذلك الاختناق الجبلى، نصبت القوة الرئيسية من الفوج السابع كمينا على امتداد مكان متشابك من المرتفع الواقع الى الجنوب من الجبل الشرقى مستفيدة من الضباب الكثيف. كما احتلت الوحدات الصينية المناهضة لليابان المرتفع القائم على الجانب الآخر من الوادى. عندئذ بالذات، انسحبت تلك السرية التى كانت تغطى تراجع قوة الفوج الرئيسية الى الوادى العميق الذى يكتنفه الضباب بينما العدو يلاحقها. وفى مثل لمح البصر، نصبت كمينا على التل الذى ينتهى عنده الوادى.

وهكذا وقعت فى مصيدة الموت قوات دكاهاسى السىء الصيت الذى اشتهر باستخدام طريقة سيتشام. فما ان دخلت تلك القوة الوادى حتى أصبح من المتعذر عليها الانسحاب منه. وبهذا تأكدت حتمية انتصارنا.

لقد هزت اصداء المعركة الارض والسماء لبعض الوقت. كنا نطلق النار من اعلى الجبل بينما كان العدو يرد علينا من أسفل الوادى. وراح جنود داكاهاسى يهاجموننا فى موجات متتالية مستخدمين اسلوب القتال الخبيث الذى وصفه وان شون بتكتيك الشجاعة. ولكنهم لم يحصلوا على شىء سوى جثث قتلاهم وانسحابهم مرة بعد اخرى. وحين رأوا ان هجماتهم لا تجدى نفعا، توقفوا عن اطلاق النار واحتموا باذيال الجبل بانتظار وصول النجدات اليهم.

عندئذ أصدرت الأمر بشن الهجوم المضاد.

دوى صوت البوق واضحا. وخرج مقاتلونا من الكمائن وراحوا يحصدون العدو دون رحمة. وكان يتقدم معركة الالتحام كيم ميونغ زو قائد الحضيرة فى الفوج السابع، والذى كنا نطلق عليه لقب "سجن آنزى" وهو اللقب الذى التصق به بعد الحادثة التالية:

خلال انتفاضة ٣٠ أيار، تم للاسف اعتقاله وايداعه سجن آنزى. وخلال السنوات الخمس التى امضاها فى السجن، حاول الفرار ست مرات مع اعضاء المنظمة السرية العاملين هناك. وقد حالفه النجاح اخيرا بعد أن أجهز على كبير السجانين بفأس.

وكان له لقب آخر هو "تشيلسونغزا"، أى مسدس بسبع رصاصات. فقد شارك فى سبع معارك كبيرة وأصيب بجراح فى كل واحدة منها بعد ان قام بمآثر باهرة، وقد انعكس ذلك سريعا فى لقب "تشيلسونغزا" الذى اطلقه عليه رفاقه فى السلاح. ولم يكن يخشى الموت مطلقا، فقد كان أسد وحدتنا.

كما ان ريو يونغ زون، قائد السرية فى الفوج الثامن، والذى خاطر بحياته لمساعدة كيم ميونغ زو فى محاولة الهرب من سجن آنزى، قاتل هو أيضا ببسالة مثل "تشيلسونغزا". وكانت تربط بين الاثنين صداقة حميمة تولدت فى خضم النضال.

أما كيم هواك سيل، "ماردة" جيش حرب العصابات، فكانت تطلق نيران رشاشها بينما عيناها تكادان تقفزان من محجريهما. وعندما سألها رفاقها فى السلاح لماذا لا تغمض احدى عينيها، اجابتهم بالقول انها تريد أن ترى بدقة خدود الاوغاد اليابانيين القبيحة. كلما كانت تشهر سلاحها، كان الاعداء يتساقطون بالجملة مطلقين الصيحات. وقد شاركت فى ذلك اليوم أيضا فى القتال بالسلاح الأبيض.

وخلال الهجوم على فوسونغ، ظهرت أيضا قصة كيم جونغ سوك التى كانت تحمل ماوزرا فى كل واحدة من يديها، وتطلق النار منهما بسرعة تضاهى سرعة الرشاش موقعة بذلك اكثر من عشر اصابات فى صفوف العدو.

أما آمر الفوج فى قوات وان شون، والذى كاد أن يسقط بنيران الماوزر بسبب تعاطيه الافيون، فقد قاد جنوده وهو يطلق الصرخات من فوق صخرة كان رصاص العدو يتساقط عليها مثل المطر. لقد أظهر جميع افراد القوات الصينية المناهضة لليابان قدراتهم دون تحفظ فى ذلك اليوم.

تم الحاق هزيمة منكرة بوحدة "النخبة" من قوات داكاهاسى فى وادى الجبل الشرقى. وقد علمت القيادة العامة لجيش كوانتونغ بهذا الخبر المشؤوم فى صباح

اليوم نفسه. وبعد وقت قصير من ذلك، عرفت من خلال صحيفتى "دونغآ ايلبو" و"زوسون ايلبو" انه قد خرجت يومذاك من مطار سينجينغ طائرات عسكرية مزودة بالقنابل والرصاص لمساعدة الوحدة اليابانية المرابطة فى فوسونغ، وان تعزيزات قد سارعت بالانطلاق من تونغهوا وهوانرين وسيبينغجى وغيرها. كما تم ارسال حامية زونغكانغزين. ربما اقدم داكاهاسى على ما كان قد فعله آمر الكتيبة وين فى لوزوكو، فأرسل الى رؤسائه تقارير مليئة بالمبالغات. والا، كيف جرى تعبئة وتحريك هذه التعزيزات الضخمة من كل الاتجاهات الى فوسونغ؟ لقد هرعت القوات المعادية أيضا كالطوفان من رينتشيانغ وتشانغباى ومينغتشيانغ ومحافظات اخرى مجاورة لانقاذ داكاهاسى. ومع ذلك، فان هذا الاجراء المحموم الذى جرت ممارسته بسرعة استثنائية لم يستطع انقاذه من المصيدة. فبعد ظهر يوم السابع عشر من آب، وفى الوقت الذى كانت تصل فيه بعض التعزيزات الى فوسونغ، كانت نتيجة المعركة قد حسمت.

بعد أن فتشنا الخنادق، انسحبنا الى غابة كثيفة حين بدأت الطائرات المعادية الآتية من سينجينغ قصفا عشوائيا للموقع الذى دمرناه على الجبل الشرقى والبيوت المحيطة بالحاضرة.

قال لى وان شون وهو يتطلع بعين الرضى الى القاذفات التى كانت تنقض فى اغارات يائسة:

"ألا تكون هذه الطائرات قد وقعت فى حبائل سحرك أيها القائد كيم؟"

وقد جعلنى هذا التعليق اتأكد من ان الهجوم على فوسونغ قد حقق هدفه وزيادة عليه.

فامام وان شون كان مئات من رجاله يقودهم آمر الفوج المذكور، يسيرون بخطى واثقة، حاملين الكثير من الغنائم على كواهلهم وكأنهم جنرالات يعودون ظافرين. لقد تبدلت ملامحهم وخطواتهم الى حد أصبح من الصعب معه التصديق انهم نفس الرجال الذين لم يتمكنوا من احترام موعد اللقاء بسبب عدم وجود الافيون لديهم، واحدثوا بذلك اضطرابا كبيرا فى سير العمليات القتالية. لقد أصبحت

الضحكات تتوالى دون توقف فى صفوف الوحدات المناهضة لليابان.

قلت لوان شون بقناعة تامة وأنا اشير بيدى الى طابور رجاله:

"اذا ما نظمنا عدة معارك مثل هذه المعركة، فانهم سيتخلون دون شك عن تعاطى الافيون."

ثم أضفت قائلا:

"ألا تريد العفو عن آمر الفوج الآن؟"

طفرت الدموع من عينى وان شون واجاب:

"اشكرك أيها القائد كيم. فهذا هو ما كنت أريد أن اطلبه منك بصراحة. وباقتراحك هذا تكون قد عفوت عنا جميعا. ويبدو لى أيضا انه يمكن الآن لشباب وحدتى ان يتصرفوا كبشر. وأنا سأتبع وو وى تشينغ واحافظ على الجبهة المتحدة معك حتى الموت."

مما لا ريب فيه ان الهجوم على فوسونغ، مثله مثل معارك حاضرة محافظة دونغنينغ ولوزوكو، شكل حدثا ملهما شق طريق التحول الايديولوجى بين ضباط وجنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان. وقد تم فى هذه المعركة اختبار فعالية الجبهة المشتركة للمرة الأولى. فكون الممارسة العملية توفر القناعة بحيوية وضمان أشد من النظرية هو قانون. وقد اكد الهجوم على فوسونغ مرة اخرى ان فكرتنا ونظريتنا حول الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان ليست مجرد كلمات فارغة، وانما صادقة وحقيقية.

لقد خلفت لنا هذه الواقعة، على ضوء التكتيك، دروسا كثيرة وعميقة المغزى. ففى المعارك التى لا حصر لها، والتى خضتها حتى ذلك الحين، لم أر اى معركة متقلبة كتلك. فاذا ما تقلب الوضع فى الحرب، فان ذلك يكون، فى خطوطه العامة، بسبب تحركات العدو. ولكن التقلبات التى حدثت فى معركة الهجوم على حاضرة محافظة فوسونغ كانت بسبب خطأنا، ولهذا حدث الاضطراب الذى كان مؤقتا.

كلما وقعت تبدلات طارئة أو برزت عوائق فى سياق المعركة، يتوجب على القائد أن يعصر دماغه لكى يبتكر الاساليب المناسبة لتجاوز ذلك كله بصبر وتصميم

وارادة حديدية. وهذا المطلب يتبدى بثبات سواء فى النضال ضد العدو للدفاع عن مصالح الدولة أو فى الجهود من اجل تحويل الطبيعة والمجتمع. فمواجهة تبدلات الموقف بمهارة واتخاذ القرار بسرعة فى الوقت المناسب، يشكل احدى اهم الخصائص التى يجب أن يتحلى بها جميع القادة.

لقد شعرت بالرضا التام عن نتائج معركة حاضرة فوسونغ. وأقول بصراحة اننى عولت على المغزى السياسى الذى تضمنه انتصارنا فيها اكثر مما عولت على المغزى العسكرى والعملى.

ويمكننى ان ألخص مغزاها السياسى بهذه الكلمات: تمتين الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان والتوصل الى اكثر السبل المأمونة لنمسك بأيدينا زمام الأمور فى المنطقة الشمالية الغربية من جبل بايكدو. ان عدد الجنود الاعداء الذين سقطوا فى المعركة أو حجم الغنائم الحربية التى استولينا عليها قد غاب عن ذهنى، ولكننى لا اشعر بأى نوع من الاسف على ذلك.

٣ـ العرض الافتتاحى ل "بحر الدماء"

اعتقد ان دراسات كثيرة قد اجريت حول الفن والأدب فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان. ويمكن القول انه قد تم انقاذ النسخ الاصلية لمعظم الاعمال وجرى تكييفها وفق الذوق الجمالى المعاصر فى معظم الحالات. فالفن والادب اللذان ابدعا فى خضم الثورة المناهضة لليابان يشكلان اليوم تقاليد حزبنا فى هذا المجال، وكنزا ثمينا يحتل مكانة مميزة فى تاريخ بلادنا الفنى والادبى.

ليست لدى النية لتقديم بحث نظرى حول الفن او الادب فى تلك الفترة وكأننى متخصص بالآداب. وكل ما اريده هو الاشارة فقط الى عروض وحدتنا فى مانجيانغ. واعتقد ان تقديمها يساعد الى حد معين فى التعرف عليها بشكل شمولى.

كنا نعرف ان ابداع عمل فنى هو مهمة ذهنية لا تقل صعوبة وتعقيدا عن مهاجمة مدينة مسورة. ولكن هذا لم يمنعنا من تكريس الوقت والجهد للنشاطات الفنية والقيام بكل ما من شأنه تسهيلها.

لو انه كان فى صفوف جيشنا لحرب العصابات كاتب او فنان واحد، لما وجدنا انفسنا مضطرين لان نختبر بانفسنا مباشرة آلام ومعاناة الابداع. ولكن، لم يكن هناك مع الاسف مقاتل واحد فى جيش حرب العصابات يمارس هذه الحرفة.

لقد كان هنالك بالطبع ادباء وفنانون حاولوا الانضمام الينا بعد ان اثارت حماستهم شهرتنا والنجاحات القتالية للجيش الثورى الشعبى الكورى.

ولو ان نيتهم تلك تجسدت على ارض الواقع، لتوفرت لنا جماعة من الكتاب القادرين على تسجيل وتدوين اعمالنا، وعدد آخر من المبدعين الموهوبين الذين لا غنى عنهم لنشر المطبوعات واعداد العروض الفنية، ولكان بامكاننا فى هذه الحالة القيام بنشاطات دعائية وتحريضية مكثفة.

ولأنه لم يكن لدينا اى مؤرخ مختص، فقد تولى مهمة كتابة الحوليات اشخاص

لا يملكون الكفاءة الضرورية. وكمثال على المؤرخين لدينا يمكننا ان نذكر لى دونغ بايك وريم تشون تشو. وقد سجل هؤلاء ملاحظات كثيرة، ولكن معظمها ضاع او احترق.

وبعد التحرير، سعى مؤرخونا المتخصصون لدراسة تاريخ الثورة المناهضة لليابان دون ان يكون لديهم شىء يستندون اليه تقريبا. وقد جرت صياغة معظم الوثائق انطلاقا من ذكريات المشاركين فى الثورة. كما ان جزءا كبيرا من الوثائق التى استولينا عليها من العدو شكلت مرجعا لمؤرخينا، ولكن بعض تلك المواد كانت تشوه الوقائع حينا وتبالغ فيها او تنتقص منها فى حين آخر، مما جعلنا نصطدم بمصاعب كثيرة من اجل منهجتها والتحقق منها. اضف الى ذلك ان الاستعادة التامة للمواد التاريخية لم تكد تبدأ الا فى اواخر الخمسينات بسبب الممارسات التعويقية واللامبالية التى انتهجها الفئويون المعادون للثورة ممن كانوا يحتلون مواقع هامة فى مجال الدعاية. ونتيجة لهذا الظرف المتميز يعزى السبب فى وجود عدم توافق، الى حد ما، فى التواريخ واسماء الاماكن التى ترد فى كتبنا التاريخية المشار اليها.

ان المقاتلين المناهضين لليابان لم يخوضوا غمار النضال لكى يخلدوا اسماءهم فى التاريخ، وانما من اجل ابداع التاريخ نفسه. فاثناء خوضنا القتال فى الجبال كنا نتغلب على ما لا حصر له من المصاعب منطلقين من انه لا يهمنا اذا ما كانت الاجيال التالية ستتذكرنا ام لا. ولو اننا حملنا السلاح من اجل ان تبقى اسماؤنا منقوشة فى سجل التاريخ، لما كنا استطعنا ابداع الملحمة العظيمة التى يسميها اخلافنا اليوم: تاريخ الثورة المناهضة لليابان.

كثيرا ما كان اسلوب حرب العصابات يفرض علينا تبديل مواقعنا وسط حصار ومطاردة العدو لنا، وقد كان من الصعب جدا فى تلك الظروف الاحتفاظ بشكل آمن ومضمون ولو بوثيقة سرية واحدة. فلكى لا نتورط فى اوضاع حرجة غير متوقعة، كنا نحرق كل الرسائل التى نتلقاها من المناطق الخاضعة لسيطرة العدو فور قراءتها. أما الوثائق الأخرى والصور الفوتوغرافية التى كنا نرى أن لها قيمة خاصة، فقد كنا نحشرها فى حقائب عسكرية ونرسلها الى الأممية الشيوعية.

لقد أرسلنا عدة حقائب مملوءة بمثل هذه المواد فى عام ١٩٣٩، ولكنها لم تصل الى هدفها. وعثرنا فيما بعد على جزء لا يستهان به من المواد التى فقدت فى ذلك الحين بين وثائق الشرطة اليابانية وفى المطبوعات، مما يدفعنا الى الافتراض بان من كانوا يحملون تلك الحقائب قد تعرضوا للاغتيال وهم فى الطريق. واذا كنا قد أحضرنا معنا شيئا عند عودتنا الى الوطن، فانه لم يكن ملاحظات تاريخية ولا وثائق تتعلق بقضايا تنظيمية، وانما كراسات تضم أغنيات ثورية وأسماء وعناوين رفاق السلاح. أن نقص المواد الوثائقية هو اكبر عقبة تواجه أبحاث علمائنا حول تاريخ الثورة المناهضة لليابان. فعملاء الامبرياليين والكتاب المأجورون والمتخصصون المرتهنون للبرجوازية ممن يجهلون الظروف المميزة لثورتنا ووضعها الداخلى المعقد، قاموا بإعادة تركيب بعض المعطيات والأحداث المستخلصة من عدد محدود من الوثائق، ساعين بذلك الى الحط من شأن التاريخ الثورى المناهض لليابان الذى صاغه أبناء وبنات كوريا المخلصون ممن وهبوا حياتهم دون حدود للوطن ولقضية الثورة.

ليس من المفاجئ أو الجديد أن يلجأ من يمقتون مثلنا العليا ونظامنا الاجتماعى الى استخدام لغة جارحة للتقليل من أهمية التاريخ الثورى لحزبنا. ولكن التاريخ لا يمكن تلويثه بالحبر أو احراقه ولا يمكن كذلك تمزيقه بالحراب. ومهما قالوا فان تاريخنا سيبقى هو نفسه.

اذكر اننى تصورت فكرة مسرحية "بحر الدماء" بعد اجتماع دونغكانغ، وبدأت كتابة السيناريو. ويمكننى القول أن ما أوحى لى بفكرتها هو "أغنية حول العمليات التأديبية فى تشينتاو".

لقد تعلمت هذه الأغنية فى طفولتى من أبى الذى كثيرا ما كان يروى لى ولأصدقائى كذلك القصص عن العمليات "التأديبية" فى تشينتاو. وبعد تنظيم جيش حرب العصابات فى آنتو، انطلقت مع وحدتى الى منشوريا الشرقية. وقد كان الأهالى هناك يعانون معاناة لا تصدق بسبب "التأديب" الذى يمارسه الجنود والشرطيون اليابانيون. كانت تشينتاو قد تحولت الى بحر من الدماء بكل ما فى

الكلمة من معنى، ولم تكن المجازر تتوقف فيها. ففى كل يوم كانت السيوف والحراب تقتل عشرات، بل ومئات الأشخاص.

وقد جعلنى بحر الدماء هذا أتذكر تلك الأغنية، ولم أستطع كبح سخطى أمام عذاب امتنا ونكبتها.

ومع ذلك، كنت أشعر باعجاب وتقدير شديدين نحو الكوريين المقيمين فى تشينتاو، ذلك أنهم لم يخضعوا لمصيرهم المأسوى، وانما كانوا ينهضون فى غالبيتهم المطلقة حاملين البنادق والهراوى لمواصلة المقاومة. وقد شاركت فى هذه المأثرة الوطنية النساء اللواتى كن مقيدات بالقواعد الثلاث والمبادئ الخلقية الخمسة الكونفوشية وقواعد الطاعة الأخلاقية الثلاث، وكذلك الاطفال الذين كانوا حتى ذلك الحين يتشبثون بأطراف أثواب أمهاتهم طالبين شيئا يأكلونه. لقد هزت هذه الصور مشاعرى.

لقد كانت ثورة تحررت فيها النساء من اطار الاسرة وشاركن فى حركة تحول اجتماعى. وقد شعرت باحترام وحب كبيرين نحوهن. فأيدتهن وتعاطفت معهن. وفى أثناء ذلك، نضجت فى ذهنى صورة امرأة تطلع على خبر استشهاد زوجها، فتنطلق مع أبنائها على طريق الثورة.

وبصراحة، فقد أحسست بدافع يدفعنى لكتابة عمل تكون هذه المرأة هى بطلته.

وخلال الأيام التى أمضيناها فى اراضى فوسونغ، كنا نرتجل فى كل مكان العروض الفنية ونقدمها بهدف تثقيف الأهالى. وبعد كل معركة كنا ننظم عرضا، فاذا كانت الظروف لا تسمح بذلك، نكتفى بالقاء خطاب تحريضى قبل انسحابنا. وحين كان جنود الجيش الثورى يقدمون على خشبة المسرح عروضا تمثيلية قصيرة ومتواضعة، كان الأهالى يكافئونهم بتصفيق مدو. وفى احدى المرات، وعلى اثر الانتهاء من المعركة نظم رفاقنا عرضا فنيا حيث قدموا "أغنية حول العمليات التأديبية فى تشينتاو". وقد بكى جميع المشاهدين يومئذ، رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا، واقسموا على النضال ضد العدو الامبريالى اليابانى الكريه. ان تحول مكان العرض المفاجئ الى بحر من الدموع بفعل اغنية واحدة، جعلنى اشعر برغبة عارمة

فى تنوير الناس بطريقة اكثر دينامية، وذلك من خلال عروض تمثيلية متكاملة كالمسرحيات. ولكن ضيق الوقت لم يتح لى تحقيق ذلك.

بعد اجتماع دونغكانغ، وبشكل غير متوقع، كان لى دونغ بايك هو الذى اشعل من جديد شرارة رغبتى تلك المدفونة تحت الرماد. ففى احدى القرى حصل على نسخة من مجلة ادبية جديدة وقدمها الى. وكانت فى المجلة قصة عن زوجة ناشط اجتماعى معتقل، اودعت ابنها الصغير عند اسرة غريبة وتزوجت من رجل آخر.

سألت لى دونغ بايك عن انطباعه. فابتسم ابتسامة حزينة وقال:

"لقد احسست بالكآبة حين فكرت بان الحياة هكذا بالفعل. ولكن، ما الذى يمكننا عمله؟"

"اذن... انت تعتقد ايها السيد بان هذه القصة تعكس الواقع؟"

"اجل، فى جزء منها على الأقل. من المحزن قول ذلك، ولكن هناك زوجة ناشط اجتماعى اعرفه احبت شخصا آخر وهربت معه متخلية عن ابنها."

"كيف يمكن اعتبار هذه الظاهرة المعزولة والعرضية بانها الحقيقة؟ فالغالبية العظمى من النساء اللواتى تعرفت اليهن فى كوريا ومنشوريا مخلصات لازواجهن وابنائهن وجيرانهن مثل اخلاصهن للبلاد. فاذا ما سقط ازواجهن فى ايدى الاعداء، فانهن يأخذن مواقعهم ويكرسن انفسهن لتنفيذ المهمات الثورية، فيلقين القنابل او يوزعن المنشورات، واذا استشهد ازواجهن فى النضال الثورى، يرتدين الزى العسكرى ويحملن السلاح ليأخذن موقع الزوج فى النضال ضد الاعداء؛ واذا بقى ابناؤهن فى الجوع، فانهن لا يتورعن عن القيام بأى شىء فى متناول ايديهن، بما فى ذلك طلب الصدقات، لتقديم الطعام للابناء. هكذا هن النساء الكوريات. فاذا فعلنا مثل لى كوانغ سو، وشتمنا زوجات المناضلين الثوريين دون ان نرى الواقع، فاى نتائج سيجرها علينا ذلك؟ ربما سيتعرض من يفعل ذلك للضرب بأخشاب الغسيل، مثلما تعرض هو نفسه فى سيؤول لوابل من زجاجات البيرة حين نشر كتابه (نظرية حول اصلاح الأمة). ان اخشاب الغسيل التى تستخدمها امهاتنا واخواتنا لا يقتصر استخدامها على انتزاع الاسلحة من العدو. هذه هى الحقيقة. فما رأيك ايها السيد دونغ بايك؟"

تطلع الى بنظرة مذهولة، واعرب مباشرة عن موافقة على كلماتى قائلا:

"انك على صواب. هذه هى الحقيقة."

لقد كنت اعرف ان المهمة الاساسية للأدب هى تقديم انعكاس للواقع. لانه بذلك فقط يستطيع اقتياد القراء الى عالم رائع ونبيل. هذه هى بالضبط المهمة الحقيقية للفن والأدب.

فى ذلك اليوم تحدثنا مطولا حول مناضلات ونشيطات بارزات وغيرهن ممن يمكن لهن ان يكن نموذجا يقتدى باخلاقهن واخلاصهن الانثوى.

وحينما كنا على وشك انهاء حديثنا، طرح على لى دونغ بايك فجأة:

"ايها القائد، اقترح عليك ان تكتب مسرحية حول مصير احدى الثوريات."

"كيف فكرت فجأة بمسرحية؟ ألم تتذكر ما جرى فى تشينتاو، حيث قمت اثناء عملك كمعلم بنشاطات مسرحية مع تلاميذك؟"

"لقد فكرت فى ضرورة اعطاء درس للمؤلفين الذين يكتبون روايات بائسة مثل هذه."

واشار باصبعه السبابة الى المجلة.

اكدت له ان الفكرة جيدة جدا، ولكن المسرحية تحتاج لموضوع، وطلبت منه اذا كان لديه تصور لموضوع ما ان يخبرنى به.

"سيكون موضوع امرأة كورية اصيلة. موضوع يظهر صورتها الحقيقية. فالنكبة القومية التى نعانيها تجبر حتى النساء على المشاركة فى النضال، لأنه الطريق الوحيد للخلاص. هذا هو الموضوع، ولست ادرى اذا كان يروقك ايها القائد."

لم استطع اخفاء دهشتى. فما طرحه يشبه الى حد ما العمل الذى فكرت فى كتابته فى تشينتاو من حيث كون الشخصية الرئيسية فيه امرأة.

"أليس من الأفضل ان تكتب انت بنفسك العمل، خصوصا وانك تملك فكرة الموضوع؟"

فانتفض "الشيخ ذو الغليون":

"لا يمكننى الابداع. اننى قادر على تقديم التعليقات فقط. يتوجب على حضرتك ان تكتب المسرحية أيها القائد. ما عليك سوى كتابة النص، وانا سأتولى نقله على خشبة المسرح."

لم أعطه جوابا نهائيا. ولكننى منذ تلك اللحظة بدأت أصنع تصورا لبطلة العمل: امرأة بسيطة تتسامى على احزانها لفقدان الزوج والابن وسط بحر الدماء، وتنطلق بحزم الى النضال. كانت صورة البطلة الجذابة تثير أعمق الانفعالات فى نفسى. واخيرا، بدأت بكتابة النص. وعند وصول وحدتنا الى مانجيانغ، كنت قد انهيت اكثر من نصف العمل.

لم تكن الكتابة المسرحية عملا جديدا على. فقد كانت لدينا تجربة عملية فى هذا المجال فى فوسونغ، وكذلك فى جيلين ووونتشازى. ولكننا منذ ان انطلقنا فى الكفاح المسلح لم نعد نستطيع تقديم مسرحيات كثيرة على خشبة المسرح. ففى النصف الأول من عقد الثلاثينات، كان هناك فى قواعد حرب العصابات بعض الاشخاص المتحمسين للمسرح، ولكن عملهم لم يكن بتلك الكثافة التى توصلنا اليها فى جيلين. اذ لم يكن بمقدور هواة الفن تكريس الكثير من جهودهم الى العروض الفنية التى تتطلب الوقت والجهد.

لماذا اذن طرحنا مسألة ابداع الاعمال الدرامية وبذلنا جهودا دؤوبة من اجل بنيانها فى ظروف المسيرة الشاقة نحو الجنوب، باتجاه جبل بايكدو؟

لقد كنا نعقد آمالا كبيرة على قدرة الجذب الاستثنائية للفن الدرامى وفعاليته فى توعية الجماهير. فحتى ذلك الحين لم يكن هناك فن يهز مشاعر الجماهير بقوة تضاهى الفن المسرحى. فالى ان تحولت السينما الصامتة الى ناطقة، وانتشرت على مستوى العالم، متجاوزة حدود بلد معين، كان المسرح يتمتع بقوة تأثير لا يمكن مقارنتها بأى فن آخر.

لم اكن ابخل بالوقت لمشاهدة عمل مسرحى. وقد كان بين زملائى فى مدرسة تشانغدوك عدد كبير من هواة المسرح. وكلما جاءت فرقة مسرحية مشهورة لتقديم عروضها فى بيونغ يانغ كنت أذهب لمشاهدتها مع كانغ يون بوم.

ان الدراما فن جماهيرى، وهى سهلة الفهم بحيث يمكن لأى شخص ابداء الرأى فيها: "عمل متقن!"، "اخفاق ذريع!"، "عمل لا بأس به".

لقد كانت سنوات العشرينات والثلاثينات فترة تفتح وازدهار المسرح. فمنذ فترة دراستى فى مدرسة تشانغدوك، فاجأت الدراما الحديثة الجمهور بتفوقها على مدرسة سينبا(٠).

فقد كرس الكتاب والفنانون التقدميون نشاطاتهم لحركة المسرح البروليتارى من اجل الطبقات المعدمة. فكانوا ينقسمون الى فرق ويتوزعون فى مناطق مختلفة ليقدموا عروضهم أمام العمال والفلاحين. وكان بالامكان مشاهدة تلك الفرق باستمرار أيضا فى بيونغ يانغ.

ان هوانغ تشول وسيم يونغ وغيرهما ممن اكتسبوا شهرة واسعة فى دنيا المسرح بعد تحرير البلاد، كانوا ممثلين عكفوا بدأب على هذا الفن فى سنوات العشرينات والثلاثينات. وفى ذلك الحين كانت تجرى فى كل مكان مسامرات حماسية حول الموضوع. حتى ان مدرسة ريفية لا تكاد تضم اكثر من خمسين طالبا كانت تعمل بصخب لاخراج عمل درامى. وقد سايرنا توجه العصر هذا، فطورنا الحركة المسرحية فى السنوات الاولى من نشاطاتنا الثورية.

لقد كانت عملية استكمال نص "بحر الدماء" فى الوقت نفسه اظهارا للحكمة الجماعية. فمن أجل كل تفصيل وكل كلمة فى الحوار، ناهيك عن بنية العمل، كان الرفاق يقدمون نصائحهم القيمة.

ما ان انتهى الاجتماع المشترك مع قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى دونغكانغ من اجل تحليل الهجوم المظفر على حاضرة محافظة فوسونغ، حتى توجهت مع الوحدة الرئيسية نحو مانجيانغ، وهى منطقة تقع الى الغرب من جبل بايكدو وتعتبر احد افلاكه.

---

(٠) سينبا: مدرسة مسرحية بورجوازية ورجعية. روجت للطبيعية والأفكار العسكريتارية. وكانت موضوعاتها الاساسية هى اللصوصية وعمليات الاغتيال – المترجم

ان مانجيانغ التى تعتبر اول قرية عند اقدام جبل بايكدو وتشمخ فوق هضبة فسيحة، تقع فى اقصى الطرف الجنوبى لمحافظة فوسونغ، وباجتياز ممر دوغولينغ من هناك باتجاه الجنوب، يمكن الوصول الى اراضى تشانغباى؛ وباجتياز لاولنغ الى الجنوب الغربى، يمكن الوصول الى اراضى رينتشيانغ.

لم يكن هناك فى القرية عام ١٩٣٦ الا ما يزيد قليلا على ثمانين بيتا موزعا فى انحاء متفرقة. وكانت قرية مزارعى ارض الوقيد هذه، جنبا الى جنب مع نانديانجى ويانغديتشون ووانليهى وتوجيدونغ، احدى قرى الكوريين القليلة فى منطقة فوسونغ. فخلافا لمنطقة آنتو، كان الكوريون قلة فى هذه المنطقة.

ولأن القرية تقع فى مكان ناء بين الجبال، بعيدا جدا عن حاضرة المحافظة، فقد كان من النادر مرور الناس منها، فضلا عن قلة عدد ساكنيها. ولهذا السبب كانت تبدو للوهلة الاولى وكأنها جزيرة وسط البحر، مقفرة ومعزولة عن بقية العالم. ولم يكن يمر من هناك سوى الباعة المتجولين الذين يصيحون معلنين عن بضاعتهم المتمثلة فى الأمشاط والأصبغة او تجار الملح. وكان يتردد عليها كذلك عدد محدود من الاشخاص المتنفذين فى فوسونغ. فقد زارها مرة او مرتين مدير مكتب الخدمات تشاى زين يونغ. كما زارها خلفه يون بيونغ زون ما لا يزيد عن خمس او ست مرات.

وبمناسبة ذكر يون بيونغ زون، فاننى أود تقديمه والتحدث عنه. لقد عمل آمرا لاحدى وحدات جيش الاستقلال الذى يقوده هونغ بوم دو. وبعد ان نقل هذا الاخير مسرح عملياته الى بريموريه، جاء يون بيونغ زون بوسائل نجهلها، الى فوسونغ حيث شغل منصب مدير مكتب الخدمات وعمل كمسؤول محلى عن مجموعة زونغوى. وقد اكتسب شعبية واسعة بين الجماهير.

وفيما بعد، تخلى عن منصب مدير مكتب الخدمات، وعمل فى دابوتشايهى مداويا بطريقة الوخز بالابر. وكانت دابوتشايهى عبارة عن قرية تقوم فى موقع يمر منه الطريق الواصل ما بين آنتو وتونهوا. وفى احدى المرات، ذهب كيم سان هو الى تلك القرية واعجب بموهبة المداوى يون، وقد نصحنى بالحاح بأن اتلقى العلاج على

يديه. ذهبت للقاء به. فجس نبضى، وأكد ان حالتى الصحية متردية للغاية وسألنى اذا ما كان بامكانى الحصول على قرن ايل أو على انسام (جنسنغ) برى لاعداد وصفة طبية لى. فعملت حسب ما أشار به على، واستعدت عافيتى اخيرا. وفى احدى المرات، بعد وقت طويل جدا من العودة الى الوطن المحرر، أصيب أحد الكوادر بضعف شديد، فاستعنت بذاكرتى وقدمت له الوصفة التى عالجنى بها يون بيونغ زون لكى يجربها. وبعد بضعة شهور من ذلك قال لى ان وصفتى قد ساعدته كثيرا. فأوضحت له انها ليست وصفتى وانما هى من تحضير يون بيونغ زون الذى نصحنى باستخدامها قبل عشرات السنين فى منشوريا.

لست أدرى كيف، ولكن المداوى يون كان يعرف مانجيانغ جيدا.

لقد كانت بطاطا هذه القرية هى أكثر ما يثير فخر اهلها من بين منتجاتها الخاصة. فقد كان فيها، كما هو الحال فى نايدوشان، انواع عديدة من البطاطا يصل حجم بعضها الى حجم وسادة الطفل، كما ان النهر الذى يحمل اسمها كان يعج باسماك اليولموغو(٠).

أما الآنية التى يستخدمها اهالى القرية، فكانت كلها من الخشب أو من لحاء شجر الحور، حتى ان الملاعق وجرار صلصة فول الصويا والكيمتشى كانت تصنع من اخشاب مجوفة أو محفورة.

عندما وصلت الوحدة الى بوابة القرية الطبيعية التى تشكلها شجرتا حور، كان ينتظرنا هناك العمدة هو راك يو واهالى القرية وهم يحملون اوعية خشبية مملوءة بمشروبات روحية تقليدية مصنوعة من الحبوب المخمرة مثل كامزو وتاكبايغى. لم نكن ندرى الطريقة التى عرفوا بها موعد وصولنا. وقد تبين لنا ان أحد اهالى القرية كان موجودا فى حاضرة المحافظة لشراء الملح، وحمل معه خبر الهجوم على حاضرة فوسونغ، وانطلاقا من ذلك، بدأ العمدة بمراقبة تحركات العدو بحذر، وحين

---

(٠) اليولموغو: جنس اسماك نهرية، لحمها لذيذ المذاق، وهى تفضل العيش فى المياه الباردة – المترجم

رأى ان الطائرات اليابانية تكثر من التحليق باتجاه مانجيانغ أيقن من أن الجيش الثورى يقترب من القرية.

بعد أن شربت شرابا مرطبا من قرعة مجوفة، سألت العمدة:

"ارى ان الجميع قد خرجوا لتحيتنا علنا، ألا تخشون العواقب؟"

"لا تقلق بهذا الشأن. فمنذ أن ظهر الجيش الثورى هنا فى الربيع، اصبح رجال الشرطة يرتعشون خوفا امامنا، وخصوصا بعد ان سمعوا اخبار القضاء على وانغ وهزيمة اليابانيين الساحقة فى حاضرة فوسونغ."

وفجأة سمعنا أحد الفلاحين يصرخ من أقصى الجسر الممتد فوق نهر مانجيانغ:

"ايها السادة فى الجيش الثورى، هل سترقصون هذه المرة أيضا؟"

ففى الربيع الماضى، واثناء جولة فنية، ادى بعض المقاتلين القادمين من هونتشون رقصة روسية. وحيث انهم كانوا يعيشون قريبا من الحدود بين الاتحاد السوفييتى ومنشوريا، فقد كانوا يقلدون بنجاح كبير الرقصات والاغانى الروسية. وحين رأى القرويون رقصهم، هتفوا وهم يفتحون عيونهم على اتساعها من الدهشة: "يا للأمر العجيب! نحن نعرف ان الرقص يتطلب تحريك الأذرع والاكتاف. ولكن انظروا اليهم، انهم يضربون الأرض باقدامهم بقوة. من الممتع التفرج عليهم على أى حال".

"أجل، سوف نرقص. بل وسنقدم لكم عرضا اكثر تشويقا."

و"العرض الاكثر تشويقا" الذى تكلم عنه لى دونغ بايك هو الدراما.

اقمنا مقر القيادة فى احدى غرف منزل العمدة هو راك يو. وقد كانت لهذه الاسرة علاقات حميمة بوالدى. فقبل عشر سنوات، انقذ كونغ يونغ والدى من ايدى قطاع الطرق وحمله الى هذا البيت بالذات. ثم رافقه بعد ذلك لحراسته مع هو راك يو حتى فوسونغ.

واصلت فى ذلك البيت كتابة نص مسرحية "بحر الدماء". وبما ان زون كوك زين كان قد استشهد فى المعركة، ولم يكن قد انضم الينا بعد كيم يونغ كوك الذى سيشرف فيما بعد على اصدار "سوكوانغ" الصحيفة الداخلية للجيش الثورى الشعبى،

حيث كان ينشر بعض الروايات القصيرة التى يكتبها بنفسه، فاننى لم أجد مفرا من مواصلة كتابة نص المسرحية وأنا فى مانجيانغ أيضا.

وكان لى دونغ بايك يحصل لى على صحف ومجلات ونشرات كثيرة مطبوعة فى البلاد لأستفيد منها.

وبفضل هذه المطبوعات توصلت الى معرفة مفصلة للاحداث السياسية وللوضع الاجتماعى ـ الاقتصادى وللأوساط الفنية ـ الأدبية فى البلاد.

كانت الحركة الفنية ـ الادبية التقدمية آنذاك تتخذ، بشكل عام، طابعا وطنيا فى مضمونها وشكلها، وتهدف الى تطوير وحماية ما هو وطنى فى مواجهة سياسة الامبريالية اليابانية لطمس الثقافة الكورية.

فى فترة سيطرة الامبريالية اليابانية، تولى الأدب التقدمى فى بلادنا دورا طليعيا فى تنوير وتثقيف الشعب بحب الوطن والامة وبفكرة السيادة والاستقلال، وفى الاشارة الى مضمون ومنحى تطور المسرح والسينما والموسيقى والفنون الجميلة والرقص وسائر الفنون الاخرى.

وقد اتاحت حركة الكتاب التقدميين المدعوة "مدرسة الاتجاه الادبى الجديد" تأسيس جمعية فنانى كوريا البروليتاريين (كاف) عام ١٩٢٥. وانطلاقا من ذلك، اسهمت فى تطوير فن وأدب بروليتاريين يطرحان مصالح العمال والفلاحين وقطاعات الشعب العامل الاخرى ويدافعان عنها. وبفضل جهود لى كى يونغ، وهان سول يا، وسونغ يونغ، وباك سى يونغ، وزو ميونغ هى وغيرهم من كتاب (كاف) الموهوبين، رأت النور اعمال ادبية كثيرة قيمة استحوزت على محبة الشعب، منها "مسقط الرأس" و"الشفق" و"لنرفض اى زيارة" و"سنونوة الجبال" و"نهر راكدونغ".

وكان هناك مبدعون يكسبون لقمة عيشهم من بيع حساء الفاصولياء الحمراء عند تقاطع جادة زونغرو فى سيؤول، ولكنهم يكتبون فى الوقت نفسه اعمالا عظيمة شكلت غذاء روحيا ودليلا لابناء الشعب. وقد كان كل واحد من تلك الأعمال بارودا يهدد السيطرة الاستعمارية للامبريالية اليابانية الشرسة.

وحيثما كان يدوى صوت اعضاء جمعية (كاف)، كانت تمتد على الدوام المخالب السوداء لجنود وشرطة ومخبرى الامبريالية اليابانية الذين كانوا يعملون بهستيريا لقمع المعارضين الايديولوجيين. وكلما ارتفع صوتهم أكثر، كان الاعداء يزيدون من تضييق الانشوطة عليهم دون رحمة. وبسبب موجتى اعتقال متتاليتين، تلاشت جمعية فنانى كوريا البروليتاريين من الوجود بشكل مأساوى فى عام ١٩٣٥، بعد عشر سنوات من تأسيسها.

وحيال معضلة الوقوف فى خدمة "الأدب القومى" (الأدب المرتد) الذى فرضته عليهم الامبريالية اليابانية أو حرمانهم النهائى من اقلامهم، حافظ معظم الكتاب المنحدرين من جمعية (كاف) على ضميرهم كرجال أدب تقدميين. فتوغل لى كى يونغ الى واد ناء بجبل كومكانغ الداخلى، وحافظ على موقعه كمثقف واع، وككاتب وطنى محب لوطنه وامته دون حدود، على الرغم من اضطراره الى زراعة أرض محروقة. كما عاش كل من هان سول يا وسونغ يونغ حياة فقيرة جدا، ولكنهما حافظا على نقائهما.

لقد تمكنت الامبريالية اليابانية من حل الجمعية، ولكنها لم تستطع مطلقا تمزيق عروق أدب برعم ونما وارفا باستناده الى روح المقاومة الثابتة للأدب الكورى ومشاعر الحب للبلاد والأمة.

وبينما جرى زج اعضاء (كاف) فى السجون أو نفيهم الى مناطق جبلية نائية، كان المثقفون فى صفوف الثورة المناهضة لليابان والكتاب فى المناطق الحدودية الشمالية وغيرهم ممن هاجروا الى المنافى وعملوا فى المناطق الحمراء من اراضى الصين أو فى الاتحاد السوفييتى الاشتراكى، كانوا يبدعون ادبا ثوريا اصيلا ومناضلا يخدم بطريقة فعالة الحركة الشيوعية الكورية وقضية التحرر الوطنى.

وقد مجدوا المناضلين المناهضين لليابان الذين كانوا يخوضون معارك دامية فى جبال بايكدو الوعرة وسهوب منشوريا القاحلة، واعتبروهم خيرة أبناء الامة، واظهروا لهم كل محبتهم وتعاطفهم.

فالكاتبة كانغ كيونغ آى التى اشتهرت فيما بعد ككاتبة فى "القضايا الانسانية"،

ألفت فى لونغجينغ رواية "ملح" التى تعرض فيها حركة مساعدة الجيش الثورى التى تصاعدت بين اهالى تشينتاو.

وقد استرعت اهتمامنا النشاطات الابداعية للشاعرين لى تشان وكيم رام اين فى المناطق الحدودية. وبعد انتقالنا الى تشينتاو الغربية، كتب لى تشان فى سامسو وهيسانزين المتاخمتين لنهر آمروك قصيدة "ليلة ثلجية فى بوسونغ" واشعارا غنائية رائعة اخرى، عبر فيها عن حبه غير المحدود للجيش الثورى الشعبى الكورى. وفى شهر تشرين الثانى من السنة التى أسسنا فيها جمعية استعادة الوطن فى دونغكانغ، أسس كيم رام اين مع زملائه فى زونغكانغزين قبالة رينتشيانغ مجلة "بناء الشعر" وهى مجلة فنية – أدبية، كانت تتصدر غلافها راية حمراء، وتضمنت صفحاتها الكثير من اشعاره ذات المضمون الثورى التى يعبر فيها عن تعاطفه مع النضال المسلح المناهض لليابان وتشوقه الى استقلال كوريا. وقد طبع فى مطبعته السرية الخاصة وأرسل الينا ما لا يقل عن ألفى نسخة من "برنامج النقاط العشر لجميعة استعادة الوطن". وهناك كتاب آخرون تحمسوا للنجاحات القتالية للجيش الثورى الشعبى الكورى وحاولوا الانخراط فى صفوفه. ومن اجل هذا الهدف، جاب الروائى كيم سا ريانغ فيافى منشوريا بحثا عن وحدتنا، وحين لم يتمكن من ذلك ذهب الى ينآن، حيث كتب تحقيقه الصحفى الطويل "عشرة آلاف رى على صهوة جواد بطيء".

وليس من قبيل الصدفة ان اعمالا مثل "جبل بايكدو" و"الرعد" و"كوريا تناضل" و"مفرزة الفولاذ الشبابى" وغيرها من الاعمال البارزة فى ادبنا فى فترة بناء الوطن الجديد واثناء الحرب ضد الامبريالية الامريكية، قام بتأليفها كتاب ناضلوا قبل تحرير البلاد فى صفوف منظمات ثورية أو سعوا للانضمام الى جيش حرب العصابات.

وبفضل هؤلاء الكتاب، الذين اذا كانوا لم يتمكنوا من الالتحاق بالصفوف المسلحة، فانهم امتشقوا القلم بتصميم، وكأنه بندقية، وساهموا بفعالية فى تنوير الأمة، بفضلهم استطعنا بناء ثقافة جديدة تناسب ذوق الكوريين فى فترة وجيزة بعد التحرير.

ان الفنانين الوطنيين وغيرهم من الرواد فى بلادنا الذين بدؤوا بحزم طريق العمل السينمائى الصعب، كانوا يقولون: "اذا كانت اليابان أيضا تنشط صناعة السينما، فلماذا لا نستطيع عمل ذلك نحن الكوريين؟ سننتج مثلما نشاء افلاما تفيد الشعب كما هو الحال فى البلدان المتقدمة. وسنثبت للعالم بأسره ان الكوريين يمكنهم العمل بالاعتماد على انفسهم فى هذا الميدان أيضا". وقد اثبت ذلك فعلا را وون كيو وغيره من المبدعين السينمائيين الشرفاء فى فيلم "آريرانغ" وغيره من الأفلام ذات البعد القومى القوى.

فى عقدى العشرينات والثلاثينات تبدت ملموسة بقوة، كاندفاعات بركانية، جهود حثيثة فى مختلف ميادين الادب والفن من اجل حماية كل ما هو كورى وتطوير ما هو وطنى آخذ بالذبول وسط تيار استخدام اساليب الحياة اليابانية الصاخب.

فى هذه الفترة بالذات توصلت تشاى سونغ هى الى تحديث الرقصات التقليدية الكورية. فقد درست بتعمق اساليب الرقص الشعبى، والرقص ذى الطابع البوذى، ورقصات السحرة، ورقصات البلاط، ورقصات العاهرات وغيرها، وانتقت الحركات الانيقة وذات المضمون القومى الراسخ واحدة واحدة واسهمت فى ترسيخ الاسس لتطوير الرقص القومى الحديث.

لم تكن تلك الرقصات القومية قد تمكنت حتى ذلك الحين من الوصول الى منصة العرض. ففى المسارح كانت تقدم حفلات غنائية وموسيقية وفقرات خطابية، أما الرقصات فلم تكن تقدم على الاطلاق. ولكن هذا الوضع تبدل عندما صقلت تشاى سونغ هى حركات الرقص، وهيأت استنادا الى هذه القاعدة اعمالا تناسب الذوق المعاصر. واخيرا، تمكن الرقص وغيره من الفنون المماثلة من الحصول على حقه الكامل فى العرض على خشبات المسارح.

وقد استقبلت اعمال تشاى سونغ هى بحماس، ليس فى بلادنا وحسب، وانما كذلك فى فرنسا والمانيا وغيرهما من البلدان التى تفاخر بحضارتها.

عندما كنا نتوجه نحو تشيتناو الغربية، شاعت داخل الوطن اخبار طمس العلم اليابانى فى احدى الصور. وقد وصلت تلك الاخبار حتى المناطق الواقعة عند سفوح جبل بايكدو.

لقد جرت تلك الواقعة فى صحيفة "دونغآ ايلبو"، اذ طمست رسم العلم اليابانى على كنزة الرياضى الكورى سون كى زونغ الذى فاز بالمرتبة الاولى فى سباق المارثون فى دورة برلين الأولمبية التى جرت فى آب ١٩٣٦.

استشاطت سلطات الحاكم العام اليابانى غضبا لتلك الواقعة، وأمرت باغلاق الصحيفة واعتقال الاشخاص المتورطين. وحين علمنا بذلك قدمنا محاضرات لنشر اخبار نجاح الرياضى سون كى زونغ وما جرى للعلم اليابانى. وقد اعرب جميع مقاتلى وحدتنا عن تأييدهم الحار وتضامنهم مع موقف مجمل محررى الصحيفة وقرارهم الوطنى.

عرضت نص "بحر الدماء" المكتمل على "الشيخ ذى الغليون" الذى ما ان قرأه حتى قال لى ان كل شىء جيد وهو يرفع ويحرك يده التى يحمل بها حزمة اوراق المخطوطة، وخرج مسرعا من الغرفة.

ان بعض الطرائف التى ظهرت فى سياق نقل العمل الدرامى الى خشبة المسرح فى مانجيانغ، أصبحت معروفة على نطاق واسع من خلال ملاحظات من تجولوا فى مواقع المعارك السابقة ومن خلال الذكريات. ويبدو لى ان تلك المعلومات تتضمن بعض التفاصيل غير الدقيقة أو المغفلة بسبب الذكريات المشوشة. ومن المؤسف انه لا توجد أى اشارة الى الجهود التى بذلها لى دونغ بايك.

ان "الشيخ ذا الغليون" الذى تطوع لتولى دور مدير المنصة، قد اصطدم بمصاعب منذ بدء اختياره الممثلين الذين سيؤدون أدوار الشخصيات. لم يكن هناك من يرغب فى ان يكون "آمر القوات التأديبية". وبعد مناقشات مطولة، تم اجبار آمر السرية لى دونغ هاك، ذى الطبع الحيوى، على اداء هذا الدور. أما دور أم وول نام فقد اوكل فى أول الامر الى زانغ تشول كو، ثم ادته بعد ذلك كيم هواك سيل، بينما قامت كيم هاى سون بدور كاب سون. لقد كان اختيار الشخص الذى سيؤدى دور وول نام، الأخ الاصغر لكاب سون، شاقا للغاية بالنسبة الى لى دونغ بايك، ولا يقل صعوبة عن اختيار "آمر القوات التأديبية". اذ كان لا بد لمن سيؤدى ذلك الدور من ان يكون طفلا فى حدود العاشرة من عمره، ولم يكن هناك فى وحدتنا أى شخص له بنية جسدية

ضئيلة تناسب هذه السن. ولهذا، قررنا اختيار أحد اطفال القرية لاداء هذا الدور.

وفى ادارة الممثلين أيضا تعرض "الشيخ ذو الغليون" لازعاجات كثيرة. وكان قلقه الاكبر فى البداية هو دور وول نام. ولكن المفاجأة كانت ان طفل تلك المنطقة الجبلية النائية كان يستوعب ما يطلبه منه المخرج بحساسية اكبر من الآخرين. وبالمقابل، تبدى الضعف فى تمثيل الكبار، مما كلف لى دونغ بايك جهدا كبيرا. اذ لم يكن أى واحد منهم يعرف كيف عليه ان يتصرف عندما يصعد الى خشبة المسرح.

وحتى كيم هاى سون، العاطفية والماهرة فى التقليد والمحاكاة، كانت تبدو متيبسة وتفقد اسلوبها المعتاد فى الكلام فور بدء التدريبات. ففى اللحظات التى يتوجب عليها البكاء فيها، كانت تصمت صمتا مطبقا. فكان لى دونغ بايك يشجعها احيانا، ويطرى على تمثيلها فى احيان اخرى، بل ويبدى الغضب منها فى بعض الاحيان، ولكن ذلك كله لم يجد نفعا.

ورغم كثرة تفكيرنا فى الأمر، لم نستطع ادراك السبب فى عدم تفتح موهبتها على اتساعها، واخفاقها فى كل تمرين على التمثيل. ففى طفولتها لم يكن بامكانها المواظبة على حضور الدروس بسبب عدم قدرتها على دفع النفقات. ولكنها تعلمت القراءة والكتابة والغناء، وهى ترى وتستمع الى الدروس سرا من بعيد، خارج سور المدرسة.

ذكرتها بالنكبات التى حلت بها فى الوطن وفى تشينتاو وقلت لها: "هذه المسرحية تعالج حياة أناس مثلك يا رفيقة. ان وول نام الذى يغتاله اليابانيون فى المسرحية هو مثل أخيك الصغير بالذات. أفلا تنهمر دموع الحقد من عينى الأخت أمام الموت المأساوى لأخيها الصغير الذى كان يناديها الى ما قبل لحظات قليلة (اختى، اختى الحبيبة)؟"

منذ تلك اللحظة طرأ تبدل جذرى على تمثيل كيم هاى سون.

كما أنبت لى دونغ هاك لأنه قال "للشيخ ذى الغليون" انه يفضل أسر بضعة "آمرى قوات تأديبية" على تمثيل ادوارهم، لأنه يخشى على نفسه من التلوث. لهذا، أكدت له ان مهمته النضالية هى اداء هذا الدور على أحسن وجه، حتى لا يعود الى التذمر ثانية.

لقد عقدت الدهشة ألسنة أهالى مانجيانغ حين رأوا مقاتلينا الذين جاؤوا وهم لا

يحملون سوى بنادقهم وجعبهم، وقد أقاموا خلال وقت قصير منصة عرض مرتجلة وقدموا لهم اول عرض مسرحى يرونه فى حياتهم.

عندما ظهرت على خشبة المسرح حياة مماثلة للحياة التى يعانونها بأنفسهم، انقادوا بانفعال وتأثر الى عالم الدراما، واخيرا بكوا مع كاب سون ونادوا مع الأم. وقد نسى أحد المسنين انه أمام عمل مسرحى، فصعد الى المنصة وضرب بغليونه الطويل جبهة لى دونغ هاك الذى كان يقوم بدور آمر الأعداء.

لم يستطع اهالى مانجيانغ النوم لحظة واحدة، يوم عرض افتتاح مسرحية "بحر الدماء". فالى ما بعد منتصف الليل بكثير، وعلى اضواء القناديل الشاحبة، بقى اولئك الناس البسطاء يتحدثون عن انطباعاتهم حول العمل الدرامى. وكانت تصدر من بعض البيوت اصوات احاديث متحمسة وضحكات اشخاص عديدين.

لقد قمت أيضا بجولة طويلة فى القرية، تبللت خلالها بالندى الليلى. وحين رأيتهم يتبادلون الآراء حول العرض ويضحكون بسعادة وانفعال، لم استطع النوم أيضا.

لقد فوجئت بالقوة الاستثنائية للفن. ان العمل الدرامى الذى قدمناه يومذاك سيبدو لاناس الحقبة الراهنة شديد البساطة. ولكنه شكل مع ذلك مفاجأة ادهشت كل من شاهدوه، فكانوا يبكون حينا ويضحكون حينا، يضربون صدورهم مرة ويصفقون ويضربون الارض باقدامهم مرة اخرى.

فى تلك الليلة، وفيما أنا اتجول فى دروب مانجيانغ، فكرت: "لو اننا لم ننظم العرض المسرحى، فما الذى كان سيفعله هؤلاء الناس فى مثل هذه الساعة؟ لا بد انهم كانوا سيفعلون ما قاله العمدة هو راك يو، فمنذ أول الليل كانوا سيطفئون قناديلهم ويحاولون النوم أو الدخول فى عالم الاحلام وسط الظلام الحالك. ولكن، ها هو ذا الليل قد تقدم كثيرا، وماتزال الانوار تشع فى البيوت. هذا يعنى أننا حملنا النور الى القرية. هل كانوا سيفرحون اكثر من هذا الفرح لو أننا قدمنا لهم مئة كيس من الأرز؟"

لقد كان لتقديم العرض المسرحى فى مانجيانغ مساهمة فى تنوير وتثقيف

الشباب والشيوخ الذين لم يتلقوا أى تعليم فى هذه المنطقة الجبلية النائية، كما اسهمت المسرحية فى تحويلهم الى مشاركين ومتعاونين فعالين مع النضال الثورى المناهض لليابان. فقد صعد العديد من الشباب الى خشبة المسرح وطالبوا بحرارة قبولهم فى جيشنا لحرب العصابات. لقد قدمت القرية عددا كبيرا من المتطوعين وأصبحت قاعدة تموين مأمونة لنا.

والحادثة التالية تشكل دليلا كافيا على مدى تأثير المسرحية فى اولئك الناس: فبعد عشرين سنة من ذلك، وعندما قامت جماعة دراسة ميادين المعارك الثورية السابقة بزيارة مانجيانغ، لم يتذكر سكانها بدقة المكان الذى جرى تقديم العرض فيه وحسب، بل تذكروا كذلك اسماء الشخصيات، ومضمون المسرحية بكل تفاصيله، وحتى مقاطع كاملة من الحوار.

لقد اتاحت مسرحية "بحر الدماء" تدفق افكار ومشاعر الجيش الثورى بغزارة الى عقول وقلوب ورئات المشاهدين، تماما مثلما يتدفق نهر مانجيانغ.

وبكلمات مختصرة، يمكن اعتبار الفن فى فترة الثورة المناهضة لليابان مثل شعلة وسط الظلام، ومثل قرع طبول تدعو الى النضال. وقد كان صائبا من كل النواحى تقديرنا للنشاطات الفنية بانها "مدافع الطبول".

واعتقد ان للفن المعاصر مهمة مماثلة، أى تقديم الفكر والاخلاق والثقافة الحقيقية التى يحتاجها الانسان ليعيش بكرامة وباستقلالية، وهذه هى المهمة الاساسية للفن.

لقد كان رفاقى يتمتعون بالموهبة. والفن عمل نبيل، ولكن لا وجود فيه لاى أسرار. وكما تثبت الوقائع، فان الشعب هو مبدع الفن بالمعنى الحقيقى للكلمة وهو الذى يستمتع به.

لقد اسهمت مسرحية "بحر الدماء" مساهمة مهمة فى الاعداد الأفضل لمقاتلى جيش حرب العصابات على المستويات الفكرية والثقافية والروحية.

فى الأيام الاولى التى تلت تحرير البلاد، وخلال الزيارات التى كان يقوم بها الكتاب الى بيتى، تذكرت النشاطات الثقافية فى مانجيانغ، واضفت قائلا: "عندما كنا نقاتل فى الجبال، كنا نتأسف كثيرا لعدم وجود كتاب وفنانين محترفين الى جانبنا.

وقد وجدنا أنفسنا مضطرين الى تأليف الأغانى وكتابة المسرحيات والقيام بمهمة المخرجين بأنفسنا. أما الآن فستتولون انتم هذه النشاطات. فابدعوا الكثير من الاعمال رفيعة المستوى لاستنهاض الشعب الى بناء كوريا الجديدة".

من خلال الأعمال الفنية والأدبية فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان، توصلنا الى حقيقة انه يمكن لعمل شعرى أو درامى أو روائى عظيم أن يهز افئدة عشرات الملايين، وانه يمكن لأغنية ثورية ان تطعن قلب الأعداء فى مواقع لا تصل اليها حراب البنادق.

يمكن القول ان عملية التوعية الثورية تعنى مطابقة الناس وهز مشاعرهم بالافكار الثورية. واحدى اكثر الوسائل فعالية لهز مشاعر الناس هى الفن والأدب.

فى احدى محادثاتى مع اوداكا يوشيكو (لى سيانغ لان) المغنية المعروفة والعضو السابق فى مجلس المستشارين اليابانى، قلت لها ان الغناء والرقص موجودان أيضا فى الحياة العادية. فحيث توجد كائنات بشرية لا بد أن توجد بالطبع الحياة، ومع الحياة يوجد الفن. ومن دون الفن، لا يمكن القول عن العالم او الحياة انهما انسانيان.

ولهذا السبب بالذات، اطلب من الناس دائما ان يحبوا الأدب والفن ويتأهل مواطنونا جميعا كمبدعين للأدب والفن ويستمتعوا بهما.

لقد اقمنا على هذه الارض مملكة الفن المشهورة فى العالم بأسره، حيث الجميع يرقصون ويغنون. وقد كانت تلك هى رغبتنا وحلمنا المتأجج عندما قدمنا فى مانجيانغ مسرحية "بحر الدماء" فوق منصة بسيطة اقمناها على ضوء مشاعل خشب الصنوبر والقناديل.

هناك الآن فى انحاء البلاد مسارح ودور سينما وبيوت ثقافة حديثة تتسع لمئات وآلاف الاشخاص. ويوجد فى كل محافظة معهد عال للفن. وكل ما اتمناه هو ان يغنى ابناؤنا فى هذه المراكز بملء اصواتهم ما لم يستطع آباؤهم غناءه وفق مشيئتهم، وان يبدعوا دون توقف اعمالا تعبق بالرائحة الحقيقية لجبل بايكدو.

لقد كانت المسرحية تسمى فى الاصل "هيولهاى"، ولكن صار لها اليوم اسمها الكورى الخاص "بيبادا".

ويبدو لى ان من شاهدوها أو شاركوا مباشرة فيها، واصلوا بعد عرض الافتتاح تقديمها فى اماكن مختلفة تحت عنوان "اغنية هيولهاى" أو "اناشيد هيولهاى". وفى اثناء ذلك، ادخلت تغييرات طفيفة على المضمون وعلى اسماء الشخصيات، وأدخلوا فى بعض الاماكن مظاهر من الحياة المناسبة لظروفهم.

وعلى اثر "بحر الدماء"، نقلنا الى خشبة المسرح دراما "مصير عضو فرقة الدفاع الذاتى". وقد شارك فى هذه المسرحية، على سبيل المنافسة، رجال جيش حرب العصابات الذين لم يمثلوا فى المسرحية السابقة.

بعد التحرير انقذ كتابنا وفنانونا جميع المسرحيات التى قدمناها فى مانجيانغ.

وقد اعتبر الرفيق كيم جونغ إيل الأعمال الدرامية التى ابدعناها فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان بانها أب ومصدر المسرح والاوبرا الثورية فى بلادنا، وقاد العمل بدينامية لاقتباسها فى السينما والرواية والاوبرا والمسرح. وهكذا، من خلال تلك الاصول، ظهرت افلام وروايات ثورية، واوبرات على نمط "بحر الدماء" ومسرحيات على غرار "المزار" واستقر نظام النشاطات المسرحية الجديد، مثل ذاك الذى ساد ابان الحرب المناهضة لليابان.

عندما عرضت "بحر الدماء" لأول مرة على شاشة السينما، فكرت باهالى مانجيانغ الذين كانوا يجلسون على احصرة من القش، ويضحكون ويبكون وهم يتشاطرون الانفعالات مع الممثلين الذين يؤدون ادوارهم على ضوء القناديل فوق خشبة المسرح البسيطة.

أود لو أشاهد مرة اخرى الوجوه التى لا تنسى لأولئك الناس الذين هنؤونا بحرارة لنجاح تمثيلنا. وحيث ان نصف قرن قد انقضى منذ ذلك الحين، فان المسنين منهم لم يعودوا موجودين فى هذا العالم، ولكن ربما من كانوا فى مثل عمرى أو من كانوا اطفالا مايزالون أحياء هناك. واذا كان الطفل الذى أدى دور وول نام مايزال على قيد الحياة، فان عمره اليوم نحو ستين سنة.

٤ـ سرية نسائية

فى وقت من الاوقات، كان الكوريون يطلقون اسم "الزهرة الوحيدة الحمراء وسط بحر الخضرة" على لى كوان رين، بطلة جيش الاستقلال الوحيدة. أما فى بحر خضرة النضال المناهض لليابان المتمحور على جيش حرب العصابات، فكانت تتفتح مئات وآلاف الزهور الحمراء البديعة التى انجبتها الامة.

انهن أمهات وبنات من هذه الارض، كن يتقدن حبا للوطن، على الرغم من اضطرارهن الى تحمل أعباء جسدية وعذابات روحية يصعب على الرجال تحملها، ولكن لم يتراجعن مع ذلك عن طريق الثورة، بل وصل بهن الامر حد التضحية بحياتهن وشبابهن وأسرهن فى سبيل النضال المقدس من أجل طرد الامبرياليين اليابانيين من أرض الوطن.

كلما تذكرت هؤلاء المقاتلات اللواتى يملأن نفوسنا بالفخر والاعتزاز، ترد الى ذاكرتى سرية النساء التى نظمناها فى الوقت نفسه تقريبا الذى شكلنا فيه الفرقة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى فى ربيع عام ١٩٣٦، حين انطلقنا على اثر الانتهاء من اجتماع نانهوتو نحو جبل بايكدو.

لقد كان ذلك حدثا مثيرا للاعجاب برهن على تطور سريع فى صفوف جيش حرب العصابات وعلى صعود جديد فى النضال المسلح المناهض لليابان بمجمله.

اكتسبت ولادة السرية النسائية أهمية بالغة، فالكوريات اللواتى كن فى الماضى حبيسات الغرف الداخلية منذ آلاف السنين، ضحية اغلال الاقطاعية، وجدن أنفسهن يقفن وبجدارة فى مقدمة صفوف النضال الثورى.

عندما نتحدث فى الوقت الراهن عن المكانة الاجتماعية للنساء، نستخدم دائما عبارة "انهن احدى عجلات الثورة"، ولكن قلة قليلة هى التى كانت تعترف بذلك حتى فى فترة النضال الثورى المناهض لليابان. وليس من المبالغة القول انه لم يكد

يكون هناك من يرى انه يمكن للنساء المشاركة فى النضال المسلح طويل الامد جنبا الى جنب مع الرجال.

وبصراحة، كنت أنا نفسى اعتقد فى البداية انه لا يمكن للنساء أن يخدمن فى صفوف الجيش. فقد كانت تسيطر على فكرة انهن اضعف من الرجال، وكنت أقدر بالتالى انهن غير قادرات على تحمل أعباء نضال حرب العصابات.

كنا نعرف بكل تأكيد ان عددا من النساء قد حققن مآثر تثير اعجاب العالم فى الحروب ضد الغزاة، أو خلفن قصصا جديرة بالاطراء. فمن المعروف جيدا ان كاى وول هيانغ، الغانية الشهيرة فى بيونغ يانغ، شاركت فى ذبح قائد الجيش اليابانى كونيسى يوكيناغا، كما قاتلت رون كاى، من زينزو، ببسالة مع غيرها من الوطنيات.

ومن قرأ "حوليات ايمزين" سيتذكر شراسة المعركة التى دارت رحاها على اسوار جبل هاينغزو والدور الكبير الذى لعبته النساء فيها. فعندما خاض الجنرال كوون ريول المرابط فى ذلك الحصن بقضاء كويانغ فى محافظة كيونغكى، معركة مصيرية اكبر من طاقته ضد اكثر من ٣٠ الف جندى يابانى كانوا يحاصرونه فى حصنه المحاط بخندق، كانت نساء المنطقة يحملن فى مآزرهن الاحجار للمدافعين كى يقاتلوا بها. تلك المآزر القصيرة والعابقة بمشاعر الوطنية تحولت فيما بعد الى مرايل لربات البيوت الكوريات يستخدمنها عند طهو الطعام أو للزينة. واصبحت تسمى "تنورة هاينغزو" لان اسمها مشتق من معركة اسوار الجبل الذى يحمل الاسم نفسه.

ومشهورة جدا كذلك قصة سول زوك هوا فى عصر كوريو، تلك التى ارتدت ملابس الرجال، وراكمت مآثر عظيمة فى الحرب ضد غزاة تشيتان.

لقد نقل لنا التاريخ كما هو واضح بعض القصص عن الخدمات العسكرية التى قدمتها نساء مثل سول زوك هوا، ولكن لم يكن هناك مثل واحد تقريبا شكلت فيه النساء وحدة عسكرية خاصة بهن كانت تهاجم العدو بجسارة لتخوض ضده معركة بالسلاح الابيض.

ومع ذلك، فان النساء فى حرب العصابات التى خاضها جيشنا لم يقتصرن على

اداء ادوار ثانوية كممرضات وخياطات وطاهيات، بل عملن كذلك كمقاتلات. فما ان تقرر قبول انضمامهن الى الجيش، حتى صار عليهن العمل دون استثناء وفق ما يفرضه منطق الحرب الذى لا ينظر اليهن نظرة انسانية. فقد كان عليهن، اذا تطلب الوضع، أن يقمن بمسيرات شاقة تستمر لعدة أيام متتالية وهن يحملن على ظهورهن أو على رؤوسهن اعتدة ثقيلة كتلك التى يحملها الرجال؛ او القتال وسط دخان القنابل واجسادهن ملتصقة بالارض الجليدية؛ أو الدخول بين حين وآخر فى معركة بالسلاح الابيض. كما كان عليهن التوغل الى ما وراء خطوط العدو كعاملات سياسيات سريات، أو من اجل الحصول على مواد تموينية، وكان عليهن كذلك ان يحفرن الأرض غير عابئات بالبرد القارس الذى يشقق لحمهن. ومن يدرى كم من الوقت سيستمر نضالهن وقضاؤهن الليالى فى العراء؟ ربما يستمر ذلك لعشرات السنين.

هل يمكن لهن تجاوز كل هذه المصاعب؟ أ يكون من العدل دفعهن الى ميادين الموت هذه؟ كانت مثل هذه الافكار تقلقنى ولا تتركنى مطمئنا.

منذ مرحلة جيلين كان هناك عدد كبير من الرفيقات المنضويات الى حركتنا يطلبن منى السماح لهن بالانخراط فى جيش حرب العصابات. لقد طلبت هان يونغ آى ذلك منى والدموع تتدفق من مقلتيها. وبمشقة كبيرة تركتها فى منشوريا الشمالية عندما انطلقت الى منشوريا الشرقية. كما كان بين اعضاء رابطة الاحداث فتيات صغيرات لحقن بى حتى تونهوا للانضمام الى الجيش، ومن منشوريا الوسطى أيضا ارسلت لى احدى الرفيقات رسائل تعرب فيها عن رغبة مماثلة. وعلى الرغم من كونهن شابات يتقدن حبا للوطن، الا اننى لم اوافق على طلباتهن.

كنت افكر فى أن تطلع النساء الى المشاركة فى الكفاح المسلح هو تجاوز للحدود؛ وان هذا الامر هو من اختصاص الرجال؛ وان للنساء مهماتهن الخاصة، وان ضمهن الى الثورة الاجتماعية باخراجهن فى غرفهن الداخلية هو أمر طيب، ولكن، كيف يمكننا ان نطلب منهن المشاركة فى القتال؟

ومع نضوج الاستعدادات للكفاح المسلح تدريجيا، واينما كانت تتشكل وحدات جيش حرب العصابات، كانت أصوات النساء تتعالى اكثر فأكثر للمطالبة بقبولهن فى

صفوف الجيش. ومن بين من كن يعملن فى المنظمات السرية هناك كثيرات ما ان كن يصلن الى جيش حرب العصابات حتى يتمسكن بعناد بالبقاء دون اذن من أحد وغير مباليات بما يقال عنهن.

وقد فرض علينا ذلك الوضع طرح مسألة قبولهن بشكل رسمى.

ومع ذلك، فان بعض المتزوجين رفضوا ذلك الأمر رفضا قاطعا متذرعين بما يلى: ان العادات الموروثة عن اسلافنا تقضى بان تتولى النساء الشؤون الداخلية للأسرة، فيما يتولى الرجال الشؤون الخارجية؛ صحيح ان لى كوان رين قد تمنطقت بمسدس فى احد الأوقات وتبعت جيش الاستقلال، ولكنها كانت حالة معزولة، وواحدة يصعب وجود مثلها بين الآلاف؛ فكيف يمكن للنساء العاديات ان يشاركن فى نشاطات حرب العصابات التى تفرض اعباء ينوء بحملها الرجال، ويجتزن الجبال الوعرة؟ ان اقتيادهن الى ميدان المعركة سيكون مغامرة غير معروفة النتائج. بل وكان هناك من يصر على انه لا جدوى حتى من مناقشة هذه المسألة.

لكن تشا كوانغ سو وغيره من الرفاق دحضوا على الفور هذه الذرائع. سألوهم اذا كانوا يعرفون ان النظام الامومى كان سائدا لوقت طويل فى تاريخ البشرية، وان الرجال كانوا يعيشون فى ظله تحت حماية النساء. واضافوا قائلين: "اذا كانت النساء هن أول من يلقين بأنفسهن فى النار وراء ابنائهن، فلماذا عليهن البقاء مكتوفات الايدى الآن بينما البلاد غارقة بالدماء والدموع؟ يجب عليكم ان تدركوا ان انضمامهن الى جيش حرب العصابات ليس مطلبا لاخواتنا وحسب، بل هو أحد متطلبات اللحظة الراهنة. ..."

دارت المناظرة بحرية دون ان تصل الى وجهة نظر موحدة، ولهذا قررنا تشكيل جيش حرب العصابات من الرجال وحدهم، على ان نعود الى مناقشة المسألة فيما بعد، حين يتبدل الوضع.

وقد وجدت المسألة حلها بالكامل دون أى اختلاف فى الآراء وبدعم من الجميع حين وصلنا خبر نضال النساء فى تشينتاو من اجل الحصول على أسلحة. فامرأتان باسلتان من محافظة هيلونغ اجهزتا بأخشاب الغسيل على شرطى يابانى للاستيلاء

على بندقيته، وقد أطبق هذا الحادث أفواه من كانوا يعترضون على قبول النساء فى جيش حرب العصابات. لقد حدث ذلك حين هبت تشينتاو بأسرها لحل مسألة الأسلحة.

حين علمت كيم سو بوك، ذات الثمانية عشر عاما، من خلال المنظمة مدى أهمية والحاح الحصول على أسلحة، أخذت تعصر دماغها للتوصل الى طريقة تنتزع بها اسلحة من العدو، وأخيرا، ذهبت مع احدى صديقاتها الى مكان فى النهر يوجد عليه ممر مصنوع من جذع شجرة وهى تحمل على رأسها اناء الغسيل. كان الفيضان الذى احدثته الأمطار الغزيرة قد حمل معه الجذع، ولم تبق من الجسر سوى الدعائم. بقيت الفتاتان هناك طوال النهار متظاهرتين بانهما تغسلان، بانتظار فرصة مناسبة. وعند الغروب تقريبا ظهر شرطى يابانى وأمرهما صارخا ان تنقلاه الى الضفة الاخرى. حملته كيم سو بوك على ظهرها وخاضت فى الماء، بينما تبعتها صديقتها متظاهرة بانها تساعدها. وعندما اصبحت فى منتصف النهر، ألقت باليابانى الذى أخذ يرفس بقدميه حين رأى حذاءه يبتل، وضربتاه دون رحمة بخشبة الغسيل باسم والديهما القتيلين. ثم انتزعتا منه سلاحه الذى انضمتا به الى جيش حرب العصابات المناهض لليابان فى صيف عام ١٩٣٣، وقد حازت كيم سو بوك منذ ذلك الحين على لقب "خشبة الغسيل".

والشىء نفسه حدث مع باك سو هوان التى عملت بعد بعض الوقت مسؤولة عن مشغل الخياطة فى وحدتنا الرئيسية. وهناك حالة قامت فيها عدة نساء بوضع خطط دقيقة للاستيلاء على اسلحة كثيرة بجعل رجال الشرطة اليابانيين يشربون الخمر حتى السكر.

ولم تكن هناك أى ضمانة، باستثناء الاسلحة التى تم الحصول عليها بتلك الطريقة، يمكنها ان تؤكد ببلاغة أشد علو المستوى الروحى وقوة الارادة التى بلغتها النساء. ففى منطقة الحدود الشمالية لكوريا وعدة مناطق من منشوريا، كانت النساء يلتحقن بالصفوف المسلحة وقد أحضرن معهن الأسلحة التى انتزعنها من العدو.

ما الذى يعنيه هذا التقدم العاصف والتبدل الجدى فى وضع النساء؟ وكيف أمكن لأولئك النساء المعتادات على التذمر لمصيرهن حين كن يعكفن على زراعة

الخضروات فقط، ان يندفعن للمشاركة فى الكفاح المسلح ويحطمن بشجاعة اغلال الاقطاعية التى قيدتهن طوال قرون؟ لقد كان ذلك كله نتيجة منطقية للحياة القاسية والمريرة التى عاشتها الكوريات اللواتى لم يجدن طريقة اخرى للبقاء على قيد الحياة سوى حمل السلاح.

لقد كان ارثهن جيلا بعد جيل يتلخص فى اغلال القهر والاحقاد. فقد كن يتعرضن للاضطهاد وسوء المعاملة بمقتضى تقاليد سيادة الذكور واحتقار النساء باعتبارهن سلعة تعامل معاملة ادنى من البشر، وكانت تلك احدى أكبر جرائم المجتمع الاقطاعى فى كوريا. فالنساء لم يكن اكثر من رقيق منزلى مخصص للانجاب واعداد الطعام ونسج الثياب وزراعة الأرض الى ان تتحول ايديهن الى شيء يشبه قوائم البط. وكان عليهن اذا ما فقدن ازواجهن فى سن مبكرة أن يعشن ارامل حتى موتهن، كما كان يجرى بيعهن مكرهات لسداد الديون.

وبعد ان احتل الامبرياليون اليابانيون كوريا، اضافوا الى هذه النكبات كلها نكبة تحويل النساء الى اداة وبضاعة، واعتبارهن رقيقا بلا وطن.

وقد مثلت الثورة المناهضة لليابان اعصارا انتزع كل تلك الشرور والمظالم من جذورها، وحدث العصر الذى قاد الكوريات الى طريق النضال الثورى. فبدأن يكتبن بالدم، وليس بالحبر، تاريخا جديدا.

وكلما ازداد عدد المنضويات الى صفوف جيش حرب العصابات، كانت تترسخ قناعتى بانه لا بد من الاهتمام بهن بشكل أفضل. فبالرغم من امتشاقهن السلاح، الا انهن كن نساء لا بد لهن من الحفاظ على حياتهن الخاصة حتى فى ظروف حرب العصابات الشاقة.

منذ البداية، جعلنا الأفضلية لهن ونحن نشعر بانهن شقيقاتنا اللواتى من لحمنا ودمنا. قدمنا لهن أفضل الاسلحة، واكثر اماكن النوم راحة وغنائم الحرب القيمة. وفى اثناء ذلك، شعرت بضرورة تحديد ابعاد البنية الموحدة لحياتهن ونشاطاتهن العسكرية، ومن أجل ذلك كان لا بد من تنظيم صفوفهن بشكل منفصل ورفع معاملتهن التفضيلية الى مرحلة اعلى. ارتأيت أن تشكيل سرية للنساء فقط، سيتيح رفع كرامتهن وحماستهن

كثوريات، والاظهار غير المحدود لوعيهن وقدرتهن القتالية، كما ان ذلك سيقلل من المنغصات التى يتعرضن لها. لقد كنا يطالبن جميعا بالسماح بان يكن مقاتلات ليصرعن باسلحتهن ولو قلة من الاعداء الذين يغتالوا اباءهن واخوتهن، ليخمدن بذلك احقاد الثور فى قلوبهن. لقد استمعت الى تلك الرغبة الجامحة منهن فى كل مكان، سواء فى مشغل الخياطة او فى المستشفى او فى المطبخ.

واخيرا، قررت تنظيمهن فى سرية ملحقة بالقيادة، فى الوقت الذى كان يجرى فيه تنظيم فرقة اخرى فى فوسونغ.

ومن بين اكثر من مئة متهم بالتورط فى "مينساينغدان" الذين اعتبرناهم عماد الفرقة الجديدة، كان يوجد عدد كبير من المقاتلات، منهن زانغ تشول كو وكيم هواك سيل واخريات.

وحين علموا بخبر احراقنا وثائق المتهمين بالانضمام الى هذه المنظمة واعلان براءتهم، جاؤوا الينا من كل الاماكن التى كانوا يختبؤون فيها، وكان بينهم عدد كبير من النساء، منهن لى غى سون وكيم سون وزونغ مان كوم. وهناك اخريات، مثل باك روك كوم، التى حملت على رأسها بطانية ملفوفة كحزمة، ظهرن منفردات، او فى جماعات ايضا، وراء الوحدات الفرعية الصغيرة التى كانت تأتى من داجيانتشانغ ومن وداويانغتشا للانضمام الى الفرقة الجديدة.

حين ذهبنا الى معسكر ميهونجين السرى، حيث كانت كيم تشول هو وهو سونغ سوك تعملان فى مشغل الخياطة، طلبتا منى مرات كثيرة ان اقبلهما فى الوحدة القتالية دون أن تعيرا اذنا صاغية لمحاولاتى فى اقناعهما بالتخلى عن تلك الفكرة. وفى لحظة واحدة، انضمت اليهما جميع الخياطات الاخريات واردن اللحاق بنا. فسألتهن عمن سيخيط البدلات العسكرية عندئذ، فكانت اجابتهن ان ثمة عددا كبيرا من العليلات اللواتى يمكن لهن الحلول محلهن. والحقيقة ان عددهن كان كبيرا جدا بحيث يبقى فائض منهن حتى بعد تخصيص الاعداد اللازمة لمشغل الخياطة والمستشفى والمطبخ. فكان لا بد من ارسال المتبقيات منهن الى السرايا المقاتلة أو اتخاذ اجراء آخر أكثر فعالية.

ومن هنا، فكرت بتشكيل سرية نسائية على سبيل التجربة. ولكننى لاحظت مع

ذلك انه لا يمكننا تشكيل تلك السرية من مقاتلات ميهونجين وحدهن. فعددهن غير كاف. فاقترحت على تشاى هيون ان ينظم منهن فصيلة نسائية فيما بعد، فى حال اصرارهن على مطلبهن.

ذات يوم، قلت لباك روك كوم عارضا المشروع:

"ما رأيك فى ان ننظم سرية مقاتلة منكن؟"

فصفقت مرحبة على الفور ومعربة عن موافقتها التامة.

ولكن كيم سان هو ولى دونغ هاك هزا رأسيهما بارتياب، وقال الاول منهما:

"أيكون بمقدور جماعة كهذه ان تقاتل دون هوادة؟ فى اعتقادى انه لا يمكن للنساء بمفردهن مواجهة قطعان اليابانيين الشرسة. وسيكون الأمر مختلفا لو ان رجلا يتولى قيادة هذه السرية او الفصيلة النسائية."

فرفضت حجته بالقول:

"اذا كان سيقودهن رجل، فكيف يمكن تسميتها سرية أو فصيلة نسائية؟ اذا كانت كذلك، فلا بد أن تتولى قيادتها امرأة."

"لا بأس، ولكن، هل يكون ذلك ممكنا؟"

"وهل تخرجتم انتم من احدى مدارس الرتباء أو الكليات العسكرية قبل أن تصبحوا قادة؟"

أطبق كيم سان هو فمه، ولكنه لم يكن مقتنعا على ما يبدو. كما واصل لى دونغ هاك هز رأسه وهو يكرر بصوت خافت: "سرية نسائية"، "سرية نسائية...".

ما ان طرحنا الموضوع حتى سيطر الذهول على كيم زو هيون، وقال ان خروج سرية مؤلفة من النساء فقط الى ميدان المعركة، سيكون اخفاقها محتما، وان ذلك سينال من سمعة الجيش الثورى الشعبى الكورى.

فى شهر نيسان ١٩٣٦ على ما اذكر، وبينما كنا نقوم بالاستعدادات لتشكيل تلك السرية على مقربة من مانجيانغ، وصلت الينا فجأة وحدة مختلطة معظم افرادها من النساء، وكانت منهن كيم تشول هو، وهو سونغ سوك، وتشاى زانغ سوك، وهوانغ سون هى. أما الرجال فيها فكانوا اربعة أو خمسة فقط.

سألت كيم تشول هو عن السبب الذى دفعها الى المجىء وترك تشاى هيون مريضا، فأوضحت لى انه هو الذى أرسلها. فبعد تماثله للشفاء، نظم وحدة صغيرة من النساء غير المريضات والمصممات على مطالبته بقبولهن كمقاتلات، ونبههن الى ضرورة معرفة ما عليهن عمله عند وصولهن الى مكان وجودى. ربما كان يريد التخلص من المشاكسات التى يثرنها ووضع مصيرهن بين ايدينا.

كان آمر تلك الوحدة شابا فتيا جدا يدعونه الرفيق زو. وبدا من غير المنطقى ان يكون فتى أمرد طرى العود واقرب الى ان يكون ولدا هو من يقود الوحدة، ولهذا ابديت اهتمامى بما جرى. فسألتنى هو سونغ سوك متذمرة: أوتظن ان الرفيق تشاى هيون يثق بمن يلبسن التنانير؟ وهل كنت تظنه سيعين طاهية فى منصب آمر الوحدة؟ ان أقصى ما كان يمكنه تكليفنا به هو اعداد وجبات الطعام.

وكان نائب آمر الوحدة هو مستجد آخر أصغر سنا يدعى تاى بيونغ ريول.

ومع ذلك، فان من كانت تهتم بالوحدة وتقودها عمليا هى المرأة الضخمة تشاى زانغ سوك. وقد وصلت وهى تحمل على كاهلها، فضلا عن البندقية وحقيبة الظهر، قدرا حديدية فى داخلها كيس من الأرز وأدوات المطبخ، وكذلك فأسا ومنشارا. وقد كان حجم تلك الاشياء يزيد على حجم رجل. وكانت حمولة هو سونغ سوك تعادل ذلك أيضا. وبصراحة، لم اكن قد رأيت فى حياة حرب العصابات قبل ذلك شخصا يحمل مثل تلك الحمولة، سواء بين الرجال أو النساء. ساعدت تشاى زانغ سوك على انزال حمولتها؛ وقد كانت ثقيلة جدا بحيث وجدت صعوبة فى حملها.

فقلت باعجاب شديد:

"برافو يا رفيقة! انك مثل هرقل!"

فقال تاى بيونغ ريول وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

"لقد اكلت هذه الرفيقة فى احدى المرات ما لا يقل عن مئة فطيرة: ستين واحدة قبل خروجها الى نوبة الحراسة، واربعين فطيرة بعدها، ولم تشعر مع ذلك بأى ألم فى معدتها. حقا انها امرأة هرقلة.

فانفجر الجميع مقهقهين.

وجهت اليه تشاى زانغ سوك نظرة حارقة، وقالت ان هذا "كذب محض".

فتدخلت مؤيدا الفتى بقولى:

"كيف يمكن ان يكون كذبا؟ أكان بمقدورك ان تحملى مثل هذه الحمولة الثقيلة لو لم تأكلى تلك الفطائر؟"

فدوت ضحكات الجميع من جديد.

فى ذلك اليوم بالذات، نظمت متعمدا مسابقة بالقوة بين رجل وامرأة.

دعوت مقاتلا كان يقال ان له قوة دب ليحمل جعبة هو سونغ سوك. كانت عظامه الطرية قد تصلبت من استخدام معزقة، وكان معروفا فى منطقة وانغتشينغ كأحد أفضل لاعبى المصارعة الكورية. وكان فضلا عن ذلك يأكل كثيرا جدا، لدرجة انه كان يتناول ما لا يقل عن ٣٥ قرصا من كعك الأرز الغروى مع طاس من الماء.

حمل الجعبة ونهض بسهولة. فوضعت على كاهله بندقيتين اضافيتين وسألت عن المسافة التى يستطيع قطعها دون أن يستريح بهذه الحمولة. فاجاب انه يستطيع السير نحو اربعة كيلومترات.

طلبت منه بعد ذلك أن يحمل ما كانت تحمله تشاى زانغ سوك. وقد استطاع النهوض هذه المرة بمشقة كبيرة وهو يستند بكفيه الى الارض. وضعت البندقيتين على كاهله وعدت أسأله السؤال نفسه، فكان جوابه: "بالكاد كيلومترين".

توجهت الى تشاى زانغ سوك لتخبرنا عن المسافة التى قطعتها بهذه الحمولة، ولكن الخجل منعها من الاجابة. فأخبرتنا كيم تشول هو بدلا منها بانها جاءت دون استراحة من دابوتشايهى، حيث قاتلت. فانفرجت عيون الجميع على اتساعها من الدهشة، لأن المكان المذكور يبعد نحو ٤٠ كيلومترا تقريبا.

وهكذا، فازت تشاى زانغ سوك فى المنافسة على المقاتل.

بعد ذلك طلبت من هو سونغ سوك ان تحدثنا عن المعركة التى خاضتها وحدتها الصغيرة بالقرب من دابوتشايهى.

لقد كانت فتاة ذات بشرة محمصة وبنية قوية، حنونة وفطنة، قليلة الكلام وذات طبع مستقيم وعادل، تقول دون تردد ما تراه ضروريا.

روت لنا ان الجماعة التى كانت تشاى زانغ سوك "آمرة طليعتها"، أخذت تعانى ضائقة لان المواد التموينية نفدت منها وهى فى طريقها الينا، وحدث ان التقت عندئذ فى احدى الغابات بوحدة صينية مناهضة لليابان، فنظمت معها عملية للهجوم على قرية اعتقال جماعى بالقرب من دابوتشايهى. وقد أظهرن فى المعركة مقدرة قتالية تضاهى مقدرة الرجال.

وبالرغم من ان جنود الوحدة الصينية المناهضة لليابان كانوا مسلحين ببنادق حديثة، فقد ولوا للادبار مشتتين خوفا من الهجوم المضاد الذى شنته شرطة منشوكو العميلة، أما تشاى زانغ سوك ورفيقاتها اللواتى كن يحملن بنادق قديمة، فقد وجهن ضربات قاصمة الى العدو. بل وقضين كذلك على رجال الشرطة الذين هاجموا مواقع الوحدة الصينية.

وقد ابلت احدى الرفيقات التى كانت تقوم بالحراسة بلاء حسنا فى المعركة مخاطرة بحياتها. اذ اوقفت تقدم العدو بجهودها العنيدة رغم انها كانت تنزف بغزارة من جرح بالرصاص فى خاصرتها. وقد اوقعت اصابات كثيرة فى صفوف العدو. وسرعان ما حاول بعض الجنود الفرار حاملين جثث قتلاهم. انتقلت المقاتلات الى الهجوم المضاد بجلبة، فصرخ آمر الوحدة المناهضة لليابان بجنوده الهاربين: "عليكم اللعنة، أتهربون من المعركة بينما الكوريات يقاتلن ببسالة ببنادقهن العتيقة؟". واخيرا، رجع الجنود وانضموا الى المقاتلات فى مطاردة العدو، وانتهت المعركة بالانتصار.

لقد أعجبنا جميعا بشجاعة اولئك الرفيقات وجرأتهن واصرارهن.

فى شهر نيسان ١٩٣٦، وفى الغابة القريبة من مانجيانغ، تم الاعلان رسميا عن ميلاد السرية النسائية. وقد وضعتها تحت اشراف القيادة مباشرة ونظمت فصائلها وحضائرها. واصبحت باك روك كوم هى آمرتها.

كانت تلك هى اول وحدة نسائية مقاتلة فى تاريخ بلادنا العسكرى.

لقد كان ميلادها حدثا بالغ الأهمية وايذانا بدفن الافكار والعادات القديمة حول تفوق الرجال وازدراء النساء، وقد رفع ذلك الحدث بالفعل المكانة الروحية والاجماعية للنساء الى مستوى الرجال.

لقد تبدت هذه الظاهرة منذ القدم فى المجال العسكرى اكثر منها فى المجال السياسى. صحيح انه لم يتم التنازل للنساء عن أى حقوق تذكر فى المجال السياسى ايضا، ولكن وجدت مع ذلك امثلة كثيرة من النساء اللواتى كانت قواهن الخفية للسيطرة والتأثير على الرجال تقارن بقوة السحر، ووصلت قوتهن تلك فى السياسة والتأثير على السياسيين الى حد تقرير مصير الدولة.

ومع ذلك، فان من كانت قوتهن تزيد على قوة الملك أو القادة من الناحية السياسية، كن يظهرن عاجزات حيال الشؤون العسكرية التى بقيت حكرا على الرجال. وقد طبقنا المساواة فى الحقوق فى المجال العسكرى، وحققنا تحرير النساء فعلا، وان كان ذلك مقتصرا على جيشنا الثورى.

واحد المعانى الاخرى التى تضمنها تشكيل السرية النسائية يتلخص فى اننا كشفنا الاتساع الوطنى والطابع الشعبى لجيشنا الثورى.

ان وجود الوحدة النسائية وشجاعتها فى القتال التى تضاهى شجاعة الرجال، انتشرت فيما بعد فى اوساط امتنا، وأصبحت موضوعا عميق المغزى يثير اعجاب العالم.

لقد نشرت احدى صحف بلادنا فى النصف الثانى من الثلاثينات تقول "يوجد فى وحدة كيم إيل سونغ أيضا اكثر من عشر نساء". ومع ان المقال كان قصيرا، فقد كانت له أصداء واسعة فى اوساط شعبنا.

ان الخبر الجديد عن وجود نساء يقاتلن بشجاعة جنبا الى جنب مع الرجال، ويحملن السلاح ضمن الصفوف المناهضة لليابان، شجع واستثار بقوة جميع النساء وغيرهن من القطاعات الاجتماعية الكورية، كما ضاعف عدد المتطلعين الى انضمام للجيش الثورى الشعبى داخل البلاد وخارجها.

بعد تشكيل السرية، ساعدناها ووجهناها لتنهض وتمشى على ساقيها، وصلبناها فى خضم النضال العملى. وكنا نستغل كل فرصة تتاح لنا لكى نشجعهن على رفع حماستهن السياسية ووعهن.

واتذكر الآن اننى تحدثت اليهن فى سياوتانغهى عن كيم ستانكيفيتش.

والمذكورة هى مناضلة كورية معروفة ولدت وترعرعت فى روسيا وكرست

نفسها لقضية الشيوعية. وكان مسقط رأس والدها هو قضاء كيونغوون فى محافظة هامكيونغ الشمالية.

لقد تخرجت من دار المعلمين، وعملت معلمة فى مدرسة ابتدائية، ولكنها حين رأت المزيد والمزيد من المواطنين والمهاجرين الكوريين يأتون الى الاراضى الروسية، تخلت عن مهنتها وذهبت الى فلاديفوستوك حيث ناضلت بنكران للذات دفاعا عن مصالح العمال الكوريين المنتشرين فى انحاء روسيا.

وبعد هزيمة القيصرية، انضمت الى الحزب البلشفى، وتركت زوجها وأولادها فى البيت، لتنطلق على طريق الثورة طول حياتها عاقدة العزم على حماية منجزات اكتوبر. وعندما تولت مسؤولية الشؤون الخارجية فى قسم الشرق الاقصى فى الحزب البلشفى بخاباروفسك، حفزت بقوة الاستقلاليين الكوريين، مثل لى دونغ هوى وكيم ريب لتنظيم حزب الكوريين الاشتراكى.

قد كانت نشاطاتها البارزة هدفا للاطراء والدعم الفعال سواء من جانب الكوريين فى بريموريه أو غيرهم من المقيمين فى روسيا.

وعندما انقلب الوضع فى الشرق الاقصى الى غير صالح الثورة، واضطر القسم الخاص بهذه المنطقة فى الحزب البلشفى الى الانسحاب من خاباروفسك، كانت هى آخر من غادر المنطقة فى مركب بخارى، بعد ان رتبت كل الأمور المعلقة، ولكنها وقعت بيد عصابة من البيض فى نهر آمور حيث اعدموها رميا بالرصاص. وقد صاحت بالاعداء فى اللحظة الاخيرة من حياتها قائلة:

"لست اخشى الموت. وعما قريب سيتحدد مصيركم ايها السفهاء المتوحشون. فمن السخف الاعتقاد بان قطيعا من الكلاب فى بيت ميت سيتمكن من تقويض الشيوعية."

كان عمرها يومئذ ٣٤ سنة.

كما ان سول زوك هوا، وكاى وول هيانغ، وليو كوان سون، ولى كوان رين وغيرهن من النساء الباسلات الشهيرات كن صديقات روحيات حميمات لمقاتلات جيشنا.

لقد اجتذبت السرية النسائية اهتمام الناس منذ ولادتها. ففى كل مكان وصلته، كانت تحوز على حب الاهالى واحترامهم. فما ان يرى الناس، ولو من بعيد، عضوات السرية النسائية بقبعاتهن ذات النجوم الخماسية البراقة وهن يحملن البنادق القصيرة، حتى يضجوا صاخبين ويركضوا فى شوارع القرية صارخين: "لقد جاء جيش النساء!".

وقد كان ذلك طبيعيا جدا، لأن جنديات السرية النسائية كن حسنات السلوك، يساعدن الاهالى ويحترمنهم باخلاص ويتحلين بصفات اخلاقية سامية وجميلة. ففى كل قرية نحل بها، كنا نراهن ينظفن افنية البيوت، أو يجلبن الماء، أو يغسلن الاطباق، أو ينتزعن الاعشاب الضارة من حقول الخضار.

كما كن يرقصن ويغنين ويلقين الخطابات أو يعلمن الاهالى القراءة. لقد كانت السرية النسائية مصدر فخر، وزهرة نادرة وثمينة للجيش الثورى الشعبى الكورى.

لم يكن لدى السرية فى أول الأمر أسلحة جيدة. وكانت معظم اسلحتها عبارة عن بنادق قديمة؛ بل وكان بينهن من لا يملكن اى أسلحة. وقد قررنا تزويدهن بأسلحة خفيفة وجميلة. فخططنا لخوض بعض المعارك لتحقيق هذا الهدف، ولكننا لم نتمكن من الحصول على الاسلحة المنشودة.

وعلمت حينئذ أن حامية جيش منشوكو العميل المرابطة حول سينانتشا تتنقل على صهوات الخيول. وقد علمت من خلال عناصر الاستطلاع انهم يشيدون ثكنة، فقررت مهاجمة موقع العمل. أصدرت الأمر الى سرية النساء، ورافقتهن الى المكان لبث الحماسة فى نفوسهن. وقد كان الهجوم مؤثرا جدا.

كانت السماء مغطاة بسحب سوداء كثيفة تنذر بهطول امطار غزيرة بين لحظة واخرى، وقد جعل ذلك الوضع الاعداء يوقفون العمل، وخفف الحراس من حدة مراقبتهم. أطلقت آمرة السرية باك روك كوم طلقة الاشارة، فخرجت رفيقاتها راكضات كالنمور من مكمنهن قرب موقع العمل، وسددن اسلحتهن باتجاه الاعداء. تعالت من كل انحاء أصوات المقاتلات المدوية: "ارفعوا ايديكم!". تناول أحد الجنود بندقية من حمالة الاسلحة محاولا المقاومة، ولكنه انهار فورا بضربة من عقب بندقية

زانغ زونغ سوك. لم تستغرق المواجهة حتى عشر دقائق. قتلت السرية النسائية عددا من الاعداء وأسرت الباقين. كما تم الاستيلاء على غنائم تضم عشرات الاسلحة التى يمكن حملها، ولكن لم تظهر لسوء الحظ بندقية قصيرة واحدة. وقد قال الاسرى ان دورية الخيالة قد حملت معها تلك البنادق. واصابهم الذهول حين علموا ان من هاجمهم واسرهم هن مقاتلات جيش حرب العصابات.

وقد راكمت السرية فيما بعد مآثر اخرى باهرة فى عدة معارك. وتبدت مهارتها الخاصة فى معركتى داينغ ودونغكانغ.

وخلفت السرية فى كل معركة احداثا لا تنسى، ففى معركة داينغ، فتحت زانغ زونغ سوك ثغرة لتقدم رفيقاتها بصرعها جندى الحراسة بلكمة واحدة لكى توفر فى الرصاص. وفى عملية دونغكانغ، وقع حادث مذهل، وذلك عندما قامت كيم هواك سيل واثنتان من رفيقاتها بقطع اسلاك هاتف الاعداء برصاصة واحدة من كل منهن على ضوء القمر الباهت. وهناك مؤرخون يقولون انه قد بقيت بعض المعلومات عن تاريخ السرية النسائية فى وثائق قسم شرطة محافظة هامكيونغ الجنوبية الملحق بهيئة الحاكم العام لكوريا. وتورد تلك المعلومات انه فى اوائل الشهر القمرى الخامس من عام ١٩٣٦، قامت باك روك كوم ومعها اكثر من اربعين مقاتلة ينتمين الى وحدة كيم إيل سونغ بشن هجوم على حامية جيش منشوكو العميل فى سينانتشا بمحافظة فوسونغ، وانهن هاجمن فى الفترة نفسها داينغ وحملن معهن اكثر من عشر بنادق وبدلات عسكرية كغنائم. كما توجد معلومات حول الهجوم على دونغكانغ بمحافظة فوسونغ.

كلما ارى المجموعة النحتية لشهداء الثورة المناهضة لليابان الذين ضحوا بشبابهم الثمين على مذبح الوطن، اتذكر عضوات السرية النسائية وغيرهن من المناضلات الباسلات اللواتى يتوسطن المجموعة.

لقد كانت باك روك كوم تعرف كيف تصدر الاوامر، وكانت رفيقاتها يدعونها ببساطة: المرأة الهرقلة.

واذا قلت انها كانت تنتعل حذاء مقاسه ٤١، فربما سيصاب البعض بالذهول.

ومع ان جيش حرب العصابات كان يغنم الكثير من الاحذية، الا ان عددا ضئيلا منها كان من المقاسات الكبيرة، مما كان يضطرها الى استخدام صندل من القش فى معظم الاحيان.

انها مناضلة نشيطة تولت فى وانغتشينغ مسؤولية جمعية المنطقة النسائية. ولشدة فقر اسرتها، فقد ارتدت الاسمال عندما تزوجت، ولم تستطع أن تهيأ لها لحافا. وقد جرى الشىء نفسه لاسرة زوجها كانغ زونغ ريونغ: اذ لم تستطع تقديم اللحاف الذى لا بد للعروسين من استخدامه فى ليلة زفافهما. وقد انضم الزوجان كلاهما الى جيش حرب العصابات فى اليوم نفسه والساعة ذاتها، وتم الحاقهما بالسرية الاولى لجيش حرب العصابات فى وانغتشينغ.

فى أحد الايام، جاء الموجه السياسى لهذه السرية لمقابلتى وقال لى ان باك روك كوم قد وضعت مولودا قبل لحظات قليلة، وانه لا يوجد فى بيت والدها حيث تقيم ولو قطعة من القماش لصنع دثار. ذهبت مسرعا للتأكد من الامر ولم أر أى لحاف او ما شابهه. بل وجدت الأب الارمل منهمكا جدا بالعناية حتى بابنته، وقد قال لى انه نسى ما يعنيه اللحاف، لانه فقد كل ما يملكه عدة مرات بسبب هذه التقلبات فى الاوضاع. وكان الوليد ملفوفا بخرق بالية.

وعلى الفور أرسلت وحدة صغيرة وحصلنا على قماش صنعت منه الخياطات، دون أن ينمن، لحافا ناعما سميكا ودثارا وملابس للطفل.

وقد استخدم الزوجان الاشياء الأخيرة ولكنهما لم يتجاسرا على لمس اللحاف الذى غطياه بقطعة قماش كبيرة ووضعاه بعناية فوق الصندوق. ولم يستخدماه حتى عندما كانت فقرات ظهريهما ترتعش من البرد القارس.

بقيت باك روك كوم فى جيش حرب العصابات فى وانغتشينغ بعد ان جرى نقل زوجها الى فوج آنتو المستقل كآمر فصيلة فى سريته السابعة، وسمعت الاشاعة القائلة ان وحدة زوجها ستنضم الينا، فقررت المجىء الينا. وقبل ان تغادر البيت، أرادت ان تقدم اللحاف لأبيها، ولكنه رفض ذلك قائلا انه عليها ان تحمله معها لانه هدية لا تقدر ارسلها القائد كيم الى الزوجين.

وهكذا، وصلت باك روك كوم وهى تحمل تلك الحزمة على رأسها مما دفع رفاقها الى اطلاق لقب "بالة الحرام" عليها. وقد كانت تبدو ظاهريا ذات طبع منغلق؛ ولكنها كانت مع ذلك حذرة وطيبة القلب. ولكونها اجتماعية وحسنة المعشر، فقد كانت مناسبة للقيام بالنشاطات السرية.

وقد اخذنا ذلك بعين الاعتبار، فأرسلناها فى اوائل عام ١٩٣٧ الى سينسينغتشون فى محافظة تشانغباى، كعاملة سياسية سرية، للقيام بمساعدة كوون يونغ بيوك ولى زى سون بلم شمل نساء شانغكانغتشو فى المحافظة نفسها ضمن صفوف منظمة جمعية استعادة الوطن. وللاسف الشديد، تم القاء القبض عليها وزجها فى السجن اثناء ادائها المهمة بمسؤولية.

وفى السجن، اعترفت بانها قد نفذت عمليات كان آخرون قد قاموا بها، تماما مثلما فعل لى زى سون، واتاحت بذلك اطلاق سراح عدد كبير من الثوريين. وحين كانت ترى رفاقها يسقطون فاقدين الحماس على ارضية الزنزانة، وهم ينزفون من التعذيب، كانت تساعدهم على النهوض وهى تترنم بأغنيات ثورية.

وعند نقلها من مركز الشرطة فى هيسان الى سجن هامهونغ، تم حبسها فى زنزانة واحدة مع سجينة مصابة بالسل كنيتها كيم، وكانت معتقلة لتورطها فى حادث جمعية الفلاحين فى زونغبيونغ. وقد اراد العدو رؤيتها تموت بالعدوى بالمرض الخبيث. وبدلا من ان تهتم باك روك كوم بصحتها، راحت تعتنى بالمريضة التعسة وكأنها من اقربائها.

وبعد فترة من الزمن، خرجت المعتقلة الاخرى من السجن بكفالة، وكانت عدوى مرضها قد انتقلت الى باك روك كوم. وقد ذهب ذوو المريضة كيم الى السجن حاملين اليها السترة الحريرية وكعك الأرز عرفانا منهم بالجميل الذى قدمته لابنتهم، ولكن سلطة السجن لم تسمح بتسليم تلك الاشياء اليها. هذه الفدائية الكريمة العملاقة التى عرفت كيف تكرس نفسها للآخرين، فارقت الحياة فى زنزانتها بفعل المرض، دون أن تتمكن حتى من تلقى تلك الهدية التى اعدتها لها الاخرى وضمختها بالدموع وهى على فراش الموت.

وكان بين رفيقاتنا كذلك ما كوك هوا، شقيقة ما دونغ هى. وبينما كنا نعمل فى تشينتاو الغربية، انضمت الى جيش حرب العصابات فى بينغانغدى التابعة لشيتشيداوكو، وذلك بتأثير من كيم سى اوك العامل السياسى السرى فى وحدتنا. اذ كان معلمها وخطيبها. وقد تعاهدا على الزواج بعد تحرير الوطن، فتركا كل شؤونهما للمستقبل، وانهمكا فى الثورة وحدها.

وفى أحد الايام، حين كانت ما كوك هوا تعمل كطاهية، لاحظت نقص طبقين من حساء الذرة اثناء توزيعها الطعام على رفاقها فى السلاح. ففكرت حائرة بالشخص الآخر الذى سيحرم من الوجبة فضلا عنها، وقررت ان تقنع خطيبها بالتخلى عن وجبته.

استدعته الى خارج الثكنة وقالت له:

"اعذرنى يا سى اوك. لا يوجد طعام لك هذه الليلة. ارجوك أن تعذرنى."

"ماذا تقولين؟ من الطبيعى أن اتخلى عن وجبتى اليوم. ولكننى انبهك مسبقا الى اننى سآكل حصة مضاعفة من الطعام فى كل وجبة بعد التحرير."

قال لها سى اوك هذه الكلمات مازحا، ثم ابتعد عن المكان والاشراقة بادية على وجهه.

لم تستطع الفتاة النوم فى تلك الليلة، فقد كان قلبها يتمزق ألما لان خطيبها لم يتناول شيئا سوى الماء. ولكنها لم تفكر بانها هى نفسها لم تأكل أى شىء أيضا.

لقد استشهدا كلاهما دون ان يريا يوم استعادة الوطن.

وقد عثرت رفيقات ما كوك هوا فى جعبتها على قطعة قماش لصنع لحاف وقد طرزت عليها زوجا من طيور اللقلق. كان ذلك من أجل جهاز عرسها، وقد اعدته تحت الأمطار والثلوج التى لا ترحم.

هل هناك فى الدنيا زينة أثمن وأكثر مدعاة للحزن من هذه؟ ما الذى علينا عمله الآن بعد ان استشهدت مناضلتنا فى صحراء غريبة وبقى حلمها تائها دون أن يزهر؟ وقررت رفيقاتها المقاتلات لف جثمانها بقطعة القماش تلك.

لقد استمر وجود السرية النسائية نحو ستة شهور تقريبا، ولكنها خلفت مآثر لم

يسبق لها مثيل فى ذاكرة وطننا وفى الذكريات التى سيتناقلها شعبنا ويتعلمها جيلا بعد جيل.

ان اولئك المناضلات اللواتى وقفن فى مقدمة الثورة وخضن نضالا داميا وهن يحملن السلاح ضد العدو العاتى المتمثل بالامبريالية اليابانية، كن نماذج مشرقة للكوريات المعاصرات وبطلات جديرات بان يتم ابرازهن كنماذج حقيقية فى تاريخ نضال البشرية التحريرى. كما انهن كن رائدات حققن قبل غيرهن المساواة الاجتماعية والاخلاقية وشققن بدمائهن طريق تحرر المرأة فى بلادنا.

لقد شهدت الحقبة الراهنة من عصر حزبنا، حزب العمل، ولادة ما لا حصر له من البطلات والنشيطات المثاليات والمجددات فى العمل ممن ورثن روح بايكدو الثورية والتقاليد النضالية التى رسختها عضوات السرية النسائية فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان. فآن يونغ آى، وزو اوك هى، ولى سو دوك، ولى سين زا، وزونغ تشون سيل وغيرهن من البطلات اللواتى ولدن فى عصرنا، فكرن وعملن بتلك الروح. وهناك الآن ملايين الكوريات اللواتى يشيدن على هذه الأرض، بالحماسة نفسها، حصن الاشتراكية الذى لا يجرؤ أحد على المساس به.

ان فى جيشنا الشعبى اليوم ما لا حصر له من الوحدات النسائية التى تتبنى التقاليد الثورية للنضال المناهض لليابان. كما ان الحرس العمالى الفلاحى الأحمر والحرس الشبابى الاحمر يضمان اعدادا غير محدودة من النساء اللواتى يدافعن بالسلاح عن مواقع الوطن المتقدمة. وبفضل تسليح شعبنا بأسره، هناك اليوم عشرة ملايين امرأة، أى نصف شعبنا، جاهزات للقتال دفاعا عن ارض الوطن فى حالة الطوارئ.

ان سلف هذه الصفوف المسلحة هى بالتحديد السرية النسائية الملحقة بمقر قيادة الجيش الثورى الشعبى الكورى.

٥ـ معسكر جبل بايكدو السرى

في أواخر شهر آب، حين كانت البطاطا المتأخرة فى أوج تفتحها، غادرنا مانجيانغ. وكان قد بدأ جنى محصول الشعير المنتظر بلهفة فى اراضى الوقيد.

كانت الوحدة تتقدم بصمت صوب الجنوب.

وكان رفاقى فى السلاح، ابتداء من المفوض السياسى للفوج كيم سان هو، وحتى جنديى الاتصال الفتيين جدا تشاى كوم سان وبايك هاك ريم، قد أدركوا جيدا الأهمية التى ينطوى عليها تقدمنا نحو منطقة جبل بايكدو.

فقد كان يشكل من الوجهة العسكرية والطبوغرافية حصنا طبيعيا لا يمكن لألف شخص أن يتعدوا بوابته، اذا صح التعبير، طالما هناك شخص واحد يدافع عنه. وهذا يعنى أن الموقع كان مؤاتيا للمدافع، ولكنه غير مؤات على الاطلاق للعدو المهاجم.

لم يكن هناك موقع أفضل من جبل بايكدو لتوسيع نطاق حرب العصابات. ولهذا السبب بالذات، فان يون كوان فى عهد كوريو، وكيم زونغ سو فى عهد سلالة لى، أنجزا فى هذه المنطقة تحديدا المهمة العظيمة فى الدفاع عن البلاد وتطويرها. كما وضع الجنرال نام اى مشروعا عظيما لاشاعة السلام فى الأرض وهو يقف على صخرة بركانية من صخور جبل بايكدو.

وباختصار، كان جبل بايكدو هو المعقل الممتاز الذى لا بد للجيش الثورى الشعبى الكورى أن يستند اليه. ولم تكن اقامة قاعدة من نمط جديد هناك والتقدم الحثيث الى داخل البلاد لتعنى تخلينا عن مسرح العمليات فى منشوريا المليئة حتى ذلك الحين بالكثير من المصاعب. لقد خططنا لاتخاذ الجبل كنقطة اسناد فى القتال، وفى انتقالنا بحرية عبر مناطق شاسعة، وفى اجتياز الحدود الكورية الصينية بالاتجاهين.

وفضلا عن الأهمية التى كنا نعقدها على هذا الجبل الوعر كمعقل عسكرى، فقد أعرنا أهمية خاصة كذلك الى أهمية مغزاه الروحى.

فهو جبل الأجداد فى كوريا، ورمز هذه البلاد الذى بدأ منه تاريخنا الوطنى الباعث على الفخر بامتداده الى خمسة آلاف سنة.

ولمعرفة مدى توقير الكوريين لجبل بايكدو تكفى قراءة ما نقش على احدى الصخور الضخمة بالقرب من بحيرة تشون وعند اقدام قمة زانغكون: "جوسق تنين بحيرة تشون الالهى، حامى جبل بايكدو". وقد نقشها احد المؤمنين بديانة دايزونغكيو أو تشونبولكيو فى أوائل القرن العشرين، حين كان وجود البلاد بحد ذاته عرضة لتهديد خطير. وهذه الكتابة تبتهل الى التنين الالهى ليمنح السلام الأبدى لأهالى هذه البلاد.

وقد ترتب على توقير جبل بايكدو تحديدا، عبادة كوريا ومحبة الوطن.

وكتعبير طبيعى عن هذه المشاعر الوطنية، كنت منذ طفولتى أقدس جبل بايكدو وأحبه محبة خاصة باعتباره جبل الأسلاف. ففيما كنت أصغى الى حكايات عن بو بون نو wوول دو زى فى فترة توسع دولة كوغوريو، أو اردد من الذاكرة أشعارا مهيبة من نظم الجنرال نام اى، أو أقرأ قصصا عن جهود يون كوان وكيم زونغ سو للدفاع عن البلاد وتطويرها، كنت أبقى مشدوها ومفتونا بروح الأسلاف الوطنية المضمخة بروائح جبل بايكدو.

كلما كبرت، كنت اشعر بشوق اكبر فى قلبى نحو الجبل باعتباره رمز كوريا، رمز العمل العظيم لاستعادة الوطن.

ان استقرارنا فى هذا الجبل هو وحده الذى يتيح لنا امكانية استنهاض كل قوى الامة للمشاركة فى حرب المقاومة والتوصل الى الانتصار النهائى. كان هذا هو الميزان، والاستنتاج المشروع للنضال الثورى المناهض لليابان فى النصف الأول من عقد الثلاثينات.

ومن اجل الانتقال من مانجيانغ الى جبل بايكدو، كان يتوجب علينا اجتياز ممر دوغولينغ، وهو عبارة عن منطقة جبلية عذراء تغطيها اشجار ضخمة معمرة، حيث لا يمكن حتى للصيادين المجربين التنقل بسهولة.

كان دليلنا هو كيم زو هيون الذى عاد لتوه من انجاز مهمة ناجحة فى

تشانغباى، وكان قد ذهب اليها قبل ثلاثة شهور من ذلك مع جماعة استطلاع تحت امرته، وقد تقدمت الجماعة نحو جبل بايكدو ومحيطه، ورصدت وضع العدو وطبوغرافية الارض وعرفت ميول أهالى المنطقة، واختارت فى اثناء ذلك الموقع الملائم لاقامة المعسكر السرى، وشقت الطريق لوحدتنا بنجاح.

توغلنا فى أعماق واد بمحاذاة مجرى نهر مانجيانغ، ثم غرقنا بعد ذلك فى كثافة غابة دوغولينغ العذراء. ومع اننا كنا ما نزال فى فصل الصيف، الا ان المناخ فى تلك المنطقة الجبلية الشاهقة كان باردا، وكانت أوراق الاشجار قد بدأت تصطبغ باللون الاحمر.

وبينما كنا نجتاز ممر دوغولينغ الجبلى، تصادف مرور الذكرى السادسة والعشرين ليوم نكبة البلاد.

وفى اللحظات التى كنا نغذ فيها الخطى من مانجيانغ نحو الجنوب ونحن نستبدل أربطة الاحذية المقطوعة باخرى، كان مينامى، الجنرال فى القوات البرية اليابانية يتجه الى سيؤول بعد تعيينه كسابع حاكم عام لكوريا.

فقبل الهجوم على حاضرة محافظة فوسونغ، علمنا من الصحف انه سيحل محل اوغاكى، وتوقعنا انه سيصل الى كوريا فى الوقت نفسه تقريبا الذى سنكون متوجهين فيه نحو جبل بايكدو.

وقد كان لهذا التوافق بين الحدثين تأثير غريب على روحنا المعنوية.

لقد كان العالم بأسره يعرف ان احتلال كوريا من قبل اليابان هو عمل همجى سافر. وكان الاوغاد اليابانيون يؤكدون منذ البداية انه عمل مشروع وعادل، ولكننى أعود واكرر ان "الحاق" كوريا باليابان كان عملا لصوصيا سافرا. ان للصوص فلسفتهم الخاصة، فما ان يستولوا بشكل غير شرعى على ممتلكات الآخرين، حتى يصرون بعناد على اطلاق صفة اللصوص على من يسعون الى استعادة ما فقدوه.

وكما يقول المثل الشائع فان مضرم النار هو أول من يصرخ "حريق"، وهكذا فان الامبرياليين اليابانيين، المعتادين على الدناءة، ابتدعوا تعابير تحقير، مثل "عصابة قطاع الطرق"، أو "خيالة السطو" أو "قطاع الطرق الشيوعيين" ليلصقوها

بجيشنا الثورى الشعبى الكورى، وكل هذه التسميات دون استثناء تنحدر من ذلك المنطق الهمجى.

انه لقانون ان ينقلب كل شيء رأسا على عقب حيث يسود قطاع الطرق فى العالم.

لقد جاء مينامى الدخيل الى سيؤول فى وضح النهار، وكأنه سيد البيت، بينما كان علينا نحن أصحاب البيت الحقيقيين ان ندخل متسللين خلسة الى أرض وطننا، وان نشق طريقنا وسط غابات غير مطروقة. فيا له من وضع محزن!

بعد ان اجتزنا جبل دوغولينغ، قررت تعديل خط سيرنا والتوجه الى جبل بايكدو وذلك بالالتفاف على ضفة نهر آمروك. فقد رغبت فى اللقاء مع سكان المنطقة الحدودية واسماع مواطنينا داخل البلاد صوت رصاصنا.

توقفنا اول الامر فى ديشويكو. وكان فى وحدتنا مقاتل مستجد اصله من تلك المنطقة يدعى كانغ هيون مين، وكان قد عمل عدة سنوات من قبل مع شبان منظمة سرية فى منطقة تشانغباى كان يقودها لى زاى وو وعمى هيونغ كوون. وقد انضم الي الجيش الثورى عندما كنا نعمل فى منطقة فوسونغ. وكان يتردد على هذه المنطقة لمقايضة الابقار بسجائر الافيون الى ان التقى بى عن طريق نشطائنا السياسيين السريين وانضم الى جيش حرب العصابات.

وقد علمت من خلال كانغ هيون مين وجماعة الاستطلاع التى يقودها كيم زو هيون بتفاصيل ميول سكان منطقة ديشويكو.

انها مكان بلغ فيه الوعى السياسى أعلى مستوياته بالمقارنة مع جميع سكان تشانغباى. فقد كانت تقاليد النضال الوطنى المناهض لليابان قد استقرت هناك عن طريق الاستقلاليين منذ انتفاضة أول آذار الشعبية، كما كانت هناك قاعدة جماهيرية مؤاتية، تصلبت جيدا خلال ذلك النضال.

لقد كانت مقرا لوحدة جيش الاستقلال التى يقودها كانغ زين كون، وهى الوحدة التى أقامت هناك مدرسة ابتدائية، مدة الدراسة فيها اربع سنوات، وقامت بتنوير الاطفال والشباب والفلاحين.

وفى اثناء وجودى فى باتاوكو، زارها والدى عدة مرات.

وعندما بدأت حركة جيش الاستقلال تضمحل بسبب حل منظماتها، ظهرت جماعة لى زاى وو الصغيرة فى ديشويكو وقامت بنشاطات عسكرية سياسية وفق برنامج "الاتحاد لاسقاط الامبريالية".

وبعد اعتقال لى زاى وو، اتخذ عمى هيونغ كوون المنطقة كنقطة ارتكاز، ونظم الجماهير فيها وقام بتوعيتها مع تشاى هيو ايل وباك تشا سوك. وبفضل جهودهم الدؤوبة، تشكل فى منطقة تشانغباى فرع اتحاد بايكسان للشباب.

وقد افتتح هذا الاتحاد مركز تدريب سياسى وعسكرى، حيث درب عددا كبيرا من النشطاء السياسيين السريين ومن مقاتلى جيش حرب العصابات المستقبليين.

ولم يتوقف أعضاء الاتحاد عن ممارسة النضال السرى، فى الوقت الذى كانت فيه جماعة الجيش الثورى الكورى المسلحة تتوجه الى داخل البلاد، وقد تعرض عدد كبير من كوادر الاتحاد للاعتقال فى تلك الاثناء.

لقد عقدنا الآمال على هذه المنطقة ذات الجماهير المتنورة والمدربة والواعية ثوريا من خلال عدد كبير من القوميين الوطنيين والشيوعيين.

وصلت الوحدة الى مدخل ديشويكو، ورافقنى كيم زو هيون الى بيت العجوز ريوم اين هوان الذى كان يعتبره رجلا موثوقا مذ كان يعمل هناك مع جماعته الاستطلاعية.

لقد كانت كل اركان منزل ذلك الطبيب الشعبى الريفى تشير الى فقره المدقع. وكان يقال ان اساليبه فى العلاج بالوخز بالابر تحظى بشهرة واسعة، حتى ان الناس كانوا يأتونه على الزحافات والعربات سواء من منطقة ديشويكو أو تشانغباى أو رينتشيانغ، بل ومن الضفة الاخرى لنهر آمروك ايضا لتلقى العلاج على يديه، ولكنه لم يكن يتقاضى مع ذلك حتى ثمن الدواء، ولهذا السبب كانت زوجته كلما ارادت اعداد الطعام، تحمل قرعة مجوفة تحت ملابسها وتخرج لتستدين الحبوب. وكان هذا البيت يذكرنى ببيتنا فى باتاوكو وفوسونغ، حيث كانت تعلق لوحة كتبت عليها كلمة "عيادة".

جس العجوز ريوم نبضى دون أن أطلب منه ذلك، وشخص حالتى على انها

ضعف بسبب الاجهاد المفرط وقلة التغذية، ثم قدم لى بعد ذلك جذر الانسام البرى (جنسنغ). وكان العجوز هو راك يو قبل أن نودعه فى مانجيانغ، قد سلم بعض هذه الجذور أيضا الى زانغ تشول كو وبايك هاك ريم وأشار عليهما بأن يقدماها لى كى أستعيد قواى.

"لقد سمعنا ان مئات الجنود من الجيش اليابانى وجيش منشوكو فى فوسونغ قد تلقوا الضربات من الوحدات المتحالفة المناهضة لليابان التى تقودها ايها القائد كيم، وقد تحولوا الى اشباح فى المقابر، فهل هذا صحيح؟"

هكذا سألنى العجوز.

كانت أخبار الهجوم على حاضرة محافظة فوسونغ قد وصلت حتى الى هناك.

أجبته بنعم، فضرب بكفه على ركبته وصاح:

"مرحى لكم! الآن يمكن لكوريا ان تحيا من جديد!"

بعد فترة من ذلك، جرى اعتقال العجوز واغتياله على يد شرطة ايرداوجيانغ لانه قدم لنا المأوى لليلة واحدة وعشاء مؤلفا من خليط من البطاطا والشعير. ومازلت حتى الآن أشعر بقشعريرة كلما تذكرت ذلك العجوز سىء الطالع. وعندما مررت من هناك فى احدى المرات مع وحدة صغيرة، ذهبت الى قبره لاسكب عليه كأسا من الخمر واقدم له احترامى العميق.

فى اليوم التالى خرجنا باتجاه داديشوى، ونحن نشق طريقنا وسط الندى. وعلى مرتفع كانت القرية تبدو منه عند كعبه، تناولنا طعام الفطور الذى اقتصر على شىء من البطاطا المسلوقة. أمرت لى دونغ هاك، آمر السرية، بان يجهز سارية لكى تنزل الوحدة وهى ترفع راية فى المقدمة وتعزف البوق. لقد أردت ان اظهر للاهالى المضطهدين بذلك قوة وثبات الجيش الثورى الشعبى الكورى.

خرج أهالى داديشوى للقائنا بسعادة وتقدير غير محدودين. قالوا انها المرة الاولى منذ تأسيس القرية التى يظهر فيها فى وضح النهار مئات من جنود الجيش الكورى المزودين ببنادق حديثة وحتى بالرشاش، وهم يرفعون الراية الخفاقة وينفخون البوق ليهز السماء والارض.

أمرت باعداد منصة عرض لتقديم مسرحية للقرويين مثلما فعلنا فى مانجيانغ. وقد اتفقنا على تقديم العرض بعد الغداء، ولكن ذلك كان مستحيلا، لاننا ما ان امسكنا الملاعق لتناول الطعام، حتى انقض علينا العدو فى هجوم مباغت. وقد جرى تبادل اطلاق النار فى تلك المعركة من جانبى حقل شعير ذهبى السنابل.

ومازلت اذكر حتى الآن مدى قلقى من امكانية خسارة تلك الحبوب الناضجة.

كان العدو يتقدم من الجهة الاخرى للحقل، سائرا بين الاثلام. انتظرت الى ان خرجوا من الزرع وأطلقت طلقة اشارة من مسدسى.

قاتل رفاقى يومئذ بمهارة، واوقعوا فى صفوف العدو عشرات الاصابات ودفعوا من بقى حيا من جنوده الى الهرب نحو ايرداوجيانغ. كانت تلك هى معركتنا الاولى فى تشانغباى. وقد كانت الرصاصات التى اطلقناها فى داديشوى بمثابة اعلان لشعبنا وللعدو على السواء بظهور الجيش الثورى الشعبى الكورى فى جبل بايكدو.

عم القرية صخب كأنها فى عيد. بل وجاء الناس من القرى المجاورة للاحتفال بانتصارنا. وقدموا لنا كعكا مصنوعا من البطاطا وشعيرية من النشا، وكان رد مقاتلى حرب العصابات على ذلك التكريم تقديم الرقصات والاغانى. وقد القيت يومئذ خطابا تحريضيا كانت له اصداء واسعة.

وقال لى شيخ عجوز ذو شارب طويل:

"ايها القائد، اصرخ بأعلى صوتك من بايكدو (ليجتمع هنا جميع المتطلعين الى النضال من اجل استقلال كوريا)، وسيتوافد الناس كالسحاب من كل ارجاء أرض الثلاثة آلاف رى. وحتى أنا الشيخ المحدودب الظهر سأكون مجديا فى مهمة ما."

عرفت فيما بعد ان هذا العجوز الذى خاطبنا بتلك الكلمات المشجعة هو "العجوز ذو الحدبة" واصله من سياوديشوى، وكان يعرف "الشيخ ذا الغليون" جيدا. فعندما كان هذا الاخير رئيسا لقسم الاتصالات فى محافظة هامكيونغ الجنوبية، التابع لجماعة كونبى، كان "العجوز ذو الحدبة" آمرا لاحدى السرايا.

قدم لى "الشيخ ذو الغليون" باعتزاز رفيقه السابق فى السلاح الذى التقى به بسعادة بعد اكثر من عشر سنوات من الفراق.

كان الاسم الحقيقى "للعجوز ذى الحدبة" هو كيم دوك هيون. ولكنه كان يحمل اسم كيم سى هيون حين بدأ الخدمة فى جيش الاستقلال. ولم يكن مصابا بالحدب منذ ولادته. فقد كان فى شبابه متناسق الجسم، منتصب الظهر وواسع الصدر. وقد احدودب ظهره نتيجة حادثة جديرة بالتقدير. لقد ولد فى محافظة هامكيونغ وانتقل فيما بعد الى ديشويكو بحثا عن سبل العيش فى تلك الفترة المأساوية التى تلت "الحاق" كوريا باليابان. وكانت القرية تضم مواطنين كوريين مهاجرين يعيشون فى شوق الى قراهم الاصلية ووطنهم الذى غادروه. وما ان تم تشكيل جماعة كونبى هناك للقيام بمهمة استرداد الوطن وتهيئة طريق العودة، حتى انضم اليها كيم دوك هيون دون تردد. ومن اجل الحصول على ارصدة لتلك الجماعة، لم يتردد عن تسليم ابنته الحبيبة ذات الثلاث عشرة سنة الى بيت اناس غرباء لتكون كنتهم فى المستقبل، بل انه سافر من أجل الحصول على الاسلحة الى اراضى روسيا البعيدة الغارقة فى اتون الحرب الاهلية التى شارك فيها.

وقد ادى عمله المتفانى هذا على امتداد اكثر من عشر سنوات الى سجنه لوقت أطول من رفاقه. وكان السجناء مجبرين على ان ينسجوا بأيديهم طوال ما لا يقل عن ١٤ أو ١٥ ساعة يوميا. فاذا ما حاولوا الانتصاب لاى سبب من الاسباب، كانت تنهال على ظهورهم السياط والهراوى الرهيبة. وقد استمر هذا العمل المنهك الذى لا يطاق سبع او ثمانى سنوات، فاحدودب عمود كيم دوك هيون الفقرى الى الابد.

كان يبدو عاجزا ومقعدا، ولكن عقله كان دائم التوقد بحب الوطن وحماسة النضال. وليس من قبيل الصدفة انه كان أول من انضم الى جماعة لى زاى وو المسلحة الصغيرة. وقال انه بعد لقائه مع كيم زو هيون راح ينتظر بلهفة تقدمنا الى جبل بايكدو. ومنذ ان دخل كيم زو هيون الى تشانغباى على رأس جماعة استطلاع، اقام علاقة صداقة معه.

بعد الانتهاء من البرنامج الفنى القصير والقائى الخطاب، أمرت الوحدة بالانسحاب. توسل الينا القرويون أن نمضى معهم ولو ليلة واحدة، وكانوا يسألوننا كيف يمكننا ان نغادرهم ونحن لم نكد نبدأ صداقتنا معهم. فأوضحت لهم السبب الذى

يجعل وداعنا لهم محتما: فنحن لا نعلم متى سيأتى العدو بتعزيزات جديدة ويعود لمهاجمتنا، ولكى نحمى القرية من الاضرار المحتملة، فانه لا بد لنا من الانسحاب.

تقدم "العجوز ذو الحدبة" ليكون دليلنا. أعطيته كراسا يتضمن برنامج النقاط العشر واعلان تأسيس جمعية استعادة الوطن. وكان أول من يتلقى ذلك الكراس بعد وصولنا الى ضفاف نهر آمروك. وبعد وقت قصير من ذلك، ظهرت منظمات الجمعية فى منطقة ديشوى.

وقد انضم العجوز نفسه الى فرع الجمعية فى شيليوداوكو، وهو المنظمة الاكثر صميمية بين عدة منظمات قاعدية قامت فى المكان. ولو اننا كنا قد اقرينا لقب "الفرع النموذجى" كما هو الحال الآن فى الجمعية العامة للكوريين المقيمين فى اليابان، لكان ذلك الفرع هو اول من يتلقى ذلك اللقب. فقد كان يربى كلابا شرسة تمنع بحاسة الشم المدربة لديها جميع العملاء أو الشرطيين من الاقتراب من البيت بحرية. وكانت تلك الحيوانات تتعرف على الاشخاص بدقة مثيرة للذهول. فهى لا تنبح على رجالنا حتى وان كانوا غير معروفين من قبل. وكلما ذهب كيم زو هيون وكيم هواك سيل وكيم جونغ سوك وغيرهم من أعضاء وحدتنا الصغيرة، أو مراسلينا، كانوا يتلقون مساعدة كبيرة من "العجوز ذى الحدبة".

لقد ذهبت كيم جونغ سوك فى احدى المرات الى تسونغكانغتشو فى محافظة تشانغباى لتنفيذ مهمة فيها. وكان فصل الشتاء قد بدأ فى تلك السنة التى وصلنا فيها الى جبل بايكدو. وكان من يذهبون منفردين فى مهمات يحملون معهم طعامهم الذى يتألف عادة من بضع كرات من الارز أو البطاطا المسلوقة، ولا يحملون معهم أى شيء من الارز النيء. وهو ما كان يفعله أيضا مراسلو القواعد المناهضة لليابان فى تشينتاو. فشخص واحد لا يستطيع بمفرده اشعال النار لصنع الطعام، وان كان ذلك ممكنا حين يكون العدد بضعة اشخاص يفرزون بعضهم للحراسة. يمكن اكتشاف امره على انه "شخص جبلى". لقد انطلقت كيم جونغ سوك يومئذ من ياوفانغجى ومعها بضع حبات من البطاطا المسلوقة، ولكنها التقت فى منتصف الطريق بامرأة مسنة وطفل يمضغان أوراق خضار متجمدة. فبكت متحسرة على وضع هذين

الكائنين المأساوى، وقدمت اليهما طعامها، وراحت تجرجر ساقيها المرتعشتين بمشقة مواصلة مسيرتها عبر الدرب الجبلى. وفيما بعد، تذكرت انها لا تعرف كيف تمكنت من الوصول الى بيت "العجوز ذى الحدبة". واضافت انها حين استعادت الوعى رأت الزوجين يبكيان على جانبى فراشها وهما يحملان وعاء حساء وملعقة.

لقد اعتنى بها العجوزان بكل اخلاص، وقدما لها الحساء وعجة العدس الاخضر ودجاجة محمرة كانا يربيانها للاستفادة من بيضها. وحتى بعد تحرير البلاد، كانت جونغ سوك تتذكر مرات ومرات انه لولا تلك العناية القلبية التى لاقتها، لما كان بامكانها العودة الى معسكر جبل بايكدو السرى.

لقد جاء "العجوز ذو الحدبة" عدة مرات الى معسكرنا وهو يحمل مواد تموينية على كاهله بالرغم من معاناته من الحدب. وكان يتحين أول فرصة تسنح له ليزورنى سرا.

وقد كان دليلا لنا أيضا عندما هاجمنا بانجيكو. وبمناسبة الاول من ايار عام ١٩٣٩، حضر الاحتفالات التى اقيمت فى غابة سياوديشوى كمندوب عن الفلاحين، وقد اسعدنا ذلك كثيرا.

فى اوائل عام ١٩٤٢، سمعت خبر موته المحزن بفعل المرض.

لقد بقيت اتذكره بكثرة سواء ونحن فى جبل بايكدو أو فى المراحل التالية.

فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٤٧، علمت انهم مهيئون بدلات خاصة لتلاميذ مدرسة مانكيونغداى لابناء الشهداء الثوريين، فرغبت فى رؤية مظهرهم بهذا الزى، فدعوت عددا من اولئك الفتيان الى بيتى، وكان من بينهم كيم بيونغ سون، ابن "العجوز ذى الحدبة".

وقد زارت كيم جونغ سوك المدرسة فيما بعد، واستدعته جانبا وأهدت اليه قلم حبر كانت تستخدمه وتحتفظ به منذ مرحلة حرب العصابات، وحثته على الدراسة باجتهاد.

وفى شهر آب ١٩٤٩، مثل كيم بيونغ سون أمامى وأمام كيم جونغ سوك وهو يرتدى زيا عسكريا جديدا ويحمل رتبة آمر فصيلة. واوضح لنا انه تم اختياره لتولى

هذا المنصب فى الحراسة. والحقيقة انه كانت تربطنا به روابط فريدة.

ومنذ ذلك الحين لم يبتعد عنا أبدا. فقد قاسمنى الحزن على فقدان الرفيقة جونغ سوك، ورافقنى الى سوآنبو فى محافظة تشونغتشونغ الشمالية، حيث كان مقر قيادة الجبهة، وكان الى جانبى فى القيادة العليا فى كوسانزين بمحافظة زاكانغ. وبقى زمنا طويلا بالقرب منى فيما بعد.

كلما احسست بان روح "العجوز ذى الحدبة" تطوف قريبا منى، ترد الى ذاكرتى على الفور الكلمات التى وجهها الى فى دسكرة داديشوى، والليلة المقمرة التى أمضيتها فى هضبة سياوديشوى.

فى أحد الايام التى تلت اقامة مخيمنا على هذه الهضبة، نقلنا الوحدة الى غابة مادينغتشانغ وتركنا المقاتلين يستريحون. واستلقيت أنا بدورى على العشب لأقرأ كتابا، ولكننى ما لبثت ان غرقت فى نوم عميق أيقظتنى منه أصوات طلقات نارية. كان الاعداء الآتون من شيوداوكو وايرداوجيانغ ينقضون علينا فى آن واحد تقريبا من الشمال والجنوب. وكان من الصعب علينا التمييز بين رجالنا وجنود العدو بسبب كثافة الغابة. وقد رأينا انها أفضل فرصة للاختفاء كالدخان وتحويل هذا الهجوم الى مجزرة دموية يقتل فيها جنود العدو بعضهم بعضا.

تسللنا بهدوء وتسلقنا هضبة شيوداوكو، ورحنا نراقب من هناك كيف يقتتلون فيما بينهم. وكانت تلك هى ما سمى معركة سياوديشوى، المعركة التى راقبناها من بعيد فى مادينغتشانغ.

واذا لم اكن مخطئا، فان تبادل اطلاق النار الكثيف بين الاعداء استمر لثلاث أو أربع ساعات. فقد امتد لوقت طويل جعلنا، نحن المتفرجين، نمل المشهد. واخيرا، أطلقت القوة المتقدمة من ايرداوجيانغ بوق الانسحاب لانها لم تعد تستطيع الصمود على ما يبدو، ثم توقفت القوة الثانية عن اطلاق النار، حين ادركت انها تخوض قتالا فيما بينها.

كانوا يتساءلون أين اختفى مئات رجال جيش حرب العصابات ويقولون ان الرب نفسه يشعر بالحسرة لانه لا يعرف الجواب.

ربما كانوا سيجدون حلا لهذا اللغز فى "تكتيكنا السحرى" الذى كنا نتحول به من حالة الى اخرى. واعتقد انه منذ ذلك الحين بدأت تنتشر على نطاق واسع فى المنطقة الحدودية الاشاعة القائلة اننا بهذا التكتيك نصعد الى السماء وننزل الى باطن الارض أو اننا نظهر ونختفى بفنون السحر.

لم يكن لدى العدو نقالات اسعاف، فاستولى على أبواب كل البيوت فى سينتشانغدونغ ليحمل جثث قتلاه ويولى الادبار مسرعا. وقد اضطر ذلك اهالى القرية الى وضع ستائر من القش بدلا من الابواب لبعض الوقت.

لقد كان لرصاص الجيش الثورى الشعبى الذى انطلق فى داديشوى وسياوديشوى أصداء واسعة بين المواطنين الكوريين المقيمين فى تشانغباى وبين اهالى المناطق الكورية المقابلة لها.

بعد انتهاء المعركة، اعربنا عن اسفنا للاضرار التى لحقت بحقل مزروع بالبطاطا، ولكن احد فلاحى القرية قال:

"على الرغم من خراب الحقل، الا اننى اشعر بالبهجة لرؤية هؤلاء اليابانيين الاشقياء محطمين اكثر من فرحتى برؤية البطاطا ناضجة."

وقد تطوع فيما بعد عدد كبير من شبان منطقة ديشويكو فى الجيش الثورى، فكان ذلك مقدمة لحملة الانضمام الجماعية التى وسعت صفوف الجيش فى منطقة تشانغباى بسرعة.

أصيب العدو بالذهول امام تقدم الجيش الثورى الشعبى الى تشانغباى وتعاظم قوته العسكرية. وعانت الاجهزة البوليسية من موجة استقالات جماعية واسعة لعملائها. وأخذ نظام السيطرة المعادى يتردى فى مهاوى الفوضى العميقة. وقيل انهم فى ايرداوجيانغ كانوا يستخدمون الباب الخلفى للدخول الى قرية الاعتقال الجماعى والخروج منها.

لم يقتصر نشاطنا فى اراضى تشانغباى على العمليات العسكرية وحدها، بل كنا نقوم كذلك بأعمال تنظيمية سياسية لتثقيف الجماهير وجمع شملها. وعن طريق عاملينا السياسيين السريين تم تشكيل منظمات لجمعية استعادة الوطن فى مناطق

ديشويكو ووادى ديانغسى. كما ظهرت مثل تلك المنظمات داخل الوطن.

فقد توالى ظهورها واحدة بعد اخرى فى المناطق القريبة من جبل بايكدو، وكانت كلها تمثل ارضية سياسية صلبة للقاعدة التى ستتشكل عما قريب.

بعد تلك المعركة فى سياوديشوى، قاتلنا فى دونغكانغ بشيوداوكو، وفى لونغتشوانلى بشيسانداوكو، وفى ايرجونغديان بايرشيداوكو ومناطق اخرى عديدة فى محافظة تشانغباى على ضفاف نهر آمروك. لقد كانت المناطق المتاخمة للنهر اشبه بخلية نحل هائجة.

لقد حققنا الهدف من الالتفاف على أحسن وجه. وكان الوقت قد حان لندخل جبل بايكدو ونعشش فيه. مضيت فى اثر كيم زو هيون ولى دونغ هاك الى المنطقة المختارة لاقامة المعسكر السرى. وقد رافقنا الى هناك افراد قيادة الوحدة وعناصر الحراسة وبعض السرايا المقاتلة. اما المتبقون فقد اوكلنا اليهم مهمة اثارة الصخب الآخر لبعض الوقت فى منطقة تشانغباى.

كان كيم زو هيون ولى دونغ هاك وكيم وون سين وغيرهم قد اختاروا وادى سوبايكسو كموقع لاقامة أول معسكر سرى داخل البلاد فى جبل بايكدو. وكان هذا الجبل يشمخ على بعد نحو ١٦ كيلومترا الى الشمال الغربى، وعلى بعد نحو ثمانية كيلومترات كان هناك جبل سونوو، وعلى بعد ستة كيلومترات الى الشمال الشرقى كان يبرز من بين الاحراش الكثيفة جبل كانبايك. ووراء الوادى، كان يمتد جبل مواز آخر يدعى جبل سازا.

لقد شعرنا عند وصولنا الى وادى سوبايكسو بالسعادة نفسها التى يشعر بها المرء عند وصوله الى بيته بعد غياب طويل. فقد مثل ذلك ضمن السياق التاريخى الكبير للثورة المناهضة لليابان انتقال مركز النشاط من منشوريا الشرقية الى جبل بايكدو.

ان عودة المرء الى بيته بعد قضاء فترة من الوقت بعيدا عنه، تشكل بالطبع سببا لاسعاد جيرانه. ولكننا لم نجد مع ذلك حتى جيرانا ينتظروننا فى ذلك الوادى القصى من جبل بايكدو الذى يصفه أحد الشعراء قائلا: "حتى العصافير تبتعد عنه لشدة ما تعانيه من العزلة". لقد استقبلتنا الغابة المضطربة والجدول المتواثب فقط.

أما مواطنونا داخل البلاد فلم يكونوا يعلمون بعد بوجودنا فى وادى سوبايكسو.

ولو اننا مشينا اربعين كيلومترا أخرى بصفوفنا، لكنا التقينا مع اولئك الذين خرجوا للقائنا بأذرع مفتوحة. ولكن، كان بانتظارنا كذلك الدخلاء اليابانيون ببنادقهم المصوبة نحونا. ولولا وجود هؤلاء الاشقياء، لكنا هبطنا مسرعين كالطوفان من جبل بايكدو للقاء شعبنا الحبيب بتأثر بالغ. ولكن هذا لا يمكن تحقيقه الا من خلال المعركة التى زحفنا الى الجبل من أجل خوضها ورابطنا فى وادى سوبايكسو.

لم نكن نتصور على الاطلاق فى ذلك الحين ان هذا الوادى المقفر الذى كان عشا لنا، سيصبح فيما بعد مكانا مهما ذا مغزى تاريخى، يتوافد اليه اناس لا حصر لهم من مختلف انحاء العالم.

ولكى لا نخلف اثرا، كنا نمشى مع مجرى جدول سوبايكسو الذى ينساب محملا بأوراق الاشجار المتساقطة.

ان الزائرين اليوم لا يستطيعون تصور مدى عزلة ووعورة ذلك المكان قبل نصف قرن. عندما وطأته اقدامنا لاول مرة، كان غابة عذراء يتعذر فيها حتى اكتشاف آثار الحيوانات البرية. لكن عزلته ونظافته اكتسبت الآن ايقاعا جديدا بالاوتستر ادات الرائعة التى تذرعها الحافلات السياحية والزائرون، وبالمعسكرات التى تضاهى الفنادق الحديثة والقرى التى أقيمت للغرض نفسه، وطوابير الناس والاغانى التى لا تنقطع فى كل فصول السنة. فمنظره الفريد ومظهره الجدير بان يكون مظهر حصن طبيعى، جعل ذلك الوادى الذى مازال يحتفظ باصالته رغم التبدلات التى طرأت على كوكب الارض، يجتذبنا منذ النظرة الاولى.

حين كنا نعمل فى ماتشون بسياووانغتشينغ، كان وادى ليشوكو، حيث مقر قيادة جيشنا، يبدو لنا مكانا رائعا. فقد كان الوادى سحيقا جدا والجبال شديدة الوعورة بحيث لا يجرؤ الاعداء على التوغل فيه، كما انه كان مؤاتيا تماما للتصدى لمن يصلونه. وكان وادى سوبايكسو مماثلا له تماما من ناحية الطبوغرافيا والهيئة عند نقطة التقاء الجدولين، وتحت قمة سازا فى المكان المختار لاقامة المعسكر السرى. والفارق الوحيد بين الواديين هو ان وادى سوبايكسو كان اكثر عمقا وجمالا. فكلما توغل المرء فى

عمق الوادى، كلما تبدى له انه اكثر عمقا وان جباله اكثر ضخامة، ذلك انها تندرج ضمن احدى سلاسل بايكدو التى تحتضن آلاف وآلاف الجبال والقمم الوعرة.

قبل الغروب، نصبنا خيامنا عند سفح احد الجبال، قبالة قمة زانغسو وعلى ضفاف سوبايكسو، وبتنا ليلتنا هناك.

نادرا ما أنام اكثر من ثلاث ساعات. وحتى عندما كنت أقاتل فى الجبال، كنت استيقظ على الدوام فى حوالى الساعة الثانية لأقرأ على ضوء القنديل، ولكننى لم استطع فى تلك الليلة الاستيقاظ ولا القراءة من الارهاق.

عند الصباح رأيت الصقيع.

ففصل الشتاء فى منطقة جبل بايكدو أطول، والثلج يتساقط فيها اكثر من المناطق الاخرى. وهذا الثلج لا يذوب سريعا، بل يبقى حتى اواخر حزيران أو بدايات تموز، بينما تتكلل ذرى الجبل بثلوج جديدة فى اواخر ايلول أو اوائل تشرين الاول. ويتراكم من تلك الثلوج فى احيان كثيرة ما يزيد ارتفاعا على طول قامة الانسان، ويصبح من الضرورى حفر اخاديد للتنقل. فاذا ما أراد المرء الخروج من المعسكر، توجب عليه ان ينتعل حذاء ثلجيا، والا فانه قد يلقى حتفه بالسقوط فى هوة عميقة فى الثلج.

ومع ذلك، فقد كانت الفصول الاربعة تتوالى أيضا على هذه المنطقة الجبلية القاسية والمهددة على الدوام بالرياح العاتية والثلوج الكثيفة، وقد كان ذلك مفيدا لنا.

فى اثناء معركة لاوهيشان، أكلت للمرة الاولى فى حياتى تشونغتشوى، وهى نبتة تثير شهيتى، فهى ألذ من الخس حين تملأ بالارز وعجينة الصويا. كما تذوقت بيونغفونغ لاول مرة فى حياتى فى بيت لى هون بشيجيوداوكو فى محافظة تشانغباى، وقد كان لذيذ المذاق أيضا.

هنالك تشكيلة واسعة جدا من النباتات الصالحة للاكل تنمو فى منطقة جبل بايكدو، منها: تشونغتشوى فى هضبة دايهونغدان، وبيونغفونغ فى محيط سامزيون، وموسوهاى فى قمة بيكاى. وكان الطهاة يغنون بها وجباتنا الصيفية، نحن "اهالى" جبل بايكدو.

خلال حياتنا المستقرة فى المعسكر السرى، كان الطهاة يزرعون حتى الخضروات بالقرب من مرج النجيل؛ فكان الخس والسوكات يعطى محصولا جيدا، بينما لم يكن الملفوف واللفت كذلك.

وبين الحين والآخر، كنا نأكل اسماك السانتشونو(٠) التى نصطادها من جدول سوبايكسو. وقد كانت اعداد هذه الاسماك ضئيلة جدا فى ذلك الحين، ولكنها ازدادت كثيرا اليوم بفضل العناية بتكاثرها.

فى احد الايام التى تلت وصولنا الى المنطقة التى اقيم فيها المعسكر السرى، رحت اتجول فى انحاء المعسكر مع اعضاء القيادة. وقد اوليت اهتماما كذلك لمواقع نصب الخيام التى اقترحها اعضاء فريق الاستطلاع. ثم دعونا الآمرين الى اجتماع قومنا فيه المسيرة الطويلة من نانهوتو ودرسنا بالتفصيل المهمات المباشرة التى يتوجب علينا انجازها فى جبل بايكدو وتوزيعها على السرايا.

ما ناقشناه فى الاجتماع تم نقله الى حيز التنفيذ على الفور، وهو يتلخص بما يلى: التعجيل باقامة القاعدة، وهى المهمة الاكثر الحاحا. وكانت تتألف من شقين: اقامة المعسكر السرى، وتشكيل المنظمة. وبكلمات اخرى، فان اقامة القاعدة فى منطقة جبل بايكدو كان يعنى تأسيس المعسكرات السرية وبناء المنظمات الثورية السرية بين الاهالى فى المناطق الواقعة عند سفوح الجبل.

لقد كان ثمة فرق واضح فى الشكل والمضمون على السواء بين منطقة حرب العصابات التى أقيمت فى منشوريا الشرقية فى النصف الاول من عقد الثلاثينات وقاعدة جبل بايكدو التى انشئت فى النصف الثانى من العقد نفسه. فالاولى كانت قاعدة ثورية ثابتة ومفتوحة، ونقطة ارتكاز اساسية لنشاطات حرب العصابات، بينما كانت الثانية سرية وتضمن النشاطات العسكرية والسياسية بمعسكراتها السرية ومنظماتها الثورية السرية.

---

(٠) السانتشونو: نوع من اسماك المياه العذبة، لحمه لذيذ الطعم. وهو يعيش فى المياه الباردة – المترجم

في الحالة الاولى كان الاهالى يعيشون فى ظل سياسة الحكومة الثورية الشعبية، وكنا نكرس جهودا كبيرة للدفاع عن الارض، اما فى الحالة الثانية، فكان الاهالى المنضوون الى المنظمات السرية يخضعون ظاهريا للعدو، بينما كانوا يتحركون فى الواقع حسب ارشاداتنا وخطوطنا، ولم تكن هناك حاجة لقوى كبيرة من اجل حماية القاعدة.

وبهذا أصبحنا فى وضع يسمح لنا بتطوير عمليات حرب العصابات فى مناطق شاسعة. أى ان تبديلنا شكل القاعدة اتاح لنا احتلال موقع يمكننا من أخذ زمام المبادرة فى الهجوم. وهذا يعنى أن مجال عملياتنا كان يتسع طردا مع اتساع القاعدة.

خططنا لتوسيع نطاق عملنا الى عمق البلاد، بالعبور من خلال منطقة تشانغباى الشاسعة، ثم بعد ذلك عبر هضبتى بايكمو وكايما وسلسلة جبال رانغريم باتخاذ معسكر جبل بايكدو السرى مركزا لنشاطنا، ثم نقل لهيب الكفاح المسلح على المدى البعيد الى بقية ارجاء كوريا من الشمال الى الجنوب، عبر الوسط، فيما نحن ننشط بناء المنظمات الحزبية وحركة الجبهة المتحدة وندفع الاستعدادات بقوة لشن حرب مقاومة تشمل الامة بأسرها.

أضحى تشكيل شبكة المعسكر السرى والمنظمات السرية مسألة ملحة يتقرر فيها مصيرنا فى الحياة أو الموت، وبالتالى انتصار الثورة المناهضة لليابان أو اخفاقها، وقد استدعى حل هذه المسألة اعطاءها الاولوية المطلقة. طرحنا مسألة اقامة المعسكر السرى كواجب أولى، ووزعنا المهمات على الوحدات بناء على ذلك. اوكلنا مهمة الحصول على المؤن والملابس الى كيم زو هيون.

فاقامة المعسكر والحفاظ عليه يتطلب ببساطة حل مسائل الطعام واللباس والمأوى التى تواجهنا.

وتلقت سرية لى دونغ هاك التكليف المهم بالكشف قدر الامكان عمن يستطيعون المساعدة فى تشكيل شبكة المنظمات السرية، والقيام بعمليات عسكرية لبث الحماسة فى الشعب وتوجيهه للانضمام الى القضية الاسمى المتمثلة باستعادة الوطن.

ولم يتأخر القائدان فى مباشرة العمل. فقد انطلق كيم زو هيون ولى دونغ هاك

مع سريتيهما. وبعد ان ارسلت جنودا آخرين من جيش حرب العصابات الى اماكن عديدة وكلفتهم بمهمات خاصة، توجهت الى وادى كومويغول مع عناصر الحراسة وعدد من افراد الفوج السابع. فقد كان علينا ان نلتقى هناك مع الوحدة الرئيسية التى افترقنا عنها فى قرية هوانغكونغدونغ.

لقد تركت المسيرة من وادى سوبايكسو الى كومويغول اثرا عميقا فى نفسى. فقد خلب لبى منظر جبل سونوو وشلال سامدان؛ وقد كانا بالفعل معلمين فاتنين ورائعين. لقد ضيع الموكب الذى يرافقنى وقتا طويلا فى البحث عن الممر. ولست انسى ما حدث عند ينبوع حمة داجى. فقد فقدنا الاتجاه، وامضينا اكثر من ساعتين وسط بحر من الاشجار دون ان نتمكن من العثور على المخرج، ولهذا أرسلت جماعات استكشاف فى عدة اتجاهات، وقد عادت جماعة منها ومعها رجل عجوز. قالوا لى انه يعيش وحده عند سفح جبل بايكدو وانه التقى بالجماعة وهو فى طريق عودته من مانجيانغ التى ذهب اليها للحصول على الملح والدخن. قادنا العجوز الى كوخه القريب من ينبوع مياه كبريتية مهيب. كان ذلك الماء ساخنا لدرجة انه لو ألقيت فيه سرطانات لنضجت واحمرت. استحمينا هناك، وغسلنا ملابسنا وطهونا سرطانات أيضا. لقد رأيت فى التلفاز يوما بعض الاسلنديين يستحمون فى المياه الكبريتية فى العراء فى يوم شتائى قارس، فتذكرت اننا فعلنا مثل ذلك فى ينبوع داجى.

تبادلت الآراء مطولا مع الشيخ. سألته لماذا يعيش عند سفح الجبل، فأخبرنى انه كان يعيش من قبل فى منطقة سهلية، ولكنه حينما رأى الامور تسوء ذهب الى جبل الاسلاف.

واضاف الشيخ قائلا:

"لا يهمنى أين سأموت طالما اننى سأنتهى بمذلة كالعبد الذى بلا وطن، ولكننى رغبت فى انتظار الموت هنا، عند اقدام جبل بايكدو. فالمعلم الذى علمنى الرموز الصينية كان يقول دائما انه يتوجب على الكوريين أن يموتوا ورأسهم على جبل بايكدو بعد أن يعيشوا فى احضانه. وهى كلمات عميقة المغزى تستحق ان تنقش على نصب حجرى."

وبينما أنا الاحق نظرة العجوز التى يوجهها وهو مقطب نحو جبل بايكدو، ربما انفتح امامى الدرب الموحل الذى ساره. فغمرنى شعور قوى. لقد اثر بى كثيرا تفكيره بان يعيش عند سفح جبل بايكدو لكى يموت فيما بعد ورأسه مستقر عليه.

عدت أسأله:

"طيب. ما طعم العيش هنا، فى هذا المكان المعزول من جبل بايكدو؟"

"انها عيشة لطيفة جدا. فمع اننى اقضى اياما قاسية وأنا ازرع البطاطا واصطاد اليحامير، الا ان صحتى تتحسن على ما يبدو لانى لا أرى وجوه هؤلاء الاوغاد اليابانيين."

اكدت لى المحادثة معه ان جبل بايكدو هو دعامة قوية لحياة امتنا الروحية، وان اختيارى له كمركز سياسى واستراتيجى للثورة هو أمر صائب ألف مرة. لقد كان ذلك العجوز دون شك وطنيا صلبا، اقام هناك متوحدا وهو فى خريف حياته، دون ان يكون حوله أى جيران. كم أنا متأسف الآن لانى لم أسأله عن اسمه عندما ودعناه!

كان لديه الكثير من الكتب، مثل العجوز "ما" الذى التقينا به فى هضبة لوزوكو. بعد ان انتهينا من الاستحمام فى المياه الساخنة واردنا مغادرة داجى للذهاب الى كومويغول، قدم لى عدة روايات كهدية. وقد أقمنا فى منطقة الينبوع فيما بعد مصحا للجرحى والناقهين.

بعد بضعة ايام من وصولنا الى كومويغول، جاء للقائنا اعضاء الفوج الثانى الذين كانوا يعملون فى منطقة تشياوهى. وكان بينهم كوون يونغ بيوك، وأو زونغ هوب، وكانغ وى ريونغ الذين تبادلت الذكريات معهم.

قالوا لى انهم قد عانوا مشقات كثيرة ليلحقوا بنا. وفى اثناء تقدمهم نحو جبل بايكدو بملابس صيفية ودون تغذية مناسبة فى موسم البرد، هاجموا محطة لقطع الاخشاب وحصلوا منها على عدد من الابقار، وقد جروا رأسين منها حيين الينا. وحين رأيت وجوههم المعروقة وملابسهم البالية، أحسست بالكآبة فى قلبى. وقد ذرفوا الدموع هم ايضا حين عانقونى.

جرى تسليمهم ملابس جديدة، داخلية وخارجية، وطماقات واحذية عمل جديدة، وادوات نظافة كاملة، اضافة الى السجائر والثقاب أيضا.

بناء على اوامر مقر القيادة، اقام كانغ وى ريونغ وباك يونغ سون معسكرات سرية فى مواقع عديدة من كومويغول وهينغشان وهونغتوشان. وقد كانت لديهما المهارة التى تمكنهما من بناء اكواخ تتسع لفوج كامل خلال يومين أو ثلاثة أيام، دون ان يستخدما سوى الفؤوس. وربما كانا اكثر من عمل فى تشييد المعسكرات السرية فى منطقة تشانغباى. وبفضل جهودهما، أصاب الذهول رجال وحدة تشاو غووان حين جاؤوا الى كومويغول وشاهدوا كيف تم بناء مأوى لمبيتهم خلال يوم واحد فقط.

عندما رجعت الى وادى سوبايكسو بعد قضاء بضعة ايام فى كومويغول، وجدت الاكواخ قد بنيت فى عدة معسكرات سرية. وكانت تتوزع هنا وهناك ثكنات للمقاتلين ومقر القيادة، ومطبعة ومشغل خياطة ومراكز للحراسة واخرى للمراقبة والرصد.

منذ ذلك الحين، بدأت تظهر على أبواب كل اكواخ المعسكر السرى مقابض مصنوعة من اظلاف الغزلان، ورغم تفاهة هذا التفصيل، الا انه بقى محفورا فى ذاكرتى كرمز لتلك المرحلة التاريخية. اقول هذا لانه منذ ظهور تلك المقابض على ابواب "بيوت" جبل بايكدو، أى منذ استقرينا فى وادى سوبايكسو، اصبح معسكر جبل بايكدو السرى هو القاعدة الاساسية للثورة الكورية، ونقطة الاسناد المركزية لتوجيهها.

واضافة الى كونه المركز السياسى والاستراتيجى وقلب الثورة الكورية، فقد كان كذلك الموقع الاساسى الذى توضع فيه خطط العمليات، وتنطلق منه مختلف النشاطات ويؤدى دور المؤخرة.

وانطلاقا من معسكر جبل بايكدو تحديدا، انتشرت فيما بعد قواعد سرية لا حصر لها، مثل اذرع المروحة، فى كل ارجاء شمالى كوريا ووسطها.

ومن هناك خرج عدد كبير من النشطاء السياسيين السريين، مثل كوون يونغ بيوك، وكيم زو هيون، وكيم بيونغ، وكيم جونغ سوك، وباك روك كوم، وما دونغ هى، وزى تاى هوان، وانطلقوا الى مختلف ارجاء البلاد ليضرموا شعلة الثورة فى كل اراضى بلاد الثلاثة آلاف رى، كما ان لى زى سون، وباك دال، وباك اين زين

وكثيرين غيرهم من ممثلى الشعب الذين جاؤوا الى الجبل للقائنا، عادوا للتغلغل فى وسط الشعب حاملين معهم بذور الثورة الجديدة. وانطلقت وحداتنا من هناك ايضا الى المعارك. وكان وضع التصورات لمجمل المشاريع الكبيرة والصغيرة المتعلقة بمصير الثورة، يتم التخطيط لها وتنفيذها فى معسكر جبل بايكدو السرى.

كما أقيمت فى الاراضى الكورية والصينية المحيطة به على السواء معسكرات سرية أفلاك.

فقد وجدت فى كوريا معسكرات قمة سازا وجبال كوم وسونوو وكانبايك، وقمتى مودو وسويونزى، وأقيمت كذلك فى تشينتاو الغربية معسكرات كومويغول وديانغسى وايرداوجيانغ وهينغشان وليمينغشوى وفوهوشوى وتشينغفينغ ومعسكرات عديدة اخرى فى منطقة فوسونغ. وقد كنا نرتاد تلك المعسكرات ونستخدمها حسب مقتضيات الضرورة.

لقد كانت معسكرات منطقة جبل بايكدو تؤدى عدة مهمات وواجبات. ففضلا عن دورها كثكنة سرية، كانت تؤدى دور المؤخرة بما تتضمنه من مشغل الخياطة ومشغل اصلاح الاسلحة والمستشفى، اضافة الى كونها نقطة التقاء أو ملجأ للعاملين السياسيين السريين.

وكان مركز تلك المعسكرات فى وادى سوبايكسو.

ولهذا اطلقنا على ذلك المعسكر اسم "المعسكر السرى رقم (١) فى جبل بايكدو" وهو يدعى اليوم "معسكر بايكدوسان السرى" أو "معسكر بايكدو السرى".

ومن اجل أقصى درجات الامن والسرية، كنا نبقى فيه بعض الوحدات الرئيسية فقط، من بينها الاقسام المرتبطة بالقيادة والحراسة، وكنا نقيد ونراقب الدخول اليه والخروج منه بصرامة. أما لقاءاتنا مع الوحدات الاخرى التى كانت لا ترافقنا بشكل دائم أو مع الاشخاص الذين كانوا يأتون الى مقر القيادة من اماكن اخرى، فكنا نجريها فى المعسكر رقم (٢)، أى معسكر قمة سازا، حيث كانوا يستريحون بعد اللقاء معنا، ويتلقون قبل مغادرتهم دورات قصيرة أو تدريبا عسكريا حسب مقتضيات الحال. فكان هذا المعسكر الثانى بمثابة قاعة انتظار واستقبال، وصالة مقابلات ومكان مبيت ومركز دورات قصيرة وتدريبات لاولئك الاشخاص الذين

كانوا يأتون الى مقر القيادة. أما بالنسبة للمراسلين فكنا نجعلهم يسلكون الطريق على امتداد جدول سوبايكسو من مدخل الوادى الذى يحمل الاسم نفسه، والصعود ابتداء من ليمينغشوى، حتى لا يتركوا اثرا خلفهم. ولم نكن نخبر الجميع بموقع المعسكرات، سواء فى جبل بايكدو أو فى محيطه. فما يعرفه الجميع لا يكون سريا.

ومن كانوا يعرفون تلك المعسكرات جيدا هم كيم زو هيون وكيم هاى سان وكيم وون سين وما دونغ هى وآخرون قليلون كانوا يحتكرون تقريبا مهمة المراسلين، وعدد محدود من الآمرين.

وقد كان من حسن حظنا الكبير ان معسكر بايكدوسان والمعسكرات المحيطة به و"قاطنيها" استطاعوا الحفاظ على سرية وجوده حتى تحقيق الانتصار فى الثورة المناهضة لليابان.

لقد كان جبل بايكدو هو "بيتى" فى مرحلة الشباب. وقد عاشت معى هناك "عائلات" كثيرة لا يمكن مقارنتها بأهل بيتى الذى ولدت فيه، وكانوا يتبللون بالامطار والثلوج وهم يحلمون بالوطن الحالى.

لم يبق على قيد الحياة اليوم الا عدد قليل من اولئك الذين سكنوا فى جبل بايكدو، وشاطرونى هناك الافراح والاتراح. وقد حال هذا الوضع دون ان ننجز بشكل كامل وفى الوقت المناسب مهمة نقل التاريخ الثورى لحزبنا ومآثر اولئك الرفاق النضالية المضمخة بتعرجات بايكدو الى الاجيال الصاعدة.

كما اننى لم استطع ان أحدد فى الوقت المناسب موقع معسكر بايكدوسان السرى، لاننى انهمكت فى شبابى بأعمال كثيرة، مثل تأسيس الحزب، والدولة، والجيش، والحرب واعمال الانعاش والبناء بعد الحرب.

لقد طلبت اكثر من مرة من باك يونغ سون ورجاله، حين كان على قيد الحياة، ان يبحث عن آثار معسكر بايكدو السرى من اجل الجيل الفتى؛ ولكنه لم يستطع، وهو النجار السابق الماهر، اكتشاف تلك الآثار رغم انه تمكن من تحقيق ذلك بالنسبة لمعسكرات كومويغول وديانغسى وهينغشان وقمتى تشونغ وبيغاى وموفو التى بناها بنفسه. ولكن هذا لم يكن مبررا للومهم، اذ انهم لم يكونوا هناك.

واخيرا، عثرت على تلك الآثار، حتى وان كان ذلك متأخرا. فقد انتهزت فرصة سنحت لى، فذهبت الى منطقة جبل بايكدو لمشاهدة المعسكرات التى أعيد بناؤها، وفى طريق العودة رأيت بقعة بدت لى مألوفة، بالقرب من جسر سوبايكسو، فأرسلت الكشافين الى هناك. وأشرت عليهم مسبقا ان يبحثوا عن مرج نجيل غير فسيح جدا فى واد تشرف عليه قمة صخرية يزيد ارتفاعها على مئة وستين مترا. واكدت لهم بان الوادى لا يظهر جيدا من خارجه لانه محاط بجبال. كانت المنطقة ما تزال رهيبة وعميقة حتى ان مدير مكتبى ومرافقى العسكرى اللذين ارسلتهما الى هناك لينظرا فى امكانية شق طريق سياحى على امتداد نهر آمروك، عانيا مشقات كبيرة بعد أن ضيعا الاتجاه وسط الغابة العذراء. وقد عثرنا عليهما بعد جهد جهيد بمساعدة سرية من الحرس أرسلتها لهذه الغاية. والواقع ان المنطقة كانت عويصة ومتشابكة بحيث يمكن مقارنتها بمنطقة ميهونجين. لقد تمكن الكشافون الذين ارسلناهم الى وادى سوبايكسو من اكتشاف اشجار نقشت شعارات على جذوعها أولا، ثم اكتشفوا بعد ذلك اطلال بيوت ومعسكرات. وهكذا عاد معسكر بايكدوسان السرى الى الظهور فى وضعه الاصلى امام ورثة ثورتنا.

لقد اصبح جبل بايكدو اليوم مدرسة تعلم روح هذا الجبل، روح رواد ثورتنا للجيل الثانى والثالث والرابع. ان منطقة الجبل الفسيحة تشكل اليوم متحفا ضخما للثورة فى الهواء الطلق.

ومع تقدم مسيرة التاريخ، تصبح قيمته الرمزية اكثر غنى. والحقيقة ان جبل بايكدو أخذ يكتسب منذ النصف الثانى من الثلاثينات مغزى جديدا، فضلا عن قيمته الرمزية السابقة.

ان حمم "الثورة من اجل استعادة الوطن" التى انطلقت من جبل بايكدو، الذى كان بركانا خامدا، شدت انتباه عشرين مليونا من مواطنينا. وحين تجول الكاتب سونغ يونغ فى المناطق التى تأججت بلهيب الثورة المناهضة لليابان، وضع عنوانا لما كتبه عن رحلته يقول: "جبل بايكدو يبدو للعيان من كل الجهات". وكما هو واضح من العنوان، فان جبل بايكدو تحول منذ وصولنا اليه الى بركان ثائر للانبعاث وجبل الثورة المقدس، يتبدى للعيان من كل مكان.

٦ـ الاقطاعى كيم زونغ بو، رجل وطنى

ما ان ظهر الشيوعيون على المسرح السياسى الدولى، حتى رفع محرومو كل البلدان شعار "ليسقط الاقطاعيون والرأسماليون!". وقد خاضت الجماهير الكادحة فى بلادنا أيضا ولزمن طويل تحت هذا الشعار نفسه نضالا صارما ومكثفا من اجل دفن الطبقات المستغلة الرجعية التى تحالفت مع القوى الامبريالية الاجنبية.

بل ان ثمة شخصيات من الفئة اليسارية فى الحزب الثورى الكورى المنتمى الى مجموعة كوكمين، طرحوا فى احدى المراحل مسألة دحر الاقطاعيين والرأسماليين كهدف نضالى لهم وشنوا موجة نشاطات واسعة لتحقيق ذلك.

اعترف بان معارضتهم كانت مثلى الاعلى وهدفى النضالى. فمقارعة المستغلين الذين يعيشون على حساب عرق ودم الآخرين هو مبدأ حافظت عليه بثبات طوال حياتى، سواء فى الماضى أو فى الوقت الراهن. وسأبقى أمقت من يعيشون فى رفاه مبذرين الثروات التى تم خلقها بعرق ودماء مئات ملايين الشغيلة الجائعين.

ان جميع البشر التقدميين فى العالم يتبنون المثل الاعلى الانسانى الداعى الى تحقيق التوزيع العادل للثروات المادية واقامة المساواة الاجتماعية. ونحن نرى ان واجبنا المقدس هو معارضة الدكتاتورية السياسية والاحتكار الاقتصادى والاسفاف الاخلاقى التى تمارسها حفنة من الملاكين واعوانهم وتوجيه الضربة القاضية اليهم.

ولا بد بالتأكيد من التمييز الدقيق فى الممارسة العملية بين مسألة دحر الطبقات الاستغلالية وقضية التعامل مع كل فرد، كل ملاك ينتمى الى تلك الطبقات. ولهذا السبب، لم نكن ابان الثورة المناهضة لليابان نستهدف فى نضالنا سوى الامبرياليين اليابانيين والملاكين الاشرار الذين تحولوا الى عملاء للامبرياليين.

ومع ذلك، كان هناك شيوعيون اقترفوا الاخطاء اليسارية فى معاملة الاقطاعيين والرأسماليين المحليين ذوى النزعة الوطنية المناهضة للامبريالية، لانهم

كانوا يؤكدون فقط على النضال المتعلق بالطبقات المضادة. لقد ظهر فى عدد من البلدان مفهوم خاطئ حول الشيوعية، لانها طبقت سياسة لا تعرف اللين للقضاء على الملاكين، فانتزعت ملكيتهم وقمعتهم دون اساس على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودون ان تأخذ بعين الاعتبار ظروفهم واحوالهم الموضوعية.

وقد استغل المهوسون المعادون للشيوعية ذلك لاضعاف الشيوعية والنيل منها.

لا وجود اليوم فى شمالى كوريا لاقطاعيين أو رأسماليين. والتربية الطبقية التى تعمقت الى اعلى مستوى، تتيح للكوادر المواءمة المناسبة ما بين الخط الطبقى والخط الجماهيرى. ويمكن القول انه قد اختفت النظرة الاحادية الجانب التى ترى ان جميع الاغنياء اشرار، والمفهوم البائس بتوجيه الهراوة نفسها الى جميع من ينحدرون من الطبقات الاقطاعية أو الرأسمالية دون الاهتمام بمن هم فعلا، ودون الاخذ بعين الاعتبار سوابقهم ومآثرهم.

ان الجماهير فى عصرنا هذا تشعر بالسعادة الغامرة حين ترى أو تسمع عن اشخاص كانوا مغمومين من قبل بسبب منشأهم العائلى، واصبحوا يعيشون اليوم حياة متفائلة بعد انضمامهم الى الحزب أو تكليفهم بتولى مناصب مناسبة؛ وفرح الجماهير بذلك هو حالة معنوية مشتركة، لانه ثمرة لا تقدر بثمن جادت بها سياسة حزب العمل الكورى واسعة الاحضان.

اننا نطبق هذه السياسة منذ نصف قرن. ففى مرحلة الثورة المناهضة لليابان، رفع الشيوعيون الكوريون الحقيقيون راية الوحدة الوطنية الكبرى وناضلوا لجمع شمل كل قطاعات الشعب فى قوة واحدة، بغض النظر عن الاختلاف فى المنشأ الاجتماعى والمعتقدات الدينية والممتلكات.

واعتقد ان قصة الاقطاعى كيم زونغ بو تساعد الى حد ما فى ادراك دقيق لمفهومنا حول الاقطاعيين والرأسماليين، ومعرفة الجذر التاريخى لسياستنا الواسعة الاحضان.

لقد التقينا به لاول مرة فى اواخر شهر آب ١٩٣٦. كانت جماعة من المقاتلين

قد خرجت نحو ديانغسى لجمع التبرعات، وعادت فى ليلة مظلمة جدا وهى تقود معها عجوزا سبعينيا وعددا آخر من الاشخاص، اتهموهم بانهم اقطاعيون موالون لليابان. وكنا فى ذلك الحين نعمل بين الجماهير فى قرية ماجياجى التى يسكنها مؤقتا قاطعو الاخشاب، بالقرب من ايرداوجيانغ.

حين قرأت اسم كيم زونغ بو فى قائمة المعتقلين، أصابنى الذهول لتصنيفهم اياه بانه "اقطاعى موال لليابانيين". كان آمر الوحدة الصغيرة التى اعتقله هو كيم زو هيون على ما اذكر، وان كان هناك آخرون يعتقدون أنه لى دونغ هاك حسب ذكرياتهم.

استدعيته وسألته بحزم:

"قل ما هى المبررات التى لديك من اجل القضاء على كيم زونغ بو."

"هذا العجوز يملك ما لا يقل عن مئة وخمسين هكتارا من الاراضى الزراعية. انها المرة الاولى فى حياتى التى اسمع فيها ان هناك اقطاعيا يملك مثل هذا القدر الكبير من الاراضى الزراعية."

"حسن، وما هو القانون الذى يدعو الى القضاء على جميع الاقطاعيين الذين يملكون مئة وخمسين هكتارا؟"

"ما الذى تقولونه ايها الرفيق القائد؟ يقال ان كل ثرى يتسبب فى تقويض ثلاث قرى، واظن ان ثريا كهذا يدمر وحده اكثر من عشر قرى."

أردت أن اعرف اذا ما كانت هناك اسباب اخرى لاعتقاله.

فقال كيم زو هيون ان العجوز مرتبط بعلاقات مع مستشار فرع القنصلية اليابانية الذى جعل منه تاجر اخشاب، ولهذا السبب دعا ايتو، وهو رأسمالى يابانى يقيم فى مكان ما، ربما يكون فى يونغتشون بمحافظة كيونغسانغ الشمالية، واقنعه بان يقرضه مبلغ ستة آلاف ين، واذا كان يملك حتى سيارة شاحنة ويستطيع المتاجرة على نطاق واسع، فالفضل فى ذلك يعود الى الحماية التى يوفرها له الاوغاد اليابانيون.

"هل ثمة شيء آخر؟"

"بالطبع! فالامر لا يقتصر على تهمة واحدة أو تهمتين. يقال انه يشغل فى

الوقت نفسه منصب رئيس جمعية حماية الغابات ورئاسة التعاونية الريفية، وهو يكثر أيضا من زيارة البلدية التابعة لدولة منشوكو. كما ان ابنه كيم مان دو الذى يتمتع بحماية ابيه، تولى لعدة سنوات منصب عمدة ايرداوجيانغ."

سألته عما اذا كانت لديه أى نقطة ايجابية، فاحتار بعض الشىء ولم يجب. فهو لم يبحث على ما يبدو عن معلومات بهذا المنحى، بل انه لم يكن يتصور اننى سأهتم بمثل هذه القضية.

"أى نقاط ايجابية تعنى؟ أوتظن انه يمكن ان تكون ثمة نقاط ايجابية لدى عنصر موال لليابان؟"

لقد كانت اجابات مسؤول الجماعة الصغيرة سلبية من أولها الى آخرها ومغرقة بالنظرة الذاتية. احسست بالكآبة، ليس فقط لانه لم يتخلص نهائيا من العادة المعهودة فى اعتبار النضال الطبقى والروح الطبقية امرا مطلقا، وانما كذلك لانه لا يعرف كيم زونغ بو معرفة عميقة، ولهذا قام باعتقاله مع ابنه بالتهمة الرهيبة "اقطاعى موال لليابان" أو "عنصر رجعى"، على الرغم من اننا حين انطلقنا بمسيرتنا نحو تشانغباى، اعتبرناه هدفا مهما للعمل من اجل الجبهة المتحدة. لقد كان اعتقاله عملا مناقضا لتوجهنا حول الجبهة المتحدة كمناقضته لروح البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن وبرنامجها ذى النقاط العشر.

والاسوأ من ذلك انه ذكر وجود هاتف فى بيت كيم زونغ بو كدليل لاقناعى بالتهمة التى وجهها اليه. فقد قال بحماس: اذا كان قد وضع هاتفا فى بيته، فهذا يعنى انه لم يفعل ذلك لكى يعيش بسلام فقط، وانما ليكون عميلا؛ فبمن سيتصل بالهاتف سوى بالقنصلية أو الشرطة أو بلدية منشوكو الحكومية؟ واذا كان يتصل بهؤلاء الرعاع فليس ثمة مجال للشك بانه يسعى للوشاية بنا. والحقيقة ان امتلاك رجل عادى لهاتف فى بيته آنذاك كان يعتبر ترفا لا يمكن تصوره حتى فى الاحلام.

ولكن على الرغم من ذلك، كان من السخف اعتبار وجود هذا الجهاز مؤشرا على الموالاة لليابان أو وسيلة لتقديم المساعدة للعدو. ولو ان جميع رجال حرب العصابات قوموا الناس بهذه الطريقة، لواجهت سياستنا بخصوص الجبهة المتحدة مصاعب

خطيرة فى الممارسة العملية. فالمشكلة لم تكن تقتصر على كيم زونغ بو وحده.

وقبل ان أؤنب افراد الوحدة الصغيرة التى اعتقلته، كان على ان ألوم نفسى لانى لم أقدم لهم التربية الكافية. فعندما اقمنا اتصالات مع تشانغ وى هوا فى فوسونغ، كان هناك من أبدوا قلقهم لاسباب مماثلة، ولكنهم حين رأوا الزلاقات التى ارسلها محملة بالمساعدات والمبلغ الكبير من المال الذى تبرع به، اضطروا الى الاعتراف بوجود اناس طيبين حتى بين طبقة الملاكين.

ولكنهم عادوا مع ذلك الى تقطيب حواجبهم فى تشانغباى امام اقطاعى يملك مئة وخمسين هكتارا.

لماذا لا يريد هؤلاء الذين اعترفوا بتشانغ وى هوا كرفيق لنا، لا يريدون الاعتقاد بانه يمكن لكيم زونغ بو ان يكون هدفا للجبهة المتحدة؟ هذا يعنى ان تربيتنا فى هذا المجال كانت غير كافية.

بين مختلف القطاعات التى نتحدث عنها، يوجد اناس من مختلف المشارب يختلفون فى سوابقهم وظروف حياتهم، ولا وجود لوصفة واحدة يمكن تطبيقها على الجميع، ولكن لا بد مع ذلك من وجود مبدأ يتوجب ملاحظته فى كل حالة.

فما هو المبدأ الذى اعتمدناه لتقويم الناس فى ذلك الحين؟ انه: تحديد ما اذا كان المرء مواليا لليابان ام مناهضا لليابان، وما اذا كانت لديه روح محبة الامة أم لا. وقد احتفظنا بموقف اجتذاب جميع اولئك الذين يحبون البلاد والامة والشعب ويكرهون الامبريالية اليابانية؛ وكنا نقاتل من يتآمرون مع تلك الامبريالية ساعين الى ملذاتهم وراحتهم الشخصية دون ان يهتموا بما يصيب البلاد والامة والشعب.

انطلاقا من وجهة النظر هذه، اخترنا كيم زونغ بو كهدف للجبهة المتحدة. وخططنا لبعث رسالة اليه لنطلب منه التعاون معنا، أو دعوته الى المعسكر السرى عند وصولنا الى تشانغباى.

"أرى ان تقديراتكم حول كيم زونغ بو نمطية وتفتقر الى الموضوعية. يجب ألا تنظروا الى الناس بمثل هذه السطحية. انكم تعتبرونه مواليا لليابان، بينما هو وطنى فى الواقع. اننى اعرف ماضيه جيدا. انكم تستندون الى ما يقوله شخص أو شخصان

فى ديانغسى لتتخذوا موقفا دون أساس من اناس مثل كيم زونغ بو وكيم العريف، وهذا يشير الى انكم تعرفون مظهرهم ولا تعرفون جوهرهم. اذا كان اقطاعيا خبيثا حقا كما تقولون، فلما اذن اقام اهالى ديانغسى نصبا لمآثره؟ هل تعرفون ذلك؟"

فأجاب أفراد الجماعة انهم لا يعرفون.

أضفت قائلا: لو كنتم تعرفون ماضيه، لما كنتم اتهمتموه بانه اقطاعى موال لليابان؛ اننى أؤكد لكم انه ليس بالاقطاعى الرجعى وانما هو وطنى، وانه يجب ألا تتم تصفيته بل علينا اجتذابه الى جانبنا.

فأجاب كيم زو هيون نادما:

"لم نكن نعرف شيئا من هذا القبيل، ايها الرفيق القائد. لقد اقترفنا خطيئة. سأعتذر من المعتقل باسمى وباسم وحدتى وأعيده الى ديانغسى."

فقلت له:

"لا تفعل هذا، اننى أريد مقابلته. بما ان الامور قد سارت على هذا النحو، فسوف آخذه الى المعسكر السرى واتحادث معه دون حساب للوقت. وسأقدم اليه الاعتذار بنفسى بدلا منك."

فى ذلك اليوم، اخبرتهم بكل ما اعرفه عن كيم زونغ بو لاقنعهم بانه شخص يجدر بنا اجتذابه الى الجبهة المتحدة. وقد انتشرت أخبار حياته السابقة على الفور فى الوحدة كلها.

اذا لم تخنى الذاكرة، فقد ولد فى اوائل عقد الستينات من القرن الماضى تقريبا، لانه كان فى السبعينات من عمره عند وصولنا الى تشانغباى. اما مسقط رأسه فهو قرية تشونغسودونغ بقضاء ويزو فى محافظة بيونغآن الشمالية. وحين كنت أدرس فى جيلين، كان زانغ تشول هو، المتحدر من ويزو، يحدثنى عنه بكثرة وبمحبة قائلا انه قد انضم الى حركة جيش الاستقلال دون ان يأبه لمكانته الاجتماعية. وقد كان ابنه كيم مان دو صديقا حميما فى طفولته لكل من زانغ تشول هو واو دونغ زين فى تشونغسودونغ.

وحين كان جيش الاستقلال يعمل باندفاع فى اراضى تشانغباى، كان هو نفسه آمرا للادارة الجنوبية فى جماعة كونبى. وقد سلم لجيش الاستقلال اقمشة واغذية

ومواد اخرى، منفقا فى ذلك كل الموارد التى يملكها فى بيته. وعندما كثفت جماعة كونى عملياتها، انتج النشاء من البطاطا، وقشر الحبوب فى مطحنة تعمل بقوة الماء اقامها فى ديانغسى، ليوفر الاغذية للجماعة.

وكان بيته بمثابة نزل، ومكان اجتماع فى الوقت نفسه، للاستقلاليين الذين يفدون الى تشانغباى قادمين من جيلين وفوسونغ ورينتشيانغ وباتاوكو وهواتين وغيرها من الاماكن التى يعملون فيها. وهكذا، لم يكن بالامكان التعامل معه دون مبالاة.

كما انه قدم مساهمات كبيرة فى تربية الجيل الصاعد. ففى عام ١٩٢٠ فتح مدرسة خاصة تقليدية فى قرية ديانغسى. ورغبة منه فى رفع قدرات ابناء فلاحيه المحاصصين اكثر من الاماكن الاخرى، حول تلك المدرسة فيما بعد الى مدرسة ابتدائية حديثة تتبع نظام الاربع سنوات، ثم بادر بعد وقت قصير الى اتخاذ اجراء مهم بتحويلها الى ابتدائية زونغسان الخاصة، حيث اصبح التعليم فيها لست سنوات وعدد تلاميذها اكثر من ١٥٠ تلميذا، وذلك بقبول أطفال القرى المجاورة فيها. وكان يدير تلك المدرسة ويدفع اجور المعلمين بما يتقاضاه من الفلاحين المحاصصين. وكانت المدرسة تقدم التعليم الوطنى لتنمية روح السيادة والاستقلال وحب الوطن والامة بين التلاميذ.

كان الفلاحون المحاصصون يدفعون له طوعا وبملء ارادتهم. فيقدمون له كيسا أو عشرة أكياس من الحبوب، آخذين بعين الاعتبار ما يجنونه فى الحصاد، لان كيم زونغ بو لم يكن يحدد كمية الحبوب الواجب تسليمها اليه حسب مساحة الارض وخصوبتها. بل لم تكن لديه عقود لتأجير الارض للفلاحين، اى انه لم تكن هناك نسبة مئوية من المحصول للفلاحين ونسبة اخرى للاقطاعى.

ان المقاتل الثورى المناهض لليابان لى تشى هو، الذى عمل محاصصا عنده فى وقت ما فى ديانغسى قال لنا: لم اسمع ان هناك فى العالم اقطاعيا نزيها وواسع القلب مثل كيم زونغ بو، فحين كنا نزرع ارضه، لم نكن نعرف مقدار الاجر الذى علينا دفعه، وان كنا فى مناسبات عديدة نأخذ قروضا من حبوبه بفائدة، الا اننا لم

نكن نعيدها مع الفائدة مطلقا، ولم يكن يغضب منا أو يلومنا رغم ذلك كله، بل كان يترك كل شيء لمشيئتنا؛ وليس من قبيل الصدفة ان الاهالى أقاموا نصبا لمآثره قبالة بيته؛ صحيح انه كان يملك أراض واسعة فى هضبة ديانغسى، الا ان مردود كل هذه الاراضى كان اقل عمليا مما تدره ارض فى السهل لا تزيد مساحتها على خمسة عشر هكتارا.

وقد كان اهالى ديانغسى يطرون عليه ويدعونه: "عمنا" أو "السيد رئيس القسم" أو "السيد مؤسس المدرسة". والحقيقة ان ذلك كان امرا نادرا.

لقد كان اقطاعيو القرى المجاورة يخشون سلوكه الفاضل. وكانوا قلقين من امكانية ان يتطلع فلاحوهم نحو ديانغسى راغبين فى ان يلقوا المعاملة نفسها. ولهذا كانوا يقولون له بين حين وآخر فى محاولة لثنيه عن اسلوبه ان السماح لفلاحيه بان يدفعوا له ايجار الارض حسب رغبة كل واحد منهم، وليس وفق عقود مبرمة، هو اريحية مفرطة، وانه اذا استمر على هذا المنوال فسينتهى الى الافلاس بعد ثلاث أو أربع سنوات.

ولكن كيم زونغ بو كان يحافظ على هدوئه، ويرد عليهم قائلا: أوتظنون ان افراد اسرتى الثلاثة سيموتون جوعا لعدم وجود عقود؟ عندما يشبع فلاحو قريتى اشبع أنا أيضا وعندما يجوعون أجوع مثلهم، فاذا ما جرى التفكير فى التعاون بنزاهة انطلاقا من هذا المبدأ، فان كل شيء يصبح مفهوما.

ولانه كان ثريا فاضلا، فان البلدية التابعة لدولة منشوكو وكذلك القنصلية اليابانية، لم تكونا تتجرآن على معاملته باستخفاف.

لقد كان بين الاقطاعيين المعتقلين كذلك كيم العريف، وهو شخص وطنى أيضا. وكيم العريف هو اللقب الذى بقى له من خدمته فى جيش كوريا القديمة الحديث. اما اسمه الحقيقى فكان كيم زونغ تشيل.

فمذ كان عمره بضع وعشر سنوات، تقدم بطلب للانضمام الى جيش سلالة لى. وقد التحق فى أحد الاوقات بجيش بيولغى، وهو أول جيش حديث فى بلادنا، وقد تعاطف فيما بعد مع حركة كابسين الانقلابية التى قام بها الحزب الاصلاحى.

كان ذا شخصية متواضعة ونزيهة مثل حطاب ريفى، وكان يجيش بقناعة سياسية ثابتة. وفى اثناء حركة كابو الاصلاحية، كان يخدم فى فوج مكلف بحراسة القصر الملكى؛ ثم انتقل بعد ذلك الى الحامية المحلية، وعند تقويض البلاد التحق بحركة المتطوعين، وحين اخذت هذه الحركة تنهار انتقل الى العمل لتأمين مستلزمات الحياة.

ان كيم العريف هو عسكرى خدم بنزاهة طوال الفترة التى دامها وجود الجيش الحديث فى المرحلة التالية لكوريا القديمة. وقد كان شاهدا على تاريخ تلك المرحلة، اذ عانى بنفسه من عملية انهيار ذلك الجيش، وعايش نكبات كوريا الحديثة التى لا حصر لها. وقد اكد كيم زونغ بو انه على الرغم من خدمته الطويلة وتفانيه فى الجيش لم يستطع الوصول الى مرتبة اعلى من رتبة عريف بسبب انحداره من المناطق الشمالية. فهو ينحدر من كابسان التى كان سياسيو حكومة لى الاقطاعية يمارسون التمييز ضدها ويعتبرونها منفى. وبالرغم من ان الحكومة الاقطاعية كانت تدعو الى اصلاح الجيش والسياسة والى الغاء محاباة الاقارب، الا انها لم تتخل على ما يبدو عن عادة الحقبة السابقة باستبعاد اهالى المناطق الشمالية الغربية من الترقية فى المناصب.

كان لدى كيم العريف عشرة هكتارات من الاراضى الزراعية وعدة ثيران جر، ولكنه على الرغم من ذلك كان وطنيا يحسن التفكير والعمل بشكل تقدمى ومبادر.

ولكنا اذا اكدنا، مع ذلك، على ان اشخاصا مثل كيم زونغ بو وكيم العريف يمكن اجتذابهم الى الجبهة المتحدة، فان الكثيرين كانوا يظهرون استهجانهم، ويتساءلون كيف يمكن عمل ذلك ما داموا يملكون أراض واسعة، وعما اذا كان ذلك لا يعنى "المصالحة بين الطبقات".

فقبل نصف قرن من الآن، حين كانت طروحات ماركس ولينين هى الدليل الوحيد للشيوعيين، كان هناك من يفترون علينا اذا ما حاولنا مد يدنا الى بعض الاقطاعيين، مؤكدين ان ذلك تحريف للماركسية، واذا ما حاولنا التحالف مع هذا أو ذاك من الرأسماليين، اخذوا يرتعشون سخطا ويتهموننا بالهرطقة المغايرة للمبادئ اللينينية. لقد

كان ذلك نتيجة النظرة المطلقة الى الماركسية اللينينية والتعامل معها بطريقة دوغمائية دون الاخذ بعين الاعتبار خصائص بلادنا والواقع الملموس لثورتنا.

اذا ما حللنا المعطيات الاحصائية التى تعكس سيرورة الاختلافات الطبقية وتبدل علاقات ملكية الاراضى فى كوريا قبل التحرير، فاننا سنجد انه كلما ازدادت قائمة الملاكين العقاريين اليابانيين بشكل مفاجئ، كان يتناقص بالقدر نفسه عدد كبار الملاكين الكوريين الذين كانوا يتحولون الى ملاكين متوسطين وصغار أو ينهارون تماما.

لقد هيأ الامبرياليون اليابانيون الميدان لسياسة الحاكم العام التى اتبعوها عن طريق الحفاظ على العلاقات الاقطاعية فى ملكية الاراضى. وفى اثناء ذلك، تحول بعض الملاكين المحليين الذين يتمتعون بحماية الحاكم العام الى اقطاعيين كبار أو رأسماليين مستسلمين، واستطاعوا بفضل مراكمة العقارات ورأس المال من توظيف اموال طائلة فى الصناعة والتجارة. ولكن الغالبية العظمى منهم بقوا ملاكين متوسطين او صغارا.

وكان من الطبيعى ان يميل بعض هؤلاء المتضررين من احتلال الامبريالية اليابانية لكوريا وسيطرتها الاستعمارية عليها، الى التيار الوطنى ومعارضة اليابانيين ولو بشكل سلبى.

والحقيقة انه كان هناك بين الاقطاعيين والرأسماليين المحليين من قدموا مساعدة فعالة للثورة المناهضة لليابان، ومن سلموا كل اراضيهم ومصانعهم بعد تحرير البلاد لكى يتفرغوا لبناء الوطن الجديد كشغيلة عاديين. بالنسبة لهؤلاء الملاكين الواعين الذين يقدرون ازدهار الوطن والامة اكثر من اهتمامهم برفاهتهم الشخصية، لم يكن هناك مبرر سياسى يدفعهم لمعارضة سياسة الشيوعيين، كما لم يكن هناك اساس عاطفى او نفسى يجعلهم يعرقلون الحركة الثورية التى يقودها الشيوعيون.

طبعا، فى طفولتى كنت افكر أيضا بان جميع الاقطاعيين والرأسماليين، دون استثناء، هم كائنات طفيلية تأكل خبز البطالة. ولكننى حين سمعت ان بايك سون هاينغ قد تبرعت بمساحات شاسعة من الاراضى لمدرسة تشانغدوك التى كنت اتعلم

فيها آنذاك، بدأت أفكر بان هناك بين الملاكين أيضا اناسا مخلصين وشرفاء، وانه لا بد من التمييز بين الوطنيين والرجعيين.

وفيما بعد، أفادتنى علاقاتى مع تشانغ وى هوا فى ان أحلل بطريقة نقدية وجهة نظر من يرون انه يجب اعتبار جميع الملاكين هدفا للتصفية، وفى ان ادحض ذلك الموقف نظريا. وقد توصلت من خلال اتصالى بتشين هان جيانغ الى تكوين وجهة نظر اكثر صوابا بشأن الاثرياء.

حسن، ما الذى سيحدث اذا نحن صفينا أو استبعدنا هؤلاء الوطنيين لمجرد كونهم ملاكين؟ ان ذلك سيعنى رفضا لاناس يشاركون فى الثورة وخسارتنا لجماهير واسعة بما فى ذلك ملاكون وطنيون. لان هذه الجماهير ستغض بصرها عن مثل هذه الثورة غير الرحيمة، وسيشعر الخصوم بالسعادة بذلك. ان ادنى خطأ او انحراف فى النضال الطبقى سيؤدى فى نهاية المطاف الى جريمة كبرى تصب فى طاحونة الاستراتيجية المعادية.

وكقائد لجيش حرب العصابات، وجدت نفسى مضطرا الى الاعتذار امام كيم زونغ بو ومرافقيه عن الخطأ الذى ارتكبه مرؤوسى.

ما ان أصدرت الامر الى آمر الجماعة الصغيرة التى اعتقلتهم، حتى سارع لاحضارهم الى غرفتى.

وبصراحة، طلبت منهم المعذرة لان رجالنا اقتادوهم دون احترام فى وقت متأخر من الليل.

لم يرد كيم زونغ بو على ما قلته واكتفى بتوجيه نظرة عدائية وقلقة الى. وهو ما فعله المعتقلون الآخرون ايضا. فكرت بان قلوبهم مثقلة بما يجول فى ذهنهم حول مصيرهم. فأردت التحدث اليهم بنبرة اكثر لطفا، ولكننى لم اتمكن مع ذلك من التواصل معهم. ولم يعد بامكانى مواصلة الحوار فى مثل ذلك الجو الفاتر.

قال كيم زونغ بو بسخرية:

"لست ادرى من تكونون ايها السادة العسكريون، ولكن اذا كنتم من الاستقلاليين أو من قطاع الطرق فافرضوا على المبلغ الذى تحتاجونه لاعالة جيشكم أو ثمن البانغفيو."

وقد دوت كلماته هذه محطمة الجو البارد كالجليد. فأصبح جو الغرفة اكثر توترا. لا شك انهم يعتبروننا استقلاليين أو قطاع طرق.

والبانغفيو هو تكتيك لاختطاف الرهائن كان يستخدمه بكثرة قطاع الطرق والوحدات الصينية المناهضة لليابان، اما ثمنه فهو المال الذى يتلقونه مقابل اطلاق سراح الرهائن. وكان قد جرى اختطاف كيم زونغ بو نفسه مرتين أو ثلاث مرات تعرض خلالها لمضايقات لا توصف.

ركز الاقطاعيون انظارهم على وجهى وبقوا صامتين. وكان يبدو عليهم القلق لتصورهم اننا سنحدد ثمنا عاليا جدا للبانغفيو.

عاد آمر الوحدة الصغيرة للمثول امامى ومعه عشر علب سجائر، واخبرنى انه لم يدفع ثمنها لصاحب الحانوت فى قرية ديانغسى لانه رفض رفضا باتا تلقى الثمن.

نظرت الى الاقطاعيين وسألتهم عن صاحب الحانوت ذاك.

فتدخل كيم مان دو قائلا:

"اسم صاحب الحانوت كيم سى ايل، وهو رجل طيب القلب. انه مقعد وزوجته هى التى تكسب عيش الاسرة بمشقة بطحنها الحبوب للآخرين. لقد رثيت لحالهم، ولهذا اقرضتهم بعض النقود لكى يقيموا حانوتا، وقد وافقوا على ذلك."

حين سمعت ذلك، قلت للآمر مؤنبا:

"يبدو لى انك لم تحسن التصرف مع هذه الاسرة الفقيرة. أوتظن انك احسنت الصنع بعودتك دون دفع ثمن ما اشتريته متذرعا بان صاحب الحانوت لم يقبل اخذ النقود؟"

وعلى الفور تبدل الجو المخيم على الغرفة.

مما لا شك فيه ان الاقطاعيين قد صدموا بذلك، فأخذوا يتبادلون النظرات ذات المغزى ويتهامسون. ظننت بانهم يقولون اننى قد افرطت فى تأنيب آمر الجماعة. لقد كانت فرصة رائعة للتحدث اليهم من جديد.

"اننى أشعر بالذنب لاننى اجبرتكم على المسير فى ليلة مكفهرة كهذه. اننا نرتكب مثل هذه الاخطاء بين حين وآخر، خصوصا واننا مضطرون الى التجول فى اماكن نجهلها. آمل منكم ان تتكرموا وتسامحوا رفاقنا، على الرغم من الخشونة التى عاملوكم بها."

أحسست بانهم قد اطمأنوا.

"حسن، أى نوع من الوحدات العسكرية انتم؟ فملابسكم لا تشبه ملابس قطاع الطرق، كما انها لا تشبه ملابس جيش الاستقلال القديم..."

وبينما كان كيم زونغ بو يقول ذلك، صوب نظره الى بفضول.

فأجبته مقدما نفسى امام أصحاب النفوذ فى تشانغباى:

"نحن الجيش الثورى الشعبى الكورى الذى يناضل من اجل استقلال البلاد."

"أتقول الجيش الثورى الشعبى؟ جيش القائد كيم إيل سونغ الذى لقن الاوغاد اليابانيين درسا قاسيا فى فوسونغ منذ أمد قريب؟"

"اجل، انك على صواب."

"وهل مايزال القائد كيم إيل سونغ هناك؟"

"لا أيها السيد كيم واعذرنى لانى تأخرت فى تقديم نفسى، انا كيم إيل سونغ."

صوب الى كيم زونغ بو نظرة ارتياب، وتمتم وهو يفرقع بلسانه:

"لا تسخر منى لانى شيخ تجاوز السبعين من العمر. كيف يمكن للقائد كيم إيل سونغ ان يكون شابا هكذا وهو الذى يقال عنه انه يعرف كيف يختصر المسافات؟ انه مختلف عنا نحن الرجال العاديين. وهو شخص استثنائى له كما يقال صفان من الاسنان."

فتدخل كيم زو هيون واكد ان من يقف امامهم هو القائد كيم إيل سونغ نفسه.

حينئذ فقط، اقتنع العجوز باننى كيم إيل سونغ، واعرب عن اعتذاره لانه لم يتعرف على من قبل.

ثم هتف متوجها الى كيم العريف:

"ان قائدا شابا أفضل من قائد عجوز."

فأيده كيم العريف بالقول ان قائدا شابا وقويا يكون أجدر بالثقة، خصوصا وان النضال من اجل استعادة البلاد لن ينتهى فى سنة أو سنتين.

ثم واصلنا حديثنا بعد ذلك فى جو ودى حميم.

استفسروا منى حول مسائل كثيرة. وقد حشرنى كيم مان دو فى مأزق عندما سألنى اذا ما كنت قادرا على التنبؤ حقا بما سيحدث فى العالم بعد ثلاثة أيام.

لقد كان سؤالا سخيفا، ولكن على الرغم من الضيق الذى سببه لى، لم استطع رفض الاجابة عنه.

"انها كذبة سخيفة. فكل ما أفعله هو اننى أقوم الوضع بدقة لان جيشنا الثورى الشعبى يحصل فى الوقت المناسب على معلومات صحيحة من خلال الشعب. اننى أومن بان الشعب هو جى كاليانغ(٠). وبعيدا عن مساعدته ودعمه لن نستطيع ان نخطو خطوة واحدة."

"انه لمما يسعدنى ان تعتبر الشعب هو السماء. سنقدم المساعدة الى عملكم العظيم، فكلفنا بالمهمات التى تراها مناسبة."

"الواقع اننا كنا نفكر ونحن نسير الى تشانغباى بان نستشيركم حول هذا الموضوع. اننا نخوض هذا النضال الدامى منذ سنوات من اجل سحق الغزاة الامبرياليين اليابانيين فى سهوب منشوريا القاحلة. وقد بدأنا النضال بأيد خاوية، ولكن الجيش الثورى الشعبى يوجه الآن الضربات الى الامبرياليين اليابانيين فى كل مكان. وكما قلت لكم، فانه لم يكن بمقدور هذا الجيش ان يتحول الى القوات الجبارة الحالية لو لم يكن ينعم بدعم الشعب واحترامه. فمن اجل التغلب على الجيش اليابانى المسلح حتى اسنانه وتحرير البلاد من رجسه، لا بد للامة كلها من ان توحد قواها وروحها. وعلى من يحبون البلاد، سواء أكانوا اقطاعيين أو رأسماليين، ان ينضموا الى مهمة مساندة الجيش الثورى الشعبى."

كل شىء كان يشير الى ان كلماتى تركت تأثيرا قويا لدى المستمعين.

"على كل شخص يحب بلاده ومواطنيه واجب وحق تقديم المساعدة للثورة. واذا كنت أنت ايها السيد كيم زونغ بو قد استصلحت بالنار مئات آلاف البيونغات فى هضبة ديانغسى، فانك فعلت ذلك لكى تساهم فى الحركة الاستقلالية بتقديم المال والحبوب. أليس هذا صحيحا؟ ولهذا اتفق الفلاحون المحاصصون والاستقلاليون كما أظن على اقامة نصب لمآثركم."

---

(٠) جى كاليانغ: استراتيجى عسكرى بارع فى الصين القديمة – المترجم

"اعذرنى ايها القائد اذا سألتك كيف تعرف جيدا ماضى هذا البائس الذى يحدثك؟"

"لقد سمعت باسمك من والدى ومن السادة او دونغ زين وزانغ تشول هو وكانغ زين كون."

"ما اسم ابيك؟"

"اسمه كيم هيونغ جيك. واثناء وجوده فى باتاوكو وفوسونغ كان يتحدث عنك بكثرة."

"آه!..."

قال كيم زونغ بو ذلك، ثم تفحصنى بنظرة غامضة واضاف:

"كيف فاتنى حتى الآن انك ابن كيم هيونغ جيك؟... لقد تحول هذا العجوز الواقف امامك الى انقاض ولم يعد يعرف حتى مسار الاوضاع، لانى أضعت الوقت لسنوات وانا فى الريف دون أن أعمل شيئا. ولكننى اقول لك على كل حال اننى اقمت صداقة عميقة مع ابيك... وحين ألتقى بك الآن على الارض التى ذرعها ابوك وانت تقف على رأس الجيش، أجد نفسى عاجزا عن كبح المشاعر التى تهزنى."

"اننى فى غاية السعادة أيضا لرؤية شخصية وطنية مثلك. لقد اعتقلك رفاقى لانهم لا يعرفون بوضوح ماضيك، وقد أوضحت لهم انك لست بالاقطاعى الموالى لليابان أو الرجعى، وانما انت وطنى. فاذا كنا لا نستطيع اقامة نصب لك مثلما فعل أهالى ديانغسى، فهل من المسموح لنا ان نقترف الخطأ السخيف بتصنيف اقطاعى وطنى ضمن الموالين لليابان؟ لا بد انك فخور بماضيك الذى اسلمت فيه نفسك جسدا وروحا لقضية حركة الاستقلال."

سالت الدموع من عينى الشيخ وكرر الاعراب عن امتنانه:

"لم يعد يهمنى ان اموت الآن بالذات، بعد ان اعتبرتنى ايها القائد كيم اقطاعيا وطنيا."

وفعل ابنه مثله، فحيانى باحترام وهو يحنى رأسه كثيرا. وكان الاقطاعيون الآخرون يتطلعون اليهما بحسد، ولكن بقلق أيضا.

لم يتأخر كيم زونغ بو فى تقدير هذه الحالة المعنوية، وأوضح بوقار وهو يشير اليهم: "الحقيقة ايها القائد ان هؤلاء الاشخاص ليسوا اقطاعيين رجعيين أيضا. اننى اكفلهم بحياتى امامك. فأرجوك ألا تعتبرهم خونة، اذا كنت تثق بى."

"ولماذا لا أثق بمن تضمنهم حضرتك؟ لن انظر اليهم نظرة معادية، ما دمت أنت قد كفلتهم."

هز الاقطاعيون رؤوسهم عدة مرات معربين عن امتنانهم.

وهكذا انتهت المحادثة الاولى التى مازالت حية فى ذاكرتى. ولو ان الامر كان استجوابا لمعرفة جرائم العناصر الموالية لليابان أو اجتماعا لاستنكار أى جريمة اخرى، فربما كنت لن اتذكر الآن بمثل هذه السعادة الحوار الذى اجريته مع كيم زونغ بو والآخرين حتى منتصف الليل فى مهجع عمال الغابات فى ماجياجى، حيث كان يهطل رذاذ من المطر.

لم أسأل أيا منهم عمن كان يستغل فلاحيه المحاصصين وكيف كان يفعل ذلك، او من منهم تعاون مع السياسة الاستعمارية للامبريالية اليابانية، او عن الجرائم التى اقترفها ضد الوطن والمواطنين. بل على العكس من ذلك تماما، ففى ظل القناعة بأنهم غير موالين لليابان، لم نتردد فى الاعراب عن ثقتنا بهم، وبفضل ذلك استطعنا فى تلك الليلة ان نصوب وجهة نظرهم الخاطئة حول الشيوعية.

ولكن محادثتنا فى تلك الليلة لم تكن مع ذلك اكثر من تبادل التحيات، أو لنقل فتح الباب على مصراعيه. وقد ابقينا القضايا الاساسية التى نرغب فى مناقشتها معهم الى مناسبة اخرى. لقد كان هدفنا يتلخص فى توعية اقطاعيى ديانغسى بما يتفق وروح "البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن" وتوجيههم لتقديم المساعدة المادية التى يستطيعونها الى الجيش الثورى الشعبى الكورى، والعمل من خلالهم فى الوقت نفسه على تحويل الشخصيات المتنفذة فى منطقة تشانغباى من مراقبين ومعارضين للثورة اللا متعاطفين معها ومؤيدين ومشاركين فيها. وللتوصل اللا ذلك، كان لا بد لنا من التحادث مطولا معهم.

ومع ذلك، فقد أردت أن اعيد كيم زونغ بو وابنه على الفور اللا ديانغسى.

فى اليوم التالى التقيت مع الشيخ واقترحت عليه ان يعود الى قريته، فمنعنى من مواصلة الحديث وقال بغتة:

"ايها القائد، لقد فكرت خلال الليل بأشياء كثيرة. فاللقاء الذى اجريته معكم قد

تحقق على ما اعتقد بفضل مساعدة أرواح السماء والارض... لقد حاولت منذ زمن بعيد، وعلى مستويات مختلفة، ان أفعل شيئا من اجل البلاد والامة، ولكننى لم اتوصل الى أى شىء يستحق الذكر، والآن فقط ادركت انه لا يمكن انقاذ الامة بالنوايا الطيبة وحدها. هكذا، ومع اننى اصبحت فى المرحلة الاخيرة من حياتى، فقد عصرت دماغى للبحث عن سبيل للمساهمة فى استعادة الوطن وقد وجدته مع القائد، وهذا من حسن حظى دون ريب. يجب على ان ابقى هنا، بينما يذهب ابنى الى ديانغسى ليتولى ارسال مواد المساعدات اليكم من هناك، مدعيا انكم اعتقلتمونى. سيقول للاعداء ان افتداء والده يستدعى منه ان يسلم بضائع الى جيش حرب العصابات، وانه عليهم ألا يغضبوا لنقله الحبوب والاقمشة والاحذية، ولن يستطيعوا هم بدورهم ان يردوا عليه."

لقد بهرنى السيناريو الذى وضعه. وانطبعت كل كلمة من كلماته فى قلبى كتأكيد لضميره.

ولكننى لم استطع الموافقة على طرحه رغم ذلك.

"اننى ادرك جيدا ما تشعر به. ومجرد سماع كلماتك المخلصة يثير حماسة كبيرة فى نفسى. ومع ذلك، فان هذا المكان ليس بالمكان المناسب الذى يمكنك البقاء فيه. فليس هناك مكان لائق لاقامتك، اضف الى ذلك ان الطعام هنا بائس. كما ان البرد سيشتد عما قريب وستتعاظم كثافة حملات (التأديب) التى يشنها الاوغاد الامبرياليون اليابانيون، ولهذا لا بد لك من العودة الى بيتك."

أصر الشيخ على موقفه بعناد. وطلب منى مرارا وتكرارا ألا أحرمه من هذه الفرصة الرائعة للمساهمة فى استقلال البلاد، حتى وان كان لا يستطيع المشاركة فى القتال كرجال حرب العصابات. واخيرا، سمحت له بالبقاء لبعض الوقت، وأعدت ابنه وحده.

اعددنا فى احد اركان المعسكر السرى مكانا لمبيت شخصيات ديانغسى المتنفذة، وقمنا بتقديم الرعاية لهم بكل اخلاص.

وبالرغم من اننا كنا نقيم فى الجبل ونحن لا نملك أى شىء تقريبا، ومع ان الوحدة كلها كانت تأكل الحساء وحده، فقد فتحنا كيس أرز كنا نحتفظ به لحالات

الطوارئ، وقدمناه اليهم. ومع اننا كنا نعطى للمقاتلين أوراق التبغ، فقد قدمنا اليهم السجائر. وقد استقبل كيم زونغ بو هناك عيد ميلاده وعيد رأس السنة القمرية لعام ١٩٣٧. واذا لم اكن مخطئا، فقد كان عيد ميلاده فى أحد أيام الشهر الاخير من التقويم القمرى. لم يشأ العودة الى بيته، واصر على انه لم يفعل ذلك الى ان تصل المساعدات التى سيرسلها ابنه.

لقد أحسست بالذنب حيال كيم زونغ بو وحيال افراد اسرته على السواء. هل هنالك رجل عديم الانسانية يجبر شيخا سبعينيا على الاحتفال بعيد ميلاده فى الجبال، بدلا من اعادته الى بيته؟

لقد سعيت للحصول على أرز ولحوم ومشروبات روحية ومواد تموينية اخرى من عاملينا السياسيين السريين وراء خطوط العدو، وفى يوم عيد ميلاده رافقت جندى الاتصال الذى حمل تلك المواد على كاهله، وذهبت الى المعسكر السرى حيث يقيم كيم زونغ بو. وبالرغم من عدم وجود مأكولات استثنائية، الا اننا اقمنا وليمة على شرفه فى عيد ميلاده لم يسمع بمثلها فى تاريخ الجيش الثورى الشعبى. فنحن لم نتمكن من اعداد مثل تلك المائدة الفاخرة حتى عندما تزوج بعض رفاقنا، اذ كنا نقتصر عندئذ على تقديم الارز والحساء لهم.

حين رأى كيم زونغ بو ذلك، سألنى بعينين مرتابتين:

"لماذا أعددت هذه المائدة فجأة، رغم اننا مازلنا بعيدين عن عيد رأس السنة القمرية؟"

"اليوم هو عيد ميلادك، ويسعدنى ان اهنئك باسم الجيش الثورى الشعبى."

سكبت له كأسا من الخمر وقلت له:

"اعذرنى ايها السيد كيم لانى جعلتك تحتفل بعيد ميلادك فى هذا الجبل البعيد وفى ظروف شتائية قاسية. ان المائدة فقيرة، ولكننى ارجو لك ان تأكل بشهية، آخذا فى الاعتبار نوايانا المخلصة."

تناول الكأس بيده، وانزلقت الدموع على خديه حين قال:

"اننى ارى الجهود الجبارة التى يبذلها رجال جيش حرب العصابات لانقاذ

الوطن السليب وهم يتناولون حساء حبوب الذرة غير المجروشة، فلا أستطيع ازدراد الارز الذى تقدمونه لى ثلاث مرات فى اليوم. ما هى قيمة عيد ميلاد عجوز مثلى فى مثل هذا الجبل؟ لن استطيع نسيان فضلكم وعنايتكم حتى بعد موتى."

"اتمنى لك عمرا مديدا لكى ترى استقلال البلاد."

"ما أهمية ما سيحدث لى أنا العجوز؟ ولكننى اتوسل اليك ايها القائد ان تحافظ جيدا على صحتك لكى تنقذ الامة التى تمر بوقت عصيب."

فى تلك الليلة تحدثنا عن أمور كثيرة.

كان قد حل موسم البرد القارس وهطلت الثلوج بغزارة على الجبال، مما جعلنى أنا نفسى امانع فى عودته الى القرية هذه المرة. فلشدة قلقى من احتمال وقوع حادث له فى الطريق الجبلى المغطى بالثلوج، اقترحت عليه ان يقضى الشتاء فى المعسكر السرى.

وقد اعرب كيم زونغ بو دون مواربة عن انطباعاته خلال الشهور الاربعة التى امضاها فى المعسكر:

"اقول بصراحة اننى كنت انظر بارتياب الى الشيوعيين. ولكننى بدأت اعرف ان شيوعيتكم مختلفة تماما. فهى تميز كذلك بين الاقطاعيين الوطنيين واولئك الموالين لليابان، ولا توجه الضربات الا الى هؤلاء الاخيرين. فمن ذا الذى يعارض شيوعية كهذه؟ ان الاوغاد اليابانيين يصفون جيش حرب العصابات (بقطاع الطرق الشيوعيين)، ولكنهم كاذبون فى ذلك... بينما كنت آكل طعام جيش حرب العصابات، فكرت فى أشياء كثيرة. وقد جددت ما كنت قد عقدت العزم عليه. صحيح اننى لن أعيش سنوات طويلة اخرى، ولكننى سأكرس ما بقى لى فى الحياة للقيام بعمل ذى قيمة. لقد عقدت العزم على ان أموت وأنا أتعاون مع الجيش الثورى الشعبى. ويمكنك ان تثق باننى، أنا كيم زونغ بو، سأكون الى جانبكم فى حياتى ومماتى على السواء."

كان ذلك هو مجمل انطباعاته حول الجيش الثورى الشعبى، وخلاصة تقويمه للشيوعيين الكوريين الذين راقبهم لزمن طويل.

لقد تحول خلال اقامته فى المعسكر السرى الى مؤيد نشط لنا.

وقد كان بين الاقطاعيين الذين اردنا تثقيفهم وطلب مساعدتهم المادية، اشخاص يمقتهم الفلاحون. فضمنهم كيم زونغ بو متصرفا كقدوة لهم، وراقب تحركاتهم بصرامة، ومارس عليهم فى الوقت نفسه تأثيرا جيدا لكى يختاروا طريق الوطنية المناهضة لليابان.

كما تبرع لجيشنا بأكثر من ثلاثة آلاف يوان، وحصل لنا على كميات من الاقمشة والحبوب واشياء اخرى. وقد صنعنا من تلك الاقمشة بدلات عسكرية وسترات مبطنة لجميع مقاتلى حرب العصابات.

وأرسل ابنه من ديانغسى مساعدات وافرة لنا منفذا بذلك التعهد الذى قطعه على نفسه. فبعد عودته مباشرة، حصل على مبلغ كبير من المال ببيعه حوالى عشرة ثيران كان قد تلقاها من البلدية. فقد كانت سلطات المحافظة قد قدمت عشرات الثيران بالتقسيط لاستصلاح الاراضى القاحلة، متذرعة بتوفير الاستقرار لحياة الفلاحين فى ديانغسى. وقد طلب هو نفسه فيما بعد، وحصل على اكثر من عشرين رأسا من الابقار المسمنة جيدا بتوقيعه على عقد تأمين فى بلدية المحافظة، وأرسل تلك الابقار الينا وهى فى منتصف الطريق، بل انه أرسل الينا أيضا آلة خياطة كان يملكها فى بيته.

بعد ان ظهر الجيش الثورى الشعبى فى منطقة جبل بايكدو، شدد الاعداء من مراقبتهم وضغطهم على اهالى تشانغباى. واصبح بيت كيم زونغ بو هدفا لمراقبتهم.

وفى أحد الايام، تم استدعاء كيم مان دو الى مركز شرطة تشانغباى.

"تشير المعلومات المتوفرة لدينا الى انك تقيم اتصالات مع وحدة كيم إيل سونغ وتزودها بمواد كثيرة. تحدث الينا بصراحة عن علاقتك بهذه الوحدة وعن المواد التى أرسلتها اليها."

فتظاهر كيم مان دو بعدم الفهم، وأجاب بمبالغة فى التأثر:

"انتم تظنون اننا على اتصال بوحدة كيم إيل سونغ، وهذا ظن خاطئ. فمثل هذه العلاقة غير موجودة ولا يمكن ان يكون لها وجود، فهل تستطيعون ان تصدقوا ان الجيش الشيوعى سيتخذ عملاء له من بين كبار الملاكين العقاريين أمثالنا؟ انتم

تعلمون جيدا ان ابى معتقل فى المعسكر السرى للجيش الشيوعى، وأنا ابنه وقد ارسلت بعض المواد لانقاذه، فما هو الغريب فى ذلك؟ ان رغبتى الوحيدة هى انقاذ والدى حتى ولو انفقت فى سبيل ذلك كل ما املكه فى بيتى؛ ولو ان هذا الامر حدث لكم، ألا تتصرفون بالطريقة نفسها؟"

وقد اقتنعت الشرطة بحججه واطلقت سراحه.

وكما هو واضح، فان كيم زونغ بو وابنه باعا أراض زراعية واسعة وعددا كبيرا من حيوانات الجر لمساعدة الجيش الثورى.

فالاب الذى أصبح ملاكا عقاريا بفضل استصلاحه للاراضى البور من أجل تزويد جيش الاستقلال بالمواد الغذائية والاموال، قدم كل ما لم يستهلكه هذا الجيش الى الجيش الثورى الشعبى. وليس بالامر السهل ان يتخلى الاقطاعيون والرأسماليون عن الرفاه الذى هو مبرر وجودهم ويقدموا الى البلاد ثرواتهم التى تؤمن لهم ذلك الرفاه. بهذا يتجلى عمق وطنية كيم زونغ بو وعظمة مساهمته فى الثورة المناهضة لليابان. والحقيقة اننى لم اكد أرى طوال مرحلة الثورة المناهضة لليابان اقطاعيا آخر ساعدنا بتلك الروح الوطنية وبذلك القدر الكبير الذى قدمه لنا كيم زونغ بو.

بعد زمن من ذلك، روى فى مقابلة مع مجلة "سامتشونلى" شيئا مما رآه وعاشه فى المعسكر السرى.

وهذه فقرات من تلك المقابلة:

"... كيم إيل سونغ معروف جيدا فى المنطقة الحدودية، وكل من يقرؤون الصحف يتذكرون اسمه.

فمن هو هذا الرجل الذى يقوم بصفته قائدا عاما بتنظيم الهجمات محركا بحرية كاملة مرؤوسيه المنشوريين والكوريين الذين يقارب عددهم من... ... ويشرف على مخابئهم فى الجبال، بينما هو يواجه الجيش بعناد، ويحشد انصاره سرا وهو يحلم بهذا الامر أو ذاك؟

لقد التقى الشيخ كيم زونغ بو بفضول شديد بهذا الرجل الغامض كاللغز.

انه طويل القامة، جهورى الصوت، ومن خلال لهجته يمكن الاعتقاد بانه ولد

فى محافظة بيونغآن. انه مربوع وشاب، عمره أقل من ثلاثين سنة، خلافا لما هو متوقع. وهو يتقن اللغة المنشورية تماما، ولا يستخدم اى ايماءات تدل على انه القائد، بل يرتدى الملابس نفسها التى يرتديها مرؤوسوه ويقاسمهم الطعام نفسه، وكذلك افراحهم واتراحهم، وهو يبدو متنفذا ومتسامحا.

لقد سأل العجوز فى احد الايام برقة:

(كم تعانى من هذا البرد أيها الشيخ؟)

...

(... من منا نحن الشباب لا يرغب فى أن يعيش حياة مريحة فى بيت دافئ؟ فاذا كنا نتحمل هذه المصاعب ونحن نأكل حساء الشعير وحده احيانا، وقد لا نحصل عليه فى احيان اخرى، فان السبب فى ذلك هو... اننى رجل أيضا لى دموعى ودمى وروحى، ولكننى رغم هذا البرد الشتائى القارس، اجد نفسى مضطرا للتجول فى هذه الانحاء.)

وعلى عكس ما يمكن تصوره، كان صوته رقيقا وسلوكه غير عنيف، على عكس زعماء قطاع الطرق.

هدأ من روع العجوز كيم مؤكدا له انه سيعيده الى بيته عند قدوم الربيع، لان السفر غير ممكن قبل ذلك بسبب البرد والثلج، واصدر أوامره الى السجان ليعامله معاملة خاصة..."

لقد كتب هذا المقال ريانغ ايل تشون، تلميذ باك اين زين فى هيسان. وأرى ان كيم زونغ بو اجاب بطريقة صريحة وجريئة نسبيا على اسئلة الصحافة الخاضعة لرقابة السلطات اليابانية. ومن المثير للاعجاب ان تتمكن مجلة "سامتشونلى" من نشر هذا الموضوع رغم الرقابة الصارمة التى كانت مفروضة على اخبار تحركات الجيش الثورى الشعبى.

علمت فيما بعد انه انتقل الى هاماتانغ فى وانغتشينغ، عملا بنصيحتى، ومات هناك دون ان يرى يوم التحرير.

لقد اصبح عمرى اليوم اكثر من ثمانين سنة، بينما كنت فى ذلك الوقت شابا فى العشرينات من عمرى. وهذا يعنى ان عمرى الآن يزيد نحو عشر سنوات عن عمر

كيم زونغ بو فى ذلك الحين. وفى هذه السن، أستطيع أن اتصور بدقة اكبر مدى معاناته فى معسكر جيش حرب العصابات السرى، وأشعر كما لو اننى اتذوق تلك المعاناة بنفسى. فعلى الرغم من اننا قدمنا له الرعاية بكل اخلاص، الا انه لا بد بالتأكيد من ان يكون قد فاتنا شىء ما. فمازلت حتى اليوم أشعر بالضيق لاننى لم استطع ان أقدم له مهجعا اكثر راحة وغذاء أكثر غنى.

بل اننى لم انقل جثمانه الى الوطن ولم أقم نصبا على قبره.

حين اعود بذاكرتى الى الوراء، عندما وطئنا باقدامنا جبل بايكدو لأول مرة، اجد اننا كنا فى اوضاع بالغة الصعوبة. فلم يكن لدينا نقود ولا أرز ولا اقمشة ولا أى شىء آخر. وقد زودنا كيم زونغ بو بكميات كبيرة من هذه الاشياء. لقد كانت هدايا لا تقدر من احد رواد حركة الاستقلال الى ابناء وبنات كوريا الحقيقيين. انها مساعدة لا يمكننى نسيانها الى الابد.

ان الوعى والعمل الوطنيين لملاك واقطاعى كبير مثل كيم زونغ بو، قد شكلا مساهمة لا يستهان بها من اجل التعجيل بالاستعدادات لحرب مقاومة الامة بأسرها ضد الامبريالية اليابانية، ودعما نشيطا لقضيتنا. ففى عقد الثلاثينات، وعلى العكس مما كان عليه الحال فى العشرينات، أصبحت حرب المقاومة المسلحة تشكل تيارا رئيسيا لنضال التحرر الوطنى المناهض لليابان، وأصبحت مساعدة الاقطاعيين والرأسماليين المادية والمالية والروحية لنا تعنى مغامرة خطيرة قد تؤدى الى الموت. ولكن كيم زونغ بو أقدم على مساعدتنا رغم ذلك كله.

وهنا بالتحديد يكمن السبب الذى جعلنا نعتبره وطنيا، ولا ننساه رغم انقضاء عشرات السنين.

فى النصف الجنوبى من أرض بلادنا، مازال يوجد اقطاعيون ورأسماليون. وهناك بينهم اثرياء كبار جدا. ومما لا ريب فيه ان ثمة ملاكين رجعيين، ولكن هناك بينهم ايضا الكثير من الوطنيين.

كيف سيكون موقف وسلوك الشيوعيين الكوريين تجاههم فى دولة اتحادية موحدة؟ لمعرفة الجواب يكفى الاطلاع على قصة الاقطاعى الوطنى كيم زونغ بو.

الفصل الرابع عشر   قاطنو تشانغباى

(ايلول ١٩٣٦ – كانون الاول ١٩٣٦)

١ – تشينتاو الغربية

منذ قديم الزمان والناس يطلقون اسم تشينتاو أو تشينتاو الشمالية على عدة محافظات الى الشمال من نهر دومان، والى الشرق من جبل بايكدو، ويطلقون اسم تشينتاو الغربية على المنطقة الواقعة الى الشمال من نهر آمروك، إلى الغرب من جبل بايكدو نفسه.

وتشينتاو الغربية هى منطقة ذات مغزى تاريخى ترتبط بنشاطات الجيش الثورى الشعبى الكورى فى النصف الثانى من عقد الثلاثينات. وقاعدة جبل بايكدو التى نتحدث عنها تتضمن تشينتاو الغربية وعدة مناطق داخلية من كوريا يشكل الجبل مركزا لها. والى جانب المعسكر السرى الذى أقامه الجيش الثورى الشعبى فى أحضان الوطن، تحتل منطقة تشينتاو الغربية الفسيحة مكانة هامة فى قاعدة جبل بايكدو. فإذا أخذنا هذا الوضع بعين الاعتبار، فاننى أظن أنه لا غضاضة فى إطلاق تسمية قاعدة تشينتاو الغربية على الجهة الصينية منها.

لقد كان البعض يطلقون عليها من قبل اسم قاعدة تشانغباى، وهى تسمية غير دقيقة، لأنها تدفع الى البلبلة عند تحديد منطقة قاعدة جبل بايكدو والخلط بين تشانغباى وغيرها من مناطق تشينتاو الغربية. وأكرر القول أن هذه القاعدة لم تكن تقتصر على تشانغباى، وانما كانت تضم كذلك عدة محافظات من تشينتاو الغربية

موزعة على أعالى مجرى نهر سونغارى والضفاف الشمالية لنهر آمروك، إضافة الى مناطق شاسعة داخل كوريا مركزها منطقة جبل بايكدو.

لقد كان النصف الثانى من الثلاثينات فترة ازدهار خاصة بقيت منقوشة بحروف من الذهب فى حوليات النشاطات العسكرية والسياسية للجيش الثورى الشعبى الكورى. فبعد اقامة عشرات المعسكرات السرية فى منطقة جبل بايكدو، وباتخاذ تشينتاو الغربية مسرحا لعملياتنا، بدأنا نسعى لتنفيذ المهمات الاستراتيجية الجديدة التى جرت مناقشتها واقرارها فى اجتماع نانهوتو. ومنذ ذلك الحين، صارت تشينتاو الغربية هى المكان الذى كانت تدور فيه معظم المعارك، وأكثر المناطق التى تسمع فيها قعقعة البنادق والمدافع.

لقد قلت مرات كثيرة أنها منطقة لطيفة. وهذا يعنى دون شك أن مناظرها الطبيعية فاتنة، ولكن الأهم من ذلك هو كرم أهلها وسعة صدورهم. إذ لا يمكن القول عن مكان انه لطيف إذا كان سكانه سيئى المعشر، مهما بلغ جمال مناظره الطبيعية. أما إذا حدث العكس، وكان الاهالى طيبين، فان المكان يكون لطيفا حتى ولو كان أرضا قاحلة لا تنبت فيه الأشجار ولا الأعشاب جيدا.

فى ذلك الحين، كان يقطن تشينتاو الغربية عدد كبير من الكوريين. كانوا مهاجرين يعانون مشقات حياتهم البائسة وهم يتغذون على البطاطا التى يجمعونها من حقول الوقيد، ويستمعون على ضوء قناديل الزيت الى قصة الملك دانكون، مؤسس أول دولة فى بلادنا، أو الى "قصة أون دال" فى الدساكر التى شيدوها هم أنفسهم على الهضاب أو فى الأودية القاحلة، والتى كانوا يطلقون عليها أسماء قراهم الأصلية، مثل فونغساندوك وكابساندوك وكيلزودوك وميونغتشوندوك وأسماء أخرى مماثلة.

وكان معظم الإقطاعيين هناك من الصينيين. ونادرا ما كان يوجد إقطاعيون كوريون، ولكن بالنظر الى نطاق ملكيتهم، كان يمكن اعتبارهم جميعا من صغار الملاكين الذين لا يتعدون كونهم فلاحين أغنياء.

وكان يسكن تشينتاو الغربية أولئك المواطنون الذين هاجروا وتركوا وطنهم، بشكل عام، للبحث عن سبل العيش، أو شخصيات وطنية ممن انطلقوا بعد الاحتلال

اليابانى على طريق حركة الاستقلال لوضع حد لعار الحرمان من الوطن.

فى جميع دساكر مزارعى أراضى الوقيد فى تشينتاو الغربية، كنا نجد استقلاليين سابقين ومعاونيهم. وكنت قد قلت من قبل أن كانغ زين كون القائد المجرب فى جيش الاستقلال عاش فى محافظة تشانغباى، وأن هونغ بوم دو، واو دونغ زين، ولى كوك رو كانوا يرددون على هذه المنطقة مرورا بكوانديان وفوسونغ وآنتو. وكان خالى كانغ جين سوك قد نظم فى رينتشيانغ جماعة بايكسان المسلحة لمواصلة العمل هناك.

كما كان يعيش فى تشينتاو الغربية الكثيرون ممن قدموا مع أسرهم من أماكن شتى فى كوريا بعد اخفاق حركة الجمعية الفلاحية التى شاركوا فيها. وقد أقاموا المدارس الليلية فى كل دساكر تشانغباى تقريبا من أجل تنوير الجماهير الشعبية. وكان عدد كبير من الثوريين المشهورين فى المنطقة يتسترون بمهنة التعليم، ومن هؤلاء لى زى سون، وتشاى كيونغ هوا، وزونغ دونغ تشول، وكانغ دون، وكيم سى أوك وغيرهم. كما كانت توجد هناك عدة مراكز تعليمية كورية خاصة، أقامها المهاجرون والشخصيات الوطنية المتنفذة، وكانت تلك المراكز تعلم التربية الوطنية بشكل أساسى. وقد أدى تنوير الجماهير فى المدارس الليلية وتربية الشباب والأطفال فى المدارس الخاصة إلى ظهور وطنيين كثيرين بين الكوريين المقيمين فى المنطقة.

وكان هؤلاء يتمتعون بروح وطنية عالية وشعور قوى بالعداء لليابان، وهو ناتج بالطبع عن ظروف حياتهم البائسة، ولكنه ناتج أيضا عن العمل التنويرى الدؤوب الذى قام به المفكرون والرواد الوطنيون. ولهذا السبب، كنا نتمكن بواسطة عامل سياسى سرى واحد من معرفة عناصر النواة فى المكان بسهولة، ومن خلالهم كنا نحشد أناسا كثيرين حول المنظمة.

فى بداية الثلاثينات أرسلنا إلى تشينتاو الغربية عاملين سياسيين سريين ينحدرون من الجيش الثورى الكورى، وكلفناهم بمهمة نفخ "رياح جيلين" فى المنطقة. وبفضل جهودهم، توالى ظهور منظماتنا بكثرة. فبعد أن ناقشنا فى نانهوتو ودونغكانغ مسألة اقامة قواعد حرب عصابات من شكل جديد، أرسلنا إلى هناك وحدة صغيرة يقودها كيم زو هيون. وكان أفرادها يتنقلون فى محافظة تشانغباى وغيرها

من القرى المجاورة لجبل بايكدو للتعرف على أوضاع الحركة الثورية، واجتذاب العناصر الطليعية، وتثقيف الجماهير، وباختصار: لاعداد الأسس التى ستخدم المهمات العسكرية والسياسية للقوة الرئيسية من جيشنا. وهكذا تم تأسيس قاعدة صلبة لدعم عمليات القوة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى ونشر حركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان على نطاق واسع.

كان ذلك عاملا مهما أتاح لنا تثوير تشينتاو الغربية بسرعة وسهولة.

وقد راكمنا من اعمالنا فى هذه المنطقة تجربة جديدة وثمينة. فحين يقوم عاملونا السياسيون السريون الاكفاء فى مناطق ذات أرضية جماهيرية صلبة بتوعية الجماهير، تتسارع عملية تنظيمها وتثويرها بسرعة مذهلة.

لقد اظهر تحليل اوضاع تشينتاو الغربية أن المنطقة تتميز بتدنى تأثير سيطرة دولة منشوكو. فالزراعة الاساسية فى المنطقة هى البطاطا، ولهذا السبب لم تكن هناك بنود كثيرة للضرائب. وهكذا فان محافظة مثل محافظة تشانغباى مثلا، لم يكن يقيم فيها سوى الحاكم وعدد من الموظفين الآخرين المكلفين بمراقبة السكان.

عندما مكثت فى فوسونغ لعدة أشهر، لاحظت ان هناك عددا ضئيلا فقط من المسؤولين فيها يتمتعون بالكفاءة على حصر وتسجيل الاراضى الزراعية، مما جعل الموظفين يتذمرون لوجود اناس كثيرين يزرعون دون ترخيص الاراضى التى لا مالك لها. كانت الشرطة تمارس مهامها تقريبا من خلال علاقات القربى او مفهوم الانتماء الى منطقة واحدة. والادهى من ذلك ان معظم من كانوا فى سلك الشرطة هم صيادون تم انتقاؤهم لمهارتهم فى فن الرماية، وهم جاهلون بالطبع لا يعرفون كيف يراقبون الناس. وقد أدى ذلك بالضرورة الى جعل السلطة الادارية عاجزة تماما.

وقد وجدت الوضع مماثلا فى تشانغباى، وهو ظرف ملائم لتوعية الجماهير وتنظيمها بسهولة نسبية.

ولم يكن هناك فى تشينتاو الغربية من يقمع الشيوعيين الكوريين ويتهمهم بالانتماء الى "مينساينغدان"، كما لم يكن هناك من يشهر بالكوريين أو يمنع نضالهم لتحرير وطنهم تحت راية ثورتهم. وباختصار، لم يكن هناك أشخاص يزدروننا أو

يمارسون التمييز ضدنا لاننا نأوى الى غرفة جانبية فى أرض الغربة. وكان هذا لصالحنا أيضا، بعد ان تحررنا من القمع والمحاصرة، واصبحنا نعمل وفق قناعتنا وقرارنا، من اجل ان نطور بحرية نشاطاتنا العسكرية والسياسية الهادفة الى نقل الثورة المناهضة لليابان الى مرحلة أرقى على ضفاف نهر آمروك وفى اعماق كوريا، باتخاذ جبل بايكدو كمحور. ولم يعد هناك من يمنعنا من بناء منظمتنا الحزبية الخاصة، هذه المهمة التى أصبح بامكاننا دفعها بعظمة روحية وبطريقة مستقلة وحسب مشروعنا الخاص، سواء فى منطقة تشينتاو الغربية أو فى كوريا نفسها.

وبكلمة واحدة، لم يكن هناك فى تشينتاو الغربية تقريبا من يقيد أقدامنا من الخلف. فقد كان بامكاننا شن الهجمات على المدن، أو تشكيل منظمات حزبية أو التوغل داخل الاراضى الكورية بقوة كبيرة اذا ما رغبنا فى ذلك.

ولكن الوضع فى قواعد حرب العصابات فى تشينتاو الشمالية كان مختلفا. فقد كان هناك من يتهمنا بالتعصب القومى لمجرد رؤيتنا نعبر نهر دومان واجتماعنا لبرهة مع أشخاص داخل كوريا. وعندما دافعنا عن اقامة الحكومة الثورية الشعبية، لم يقبل بذلك اعضاء لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة وقيادة الحزب فى المحافظة وفرضوا علينا السوفييتات، متذرعين بانه الخط الذى اعتمده المركز. والشرط المؤاتى الآخر الذى ساعدنا فى الاسراع بتثوير سكان تشينتاو الغربية وتوجيههم لتقديم الدعم النشط لخطنا النضالى المستقل، هو انهم لم يكونوا مرتهنين لروسيا. صحيح انهم كانوا يتطلعون الى الاشتراكية، ولكنهم لم يكونوا مضمخين بمياه تلك البلاد.

اما منطقة تشينتاو الشمالية، المتاخمة للشرق الاقصى، فكانت بالمقابل متأثرة الى حد بعيد بروسيا. حتى انهم كانوا يطلقون تسمية "بيزيكاى" على الثقاب، محاكين بذلك النطق الروسى، مثلما يحدث الآن مع المسنين فى محافظة هامكيونغ الشمالية. وقد كان سكان وانغتشينغ وهونتشون وآنزى وهيلونغ يستخدمون مصطلحات روسية، مثل "بيونيرو" و"كولخوز" و"ياتشيكا" بدلا من مصطلحات "رابطة الاحداث" و"مزرعة تعاونية" و"خلية حزبية" الكورية. وكان بعضهم يفعلون ذلك

للتباهى بمعارفهم، أما الغالبية فكانوا يعربون بذلك عن تعاطفهم مع الاشتراكية وعن مشاعرهم الودية تجاه الشعب الروسى، أول شعب فى العالم قاد الثورة الاشتراكية الى الانتصار. ويمكن تفسير ذلك بطريقة اخرى على انه اظهار متواضع للتعاطف مع المثل العليا الشيوعية.

وقد كان جميع اهالى تشينتاو الشمالية، رجالا ونساء، شيوخا واطفالا، يتقنون الترنم بأغنية أو أغنيتين روسيتين على الاقل. كما كانوا يرقصون الرقصات الروسية. وكثيرا ما كانت تقدم على مسارح منطقة حرب العصابات رقصات روسية يقوم الراقصون فيها بالجلوس والنهوض بالتناوب وهم يضربون سيقانهم براحات أكفهم، أو بحركات أخرى كتلك التى نشاهدها هذه الايام فى مهرجان نيسان الربيعى الفنى للصداقة.

فى هونتشون ووانغتشينغ واماكن اخرى، كنا نلتقى بين حين وآخر بشيوعيين مدعين يرتدون السترات الروسية ويصرخون "هورا" لانتصار الثورة العالمية ودكتاتورية البروليتاريا.

وفى اثناء ذلك، ومن خلال التكلم والغناء والرقص واللبس على الطريقة الروسية، والتعاطف مع هذا البلد الاشتراكى الاول فى الدنيا، ظهر فى تفكير اهالى تشينتاو الشمالية بغتة الارتهان لتلك البلاد ووضعها هى وشعبها فى مكانة الصدارة فى العالم.

كما كان هناك درجة من الارتهان للصين. فقد كان الكثيرون يفكرون بان الثورة الكورية لن تنتصر الا بانتصار الثورة فى الصين والحصول على دعم شعبها. وكانوا يستخدمون الكثير من المفردات الصينية، فيسمون الرفش مثلا "غوانغتشياو" بدلا من اسمها الكورى "ساب".

اما أهالى تشينتاو الغربية بالمقابل، فلم يكونوا يتكلمون على الطريقة الصينية أو الروسية، وانما على الطريقة المتداولة فى الوطن، وكانوا يستخدمون عبارات نقية مما هو شائع فى محافظتى هامكيونغ أو بيونغآن. وكانوا يحافظون على شخصيتهم الوطنية فى كل المجالات، سواء فى العادات أو تقاليد اللياقة والتعامل أو نظام التغذية أو اللغة.

بعد ان تقدمنا الى جبل بايكدو، قمنا بجولة فى تشينتاو الغربية ودرسنا طبوغرافية أرضها وميول سكانها، وقد توصلنا اثر ذلك الى القناعة بان فيها الكثير من الشروط الملائمة لنشاطاتنا فى حرب العصابات. ومن خلال التواصل مع سكان تلك المنطقة والتأقلم مع مناخها وأرضها، اصبح قرارنا اكثر رسوخا وثباتا بتنشيط الكفاح المسلح بدينامية بعد اقامة نقطة الارتكاز الاساسية للثورة فى منطقة جبل بايكدو.

لقد كان تقدم القوة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى الى تشينتاو الغربية حدثا بالغ الاهمية شق الطريق لمرحلة عظيمة أطلق عليها المؤرخون والشعب مرحلة ازدهار الثورة المناهضة لليابان، كما كان حدثا تاريخيا ألقى شهاب نور ساطع على تاريخ الامة المظلم والملىء بالعذاب. فالابناء والبنات الكوريون المخلصون للمثل العليا بمحبة الوطن والامة لم يستسلموا للتشاؤم امام مصير الوطن النازف، بل هرعوا لانقاذه بخطى ثابتة الى جبل بايكدو. وكانوا مصممين على خوض معركة الحياة أو الموت، لان موعدها قد أزف.

لهذا نؤكد اننا بدأنا نعد العدة للمسيرة نحو جبل بايكدو قبل القيام بها بعشر سنوات، أى منذ تأسيس "الاتحاد لاسقاط الامبريالية". والى ان وضعنا موضع التطبيق قرار مرحلة هواتين بخوض النضال المقدس من اجل الاستقلال بعد تنظيم جيش فى جبل بايكدو فى الوقت المناسب، كان علينا ان نتخطى ما لا حصر له من الخطوب والمحن. ولم يكن الطريق الطويل الذى اجتزناه مستويا وممهدا، بل كان وعرا ومتعرجا.

ولو اننا انطلقنا الى تشينتاو الغربية بعد تأسيس "الاتحاد لاسقاط الامبريالية" مباشرة، لكنا وصلنا الى جبل بايكدو بعد خمسة أو ستة أيام على ابعد تقدير. ولكننا لم نسلك هذا الطريق مع ذلك، بل بدأنا باعداد القوى الثورية فى جيلين ومحيطها، وهو العمل الذى تواصل حتى بعد نقل مسرح نشاطنا الى منشوريا الشرقية. لماذا فعلنا ذلك؟ لكى ندرب الرجال الذين سننطلق معهم الى جبل بايكدو، ولكى نعد، اذا صح التعبير، بحرا من الشعب يدعم اولئك الرجال ماديا وروحيا.

عندما انتهيت من تنظيم جيش حرب العصابات فى آنتو، انجذبت الى فكرة

الصعود مع الوحدة الى جبل بايكدو. فقد كان الجبل على مقربة منا، ولكننى لم أجرؤ على عمل ذلك، رغم رغبتى فيه، لان صفوفنا كانت ضعيفة وصغيرة بالمقارنة مع جلال وضخامة صورة بايكدو. لم نكن يومئذ الا فراخ نسور خرجت من البيضة لتوها. كانت السماء الشفافة غير المحدودة تنبسط فوق رؤوسنا، ولكننا لم نكن نملك الاجنحة القوية التى تمكننا من التحليق. ولكى ندخل جبل بايكدو، كان لا بد لنا من مضاعفة الصفوف ومراكمة القوى.

لم يكن الجبل بالمكان الذى نستطيع التوجه اليه فى أى لحظة حسب رغبتنا. فقد كان من المستحيل علينا ارتقاؤه حتى ولو اردنا ذلك، وفى هذا يكمن المعنى الحقيقى للجبل، وكان يكبر بالقدر نفسه الذى يزداد به شوقنا اليه، وفى هذا تتلخص قوة جاذبيته الحقيقية.

لقد كان جبل بايكدو ينتظر قدوم وحدات فولاذية وجنود من الجيش الثورى يمكنهم الحاق الهزيمة بفيالق وفرق النخبة فى الجيش اليابانى.

وفى ايام اقامة مناطق حرب العصابات والدفاع عنها، تم اعداد هذه الوحدات الفولاذية الجاهزة ليواجه كل فرد منها مئة من الاعداء، وفى خضم مئات المعارك تمرس جنود فولاذيون يمكن مقارنتهم بالعنقاء. ولدى تقدمهم كأمواج هائجة عبر الطريق المرسوم فى كارون ومينغويكو وداهوانغواى وياوينغكو ونانهوتو ودونغكانغ، راكمت الثورة الكورية القوى الكافية للذهاب الى جبل بايكدو. وبتلك القوى استطعنا الانتقال الى تشينتاو الغربية.

اذا نظرنا الى الماضى، فان تاريخ الثورة المناهضة لليابان كان يمثل سيرورة تقديم الراية والسلاح للاخوة والاخوات المواطنين المبعثرين كحبات الرمل ضحية الدمار الوطنى، واقتيادهم الى جبل بايكدو، وكان سيرورة جعل الامبرياليين اليابانيين يعضون التراب.

وقد جاء المفترق الحاسم فى الاجتماعين اللذين عقدا فى غابات نانهوتو ودونغكانغ. فمنذ انعقاد هذين الاجتماعين، أصبحت جميع مناظراتنا تدور حول جبل بايكدو وحده.

... الوطن ينادينا، جبل بايكدو ينتظرنا، عما قريب سنذهب الى هناك لندفع بقوة الاستعدادات لتأسيس الحزب ومد شبكات جمعية استعادة الوطن على نطاق واسع؛ وباختصار، من اجل كنس الغزاة الامبرياليين اليابانيين عن طريق خوض مقاومة الحياة أو الموت التى ستشارك فيها الامة كلها!

ان ايقاظ الروح الوطنية لدى جميع الكوريين وتوجيههم لتكريس انفسهم للانقاذ الوطنى عن طريق قرع الناقوس لانبعاث الامة من جبل بايكدو، جبل الاسلاف، وبعث الحماسة فى الشعب المهان وانهاضه، وكبح تيار التبديد الوطنى، ووقوفنا موحدين فى طليعة النضال لخلق تاريخ العودة الى الوطن... تلك هى الارادة والثقة اللتان كانتا تبعثان الحماسة فى نفوسنا ونحن سائرون نحو جبل بايكدو.

لم نكن نعتبر الجبل مجرى يتصل بالسماء، كما كان يقول اسلافنا، وانما كنا نؤمن بانه بوابة الوطن، ورأس جسر للتغلغل فى اعماق الشعب. لقد كان موقعا استراتيجيا مهما يقع فى احدى نقاط المثلث الذى يربط ما بين تشينتاو الغربية وداخل كوريا وتشينتاو الشمالية.

لقد كان احتلال جبل بايكدو يعنى الاتصال بالشعب داخل كوريا وبالوطنيين فى تشينتاو الغربية وبالشيوعيين فى تشينتاو الشمالية، وضمان قيادة وحيدة للحركة الثورية والاستقلالية والشيوعية على التوالى فى المناطق المذكورة. وهو ما يتيح لنا الحصول على اتصال مع اليابان باتخاذ ارض الوطن كجسر، والتضامن مع الحركة المناهضة لليابان فى اراضى الصين الرئيسية فيما وراء شانهايكوان، وكذلك التعاون مع الشيوعيين والاستقلاليين المناهضين لليابان فى منشوريا الشمالية وبريموريه فى الاتحاد السوفييتى عبر تشينتاو الشمالية.

لقد استفدنا جيدا من الدروس المستخلصة من تأسيس وحماية مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية، فحولنا تشينتاو الغربية الى شبه منطقة حرب عصابات لا تتماثل تماما مع ما كانت عليه تشينتاو الشمالية. فكما أوضحت سابقا، كانت شبه مناطق حرب العصابات عالما يحكمه العدو فى النهار، ولكنه يخضع لسيطرتنا ليلا. وفى تشينتاو الغربية كانت كل مناصب عمداء العشر أسر، وعمد

وحكام القرى والبلدات بيد اناس يتبعون لنا. ففى النهار، يتظاهرون بانهم يخدمون الجيش والشرطة اليابانيين وموظفى دولة منشوكو، أما فى الليل فينظمون الاجتماعات، ويديرون المدارس، ويجمعون المواد التموينية لارسالها الى الجيش الثورى، أو يقشرون الحبوب لارسالها اليه. وكانت هذه المهمات تشغلهم طوال الوقت.

ان لى زى سون، ولى زو ايك، ولى هون، وزونغ دونغ تشول، ولى يونغ سول، وريوم اين هوان وغيرهم، كانوا أشخاصا نموذجيين فيما يتعلق بتجريب واقع شبه منطقة حرب العصابات.

قبل ذلك، كان قادة المنظمة الحزبية فى منشوريا الشرقية لا يقيمون سوى قواعد حرب عصابات على شكل مناطق محررة، مديرين ظهورهم لمن يعيشون خارجها، والادهى من ذلك انهم كانوا يظهرون العداء لاهالى المناطق الخاضعة للعدو ويصفونهم "بالجماهير البيضاء"، أما بالنسبة لاهالى المناطق الوسيطة فكانوا يحتقرونهم ويسمونهم "الجماهير ذات الوجهين". وكانوا يرتكبون خطأ فادحا بتقسيمهم الناس الى "حمر" و"بيض"، لانهم يخدمون بذلك الحصار الذى يفرضه العدو على مناطق حرب العصابات. وكانوا فى نهاية المطاف يعرقلون مهمة تشكيل الجبهة المتحدة الهادفة الى حشد القوى الثورية بثبات اكبر.

تلك التجربة الجدية جعلتنا نحول تشينتاو الغربية كلها الى شبه منطقة حرب عصابات وجميع سكانها الى موالين لنا دون تمييز بين "حمر" و"بيض".

وقد كان بين اعضاء فرقة الدفاع الذاتى التى تحرس قرى الاعتقال الجماعى عدد كبير من انصارنا.

وفى احدى المرات، ارسلنا الى قرية باداوجيانغ للاعتقال الجماعى وحدة صغيرة وكلفناها بمهمة الحصول على مواد تموينية. وكان ضمن فرقة الدفاع الذاتى هناك واحد من عاملينا السياسيين السريين. بعد تلقى تقريره، هاجمت الوحدة القرية وهى تطلق النار فى الفضاء وتردد أغنية ثورية. ولكنها لم تجرد فرقة الدفاع الذاتى من اسلحتها وعادت فقط وهى تحمل الحبوب التى اعدها مسبقا رفيقنا ذاك.

وما ان انسحبت الوحدة، حتى هرع ذلك الرفيق الى الشرطة اليابانية وخدعها بالقول: "لقد هاجم جيش حرب العصابات القرية واستولى على الحبوب الغذائية، الا انه لم يتمكن من احتلال برج الحراسة، وبفضل ذلك مازالت فرقة الدفاع الذاتى موجودة".

ولان اهالى تشينتاو الغربية كانوا يفتحون قلوبهم هكذا امام مقاتلى حرب العصابات، ولا يتعاملون فى الوقت نفسه بصراحة مع الجيش والشرطة اليابانيين ومع الموظفين المنشوريين، فقد كان بامكاننا ان نحل على وجه الرضا جميع المشاكل بما يتفق ومرامينا.

لقد كانت تشينتاو الغربية هى المسرح الرئيسى للجيش الثورى الشعبى الكورى، وقد أعدها وبسط سيطرته عليها خلال ثلاث أو أربع سنوات، منذ تقدمنا الى منطقة جبل بايكدو حتى بداية العمليات فى الطريق الدائرى بوحدات كبيرة. وبعد المسيرة الشاقة، نقلنا مسرح عملياتنا ذاك الى منشوريا الشرقية. وفى المرحلة التى تلت اجتماع سياوهاربالنغ، اتخذنا الاستعدادات لاستقبال الحدث الكبير بتحرر الوطن، مستندين الى القاعدة التى اقمناها فى اراضى الاتحاد السوفييتى الى جانب قاعدة جبل بايكدو.

وباختصار، فان مركز نشاطات الجيش الثورى الشعبى الكورى خلال الثورة المناهضة لليابان، كان فى أول الامر تشينتاو الشمالية، ثم انتقل الى تشينتاو الغربية، واخيرا فى منطقة جبل تشانغكوفينغ على ضفاف نهر دومان. وقد كانت جميعها مراكز اسناد هامة للعمليات التى كفلت انتصار الثورة المناهضة لليابان.

وقد توصلنا فى تشينتاو الغربية، مثلما حدث فى منشوريا الشرقية، الى التأكد بتجربتنا الذاتية من ان شبه منطقة حرب العصابات مفيدة لنا من نواح عديدة حين تشتد كثافة الهجمات المعادية وعنادها. فتحويل تشينتاو الغربية الى شبه منطقة حرب عصابات فى عالمنا الخاص، كان المفتاح والعامل الحاسم فى نجاحات وانتصارات عديدة حققناها بعد وصولنا الى منطقة جبل بايكدو.

فبعد اقامة هذه المنطقة، بدأنا نزيد من شدة العمليات العسكرية. فكانت الوحدات

المسلحة التى تضم كل واحدة منها نحو عشرين مقاتلا توجه الضربات اليومية للعدو، متنقلة بجرأة على طول المنطقة وعرضها. كما ارسلنا عددا كبيرا منها الى داخل كوريا.

كنا نعمل فى وحدات صغيرة ومتفرقة كى لا نثقل على الاهالى الذين يعيشون يوما بيوم على البطاطا والشوفان. ولو اننا كنا نعمل فى مجموعات مؤلفة من مئتى رجل، كى لا نقول وحدات تضم ٥٠٠ أو ٦٠٠ رجل، لكانت اعترضتنا مشكلة تأمين الغذاء.

فى حوالى سنة ١٩٣٨، انتهى الاعداء من بناء قرى الاعتقال الجماعى فى منشوريا الشرقية والجنوبية، وقد شكل ذلك عقبة كبيرة أمام حل مسألة غذاء القوات الثورية. ومن أجل حل تلك المسألة، كان لا بد لنا من تنظيم معارك كبيرة، وهذا يعنى فى التحليل الاخير، مقايضة دماء الرفاق بالحبوب. لهذا السبب شجعنا عمليات الوحدات الصغيرة. فقد كنت أفكر فى أنه يجب عدم اراقة دماء رفاقنا حتى ولو اضطررنا الى معاناة الجوع.

تحت التأثير المباشر للنضال المسلح المناهض لليابان، تصاعدت فى تشينتاو الغربية روح السكان الكفاحية ضد اليابان، وازدادت كثافة اعمالهم الثورية. فالشيوخ الذين تحدثت معهم قالوا ان اهالى تشانغباى يسمعون اخبارنا بكثرة منذ ١٩٣٢ ــ ١٩٣٣.

ومنذ بداية عام ١٩٣٦، عرف لى زى سون ولى زو ايك بنشاطات الجيش الثورى الشعبى الكورى من خلال كوون يونغ بيوك وكيم زونغ بيل وغيرهما من العاملين السياسيين السريين الموفدين الى تشينتاو الغربية متنكرين بهيئة مهرب الافيون. وقد حدثهم هؤلاء عن اعادة تنظيم جيش حرب العصابات وألمحوا لهم بانه يمكن للوحدة الرئيسية من هذا الجيش ان تصل الى تشانغباى. وسرعان ما شاع الخبر فى كل انحاء محافظة تشانغباى ووصل حتى الى اعضاء لجنة عمل كابسان داخل كوريا نفسها.

ويقال ان لى يونغ سول، عميد العشر أسر فى تيانشانغشوى، كان يحدث رفاقه

عنا منذ عام ١٩٣٢ تقريبا. فكان يحثهم على مواصلة القضية الوطنية المناهضة لليابان بنكران للذات ودون التخلى عن تصميمهم بهذه الكلمات: ان القائد كيم إيل سونغ يقاتل الآن مع جيش حرب العصابات فى تشينتاو الشمالية، وسيصل على رأس الجيش عما قريب الى جبل بايكدو ليحقق استقلال كوريا.

شباب تشانغباى الذين تحمسوا لسماع هذه الاخبار، قاموا منذ وقت مبكر بمحاولات نشطة للانضمام الى وحدتنا. فكانغ هيون مين الذى عمل مع الشباب فى قرية داديشوى، هرع الى فوسونغ وتم قبوله فى وحدتنا. وقبل انطلاقه قال لاصدقائه: "لا استطيع البقاء لوقت أطول مكتوف اليدين بانتظار القائد كيم. سأذهب اليه وأطلب منه قبولى فى جيش حرب العصابات، فأرجوكم ان تعتنوا بأسرتى".

بعد ظهورنا فى اراضى تشانغباى، كانت تشينتاو الغربية بأسرها متحمسة للانضمام الى حرب العصابات. وكان الكثيرون يأتون الينا باستمرار طالبين الانضمام الينا. ولكننا كنا نقبل بعضهم فقط ونبقى الآخرين كاحتياط، آخذين بعين الاعتبار ان تنشيط الفعاليات السرية يتطلب الابقاء على شبان كثيرين فى المناطق الخاضعة لسيطرة العدو. ولكننا صرنا نقبل جميع الراغبين فى الانضمام الينا بعد اقامة قرى الاعتقال الجماعى. اذ لم يعد بامكان اولئك الشباب المحبوسين وراء الاسوار الطينية القيام بأى شيء سوى العمل بالسخرة للعدو.

وعندما دوت رصاصاتنا الاولى فى داديشوى بعد وصولنا الى تشانغباى، وصل اندفاع اهالى تشينتاو الغربية المناهض لليابان حتى السحاب.

فشيوخ شيليوداوكو الذين شاهدونا كيف ابدنا جموع الجنود اليابانيين فى داديشوى وسياوديشوى، قالوا بسعادة: "لقد قضى على جميع الاشرار الذين كانوا يضايقون الشعب، فكيف يمكن استثناء الاوغاد اليابانيين؟". وهتف الشباب بدورهم: "آه! ان كوريا التى بدت منهارة ماتزال على قيد الحياة. اننا نسمع الآن نبض قلبها".

وقد ادى تصاعد عمليات الجيش الثورى الشعبى الكورى فى تشينتاو الغربية الى جعل الاهالى على ضفتى نهر آمروك يبدؤون باختراع مجموعة من الاساطير عنا. فبعض الشيوخ المؤمنين بديانة تشوندو والراغبين فى اشاعة قوة وحدتنا، نشروا

الاشاعة القائلة ان القائد كيم إيل سونغ يحصد الاوغاد اليابانيين متنقلا فى مثل لمح البصر من الشرق الى الغرب، وانه يتمتع بالقدرة على التواجد فى كل مكان. بل وابتدعوا كذلك القصة غير المحتملة عن شرطى أطاحت رصاصة أحد مقاتلينا بأذنه حين كان يتكلم فى الهاتف، وحين أراد الفرار وصلته رصاصة اخرى فانتزعت احدى ساقيه.

وقد انتشرت هذه القصص الشعبية التى ابتكرها اهالى تشينتاو الغربية ووصلت الى اعماق الاراضى الكورية على الضفة المقابلة لنهر آمروك. فاذا ما صرخوا فى تشانغباى قائلين: "لقد هاجم الجيش الثورى ليلا بانجيكو" فان اهالى سامسو على الضفة الاخرى للنهر يستطيعون سماع تلك الصرخة.

اثناء قيامنا بالعمليات فى هذه المنطقة، كنا نلقى مساعدة كبيرة من قاطنيها. والبرهان الساطع على مدى فعالية تلك المساعدة هو غزارة الذكريات التى ماتزال محفوظة فى ارشيف حزبنا. واكرر القول ان اهالى هذه المنطقة اظهروا اخلاصا كبيرا فى مساعدتنا. فقد اعتبروا ذلك اشارة الى وعيهم. وكانوا يقولون ان من لا يملك هذا الوعى لا يسعى الا من اجل المكاسب والمتع والراحة الشخصية، مديرا ظهره للجيش الثورى.

ما كدنا نبدأ العمل فى تشينتاو الغربية، حتى راح الامبرياليون اليابانيون يسعون بجهود يائسة لقطع الروابط بين الجيش الثورى والاهالى ومنع هؤلاء من تقديم المساعدة لذاك. بل كانوا يتخذون جانب الحذر والتأهب أمام واقع ان الكوريين كانوا يشدون على ايدى بعضهم البعض بحماسة عندما يتصافحون، مستنتجين من ذلك ان الكوريين يبدون مبللين بمياه الشيوعية.

واصبح على السكان العاديين الحصول على تصريح من العمدة للذهاب الى القرى المجاورة. ولم يعد بامكانهم أن يمتلكوا من الملاعق الا ما يساوى عدد أفراد الاسرة، وما يزيد على ذلك، حتى ولو كان ملعقة واحدة، فكانوا ينتزعونه من خلال تنظيم عمليات الاحصاء المتتالية، لانهم كانوا يرون انه يمكن لتلك الملاعق الزائدة ان تذهب كمساعدات الى القوات الثورية.

وأعلن الاعداء عن مكافأة مقدارها ٥٠ يوانا لمن يأتى برأس أحد افراد الجيش الثورى، ومبلغ اكبر بكثير لمن يأسره حيا. وهناك معطيات عديدة تشير الى ان المبلغ كان اكبر بكثير بالنسبة لتسليمى أنا بالذات. وفى أحد الاوقات، فرضوا على الاهالى القاء منشورات فى الجبال لجعلنا نستسلم، بل وأرسلوا الينا ملحا مسموما على انه "مساعدات".

لقد كانوا يفعلون ذلك فى محاولة لقطع الروابط المتينة ما بين جيش حرب العصابات وبقية الشعب. ولكن الاهالى لم يقعوا فى شرك الخدعة. فكلما كان سعار الاعداء يزداد، كان الاهالى يوطدون اكثر فأكثر علاقاتهم بالجيش الثورى الشعبى ويزيدون من فعالية مساعدتهم الجماعية له. واذا ما جرى فى كل قرية تنظيم دورية ليلية للكشف عن نشاطات جيش حرب العصابات، يتظاهر افراد تلك الدوريات بالانصياع بينما هم يقومون فى الواقع بحراسة العاملين السياسيين السريين المختبئين فى قرى الاعتقال الجماعى أو حراسة الجيش الثورى الشعبى.

وحين كان الاعداء يكتشفون أدنى أعراض التعاون معنا فى احدى القرى، يسارعون الى احراق القرية دون رحمة وقتل جميع المشتبه بهم دون تمييز بين أطفال وشيوخ. وقد حولوا لهذا السبب نفسه ديانغسى وداديشوى وسينتشانغدونغ الى رماد. وجرى اعدام معلم مدرسة فى داديشوى رميا بالرصاص بسبب "جريمة" ارسال اقلام حبر الى رجال حرب العصابات. وعلى الرغم من اراقة الدماء هذه، لم ينثن اهالى تشينتاو الغربية، بل واصلوا العمل على مساعدتنا كرجل واحد.

وعلى الرغم من الهزائم المتتالية التى كان العدو يتعرض لها فى الهجمات العسكرية التى يشنها الجيش الثورى الشعبى الكورى، الا ان الجنود الاعداء كانوا يتبجحون أمام الاهالى وكأن قواتهم هى التى تحقق الانتصارات على الدوام. وبعد معركة سياوديشوى، ظن الاهالى ان الجيش الثورى قد تعرض للهزيمة، لان العدو كان يستعرض قوته دون ان يتورع حتى عن عزف الابواق وكأنه المنتصر، ولكنهم ادركوا خطأهم على الفور حين رأوا عشرات جثث الجنود اليابانيين متناثرة على أرض المعركة.

وكان العدو يقول انه ينقل جثث الشيوعيين بالرغم من كون تلك الجثث لجنوده.

بعد الهجوم على شيرداوكو مباشرة، انتشرت فى البلدة نفسها وفى محيطها الاخبار عن جيش حرب العصابات. فقام العدو الذى صعق لهذه الحادثة بتعليق رأس أحد ضباطه فى أعلى قضيب مثبت عند مدخل البوابة الشمالية، وهى البوابة التى كان قد انسحب منها الجيش الثورى قبل قليل، وأعلن انه قد قتل زعيم القوات الشيوعية. ولكن الكذبة ما لبثت ان انكشفت بعد قليل حين هرعت زوجة الضابط القتيل الى المكان. فما ان رأت رأس زوجها حتى انفجرت بالبكاء، وراحت تصرخ متفجعة: "واحسرتاه! كيف جرى لك هذا؟".

ومثل هذه المشاهد التراجيكوميدية لم تحدث مرة أو مرتين وحسب، بل كانت تتوالى بكثرة سواء فى فوسونغ أو فى رينتشيانغ.

وفى مناسبة اخرى، قام جنود جيش جينغآن، يدفعهم الطمع لكسب مكافآت من سيدهم اليابانى، بتعليق رأس شخص مجهول فى شوارع مدينتى فوسونغ ورينتشيانغ، وعلقوا مع الرأس مسدس ماوزر كتب عليه "كيم إيل سونغ"، وأشاعوا انه تم القضاء على وحدتنا. ولكن زملائى من ايام المدرسة الابتدائية واصدقاء آخرين هرعوا الى المكان ودحضوا تلك الرواية الكاذبة، وانتهت المكيدة الى الاخفاق. وكانت الفائدة الوحيدة من عملهم ذاك هى التأكيد على ان الجيش الثورى الشعبى مايزال سليما وقائده على قيد الحياة يواصل النضال.

لم تفدهم أى وسيلة فى تخفيف حدة مشاعر العداء لليابان بين سكان تشينتاو الغربية، ولا تقليص تعاطفهم وروح تعاونهم معنا. ولم تنقطع هذه المهمة، بل كانت تتعاظم يوما بعد يوم بقدر اشتداد حملات القمع المعادية.

وسأعود فيما بعد للاشارة الى حركة مساعدة جيشنا هذه، ولكننى سأتوقف هنا للاشارة فقط الى بعض الاشخاص والاعمال المعزولة.

كلما كنا نمر من قرى تشينتاو الغربية، كان الاهالى يخرجون لاستقبالنا وهم يحملون قطعا من الحلوى السوداء المصنوعة من البطاطا ليدسوها فى جيوب المقاتلين.

وحتى بعد اقامة قرى الاعتقال الجماعى، لم يتوقف الاهالى عن التعاون مع

جيش حرب العصابات. كان الامبرياليون اليابانيون يحتجزون الناس فى تلك القرى ويفرضون رقابة صارمة على الحبوب الغذائية برصدهم الاراضى الزراعية وكمية المحاصيل، ولكن الاهالى كانوا يلجؤون الى اساليب فريدة لمساعدتنا. فاذا جاء موسم جنى البطاطا مثلا، فانهم يقتلعون سوق النباتات فقط ويستبقون الدرنات تحت التراب لكى يجمعها رجال حرب العصابات، أما الذرة فكانوا يحفظونها دون ان يفرطوها فى عنابر يقيمونها وسط الغابة ويطلبون منا ان نجلبها. فحفظ الذرة بهذه الطريقة يحول دون تعفنها. وقد كانوا يفعلون الشىء نفسه بالنسبة لفول الصويا. وقد تغذينا فى احدى السنوات بعجينة فول الصويا طوال فصل الشتاء.

لقد بدأ فى تشينتاو الغربية تزويد جيش حرب العصابات بالحبوب التموينية بطريقة عدم جنى المحصولات لكى يجمعها هذا الجيش نفسه.

وهذه فقرة مهمة مما قاله فى هيسان قائد قسم شرطة محافظة هامكيونغ الجنوبية: لقد فتشت هذه المنطقة واكتشفت ان تشينتاو الغربية هى مكان مريب: اولا، لان سكانها يتصلون حقا مع رجال حرب العصابات؛ فهناك معلومات تقول انهم سلموهم ثلاثة "مالات" من الحبوب حين كان عدد مقاتلى حرب العصابات العاملين هناك عشرات الآلاف، وحتى لو افترضنا ان ثلاثمئة منهم فقط وصلوا الى احدى القرى، فانهم سيستهلكون عدة "مالات" من الحبوب كل يوم، بينما تتحدث المعلومات عن ثلاثة "مالات" فقط، لماذا؟ لان هذا هو الدليل على تعاملهم مع جيش حرب العصابات. ثانيا، لان سكانها قد أصبحوا من الحمر، فاذا ما سألهم أحد عما اذا كانوا قد رأوا لصوصا جبليين أو قطاع طرق، فانهم جميعا، بما فى ذلك الاطفال، يقولون لا، أما اذا عدت وسألتهم ان كانوا قد رأوا الجيش الثورى، فانهم يجيبون بنعم، وهذا دليل على انهم يرون فى جيش حرب العصابات جيشا لهم وعلى انهم تحولوا الى اناس حمر. ثالثا، لان المنطقة هى قاعدة دائمة لحرب العصابات؛ ففى السابق كان الاستقلاليون وقطاع الطرق يذهبون اليها فى الصيف او الخريف فقط لينتقلوا فى الشتاء الى مناطق اخرى، لكن وحدة كيم إيل سونغ تبقى هناك فى فصل الشتاء أيضا، ولهذا لا بد من اقامة قرى اعتقال جماعى هناك.

هذا الكلام دليل دامغ على مدى متانة الروابط التى كانت تربط بين الجيش الثورى وبقية الشعب، واثبات بليغ على دفاع الشعب ودعمه الحازم للجيش الثورى.

لقد كان الامن العام مزعزعا فى تشينتاو الغربية لدرجة ان الاعداء كانوا يؤكدون ان الشيوعية والمبادئ الشعبية الثلاثة هى المنارات التى تضىء الطريق الذى على الشعب ان يسير عليه، ويتحسرون قائلين: "من اجل اجتذاب الجماهير الشعبية وابعادها عن تأثير قطاع الطرق الشيوعيين والمعادين لمنشوكو والمناهضين لليابان، والحاق الهزيمة بهؤلاء اللصوص، لا بد من تقديم هدف سياسى اكثر جاذبية من هدف اولئك، وايجاد السبيل الصحيح لتحقيقه عمليا، وتطبيق سياسة شعبية. هذا يعنى ممارسة سياسة فعالة توضح عملية تحقيق المثل الاعلى لبناء دولة منشوكو بتعبئة الجماهير الشعبية بصورة اكثر فعالية وبساطة من قطاع الطرق الشيوعيين، وبحيث تكون تلك السياسة قادرة على امتصاص الجماهير فى هذا الاتجاه. ان العمليات ضد قطاع الطرق، المستندة على هذا التوجه، والمتخذة كمجال خاص للحركة السياسية والاقتصادية والايديولوجية والاجتماعية الشعبية، هى وحدها التى يمكن من خلالها توجيه طعنة الى قلب قاطع الطريق السياسى والايديولوجى وسحقه".

وعبارة "قطاع الطرق الشيوعيين" هى اسم التحقير الذى كان العدو يطلقه على الجيش الثورى الشعبى، أما "قطاع الطرق المعادين لمنشوكو المناهضين لليابان" فهى تسمية تشير الى جميع القوى العسكرية المعادية لدولة منشوكو العميلة وللامبريالية اليابانية.

لقد عبأ العدو كل ما لديه من أجل تصفية جيشنا وقطع روابطه مع بقية الشعب، ولكنه أخفق اخفاقا ذريعا.

بعد احراق ديانغسى فى العملية "التأديبية" التى شنها الامبرياليون اليابانيون، واجه مزارعوها مصاعب خطيرة بسبب الافتقار الى ثيران الحراثة. اذ لم تكن لديهم اية بهائم فى الوقت الذى كان عليهم البدء فيه بالاعمال الزراعية ونقل جذوع الاشجار بالاجرة. فاجتمعوا واتفقوا على حل المسألة عن طريق التشاور مع الادارة فى المحافظة. وقد اختاروا لتمثيلهم شابا كنيته "لى" وأرسلوه

برفقة شباب آخرين كحراس. ويبدو انه كان أكثر أهل القرية لباقة وبلاغة.

وقد تحدث الشاب فى مكتب الادارة قائلا: لم نقم بأى اتصال مع الجيش الشيوعى. ومع ذلك، فقد حول الجيش اليابانى قريتنا الى رماد فى ليلة واحدة، دون أن يكون لديه دليل واحد مقنع؛ يا لهذا الظلم! فما الذى فعله مكتب الادارة؟ تقولون دائما انكم ستحولون منطقتنا الى "أرض أناس أخيار"، فلماذا اذن لم توقفوا اندفاع "الوحدة التأديبية"؟ لم يعد بامكانكم الآن بناء مثل تلك القرية الموعودة، ذلك اننا لا نستطيع زراعة الارض او الحصول على الغذاء بسبب افتقارنا الى الثيران.

أثرت كلمات الشاب فى نفوس أعضاء مكتب الادارة، فأقرضوا الفلاحين ما لا يقل عن عشرين حيوانا للجر.

وعلى الفور انقلبت أفكاره تماما: فقد وردت الى ذهنه صورة مقاتلى حرب العصابات الذين يعانون فى الجبال دون أن يتمكنوا من تناول لقمة واحدة من اللحم. ففكر بارسال تلك الثيران اليهم كتموين، حتى ولو لم يستطع اهالى القرية حراثة الارض أو نقل جذوع الاشجار. وبادر من فوره الى الاتصال بجيش حرب العصابات عن طريق المنظمة السرية فى المحافظة، مقترحا ان ينصب الجيش الثورى كمينا و"يهاجم" موكبه وهو فى طريق عودته الى القرية ويستولى على الثيران.

فأرسلنا جماعة فى الحال لتنصب كمينا فى موقع على الطريق بين حاضرة المحافظة وقرية ديانغسى. وقد جرى تمثيل "المسرحية" على احسن وجه. كان المكتب الادارى فى المحافظة قد أرسل قوة حراسة من جنود جيش منشوكو العميل لنقل البهائم بأمان. ولا حاجة للقول ان أولئك الجنود لم يستطيعوا تفادى المفاجأة.

انتزع رجال جيش حرب العصابات أسلحة الجنود، وقيدوا امامهم لى والشباب الآخرين وهم يهددونهم باعدامهم رميا بالرصاص لكونهم مرتدين وخائنين يتعاملون مع اليابان ودولة منشوكو، واقتادوهم جميعا الى المعسكر السرى، حيث انضموا الى جيش حرب العصابات. وقد كان ذلك بالنسبة لنا كمن يصيب عصفورين بحجر واحد.

وهذا الحادث هو مجرد مثل واحد على الروابط التى كانت قائمة بين جيش حرب العصابات وبقية الشعب فى مرحلة تشينتاو الغربية.

وفضلا عن الطبقة الكادحة المتمثلة بالعمال والفلاحين، ساهمت أيضا فى التيار المندفع لحركة تقديم المساعدة المادية والمعنوية التى ابتدأت منذ الايام الاولى لتقدمنا الى تشانغباى، القطاعات الاجتماعية التى كان بعض الشيوعيين الدوغمائيين يعادونها ويعتبرونها هدفا للنضال.

ففى شيجيوداوكو بمحافظة تشانغباى، كان يعيش شخص صينى يدعى تشاو ديى، وقد تحول مذ كان عمره بضعا وثلاثين سنة الى اقطاعى كبير بعد ان ورث ما لا يقل عن ثمانين هكتارا من عمه المتوفى. لقد كان يملك اكثر من نصف الاراضى الزراعية فى المنطقة. وكان يعيش مع ست محظيات ويقيم علاقة التآخى مع رجال الشرطة. فاذا ما نظرنا اليه بعيون الدوغمائيين، فانه رجل يستحق التصفية. وربما كانت النقطة الايجابية الوحيدة لديه هى روحه الوطنية القوية.

حين رأى ان الجيش الثورى الشعبى يبيد جموع الجنود ورجال الشرطة اليابانيين والتابعين لمنشوكو فى داديشوى وسياوديشوى، هرب مع محظياته الى حاضرة محافظة تشانغباى. وقد تولى مدير اعماله ادارة منزله واراضيه.

وقد اجتذبه العمدة لى هون، وكانت تلك عملية دراماتيكية.

فبعد اقامة المعسكر السرى فى منطقة جبل بايكدو، كلفنا عناصر التموين بمهمة الاعداد لحفلة رأس سنة ١٩٣٧ القمرية. وقد أعرت أهمية كبيرة لتلك الحفلة، لانها المرة الاولى التى نحتفل فيها برأس السنة بعد وصولنا الى جبل بايكدو، وقد كان المقاتلون ينتظرون الحفلة بفارغ الصبر. وقد تنقل مسؤول التموين فى الوحدة كيم زو هيون ما بين قرى تشينتاو الغربية بكثرة ليحصل على المواد اللازمة للحفلة.

كان حوض نهر آمروك فى شيجيوداوكو هو المكان الوحيد فى تشانغباى الذى تجرى فيه زراعة الارز، حيث تنقل تلك الحبوب من هناك لتحفظ فى مستودعات الاقطاعيين وحدهم.

وقد نقل العامل السياسى السرى زى تاى هوان الى كيم زو هيون اخبارا تقول ان الاقطاعى تشاو ديى يملك مخزونا من الحبوب واللحوم والسكر بكميات ضخمة تكفى لاقامة حفلة فاخرة جدا فى رأس السنة. ناقش كيم زو هيون الامر مع لى زى سون، ثم كتب

على الفور رسالة باسم الجيش الثورى الشعبى موجهة الى تشاو ديى، جاء فيها: "اننا نرى انك، كصينى، لم تتخل تماما عن ضميرك الوطنى. ولهذا السبب لم نلحق أى اذى بممتلكاتك، منطلقين من مبدأ حماية ممتلكات الشعب، باستثناء العملاء الموالين لليابان. وكما هو طبيعى فى مثل هذه الحالة، فان الواجب يفرض عليك ان ترد على سلوكنا العادل بعمل فعلى من جانبك. فاذا رغبت فى ذلك فانه بامكانك تقديم مساعدة طوعية للجيش الثورى؛ ونأمل منك ان تسرع بالرد لتخبرنا متى وكيف ستقدم هذه المساعدة".

فى اليوم الذى تلقى فيه الرسالة، هجر العالم الخارجى والتزم فراشه والقلق يسيطر عليه. فقد كان يخشى اليابانيين ان هو ساعد الجيش الثورى مثلما تطرح الرسالة، ويخشى فى الوقت نفسه عقاب الجيش الثورى فى حال رفضه الامتثال. وبالرغم من ان محظياته كن يتغنجن حول سريره، الا انه كان يزفر باستمرار ولا يبدى اى استجابة لهن. فاضطربن جميعهن وكأن كارثة قد حلت. فى ذلك الوقت بالذات، توجه لى هون الى حاضرة المحافظة ليجس نبض الاقطاعى تنفيذا لامر لى زى سون. فالتقى فى الشارع باحدى محظيات الاقطاعى التى دعته الى البيت متوسلة اليه ان يواسى الاقطاعى بتناول الغداء معه، لانه لم يتناول اى شىء من الطعام ولم ينم منذ ايام. ففكر لى هون بان الامور تجرى على ما يرام، وتظاهر بانه يوافق على دعوتها دون رغبة منه.

استقبله تشاو ديى بسعادة بالغة، وكأن منقذه قد ظهر له. وبعد ان تناولا بضعة كؤوس، عرض الرسالة على لى هون وسأله:

"ما الذى تفعله فى مثل هذه الحالة يا اخى؟"

قرأ العمدة الرسالة بشكل آلى، وامسك يد الاقطاعى قائلا له:

"لا تقلق كثيرا يا اخى؛ فالجيش الثورى لن يقتلك. لقد جرى اعتقالى واقتيادى منذ شهور الى المعسكر السرى، وهناك ادركت ان الجيش الثورى يختلف عن قطاع الطرق، انه لا يقتل الناس جزافا؛ فاذا انت قدمت لهم هبة كبيرة، فانهم سيوفرون لك الحماية شاكرين صنيعك."

فرد عليه تشاو ديى:

"لست متألما لتقديم ممتلكاتى اليهم، ولكننى اخشى المراقبة؛ لاننى سأفقد حياتى

اذا انكشف الامر. فكيف لا اقلق؟ اذا كانت لديك انت العمدة وصفة مناسبة فأخبرنى بها لكى اتصرف على هديها."

"اذا كنت لا تبخل بالموارد حقا، فلماذا يساورك كل هذا القلق ولا تقدم لهم هباتك؟ ان حسن التصرف مع الجيش الثورى، يتيح حتى لى انا بالذات الاحتفاظ بمنصبى لبضع سنوات اخرى فى شيجيوداوكو ويتيح للفلاحين العيش بسلام."

وافق الاقطاعى على ذلك، واوعز الى لى هون بارسال المؤن الى الجيش الثورى على مسؤوليته ودون اثارة مشاكل.

لم يتأخر قراره فى الوصول الينا، فأرسلت على الفور اكثر من عشرين مقاتلا الى شيجيوداوكو، وعادوا منها دون عقبات ومعهم عشرات الزحافات المحملة باكثر من ٦٠٠ مال من الارز وعدة خنازير وكمية كبيرة من السكر. وفيما بعد، ارسل الينا تشاو ديى ايضا عدة مرات كميات وفيرة من المساعدات.

فى صفوف الحركة المندفعة لمساعدة جيش حرب العصابات التى قادت تشينتاو الغربية الى بوتقة الثورة، ظهر اناس ينحدرون من الشرطة اليابانية ومراقبى العمال.

فمع تبدى قوة الجيش الثورى الشعبى الكورى، قرر أحد أعضاء مركز الشرطة فى قضاء سامسو تجاوز ماضيه بكل جدية واختيار طريق الانبعاث، فقضى على آمره ومعاونه والتحق بجيش حرب العصابات مع الاسلحة التى استولى عليها. كما ان بعض مراقبى الورشات فى مشروع مد سكة حديد الغابات ومواقع قطع الاشجار، فتحوا لنا حين ذهبنا الى هناك ابواب المستودعات على مصراعيها وقدموا لنا البضائع على عجل، متظاهرين بانهم مجبرون على ذلك. وقد قام مراقب فى محطة لقطع الاشجار فى ايرشيداوكو بنشر اغنية "حسرات الجندى الموالى لليابان" بين العمال والفلاحين الذين يعملون فى المحطة وبين اعضاء وحدة الشغب الجبلية فى المنطقة، وهى أغنية ترسخ فكرة سوداوية حول الحرب والجيش.

ولا يمكننى ان انسى مثقفى تشينتاو الغربية الذين أظهروا حماسة فى مساعدتنا. وقد كان معظمهم من معلمى المدارس. وماتزال حية فى ذاكرتى الى الآن صورة كانغ يونغ كو، المعلم فى مدرسة زونغسان الخاصة.

حين التقينا به أول مرة، قال انه يشعر بالخجل لرؤيتى، لانه يعتبر نفسه عميلا بتنفيذه السياسة التعليمية للامبريالية اليابانية.

فقلت له:

"يجب علينا ألا نعتبر جميع من ينفذون السياسة التعليمية للامبرياليين اليابانيين اشرارا. ما هو ذنب المعلمين حين يعلمون اطفالنا الذين يترعرعون حزينين فى أرض الغربة؟ فمع انهم يخدمون اليابانيين لانه لا سبيل آخر امامهم، الا انه بامكانهم المساهمة فى النضال من اجل الاستقلال اذا حافظوا على ضميرهم الوطنى."

ولكن حدة توتره لم تخفت على الرغم من كلماتى هذه، بل راح يجس نبضى بحذر، موجها الى نظرة قلقة. فأضفت قائلا له ان تعليم الصغار يستدعى من المعلمين حرق حشاشة قلوبهم، فرد على بابتسامة مريرة انه ليس ثمة ما يستدعى كل هذا الجهد، خصوصا وانه يلقنهم التعليم اليابانى.

فى ذلك اليوم، وقبل ان اغادر قريته، اقترحت عليه:

"اريد ان أطلب منك شيئا: لا تنس أنك كورى. ولكى يحافظ ابناؤنا على روح كوريا فلا بد للمعلمين من ان يفعلوا ذلك."

وقد وضع نصيحتى نصب عينيه. وبعد فراقنا بوقت قصير، عمل بحماس بانضمامه الى جمعية استعادة الوطن وساعدنا بهمة دون ان يتخلى عن عمله كمعلم. وبناء على طلبنا، ارسل الينا آلة نسخ وأقمشة ومواد غذائية، وكان يأتى بين حين وآخر الى معسكرنا حاملا المواد التموينية على كاهله. بل انه قام بالتنصت على مكالمات العدو بواسطة جهاز هاتف زودناه به، وكان يخبرنا بانتظام بأوضاع العدو.

وقد عاد الى الوطن بعد تحرير البلاد، وواصل تكريس نفسه فى تعليم الجيل الصاعد، وهو العمل الذى بدأ به طريق حياته. وفى نهاية عقد الخمسينات، اذا لم اكن مخطئا، علمت انه اصبح مديرا لمدرسة ثانوية فى بيونغ يانغ وكان يدلل الطلاب مترددا فى الحاقهم بالعمل المنتج أو ارسالهم الى مواقع البناء.

استدعيته وسألته اذا كان ذلك صحيحا، فرد على بالايجاب وهو يحنى رأسه انحناءة كبيرة.

فقلت:

"لا استطيع ان أفهم ظهور مثل هذا الخلل فى مدرسة تديرها أنت بالذات. لعلك قد نسيت مرحلة تشينتاو الغربية؟"

فقال ان رغبة حياته كانت تتمثل فى ان يستطيع تعليم الاطفال فى ظروف مريحة وفى مدرسة جيدة الانارة، بالرغم من ان والديه قد عانيا الكثير فى العمل حتى اقتلعت اظفارهما تحت نير الاوغاد اليابانيين.

ادركت حقيقة مشاعره، ولكننى قلت له بصرامة:

"اذا اقتصرت على مداعبة التلاميذ ولم تعمل على الحاقهم بالعمل أو انتقادهم، فمن ذا الذى سيصبح راشدا اذن؟ يجب تعويدهم على بذل الجهد، اجبارهم على حمل الاثقال على ظهورهم والاعمدة الخشبية على اكتافهم، وتعويدهم على استخدام المعزق... بهذه الطريقة فقط سيتمكنون من تقدير قيمة العرق، وسيحترمون العمال والفلاحين وسيشيدون الاشتراكية جيدا. فلكى يتمكنوا من بناء الاشتراكية على احسن وجه، لا بد من ان نغرس فى اذهانهم روح بايكدو الثورية والروح النضالية لاهالى تشينتاو الغربية.

ان اهالى تشينتاو الغربية الذين لا يمكن نسيانهم، حيث كان دوى البنادق والمدافع يهز الارض والسماء، قد اعدوا معنا حجر الزاوية للعلاقات الثورية ما بين الجيش وبقية الشعب، ورسخوا اسس الجبهة المتحدة التى تضم اوسع الجماهير، بمن فيهم المؤمنون بديانة تشوندو والشباب والطلاب والمثقفون والملاكون الوطنيون، كما انهم شقوا السبيل الذى يربط ما بين الثوريين وغيرهم من قطاعات الشعب داخل كوريا. هناك ظهر عدد كبير جدا من الوطنيين وابطال الشعب البارزين الذين يستحقون بكل جدارة التخليد فى حوليات نضال تحرير بلادنا المناهض لليابان. واليوم، تتدفق روح بايكدو الثورية، والروح النضالية لاهالى تشينتاو الغربية، مثل سيل جارف فى عروق جميع ابناء شعبنا.

٢ـ ضجيج الطواحين

فى قرى تشينتاو الغربية، المبعثرة على سلاسل عديدة فى جبل بايكدو، كنا نرى فى كل مكان جداول تجرى مندفعة ونسمع ضجيج طواحين قشر الحبوب التى تعمل بقوة الماء. كم من مشاعر الحنين المؤثرة كان يسببها لنا سماع انينها من بعيد فى ساعات الليل المتقدمة المتشحة بضوء القمر! طواحين تشانغباى تلك التى كانت تطحن دموع المهاجرين الكوريين، صار لها هدف وقيمة جديدان بعد تقدمنا الى جبل بايكدو.

فمنذ خريف ١٩٣٦، أصبح الاهالى يقشرون فيها كميات كبيرة من الحبوب من اجلنا. ولم يكن هناك بين عشرات الطواحين الكبيرة والصغيرة واحدة لم تشارك فى دعم جيشنا. وماتزال تلك الطواحين منقوشة فى ذاكرتى بعمق كرمز لمساعدة الشعب بأسره لنا. واذا كنا استطعنا خوض حرب طويلة الامد ضد اليابان، متخذين من جبل بايكدو نقطة استناد، فان الفضل فى ذلك يعود باعتقادى الى الدعم الفعال الذى لقيناه من اهالى تشانغباى.

ففى هذه المنطقة، كان ساكنو ديشويكو فى شيليوداوكو سباقين فى تقديم العون للجيش الثورى الشعبى. لقد وصلنا فى اول الامر الى سينتشانغدونغ العليا. وكانت هذه القرية وغيرها من قرى وادى شيليوداوكو تسمى كلها معا ديشويكو. لقد كانت منطقة قصية، تقوم عند ملتقى جدولين وتضم نحو اربعين بيتا وطاحونة مائية.

فى ذلك اليوم، قدم لنا الاهالى شعيرية باردة مصنوعة من دقيق الحنطة السوداء المطحون فى ذلك الطاحون. وقد امتدت حركة مساندة الجيش التى بدأوها هناك لتشمل وانغجياكو وياوشويدونغ وديانغسى الى ان ألهبت كل أراضى تشينتاو الغربية.

ومع مرور الايام، كان العديد من الاهالى يأتون الى معسكرنا عبر الطريق

السرى فى الغابة، وهم يحملون لنا الحبوب والاقمشة على رؤوسهم وظهورهم.

وكان الاعداء المذعورون يرسلون التعزيزات الى منطقة تشانغباى ويضايقون اهلها. وكان ادنى قدر من الريبة كافيا لاحراق القرى واعتقال اهلها أو قتلهم دون رحمة.

"كل من يقدم اغذية أو مواد ممنوعة الى قاطع الطريق الشيوعى، أو من يقيم اتصالا معه، سيعتبر متواطئا معه ويحكم عليه فورا بالاعدام."

لقد ظهر مثل هذا التحذير الرهيب فى كل انحاء محافظة تشانغباى.

لقد كان محظورا على اهالى القرى الحدودية المحيطة بمنطقة جبل بايكدو حمل زوج اضافى من الاحذية للعمل أو علبة من اعواد الثقاب. ولكن مساعدتهم كانت تتدفق مع ذلك دون توقف نحو معسكراتنا السرية.

لقد كان ذلك عملا طوعيا ينطلق من مصالحهم الحيوية ذاتها. فقد فكروا بان السبيل الوحيد لانقاذ كوريا هو فى مساندة الجيش الثورى. هكذا، كانوا لا يهابون الموت، ولا يهتمون بقيظ شهرى تموز وآب ولا بالعواصف الثلجية العاتية فى الشهرين الحادى عشر والثانى عشر من التقويم القمرى.

كلما أتذكر وجوههم ترد الى ذاكرتى الصورة الراسخة والمتواضعة للى بيونغ هون، والد لى وول سول، عمدة ينغهوادونغ وعضو المنظمة. لقد كان هو واخواه من رواد حركة مساندة جيش حرب العصابات فى تشانغباى.

فى اواخر عام ١٩٣٦، وحين كنا فى معسكر كومويغول السرى، وصل هو الى مقر القيادة ومعه مواد كثيرة ارسلتها المنظمة الثورية فى ينغهوادونغ، ومن بين تلك المواد ما تزال جوارب البوسون(٠) منقوشة فى ذهنى. فقد أخرجت زوجا من تلك الجوارب ورأيت انها أسمك من الجوارب العادية واكثر منها طولا، اذ انها تصل حتى الركبة.

لقد تأثرت اشد التأثر بعناية واخلاص نساء ينغهوادونغ.

---

(٠) بوسون: نوع من الجوارب التقليدية المبطنة بالقطن – المترجم

هتفت قائلا:

"يا لها من جوارب رائعة! انها متقنة الصنع."

فاحمر وجه لى بيونغ هون خجلا من مديحى، وقال:

"ايها القائد، الثلج يهطل بغزارة فى اراضى تشانغباى. وقد يتعرض المرء لآلام كثيرة اذا هو أهمل قدميه فى الشتاء."

ومع انه كان لقاؤنا الاول، الا اننى استطعت ان ألمس بساطته ونزاهته. لقد كان رجلا لا يعرف الغطرسة. فعلى الرغم من كونه المسؤول عمن كانوا يأتوننا بالمواد، الا انه لم يكن يرغب فى قول ذلك، وكان يكتفى بالنظر الى خلسة وهو يقف وراء مرافقيه.

وبينما انا اتفحص جوارب البوسون وأقلبها بين يدى، هتف رجل كان قد فتح زكيبة أرز:

"انظر أيها الرفيق القائد، ان امبراطور اليابان نفسه لم ير حبوب شعير مثل هذه."

وحين نظرت الى الزكيبة ارتبت بما تراه عيناى. لقد كانت الحبوب بيضاء ونظيفة كالثلج. وفكرت: "ألا تكون حبوب أرز؟ كم من الاخلاص بذلوا لقشر هذه الحبوب هكذا؟".

قلت له:

"لقد بذلتم جهدا كبيرا. فهذه هى المرة الاولى فى حياتى التى أرى فيها حبوب شعير كهذه. كيف قشرتموها لتصبح بيضاء هكذا؟"

"لقد عالجناها فى الطاحونة أربع مرات."

"ولكن مرتين تكفيان، أليس كذلك؟ لقد اظهرت قدرا كبيرا من التفانى حقا."

"ان نساء قريتنا يتمتعن بقدر عال من العناد دائما."

لقد نسب لى بيونغ هون الفضل الى النساء وحدهن، وأضاف قائلا:

"لقد كلفهن ذلك جهدا كبيرا، أما الرجال فلا. ولو كان الامر بأيديهن لعالجن الشعير عشر مرات وليس اربع مرات فقط، ولماذا لا يفعلن ذلك من اجل الجيش

الثورى؟ لكن العائق الوحيد هو ان جواسيس العدو كانوا يتجولون فى القرى لمعرفة البيوت التى تقشر الحبوب، وأى اصناف منها يقشرون والى أين ينقلونها، ولكى يضللن الرقابة، عملت عضوات رابطة النساء بهمة وجلد، فكن يذهبن الى سوق هيسان ويشترين اقمشة يلفنها على خصورهن أو يضعنها كاقمطة لاطفالهن، وكلما ذهبن الى السوق كن يتعمدن حمل الاطفال على ظهورهن، بالرغم من ان المسنين الجاهلين كانوا يقولون مؤنبين انهن يتحملن المشقات عبثا، ولكنهن كن يواصلن عمل ذلك ليجدن مكانا يخبئن فيه الاقمشة."

ولم يكن يشير مطلقا الى الجهود التى يبذلها الرجال.

تأثرت أشد التأثر. واخرجت من الكيس حفنة من حبوب الشعير، وبعد ان شممتها قلت لمن هم حولى:

"كيف يمكن لامبراطور اليابان أن يتذوق حبوبا جيدة مثل هذه، وهو الذى يشبه شجرة بلا جذور رغم انه يحتل منصبا رفيعا؟ اما نحن، فاننا براعم راسخة الجذور وان كانت لا تراها العيون."

فى السنة التالية، عرفنا بالتفصيل عن طريق لى وول سول، كيف كان اهالى ينغهوادونغ يقدمون المساعدة الى الجيش. ففى تلك السنة، انضم لى وول سول الى وحدتنا، وكان شخصا لا يحب التبجح مثله فى ذلك مثل ابيه. وقد كان يتكتم بشكل خاص فى الحديث عن ابيه وأمه. بالرغم من ذلك، وان كنا لا نعرف اذا ما كان قد تصرف بعدم تبصر، فقد تحدث عن أمر واحد فقط، وهو ان أمه كانت قد جمعت ثمار توت العليق البرى لتبيعها وتحصل على النقود اللازمة لشراء اقمشة تصنع منها حقائب للظهر.

لقد كانت هناك بيوت كثيرة فى ينغهوادونغ تفتقر الى المواد الغذائية. وهو ما ينطبق كذلك على أسرة لى وول سول. فعلى الرغم من ان الاسرة لم تكن تقتات الا على حساء الاعشاب البرية، الا انها لم تشأ ان تتخلف عن الآخرين فى تقديم المساعدة للجيش الثورى. ولهذا، كانت تجمع فى الصيف ثمار العليق وفى الخريف الاعناب البرية والتوت البرى لبيعها فى سوق هيسان. وحين كانت أمه تعود الى

البيت ومعها الثمار البرية التى جمعتها، وتعمل على انتخابها، كان اخوته الصغار يحيطون بها وهم يبتلعون لعابهم. وكانت تعرف انهم يشتهون ان يأكلوا شيئا منها، ولكنها لم تكن تقدم لهم ثمرة واحدة لاعتقادها بان ذلك يعنى وهنا فى اخلاصها للجيش الثورى.

عاد لى بيونغ هون من المعسكر السرى، وقال لابنائه بافتخار انه قد التقى بى. فرجاه لى وول سول بأن يسمح له بالانضمام فورا الى جيش حرب العصابات لكى يقاتل تحت قيادتى. فعارضه ابوه على الفور قائلا له:

"جميع جنود القائد شجعان ويتقنون استخدام الاسلحة. أما أنت فترتدى سروالا قصيرا من القنب ولا تتقن استخدام أى شىء سوى المعزقة. فكيف تجرؤ على التفكير فى ان تكون عضوا فى الجيش الثورى؟ عليك ان تتعلم شيئا ما أولا، وبعد ذلك يمكنك الذهاب للانضمام الى الجيش."

وبعد فترة من ذلك، ضمه الى احدى المنظمات الفرعية التابعة لجمعية استعادة الوطن من أجل تصليب عوده، ثم ارسله فى صيف العام التالى مع ابن شقيقه الى جيش حرب العصابات. وكان ذلك هو أقصى تعبير عن روح المساعدة للجيش.

ولم يتوقف لى بيونغ هون عن مساعدتنا بعد ذلك ايضا.

فى اواخر ربيع عام ١٩٣٧، التقيت به مرة اخرى فى تيانشانغشوى. وكان يحمل معه ادوات صبغ تستخدم كالخاتم فى الاصبع لصباغة الازهار والاعلام لتزيين مكان الاجتماع المشترك للجيش والاهالى تحية للانتصار فى معركة بوتشونبو.

ان كل مادة أرسلها الينا اهالى تشانغباى كانت مضمخة بتفانيهم ونكرانهم للذات، وكان ذلك يجعل الدموع تطفر من مآقينا. فى البيوت التى كانت تعمل فى زراعة اراضى الوقيد، كانت كل أربع أذرع تنتج نحو ٢٠ أو ٣٠ تانا (التان الواحد يساوى ٢٠ مالا) من البطاطا. ومن أجل الحصول على مال واحد من النشاء، كان لا بد من طحن نحو عشر مالات من البطاطا. وكان كل مال من النشاء فى ذلك الحين

يباع بنحو ٦٠ زيانا، وهو مبلغ لا يكاد يكفى لشراء زوج من احذية العمل. وهكذا، كانوا يصنعون من تلك البطاطا كحولا أو عجينة محلاة ليبيعوها. ولم يكن من الممكن مع ذلك الحصول على البضائع بسهولة رغم امتلاك المال، ولهذا كان عليهم كلما أرادوا ارسال شيء لنا ان يبذلوا جهودا جبارة وان يعصروا ادمغتهم للتوصل الى طريقة تتيح لهم عمل ذلك.

وعلى الرغم من تلك الظروف المعاكسة، كانوا يوفرون كل انواع البضائع ويرسلونها الينا فى الجبال.

ولم يكن هناك أحد تقريبا بين أهالى تشانغباى من الكوريين الا وقدم مساعدته للجيش الثورى. وحتى الشيوخ الذين يمشون متوكئين على العكاكيز، كانوا يخرجون الى الجبال ليجمعوا لحاء اشجار الزيزفون ويصنعون منها صنادل لنا ساهرين الليالى من اجل ذلك. أما النساء فكن يتناوبن العمل فى قشر الحبوب الغذائية فى الطاحون دون أن يشعلن النار فى الموقد حتى فى ليالى الشتاء الباردة، ويتناوبن الحراسة ليحلن دون أن يكتشف العملاء أمرهن.

وكان عمد القرى هم الذين ينظمون نقل المساعدات فى معظم الاحيان. وقد كان ذلك مفيدا لنا، فاضافة الى امور أخرى، كان جميع عمد القرى فى محافظة تشانغباى تقريبا هم مسؤولو فروع جمعية استعادة الوطن أو منظماتها المحلية. فكان مسؤولو التموين فى جيشنا الثورى يتعمدون بعث رسائل تهديد اليهم ومطالبتهم بمواد تموينية، وبهذا يصبح لديهم مبرر أمام الاعداء لارسال تلك المواد. وقد كان عمد القرى ينظمون المساعدات سرا، متظاهرين بانهم يستسلمون امام التهديد.

وحين كانت جماعة نقل المساعدات تغادر القرى، كان جميع الاهالى يتطوعون لمرافقتها.

وكان مقاتلونا يترددون على بيوت الاهالى فى تشانغباى وكأنها بيوتهم.

وقد كان بيت الام ريوم بو باى هو اكثر بيت نتردد عليه لطلب المساعدة.

وحسب ما قاله ريوم اين هوان، فان كانغ زين كون هو أول من عمل على استغلال اراضى ديشويكو بعد ان لم يعد قادرا على مواصلة العيش فى مسقط رأسه،

فقد اجتاز نهر آمروك مع افراد اسرته واقرباء آخرين واستقر فى وادى شيليوداوكو.

وكانت ريوم بو باى هى زوجة ابن عمه.

وقد اخبرنا ريوم اين هوان ان الزوجين يتمتعان بروح قوية فى مناهضة اليابان وطبع قوى لتأثرهما بكانغ زين كون.

ولهذا السبب بادرت الى زيارتهما اثر وصولى الى داديشوى. ومازلت حتى اليوم اذكر صورة ريوم بو باى وهى محزونة لاضطرارها الى ان تقدم لى وجبة من خليط الشوفان والشعير مع البطاطا. وكانت تحتفظ بذلك الخليط منقوعا دائما فى صفيحة كبيرة لكى تستطيع طهوه فور وصولنا ليلا. وقد كان خليط الشوفان والشعير الذى تطبخه طريا ولذيذا يفتح الشهية.

وخشية ان يرتاب العملاء اذا ما شاهدوا الدخان يتصاعد من المدخنة فى ساعات الليل المتأخرة، قام زوجها كانغ اين هونغ بتقصير المدخنة وتغطيتها بحزم من قش القمح لكى يتبدد الدخان واطئا. والحقيقة انهما كانا شخصين طيبى القلب.

لقد كان اهالى ديشويكو جميعا ودون استثناء، يعانون الفاقة، ولكنهم يرون مع ذلك ان خدمة الجيش الثورى هى مصدر اعتزازهم الكبير.

وليس من قبيل الصدفة اقدام الاعداء فى صباح أحد الايام على تحويل قرية داديشوى الى بحر من اللهيب. لقد كانت مجزرة تذكر "ببحر الدماء" فى تشينتاو الشمالية. فاذا ما اقيمت اكواخ اخرى فوق الارض المتحولة الى رماد، كان الاعداء يعودون الى احراقها من جديد.

ولم تجد اسرة ريوم بو باى مفرا من الانتقال الى تسانغموجى فى سينتشانغدونغ.

تلقينا معلومات بهذا الشأن وذهبنا لرؤيتها. وقد كانت تسمع هناك ايضا جعجعة الطاحون، وهى علامة تبشر بالخير، لانه فى كل مكان يجرى فيه ذلك، كان يوجد النضال وأناس يعتبرون أقصى فخر لهم فى التعاون مع جيش حرب العصابات، كما ان ذلك يؤكد على ان روح كوريا لن تحترق بأشد النيران عنفا ولن تتحطم أمام اعتى العواصف. لقد كان ذلك اشبه بدوى طبول يقرعها الشعب معلنا استمرار مقاومته

ضد الامبريالية اليابانية عن طريق حركة مساعدة جيش حرب العصابات.

ذهبت أولا برفقة جندى اتصال الى الطاحون والتقيت هناك مع ريوم بو باى.

وما ان رأتنى حتى خرت على ركبتيها وانفجرت بالبكاء. لقد كانت تشعر بحزن شديد لمغادرتها داديشوى.

فقلت لها مواسيا:

"دعيك من البكاء يا خالة. أانت حزينة جدا؟ ولكن عليك تجاوز هذه الاحزان والتغلب عليها..."

كانت الاسرة هى التى اقامت الطاحون، وعلى مقربة منها كان ينتصب الكوخ الصغير.

فى ذلك اليوم، استطاعت ريوم بو باى الحصول على دجاجة من القرية المجاورة وقدمت لنا لحمها ومرقها مع شعيرية البطاطا. ولكنها اعتذرت منا مع ذلك لبؤس الطعام.

وأقول بصراحة اننى لم استطع حتى الآن نسيان طعم الشعيرية التى كنت اتناولها بكثرة فى بيوت محافظة تشانغباى، ولهذا فاننى اعمد فى المآدب التى اقيمها للضيوف البارزين الى تقديم طبق خاص من شعيرية النشاء أو دقيق البطاطا المجمدة.

فى تلك الليلة، أحست ريوم بو باى بالقلق الشديد لخشيتها من ان تمنعنى ضجة الطاحون من النوم. ولكن قلقها كان دون مبرر، فالامر كان على العكس تماما بالنسبة لى: فقد كنت انام براحة أشد وأفكر بطريقة أفضل حين اسمع صوت الطواحين.

وقد اقامت اسرتها الطاحون فى تسانغموجى، لا لتوفير اسباب الراحة لحياتها، وانما لتقديم المساعدة لنا.

ولم يكن بامكان الاهالى ان يعيشوا بامان حتى فى هذه القرية الجبلية النائية. فقد مد العدو مخالبه الى هناك. وجاء رجال شرطة ايرداوجيانغ ودمروا الطاحون وجرى اقتياد جميع سكان القرية الى مركز الشرطة. وأخضعت اسرة ريوم بو باى

لتعذيب رهيب، وبعد ثلاثة ايام أعيدوا الى بيتهم على زحافة وهم يوشكون على الموت. وقد كان الشيخ كانغ فى حالة خطرة لانه تعرض للضرب اكثر من الجميع.

أرسلت اليهم كمية من مرارة الدب، وهى دواء ناجع لعلاج الكدمات. وسرعان ما تماثلوا للشفاء، بمن فيهم الشيخ كانغ الذى كانت جراحه أشد خطورة، فقد غادر الفراش وعاد الى معاونة جيش حرب العصابات.

لقد كان نجارا موهوبا، فذهب الى الغابة وقطع شجرة الباكدال وصنع منها دعامة للطاحونة المدمرة. نصحه ابناؤه بان يترك هذا العمل الى ان يشفى تماما، ولكن هذا الكلام لم يعجبه. فأنبهم العجوز قائلا:

"ماذا تقولون؟ أوتظنون اننى يجب ان انام القيلولة وانا سليم الجسم بينما المسنون والمسنات الذين تجاوزوا الثمانين يقومون بجدل الصنادل القشية ويصنعون جوارب البوسون واشياء اخرى مماثلة لكى يساعدوا اولئك الذين يعانون المشقات فى الجبل."

وهكذا عادت طاحونة تسانغموجى الى قشر الحبوب المخصصة لنا.

وبناء على رغبة الشيخ كانغ اين هونغ، وافقنا على انضمام ابنه كانغ زونغ كون الى الجيش الثورى وكنا نعتنى به عن قرب على الدوام. ولكنه استشهد، لسوء حظنا، فى احدى المعارك بعد فترة من الزمن.

لقد كانت اسرة كيم سى وون، الذى كان يسكن فى بينغانغدى فى شيتشيداوكو، اسرة رائعة ايضا ساعدت الجيش الثورى بنزاهة واخلاص.

فكثورى شريف، وجه كيم سى وون أخويه وابناءه وبناته الاربعة وعددا آخر من اقربائه وساعدهم بنشاط للمشاركة فى النضال الثورى.

فقد كان كيم سى اوك، خطيب ما كوك هوا، هو شقيقه الاصغر، وكان المناضل الثورى المناهض لليابان كيم ايك هيون، ابنه الاصغر. وقد ناضل ابنه البكر بشجاعة ضمن صفوف الجيش الثورى الشعبى الكورى. وبعد قليل من انضمامه الى هذا الجيش، شارك فى معركة جيانسانفينغ، ثم عمل ككادر سياسى سرى داخل البلاد الى ان اعتقله العدو. وقد حكم عليه بالسجن لخمسة عشر عاما، ومكث فى سجن سودايمون

مع كوون يونغ بيوك ولى زى سون، وقد تم اغتياله، كما يقال، فى ربيع عام ١٩٤٥.

كان مسكنه القائم فى مكان جبلى متوار عن الانظار، لا يبعد كثيرا عن المعسكر السرى، وكانت ترتاده وحدات صغيرة من جيش حرب العصابات والعاملون السياسيون السريون. وقد اعتاد هؤلاء قضاء الليل هناك، ومثلهم كان يفعل أولئك الثوريون القادمون من داخل كوريا الى المعسكر السرى. اذ كانوا يستخدمون البيت "كنزل" لا يدفعون فيه أجرا. وكان صاحب البيت يزرع قطعة أرض يملكها اقطاعى صينى، ويرسل كل الحبوب التى يجنيها لكى يستهلكها الثوريون.

لقد اقام كوون يونغ بيوك هناك لكى يوجه النشاطات الحزبية فى محافظة تشانغباى.

وقد اطلق عليه رفاقى لقب "تاسفو" وهو مشتق من كلمة "داشيفو" الصينية التى تعنى "الطاهى". وكان يستقبل ضيوفا كثيرين الى حد استحق معه هذا اللقب. وقد كانت لديهم قدر اكبر خمس مرات من القدور العادية. وكانوا يطبخون فيها مستخدمين مغرفة ضخمة، ويقدمون الطعام لاعضاء الجيش الثورى. وحين يفد الى البيت كثيرون منهم، كان هو نفسه يشمر عن ساعديه ويدخل المطبخ ليساعد النساء فى عملهن والعرق يتصبب من جبينه. ومع انه كان يمشى بصعوبة بفعل اصابة خطيرة فى عقبى قدميه سببها له التجمد، فانه كان يذهب عدة مرات كل يوم الى الطاحون وهو يحمل اكياس الارز على كاهله.

وكثيرا ما كان يقول لضيوفه مازحا:

"لو لم افقد عقبى قدمى لاستطعت الانضمام الى جيش حرب العصابات رغم تقدمى فى السن الى حد ما، ولكنت توليت مسؤولية الشؤون التموينية، ولكن..."

واذا ما أخذنا بعين الاعتبار انه كان يزرع بالمحاصصة، فاننا نتساءل أى حبوب يمكن ان تبقى فى بيته اذا كان يقدم فى اليوم طنجرة ارز الى العاملين السياسيين السريين؟ ربما كان يبقى هو نفسه دون طعام فى أحيان كثيرة.

ان تفانى سكان تشانغباى فى مساعدتهم للثورة كان منقطع النظير بكل ما فى

الكلمة من معنى. فقد كانوا يتبرعون للجيش الثورى بكل ما يملكونه عن طيبة خاطر، بل وكانوا يقدمون حياتهم اذا اقتضى الامر ذلك.

والحادثة التالية جرت فى شهر ايار ١٩٣٧: فوجئ المسافرون على الطريق المؤدى الى ايرداوجيانغ بجثتين، احداهما لامرأة والاخرى لطفل.

وكانت القتيلة امرأة ريفية عادية. فبينما هى تعتنى سرا فى بيتها بمقاتل جريح من جيش حرب العصابات، تم اعتقالها من قبل ضابط دركى فى الجيش اليابانى، واقتادها ذلك الضابط مع المقاتل الجريح الى ثكنته. ولكنها كانت جريئة، فقد طعنته فى وجهه بخنجر كانت تخفيه فى صدرها، ثم انتزعت منه مسدسه الذى كان فى حزامه. وهكذا تمكن الفدائى الجريح من الهرب. بقيت المرأة تراقب الضابط الملقى على الارض اكثر من نصف ساعة، الى ان تمكن الفدائى من المضى بعيدا والتوارى عن الانظار. وعندما استيقظ الضابط اليابانى من غيبوبته، انقض عليها فجأة وانتزع المسدس منها، ثم قتلها مع طفلها بسيفه دون رحمة.

وبعد قليل من ذلك، انتشرت أخبار هذه المأساة.

وفى احدى الليالى، اختفت جثة المرأة بطريقة تشبه السحر. فراح الدركيون اليابانيون يتنقلون من مكان الى آخر وهم يطلقون الصرخات وكأن حدثا عظيما قد وقع. وقد كان ذلك طبيعيا، لان الرب وحده يعلم كيف اختفت تلك الجثة دون ان يبقى لها اثر رغم الحراسة التى يفرضها العملاء عليها طوال ٢٤ ساعة يوميا. لم يكن هنالك شك فى ان احدى المنظمات الثورية فى ايرداوجيانغ أو محيطها قد قامت بأخذ الجثة، منتهزة أول فرصة مؤاتية اتيحت لها.

يوجد فى محافظة تشانغباى قرية تدعى تسوجيادونغ، كان يعمل فيها عدد كبير من الثوريين المشهورين. وقد قاتل هناك "الشيخ ذو الخنجر" كيم ريونغ سوك. وقد فعل مثل تلك المرأة، اذ قطع بخنجر الحبل الذى يقيده وطرح حارسه ارضا، وهو ضابط فى الجيش اليابانى. وعندما كان يعمل مسؤولا عن التموين فى جيش حرب العصابات، اطلق عليه رفاقه لقب "الشيخ ذى الخنجر"، وهو اللقب الذى أصبح فيما بعد رديفا لاسم كيم ريونغ سوك. وكان يناديه بهذا الاسم أيضا الاطفال فى البناية

السكنية التى امضى فيها الفترة الاخيرة من حياته فى بيونغ يانغ.

ومن المؤسف جدا ان تلك "المرأة ذات الخنجر" قد غادرت هذه الدنيا دون ان يعرف اسمها. ويبدو لى ان ذلك الفدائى الجريح الذى تمكن من الهرب بفضل مساعدتها، لم يستطع الوصول حيا الى وحدته.

فى احدى المرات، عهدت الى العجوز زى بونغ فال، عضو المنظمة السرية فى تسوجيادونغ، مهمة العناية باثنين من مقاتلينا، احدهما كيم ريونغ يون الذى كان يعانى من مرض مزمن، والآخر جندى مستجد جريح لا استطيع تذكر اسمه. وقد اعتنى بهما العجوز عناية فائقة طوال ما لا يقل عن شهرين، الى ان سقط ضحية "التأديب" المعادى.

عندما اقتحم الاعداء القرية، كان فى بيته وحيدا بعد ان خبأ عنصرى الجيش الثورى فى أحد الجبال. وكان قد فكر بانه اذا ما غادر بيته، فقد يعمد الاعداء الى قلب الجبل رأسا على عقب للعثور عليهما.

طلبوا منه احضارهما، ولكنه رد عليهم بحزم بانه لا يعرف شيئا. ضربه الاعداء بوحشية على وجهه مستخدمين فى ذلك سوطا من الجلد. كان الدم القانى يسيل على خديه. ولكن، كلما تكررت لسعات السياط والشتائم البذيئة، كان يضغط باسنانه على شفتيه بقوة اكبر.

وضعوه وسط حفرة وسددوا بنادقهم الى صدره، وقالوا له متوعدين: "اخبرنا أين الجريحون فنكافئك، اما اذا رفضت فسوف ندفنك حيا ليأكلك الدود."

ولكنه لم يفتح فمه رغم ذلك كله.

استولى الغضب على الاعداء، فرموه بالرصاص هناك بالذات. وقد ترك قبل موته وصية متواضعة لاهل قرية:

"ساعدوا جيشنا جيدا. بهذا فقط يمكنكم ان تروا عما قريب مجىء عالم جديد."

وقد عرفت هذه الواقعة فيما بعد باسم "حادثة تسوجيادونغ". وبعد انقضاء زمن طويل علمت بموت العجوز زى بونغ فال، وكان من اخبرنى بذلك هو الرفيق كيم ريونغ يون.

كيف استطاع ذلك الفلاح الدمث الذى كان يعيش حياة ساذجة وشريفة وهو يزرع الارض، ان يبقى محافظا على رباطة جأشه، وان يؤلق اللحظة الاخيرة من حياته وهو يقف كالمارد منتظرا الموت وسط الحفرة؟

ان وصيته القائلة بان مد يد المساعدة الى جيشنا هو السبيل الوحيد لتقريب مجيء العالم الجديد، تثبت لنا بالملموس مدى أهمية الايمان بالنسبة للانسان ومقدار القوة التى يتمتع بها من يملك الايمان.

ومع ان اهالى محافظة تشانغباى تعاونوا مع جيشنا، متحدين المخاطر ومجازفين بحياتهم دون ان ينتظروا أى مقابل، فان أيا منهم لم يتقدم بعد تحرير البلاد ليعلن عما فعله.

فبعد تحرير البلاد، انتقلت ريوم بو باى مع ابنائها الى هيسان، ولكنها لم تخبرنا بذلك الا بعد مرور اكثر من عشر سنوات.

لقد علمت بالامر فى عام ١٩٥٨، حين كنت اقوم بزيارة عمل الى محافظة ريانغكانغ. وقد التقيت بها فى محطة القطار، وكان الشيب يكلل رأسها.

"ايتها الخالة، لقد مضى زونغ كون، وابتعد أبوه ايضا... وها انذا أراك اليوم وقد وخط الشيب رأسك..."

شعرت بغصة فى حلقى ولم استطع مواصلة الكلام. كان زوجها كانغ اين هونغ قد توفى وهو يتقيأ دما بفعل الضرب الذى تلقاه فى مركز الشرطة لارتكابه "جريمة" مد يد المساعدة الى الجيش الثورى.

عانقتنى المرأة العجوز فيما الدموع تسيل على خديها.

"ايتها الخالة! لقد كنت اتردد على بيتك كما لو كان بيتى، فلماذا تصرفت انت على هذا النحو؟ ها قد مضت عشر سنوات على التحرير، لماذا لم تأت خلالها لمقابلتى؟ بل انك لم تكتبى الى ولو رسالة؟"

سألتها ذلك السؤال بحزن وأنا أداعب يديها المشققتين. فردت على قائلة:

"وكيف لا اكون راغبة فى الذهاب الى بيونغ يانغ لرؤية القائد ؟ ولكننى لست الوحيدة التى ترغب فى ذلك، فاذا ما ذهب الجميع الى هناك، فهل سيكون بامكانكم،

وانتم تتحملون دائما مسؤوليات جساما، ان تعيروا الاهتمام اللازم لشؤون الدولة؟"

اهالى تشانغباى المتأججون حماسة، هؤلاء الذين كانوا يخرجون للقائنا الى اماكن بعيدة، دون ان ينتبهوا الى ان احذيتهم تفلت من أقدامهم، كانوا يعيشون هكذا بصمت بعد عودتهم الى الوطن المحرر، دون ان يعلنوا عن وجودهم لأحد فى الدنيا.

بعد وقت قصير، أحضرتها الى بيونغ يانغ، وأسكنتها فى بيت على ضفاف نهر دايدونغ الحالمة.

هكذا كان جميع سكان تشانغباى الذين ساعدونا مضحين بدمائهم فى ايام الثورة المناهضة لليابان.

فكيم سى وون، الذى ذكرناه سابقا، دخل الى كوريا فى خريف عام ١٩٣٧، وجاب مناطق وونهونغ وبوتشون وموسان وسونغزين (مدينة كيم تشايك حاليا) واماكن اخرى عديدة من اجل بناء المنظمات السرية، وواصل تأمين المساعدات الى جيش حرب العصابات.

ثم انتقل بعد ذلك الى تومين وتنكر بزى حوذى ليعمل فى السرية حتى يوم تحرير البلاد. وقد فوجئنا بانه كان يقوم بالنشاطات السرية رغم اصابته بجراح فى قدمه، ويسافر الى مناطق بعيدة مثل أى رجل سليم. ولم يكن يتفاخر بعمله. ولم نعلم الا بعد زمن طويل بنشاطاته داخل كوريا التى استرعت انتباه المؤرخين.

وهل كان كيم سى وون هو الوحيد الذى يتصرف بهذه الطريقة؟

لقد كان معظم سكان تشينتاو الغربية اعضاء فى جمعية استعادة الوطن، وجميعهم يستحقون لقب الابطال أو اصحاب الجدارة المجهولين حسب التعابير المتداولة حاليا.

وبالرغم من ان الاعداء حاولوا تمزيق الروابط المعقودة بين الجيش الثورى الشعبى وبقية السكان وكبح تيار حركة مساعدة الاهالى للجيش عن طريق اقامة قرى الاعتقال الجماعى وابراج الحراسة والاسوار والاسلاك الشائكة، الا انهم لم يستطيعوا مطلقا تقييد ارواح الناس فى تشينتاو الغربية أو منع افئدتهم من التوجه نحو جبل بايكدو. وحيث ان آمرى فرقة الدفاع الذاتى والعمد وحراس بوابات

الاسوار كانوا فى غالبيتهم من رجالنا، فان صخب العدو حول اقامة قرى الاعتقال الجماعى تحول فى نهاية المطاف الى سخرية. لقد كانت قاعدة جبل بايكدو بعيدة جدا عن السكان بالمقارنة مع قاعدة منشوريا الشرقية. ولكن العلاقات بين الجيش والشعب كان اشد متانة مع ذلك. كما ان المحبة المتبادلة بينهما كانت اكثر تأججا. ولم يخب املنا حين وضعنا ثقتنا وأملنا فى الشعب باختيارنا جبل بايكدو كمركز سياسى واستراتيجى جديد للثورة الكورية. فسكان قاعدة جبل بايكدو الوطنيون الانقياء والمخلصون للجيش الثورى، اذهلوا العدو بمآثرهم التى لا يمكن تصورها فى مساعدة مقاتلى حرب العصابات.

لقد ابدع اهالى محافظة تشانغباى الابطال هذه التقاليد الثورية فى المساعدة وكانوا نموذجها المتألق. وقد تحول هذا الدعم للجيش فيما بعد الى حركة وطنية تشمل كل القطاعات الشعبية والقرى والبيوت والرجال والنساء والمسنين والاطفال. وبفضل تمتعنا بهذا الدعم، كنا قادرين على الانتصار فى اى معركة نخوضها مهما كانت قسوتها.

ان حركة مساعدة الجيش التى كانت تتقدم على شكل امواج فى اراضى تشينتاو الغربية الشاسعة، جعلتنى ادرك بالتجربة مدى القوة العظيمة التى يمتلكها الشعب المنظم. فقد كانت المنظمة موجودة وتمارس عملها حتى فى التلال أو الاودية التى لا وجود فيها الا لثلاثة بيوت فلاحية. فاذا ما ارسلنا اليهم رسالة قصيرة مع أحد المراسلين، حتى ولو فى الليل، كان الاهالى يقفزون من فراشهم على الفور ويعدون الطعام قائلين!: "الجيش الثورى على بعد اربعة كيلومترات، وقد ارسل الينا انه سيتناول الطعام فى قريتنا، فنسرع ونعد لجنوده وجبة ساخنة".

ومن خلال ملاحظة نرسلها عن طريق المنظمة، كنا ندعو دفعة واحدة جميع اهالى المنطقة الى جبل بايكدو أو نجعلهم يصعدون الى ذراه ليصرخوا بأعلى اصواتهم: "يحيا استقلال كوريا!". وقد كان ذلك ممكنا لان الجميع كانوا منظمين ويتحركون حسب اوامرنا منذ خريف عام ١٩٣٦.

هنالك مثل شائع فى بلادنا يقول: لكى يظهر بريق اللؤلؤ لا بد من نظمه معا.

وقد كان كل مواطن فى تشينتاو الغربية كائنا ثمينا مثل لؤلؤة. وقد صقلتهم جمعية استعادة الوطن التى حولت هذه المنطقة الى عالم خاص بنا.

ما الذى كان سيحدث لو اننا لم نتوصل الى جمع شملهم فى المنظمة؟ كانت كل لؤلؤة منفردة ستتعرض للسرقة على يد العدو أو ستفقد بريقها تحت الارض. وما الذى يستطيع عمله شخص واحد منفرد، حتى وان كان يتأجج بحب الوطن والامة!

وبهذا المعنى، فاننى أقول دائما ان المنظمة هى اكبر مورد للرجال الذين يصنعون الثورة. ومن الصائب الاشارة الى ان لهذه المنظمة مغزى خالدا بالنسبة لجميع الثوريين وكل الشعوب المتطلعة الى الاستقلالية. ان تحولات العصر لا تستدعى التقليل من دور المنظمة، كما ان التقدم الظافر للثورة لا يعنى السماح باضعاف عملية تنظيم الجماهير الشعبية. فالمنظمة ليست ضرورية من اجل النضال الهادف الى الاستيلاء على السلطة وحسب، وانما هى ضرورية فيما بعد أيضا من اجل بناء الدولة، كما انها ستكون ضرورية بعد الانتهاء من بناء المجتمع الشيوعى ايضا لمواصلة الثورة استنادا الى قاعدة نجاحاتها. وكما انه لا توجد نهاية للثورة، فان مهمة تنظيم الجماهير لا تنتهى أيضا. هذه هى بالضبط منطق التطور الاجتماعى، وهو قانون يجب ان يهتم به جميع اولئك الذين يناضلون من اجل بناء مجتمع متطور.

وحتى بعد بناء المجتمع الشيوعى، ناهيك عن الوقت الحالى، سنواصل تنظيم الجماهير دون كلل. وسنشيد بهذه القوى مجتمعا مستقلا ومزدهرا الى أبد الآبدين، وسندافع بصلابة فولاذية عن وطننا ونظامنا.

فى ذلك الوقت، مع بداية عقد الاربعينات، حين كانت الامبريالية اليابانية تسكب ماء باردا على نضالنا متحدثة عن "معركة معزولة" يخوضها الشيوعيون الكوريون، بينما هى تعلن للعالم ما يسمى "سياسة الصداقة مع الاتحاد السوفييتى"، وكذلك عندما تقدمت المانيا الهتلرية بقوة هائلة لتجتاح موسكو متشدقة "بنهاية مأساوية" للشيوعيين، كنت اضاعف حماستى واحافظ على ايمانى بتذكرى طواحين وانغتشينغ وتشانغباى.

وكذلك فى ايام الحرب الضروس فى مواجهة الامبريالية الامريكية التى كانت تتبجح بانها "الاقوى" فى العالم، ومعها جيوش البلدان الدائرة فى فلكها، كنت على قناعة راسخة بالنصر وانا أتصور تلك الطواحين. ربما هنالك اناس يستغربون ذلك، ولكن هذه هى الحقيقة.

لا شك اننى رأيت فى طواحين تلك القرى حب الشعب المطلق والثابت وارادته الراسخة فى مد يد المساعدة لنا وتصميمه الحازم امام الموت.

فى فترة التراجع المؤقت خلال الحرب الكورية الماضية قمت بجولة فى احدى المرات على ضفاف نهر دوكرو (نهر زانغزا حاليا) برفقة السيد لى كوك رو الذى كنت قد حدثته عن تلك الطواحين، وشددت مرارا على اننا لم نعان الجوع ونحن فى جبل بايكدو لان اهالى تشانغباى كانوا يرسلون الينا الحبوب التى يقشرونها فى تلك المنشآت، ومع ان العدو احرق القرى ودمر هذه الطواحين، الا اننى مازلت اسمع ضجتها، فاذا ما استندنا الى الشعب وعبأنا قواه، فسوف نتمكن من الحاق الهزيمة بأى عدو مهما بلغت قوته. وأضفت قائلا: حين اتذكر ان مواطنينا المقيمين فى تشانغباى كانوا يستغلون بفعالية حتى جداول المياه الصغيرة ويقيمون عليها الطواحين، فاننى أشعر بأسى كبير حين نترك نهرا غزيرا مثل هذا يتدفق دون ضابط، سنقيم سدا على هذا النهر بعد انتهاء الحرب وسنبنى محطة كهرمائية ضخمة.

ان تقاليد مساعدة الجيش، والوحدة ما بين الجيش والشعب التى استقرت فى مرحلة النضال المسلح المناهض لليابان، اتسعت واصبحت اكثر صلابة فى خضم حرب التحرير الوطنية العظيمة.

لقد استطاعت جمهوريتنا الفتية الحاق الهزيمة "بقوة عظمى" لان الشعب بأسره عمل وناضل متحدا مع جيشه، بينما كان الاعداء يعتمدون على قواهم العسكرية وحدها.

وحاليا، يتم توارث هذه التقاليد القوية وتتطور بتألق اكبر تحت قيادة حزبنا.

ففى كل انحاء البلاد تنتشر بقوة حركة "قريتنا ومخفرنا" و"مخفرنا وقريتنا"،

وهذه الحركة بالتحديد هى التعبير عن مساعدة الشعب لجيشه والعكس بالعكس. وبعد اختيار الرفيق كيم جونغ إيل قائدا أعلى للجيش الشعبى الكورى، اتسعت هذه الحركة بشكل خاص، لتشمل بسرعة جميع المصانع والمؤسسات والمزارع والقرى والمدارس والمنازل فى البلاد.

هذه الروابط بين الجيش وبقية الشعب صارت فخرا استثنائيا لكوريا، لم يعرف لها مثيل فى تاريخ بناء الجيش فى اى بلد من بلدان العالم. ولاننا نعتمد على القوة العظيمة المتحدة للشعب وجيشه فاننا قادرون على التصدى بثبات لاى تهديد أو ابتزاز يقوم به اى عدو.

ان وحدة الشعب بقلب واحد، ووحدة الشعب مع الجيش، هى فى اعتقادى اكبر نجاحات الثورة الكورية.

ان ضجة الطواحين التى سمعتها فى ايام الحرب الكبرى المناهضة لليابان، مازالت تدوى فى مسامعى حتى اليوم. وتنبثق حية أمام ناظرى فى الوقت نفسه صور أهالى تشانغباى كلهم. كم منهم اختفوا مثل قطرة الندى على منصة الاعدام أو قضوا نحبهم فى السجون؟ وكم منهم سقطوا من البرد فى جبل بايكدو وغطتهم الثلوج وهم يسعون لمساعدتنا؟

حين أفكر بتفانيهم، أحنى رأسى وتمتلئ نفسى بمشاعر الشكر والامتنان.

٣- لى زى سون

فى الوقت الذى كنا فيه نعجل ببناء المعسكر فور وصولنا الى منطقة جبل بايكدو، قمنا بكل نشاط باعداد العدة لاقامة منظمات جمعية استعادة الوطن فى القرى التى يقطنها كوريون.

لقد تم اختيار منطقة تشانغباى فى الصين ومنطقة كابسان فى كوريا الملاصقتين لجبل بايكدو، لتكونا أول منطقتين تقام فيهما الشبكة التنظيمية لجمعية استعادة الوطن. وكانت هذه المهمة الشاقة والدقيقة تتطلب العثور على اشخاص جديرين بالثقة لمساعدتنا وان يكونوا مستعدين للتضحية حتى بارواحهم.

بعد ان تقدمنا الى تشينتاو الغربية مباشرة، ولدى ارسالى وحدة صغيرة فى مهمة، أكدت عدة مرات على آمر السرية لى دونغ هاك بالقول: "ان أول واجب لكم يتمثل فى العثور على أشخاص أكفاء. عليكم العثور على شخص جدير بالثقة لمساعدتنا، حتى ولو اضطررتم الى تمشيط أراضى تشانغباى كلها. ان قتال العدو هو مهمة ثانوية بالنسبة لكم. عليكم ان تهتموا، اساسا، بالبحث عن مثل هذا الشخص، وألا تخوضوا قتالا مع العدو الا عندما تكونون واثقين من تحقيق الانتصار، يجب عليكم ان تتجنبوا المواجهات غير المؤاتية".

وقد انجز لى دونغ هاك هذه المهمة بشكل لا غبار عليه حين عاد الينا ومعه لى زى سون. لقد كان لى دونغ هاك شخصا نادرا، فعلى الرغم من انه يبدو متسرعا فى الظاهر، الا انه كان فى جوهره يدقق كثيرا فى كل التفاصيل. وكان يرسل الكلام بسرعة تجعل الذهول يستولى على من يسمعونه لاول مرة. وكان يحث جنوده بكلمات سريعة للتعجيل فى انجاز كل الامور. ولهذا اطلق عليه رفاقه لقب "بوتاجى" المشتق من كلمة "بوكتاكجيل" (المستعجل – المترجم).

بينما كان يجوب اراضى تشانغباى على رأس رفاقه، رأى على هضبة

ايرشيداوكو عمدة شابا يشرف على التمرينات الرياضية الصباحية لجماعة من الشباب والصبيان. كان اسم ذلك العمدة لى زى سون، اما المكان الذى التقاه فيه فهو قرية سينسينغتشون. وفضلا عن منصبه كعمدة، كان لى زى سون يعطى دروسا فى المدرسة الليلية. وكان جميع اهل القرية، شيوخا وشبابا ونساء على السواء، يعاملونه بمشاعر محبة واحترام خاصة، ويدعونه "معلمنا".

ولمعرفة أى نوع من الناس هو، طلب منه لى دونغ هاك تموينا يكفى سريته ليومين او ثلاثة أيام. فجمع من الحبوب خلال وقت قصير كمية لم يستطع افراد السرية حملها على ظهورهم، فاقترح عليهم ان يساعدهم بنقلها الى المعسكر السرى. لقد اعجب "بوتاجى" بهذا الرجل منذ الوهلة الاولى لمهارته وعظمة نفسه. وقد رغب فى تقديمه الى القيادة مباشرة، حتى ولو تعرض للانتقاد فيما بعد بسبب سلوكه المتهور. وهكذا وافق على الفور على اقتراح لى زى سون بالمساعدة فى نقل الحمولة.

ولو ان العدو علم بان العمدة قد عبأ اهالى القرية ليحملوا اكياس الحبوب طوعا، لكان لذلك نتائج وخيمة عليه. ولهذا عمد رفاقنا الى تقييد يديه ليثيروا انطباعا بأنهم قد اعتقلوا مجرما خطيرا.

وبعد ثلاثة أيام من المسير، حين أصبحت القافلة على بعد يتراوح بين ٨ و١٢ كيلومترا عن المعسكر السرى، طلب لى دونغ هاك من الفلاحين ان يعودوا الى بيوتهم. فتوسل اليه لى زى سون ان يسمح له بمواصلة الطريق معه.

ولكى يختبره مرة اخرى، تظاهر آمر السرية بانه فى وضع حرج، وقال له:

"من الصعب تحقيق رغبتك. كيف يمكننا الثقة بك الى حد الموافقة على أخذك الى القاعدة السرية؟"

فأمسكه العمدة من ذراعه واقترح عليه اقتراحا ذكيا: "ما رأيك فى ان تختبرنى؟ كلفنى، مثلا، بمهمة تعرض حياتى للخطر. هل انت موافق؟".

وافق لى دونغ هاك على الاقتراح، وطلب منه ان يرجع اليه بعد ثلاثة أيام ومعه خمسة ازواج من جوارب البوسون التى تصل حتى الركبة وخمسة ازواج من الطماقات.

"اذا أنت جئت بهذه الاشياء ضمن المهلة المحددة، سنأخذك الى المعسكر السرى، أما اذا تأخرت أو رجعت خاوى اليدين، فلن تستطيع المرور."

ذهب لى زى سون الى سينسينغتشون وهو واثق تماما من انه سيتمكن من تنفيذ هذه المهمة دون مصاعب. طلب مساعدة زوجته وحماته اللتين انجزتا خياطة ازواج جوارب البوسون الخمسة، وعدد مماثل من الطماقات فى ليلة واحدة. وكان عليهما ان تستخدما فى ذلك اللحاف الوحيد المبطن الذى جاءت به زوجته عند زفافهما. وعاد الى المكان المتفق عليه فى الموعد المحدد.

عندئذ فقط عانقه آمر السرية وعرفه بنفسه. واعترف له بلطف ان لقبه هو "بوتاجى"، وأخبره بلطف عن المكان الذى ولد فيه. ثم قال له بعد ذلك: "وأنا فى نهاية المطاف من اتلف لحافك". وهكذا كان بامكان العمدة ان يعتبر نفسه ناجحا فى الاختبار.

حين رجعت الى المعسكر بعد جولة كنت أقوم بها فى منطقة جبل بايكدو، أخبرنى لى دونغ هاك بانه وجد فى القرية المسماة سينسينغتشون شابا جيدا واحضره معه الى القاعدة ليعرفنى عليه. لقد امتدحه كثيرا. وروى لى انه خلال الايام التى امضاها فى المعسكر، قرأ بنهم مطبوعاتنا الداخلية، وانه لم يسترح لحظة واحدة. وانه تعلم من المقاتلين بعناد واصرار كيف يفك ويركب الاسلحة، وكيف يحدد الجهات الاربع.

"انه شخص ذكى جدا، مستقيم ومتحمس، ولديه رغبة كبيرة فى الانضمام الى الثورة. وهو فضلا عن ذلك شخص اجتماعى جدا لدرجة انه عقد صداقة خلال هذه الايام القليلة مع جميع رفاقنا. وقد اصبح واسع الشعبية."

اذا لم يكن لى دونغ هاك مبالغا، فانه يمكن اعتبار التقويم العام لعمدة سينسينغتشون جيدا.

كان لى زى سون جميل الوجه مثل امرأة. وكانت عيناه المشرقتان دائما تبعثان فى النفس انطباعا طيبا. أما مظهره فكان يدفع الى الاعتقاد بانه شخص مسالم وضعيف الطبع، ولكنه كان فى الواقع فولاذى الارادة وصلب الايمان مثل صخرة، وكان يفكر بجدية. انه بكلمة موجزة رجل راسخ وعاقل.

لقد ولد فى اسرة فلاحين فقراء، وعرف مشقات كثيرة منذ طفولته. وبسبب نقص الموارد لم يستطع الذهاب الى المدرسة؛ فعمل مع امه فى تعشيب الحقول بالاجرة، وحين بلغ العاشرة من عمره عمل خادما فى بيت اقطاعى فى القرية المجاورة. وفى احدى ليالى السنة التى اكمل فيها السنة الحادية عشرة من عمره، وبينما كان يجدل صندلا من القش، جاءت أمه فجأة لزيارته، يدفعها شوقها الشديد اليه. لم يرفع الطفل نظره نحوها حين دخلت وجلست على الحصيرة. فسألته عما اصابه، ولكنه لم يرد عليها وواصل عمله. وكان على المرأة المسكينة ان تخرج دون ان تسمع كلمة واحدة من ابنها الحبيب. عندئذ فقط توقف لى زى سون عن العمل، وخرج فى اثر أمه وقال لها بصوت باك:

"لا تعودى الى هنا يا أماه، لان أصحاب هذا البيت يحتقروننا ويظنون أنك تأتين لتأخذى شيئا ما."

عانقت المرأة ابنها وبكت بحرقة وهى تجلس على حافة الطريق. ووعدته بألا تعود الى الظهور أبدا فى ذلك البيت مهما بلغ شوقها اليه.

لقد كان لى زى سون دارسا متفانيا، فقد علم نفسه بنفسه حتى وصل الى مستوى خريجى المدرسة الثانوية. وبعد ان هجر حياة الخادم وهو فى الرابعة عشرة من عمره، درس بضع سنوات فى مدرسة القرية الليلية وعلمه اخوه الاكبر قراءة وكتابة لغتنا القومية. وبعد ان تزوج تعلم الرموز الصينية بنفسه مستخدما فى ذلك معجما. كان يرى أن اكبر سوء حظ احاق به هو عدم قدرته على الدراسة بشكل منهجى فى المدرسة.

ولهذا السبب، كان أول ما فعله لدى انتقاله الى سينسينغتشون هو افتتاح مدرسة ليلية فيها وعمل بحماس على تنوير ابناء مزارعى أرض الوقيد.

كان قد شارك فى مسقط رأسه فى نشاطات تنظيمية خلال عدة سنوات، وقد بدأ ذلك فى جمعية الاطفال ثم فى اتحاد الشباب. ومنذ جرى اعتقال اخيه الكبير وزجه فى السجن، وضعته الشرطة اليابانية هو نفسه أيضا تحت مراقبة صارمة. وحيال المطاردة والقمع المتواصلين، أحس بان سلامته فى خطر، مما جعله يرحل فى اوائل

عام ١٩٣٢ الى كابسان، حيث يعيش والدا زوجته. وكان باك دال وغيره من الرواد يقومون فى ذلك الحين بشن حركة تنوير وطنية مكثفة فى تلك المنطقة. فانضم لى زى سون اليهم وشكل جمعية سرية للمطالعة فى منطقة اوفونغدونغ، وراح يدرس التيارات الفكرية الجديدة.

لقد كان لدى افراد الجمعية التصميم الحازم على تكريس حياتهم فى النضال العادل من اجل انقاذ البلاد والامة من النكبة. ولكنهم مع ذلك كانوا جزعين لانهم لا يجدون التوجه ولا الاستراتيجية المناسبة. وفى اثناء بحثهم عن طريق صائب وقائد مشهور، أقاموا علاقات كثيرة فى اماكن مختلفة. التقوا مع رواد ينحدرون من جمعيات الفلاحين أو النقابات العمالية ومع انصار مذاهب مختلفة ممن يهيمون فى الجبال، ولكن أيا من هؤلاء لم يكن يملك خطا واضحا ولا تكتيكا نضاليا.

كان اهتمام لى زى سون يتجه الى الجيش الثورى الشعبى الكورى. ومنذ عام ١٩٣٤، كانت قد وصلت الى داخل البلاد أخبار تقول ان هذا الجيش الثورى الشعبى سيتقدم نحو منطقة تشانغباى. تخلى لى زى سون عن خطته فى الانتقال باتجاه هونتشون ومضى الى قرية تشيانكودى فى ايرشيداوكو، بمحافظة تشانغباى. وفيما بعد، اطلق المهاجرون الذين اسسوا هذه القرية عليها اسم سينسينغتشون.

لم تكن المسافة بين هذه القرية وبوتشونبو بعيدة وفق خط البصر. اذ يمكن منها رؤية قمة بيغاى، وجبل سوبايك وربوة كونزانغ، بل وجبل بايكدو كذلك. ولمجرد كونه يعيش فى مكان يستطيع منه رؤية جبل بايكدو، كان يثير شعورا غريبا بالطمأنينة فى نفس لى زى سون الذى لم يكن قادرا على كبح حنينه الى مسقط رأسه منذ وجد نفسه فى أرض الغربة.

كان اضطهاد الموظفين الحكوميين والبؤس يلاحقان المهاجرين مثل ظلهم. وكان دفع ايجار الارض والقيام بأعمال السخرة وتسديد الضرائب الكثيرة المتنوعة يفرض على المزارعين الفقراء العمل فى اراضى الوقيد دون أن يتمكنوا حتى من رفع رأسهم للنظر الى السماء. وفى أيام الاعياد، كان الاقطاعيون يفرضون عليهم تقديم الهبات لهم، كما كانوا يطالبونهم بتأمين كل ما يحتاجونه من الحطب. والادهى

من ذلك ان رجال الشرطة فى قريتى كاريم وتشونسو، الواقعتين فى كوريا، على الضفة الاخرى للنهر، كانوا يأمرون المهاجرين بارسال الحطب اليهم. وكلما ذهب رجال الشرطة الاوغاد للتفتيش على البيوت، كانوا يأخذون البيض من أقنان الدجاج ويأكلونه نيئا. بينما كان الفلاحون يقتاتون بالشعير أو عصيدة دقيق الحبوب غير المقشورة.

وبين اكثر من ستين اسرة فلاحية فى سينسينغتشون، لم تكن هناك اسرة واحدة منها تملك دابة للعمل. وبهذا يمكن تصور مدى قسوة العمل الذى كانوا يقومون به. فالمحراث يجره الرجال. ويروون انه فى موسم الزراعة الربيعى وقعت الحادثة التالية: كان ثمة زوجان شابان يحرثان الحقل، وبما انه لم يكن لديهما دابة للجر، فقد كان الزوج يجر المحراث اولا بينما الزوجة تديره. ثم تبادلا موقعيهما بعد مرور بعض الوقت. راحت المرأة تشد وتشد بكل قواها، ولكن المحراث لم يتحرك. فسيطرت الكآبة على الرجل عندئذ وصاح بها دون وعى "هرى!" مثلما اعتاد ان يفعل فى مسقط رأسه حين كان يحرث بواسطة ثور. ظنت المرأة انه يعتبرها حيوان جر، فانهارت عند حافة الحقل وانفجرت بالبكاء دون ان تتمكن من كظم غيظها.

دنا الرجل منها، وجثا بجانبها، واعتذر منها لانه تفوه بتلك الكلمة الرهيبة دون تفكير. ثم راح يشكو مصير الخلد الذى آل اليه ويتوسل ان تنتهى بأسرع ما يمكن حياته كفلاح بائس.

هذا الوضع المحزن للفلاحين فى سينسينغتشون شكل الركيزة لايقاظ وعيهم الوطنى والطبقى بسهولة.

لقد كان معظم اهل القرية من الاسر التى حاق بها الفقر، والتى قدمت من محافظتى هامكيونغ الشمالية والجنوبية، ومن المنفيين الذين ناضلوا فى جمعية الفلاحين وفى اتحاد الشباب وغيرها من المنظمات الجماهيرية، وارتبطوا بحركة مناهضة اليابان الى ان خرجوا من البلاد بحثا عن مسرح جديد لنشاطاتهم. وقد كان أحد هؤلاء كيم بيونغ تشول الذى عمل فى فرع جمعية استعادة الوطن وفى اللجنة الحزبية الخاصة فى المكان نفسه.

اثناء عمله فى البلاد، كان يلح على رفاقه بالقول ان التوصل الى النجاح فى النضال يستدعى بالضرورة من منظمات جمعية الفلاحين ان تشق طريقا لكى يتم توجيهها من قبل الجيش الثورى الشعبى الكورى، لانه بدون هذه القيادة لا يمكن للنضال داخل البلاد ان ينتصر. وقد ساند الكثيرون رأيه. ولكن، كان هناك ايضا من اعتبروا رأيه غير مجد بسبب مصاعب الاتصال مع الجيش الثورى الشعبى الكورى.

فاتخذ قرارا حازما بالانضمام، ولو بمفرده، الى جيش حرب العصابات، وانتقل الى سينسينغتشون حيث كان يقيم بعض اصدقائه.

ومن بين الشخصيات الموجودة داخل البلاد، كان هو أحد المناضلين الرواد الاوائل الذين ادركوا ضرورة عدم الفصل بين النضال المسلح خارج البلاد والنضال السياسى فى الداخل ووجوب توحيدهما، ولم يكتفوا بنقل ذلك الى حيز الواقع بموقفهم الحازم وتجاوزهم حاجز المناقشات غير المجدية، وانما عملوا جاهدين بعد اقامتهم العلاقات مع الجيش الثورى، وبذلوا حياتهم من اجل تجسيد خطنا.

فى بداية عقد الثلاثينات، قام لى زو كوان، ولى زو ايك وغيرهما من الوطنيين الكوريين فى منطقة تشانغباى، بتأسيس الجمعية الحمراء للفلاحين الكوريين المقيمين فى منشوريا، وخاضوا نضالات جماهيرية بالاستناد الى هذه الجمعية. وقد بدأت نشاطات المنظمة بحملات التوعية من أجل القضاء على الخرافات وألعاب اليانصيب والزواج المبكر أو التجارى، ومن اجل محو الامية، ثم انتقلت تدريجيا الى النضال فى الميدان الاقتصادى مثل نضالات الفلاحين المحاصصين ومقاومة أعمال السخرة، وتتوجت بمعارك سياسية مناهضة لليابان ضد بناء الطرق والاهداف العسكرية الاخرى.

وقد قادت هذه الجمعية حركة الجماهير فى سينسينغتشون ومحيطها الى ان اقمنا منظمة لجمعية استعادة الوطن فى أراضى تشانغباى.

وبكلمات موجزة، يمكن القول ان لى زى سون كان طاهر الذمة مثل ورقة بيضاء. لقد كانت حيثيات حياته بسيطة نسبيا، وهى دليل أكيد على أنه لم يكن ملوثا بافكار خاطئة أو بأساليب مدعى النشاط الاجتماعى والفئويين. وقد قدرنا فيه تلك

البساطة لان الافكار أو الميول المغروسة فى ذهن نظيف وخال من الدنس، لا تتعكر أبدا، و هذا قانون.

كان لى زى سون يقول انه قد فهم اشياء كثيرة مهمة فى فلسفة الحياة خلال مساهمته فى الحركة الوطنية المناهضة لليابان. وكان يرى ان اصعب مهمة بين المهمات التى ينجزها المرء هى مهمة القيام بدور الرائد، والموجه. وباختصار، ليس من السهل على الاطلاق القيام بعملين أو ثلاثة أعمال حين يقوم الآخرون بعمل واحد، او التقدم خطوتين أو ثلاث خطوات حين يخطو الآخرون خطوة واحدة.

هذه الكلمات تتضمن حقيقة عميقة تعكس عذابات الثورى الذى يتصدر الآخرين ليمهد الطريق الشاق لتحويل المجتمع.

"لا بد انك تجد مشقة فى العمل كفلاح وعمدة وثورى فى آن واحد."

وقد رد على لى زى سون باسما:

"الحقيقة انها صعوبة لا توصف. ولكن هذه المصاعب تسعدنى. فليس للحياة من معنى فى هذا العالم القاسى اذا أنا لم اتعذب من أجل الثورة."

اعترف لى بان العمل بين الجماهير هو المهمة الاكثر متعة بالنسبة اليه، وانه يجد سعادته الكبرى حين يلتقى برفيق. وحول سؤالى عمن هم الذين يصعب اجتذابهم اكثر من سواهم بين الجماهير، قال انهم الاشخاص المسنون. واكد انه لو كان لديه ناد كبير وملعب فسيح، لما وجد صعوبة فى تنوير قرية كاملة، بل وتثوير سكان ناحية بكاملها.

اعربت عن اتفاقى التام مع وجهة نظره الى الجماهير وآرائه حول العمل بينها.

وكان أحد الامور الهامة التى اكتشفتها فى تجربة لى زى سون لتنوير الجماهير هو "المدرسة الليلية البيتية" التى كانت تعمل كما يشير اسمها، فى كل بيت من البيوت. وقد أقام واحدة منها فى بيته أيضا. ففى كل ليلة، يشارك جميع افراد الاسرة فى الدروس دون تمييز فى الجنس. وقد عمل بحماسة على تعليم زوجته واخواته، وهكذا أصبح جميع افراد اسرته يعرفون القراءة والكتابة.

وفيما كنت ابدى اهتمامى بعمله مع الجماهير، سألته عن ميول عمداء العشرة

بيوت الذين حملوا المواد التموينية الى معسكرنا السرى. فأكد ان ميولهم ايجابية، اما ابن الاقطاعى تشون بالتبنى الذى أحضره آمر السرية لى دونغ هاك، فانه يمثل مشكلة. فقد كان يظن مخطئا بان الجيش الثورى هو جيش "قطاع طرق"، ومنذ وصوله الى المعسكر السرى وهو يشعر بالقلق على حياته.

سألته مجربا:

"لنفترض ان آمر السرية لى دونغ هاك احضره معه للحصول على فدية. فماذا ترى ايها الرفيق زى سون؟ كيف يجب علينا معاملته؟"

فأجاب دون تردد، وكأنه كان ينتظر مثل هذا السؤال:

"اعتقد ان جيش حرب العصابات لن يلحق به أى اذى. انه اسميا ابن الاقطاعى بالتبنى، ولكنه فى الواقع لا يعدو مجرد كونه خادما. وهذا الشاب المسكين لم يسبب لنا تقريبا أى ضرر."

لقد ادهشتنى نظرته المتسامحة بشأن الجبهة المتحدة وطريقته المتميزة بمحاكمة الامور. لقد كانت وجهة نظره حول ابن الاقطاعى تشون بالتبنى متفقة مع وجهة نظرنا. وقد ثقفه لى دونغ هاك من نواح عديدة وتمكن من تصحيح مفاهيمه الخاطئة بشأننا، حتى اعرب عن رغبته اخيرا فى الانضمام الى جيشنا الثورى. وقبلناه فى صفوفنا. واثناء معركة ايرشيداوكو، عمل دليلا لنا. ولكن هذا الشاب الذى اولاه لى زى سون ثقته التامة، سقط فيما بعد، للاسف الشديد، شهيدا فى احدى المعارك.

لقد كان لى زى سون رجلا ذا طابع متميز، يفتن الجميع. وكان الشخص المناسب تماما لنشر الاجواء الثورية فى تشانغباى. وباكسابه المعارف والاساليب يمكن تحويله الى عامل رائع فى المنظمة السرية. ولهذا، قررت تكليفه بتشكيل منظمة لجمعية استعادة الوطن فى منطقة تشانغباى.

ولكنه كان راغبا جدا فى الانضمام الى قوات حرب العصابات.

أكد لنا انه قد أعد العدة للانضمام الينا مذ كنا نقاتل فى اماكن اخرى، واصر علينا ان نخضعه للاختبار الذى نشاؤه.

ولم استطع الا ان انفجر ضاحكا وانا اسمعه يتحدث عن اختبار للانضمام.

"لا حاجة للاختبار. لقد احضرك الرفيق (بوتاجى) الى هنا بعد ان اجرى لك اختبارا، وهذا يعنى انك تملك الشهادة التى تؤهلك للانضمام الى الجيش الثورى. فاذا كنت مصرا على ذلك، فاننا نقبلك فى أى لحظة. ولكننى ارى ان قيامك بمهمة اخرى سيكون اكثر فائدة لثورتنا."

بدا على لى زى سون بعض الاضطراب، وقال:

"وما هى هذه المهمة الاخرى؟"

"بدلا من ان تشارك فى المعارك كرام عادى، ألا يكون من الافضل ان تقوم ببناء منظمة كبيرة لمساعدة الجيش الثورى الشعبى الكورى فى الانتصار على الجيش اليابانى؟ ما رأيك؟"

لم يخف فضوله حين قال:

"أنا ابنى منظمة؟"

"بالضبط. ستكون مهمتك بناء منظمات لجمعية استعادة الوطن فى قرية سينسينغتشون، حيث تقيم، وفى اماكن أخرى على ضفاف نهر آمروك."

أوضحت له مدى اهمية والحاح جمع شمل اوسع قطاعات الجماهير فى الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان.

فوافق، وهو الشخص الذكى جدا، على القيام بالاعمال التنظيمية السرية مع أنه كان يقدر ان نقص كفاءته قد يشكل عائقا أمام انجازه هذه المهمة الصعبة.

"يجب ألا تقلق كثيرا بهذا الشأن. فكل شىء يمكن تعلمه. لا أحد يولد ثوريا. ويمكن لاى شخص ان يصبح ثوريا اذا ما صمم على صنع الثورة وتعلم بهمة وراكم الخبرات فى النضال العملى. وسنقدم لك بدورنا المعارف اللازمة لعملك."

قمنا بتنظيم دورات تدريبية قصيرة له وحده.

وكانت الموضوعات التى عالجناها فى تلك الدورات هى خطوط الثورة الكورية وطابعها واستراتيجيتها وتكتيكها. وقد أمليت عليه الدروس اللازمة، بينما شرح له لى دونغ بايك برنامج النقاط العشر، والبيان التأسيسى والنظام الداخلى لجمعية استعادة الوطن وتاريخ الاممية الشيوعية.

وباستثناء هذه الحالة، اظن انه لم يجر طوال فترة النضال الثورى المناهض لليابان، اقامة دورة تدريبية فعالة لتلميذ وحيد يشارك فيها اكثر من محاضر كفء بالتناوب. عند انتهاء الدورة القصيرة، قال لى زى سون بصراحة قبل ان يغادر المعسكر السرى:

"لقد جئت الى هنا وأنا أحمل (مالا) من الارز، ولكنى اغادر اليوم وأنا أحمل اكياسا من الغذاء الثورى. لن أنسى أبدا الفضل الذى قدمتموه لى. الآن يمكنكم تكليفى بمهمات. فاذا ما كلفتمونى بمنطقة، فاننى سأشكل منظمات لجمعية استعادة الوطن فى كل قرية يقطنها كوريون."

قررنا تكليفه بالعمل فى منطقة شانغكانغتشو فى محافظة تشانغباى.

وحين ازفت لحظة الرحيل، طلب منى تزويده برسالة اعتماد. وتعلل بان وثيقة تحمل خاتمى ستفيده فى حشد اناس كثيرين فى منظمات جمعية استعادة الوطن، وستساعده على انجاز مهمات اخرى دون مصاعب.

فأعطيته ورقة اعتماد تحمل اسمى وخاتمى.

وحين امسك بيده الشهادة الصغيرة، أكد لنا انه سيحول منطقة شانغكانغتشو الى عالم مؤيد لنا خلال ستة أشهر. وقد اثبتت نجاحاته التالية انه لم يكن هناك اى تبجح فى عهده الذى قطعه على نفسه.

فى يوم الوداع ذاك تقدم منى بطلب آخر:

"أيها القائد، أريد أن أطلب منك شيئا آخر. فهل تأذن لى بالكلام؟ ليست لى أى رغبة أخرى سوى ارتداء زى جيش حرب العصابات قبل ان أغادر المعسكر السرى."

"كيف لا! سأعمل على تلبية رغبتك."

تلقيت طلبه ذاك باعجاب، وفكرت فى مدى عظمة رغبته فى الانضمام الى جيش حرب العصابات حتى يفكر بالتقدم بهذا الرجاء. ومع انه كان مستعدا لتكريس نفسه كليا للعمل السرى من اجل استعادة الوطن، الا انه كان يحتفظ برغبته فى الانضمام الى جيش حرب العصابات. ويمكن النظر الى رغبته فى ارتداء الزى العسكرى والمشاركة فى الحرب المناهضة لليابان على انها اقصى درجات الوطنية

فى ذلك الحين، عندما كانت اليابان قد احتلت منشوريا وأخذت تعد بجنون لشن حرب عالمية جديدة لتحقيق اطماعها فى ابتلاع اراضى الصين كلها، ثم القارة الآسيوية بأكملها على المدى البعيد.

أمرت آمر السرية لى دونغ هاك بان يحضر من المستودع بدلة عسكرية جديدة لكى يرتديها لى زى سون.

وقد جاءت البدلة على مقاسه تماما بالرغم من انهم اختاروها بشكل تقديرى.

"يبدو لى أيها الرفيق زى سون انك قد جئت الى الدنيا لكى ترتدى الزى العسكرى. ان البدلة تناسبك تماما. وبما انك قد جربت هذه البدلة، فلنعتبرك جنديا فى الجيش الثورى الشعبى الكورى. وأنت منذ اليوم عامله السياسى السرى. اننى اهنئك على انضمامك الى الجيش الثورى يا رفيق زى سون."

دنوت منه وشددت على يده.

وكان أكثر من هنأه بحرارة هو لى دونغ هاك. فبينما كان لى زى سون سعيدا بزيه العسكرى، حمله ذاك على ظهره وطاف به عدة مرات حولى.

وهكذا كان ان جاء لى زى سون الى المعسكر السرى حاملا كيسا من الحبوب، وغادره وقد تحول الى جندى فى جيش حرب العصابات.

ولكى نتستر على عودته الى بيته، نظمنا اشتباكا صغيرا. وقد نفذت المهمة وحدة يقودها لى دونغ هاك.

لقد كانت مثيرة جدا الطريقة التى خدع بها لى زى سون الاعداء وخيب أملهم. فقد تصرف مثلما أشرنا عليه. فبعد نزوله من الجبل لم يذهب الى بيته وانما مضى مباشرة الى مركز الشرطة فى ايرشيداوكو وراح يحتج بصوت غاضب: "لن أعمل عمدة بعد اليوم. انتم لا تعرفون الا اجبارى على العمل، ولكنكم لا تهتمون بتوفير الحماية لى. لقد كنتم تعلمون انهم قد اسرونى، ولكنكم لم تفعلوا شيئا لاطلاق سراحى. يجب على ان أعود الى كوريا، لانى لم أعد استطيع العيش هنا من الخوف. فلتبحثوا عن اشخاص آخرين يكونون عملاء لكم، ولن يجدوا فى انتظارهم سوى الموت".

حاول رجال الشرطة الحائرون ان يعتذروا منه: "نرجوك، لا تغضب كثيرا. لا

تقل اننا لم نكن قلقين على مصيرك. ونحن لم نفعل شيئا لاننا لم نكن نعرف مكان وجودك فقط. اهدأ واشرح لنا أين أخذوك وكيف هربت".

قدم لهم لى زى سون شرحا مقنعا. أخبرهم كيف عصب رجال حرب العصابات عينيه خلال المسير، بحيث لم يستطع تحديد الاماكن التى مر منها. وانه لا يعرف سوى المكان الاخير الذى استطاع الفرار منه. فقد توقف رجال حرب العصابات عن المسير عند الفجر، وانتهز هو لحظة اغفى فيها الحارس، وهرب.

سألوه عن عدد رجال حرب العصابات وعن المكان الذى هرب منه، وطلبوا منه أخيرا ان يأخذهم الى هناك.

لقد جرى كل شيء مثلما رتبناه. فقد توغلت "الوحدة التأديبية" الى الوادى الذى أشار اليه العمدة، ولقيت مصير الفأر الذى يسقط فى الخابية. ولم يجد الاعداء مفرا من تصديق ما رواه لهم لى زى سون.

فاستغل لى زى سون ثقة الاعداء به بمهارة، وعمل مع كيم بيونغ تشول، ولى زو كوان، ولى سام دوك، فأنشأوا فى خريف تلك السنة منظمة محلية لجمعية استعادة الوطن فى سينسينغتشون، وهى أول منظمة للجمعية تظهر فى الجهة الجنوبية الغربية من سفوح جبل بايكدو.

منذ ذلك الحين، نقل لى زى سون منصب العمدة الى لى سام دوك، وكرس نفسه مع كوون يونغ بيوك لمهمة توسيع شبكة المنظمة متخذا من شانغكانغتشو مركزا لها. ولاسباب تتناسب مع نشاطاتنا، قسمنا محافظة تشانغباى الى ثلاث مناطق كبيرة، أى: شانغكانغتشو وتسونغكانغتشو وسياكانغتشو، وتم تقسيم شانغكانغتشو بدورها الى شانغفانغميان وتسونغفانغميان وسيافانغميان. وبعد تأسيس منظمة سينسينغتشون المحلية، أسس لى زى سون منظمات اخرى فى تسوجيادونغ وياوشويدونغ وداسيدونغ وبينغانغدى. ثم اسس عدة فروع تابعة لها، وشكل جمعيات خارجية، مثل اتحاد الشباب المناهض لليابان، وجمعية النساء، وعصبة الاطفال وغيرها، وجمع شمل قطاعات واسعة من الجماهير.

وخلال أقل من ستة شهور، غطى منطقة شانغكانغتشو كلها بشبكة كثيفة من

منظمات جمعية استعادة الوطن السرية. وانتشرت تلك المنظمات تقريبا فى جميع القرى المحيطة بمعسكر جبل بايكدو السرى. وتغلغلت بين العناصر التقدمية الشبابية والطلابية، والمثقفين والمؤمنين فى المحافظة، بل ومدت جذورها فى اجهزة الحكم العامة والهيئات البوليسية ووحدات جيش جينغآن التابع لدولة منشوكو.

وقد شملت جمعية استعادة الوطن فى كنفها تجمعات جماهيرية تضم قطاعات اجتماعية واسعة. واحتشد فى هذه المنظمات الخارجية عشرات آلاف الاشخاص. اما قوات حرب العصابات الانتاجية المشكلة فى كل فروع منظمات جمعية استعادة الوطن، فأصبحت تشكل قوة رديفة هائلة تستطيع عند الضرورة القيام بعمليات مهمة، جنبا الى جنب مع الجيش الثورى الشعبى.

لقد كان توسع منظمات جمعية استعادة الوطن سريعا لدرجة انه فى اوائل عام ١٩٣٧، ولدى تأسيس لجنة محافظة تشانغباى وتعيين لى زى سون رئيسا لها، كانت المنطقة بأسرها قد تحولت الى ارض خاضعة لاشرافنا.

فقد أصبحت جميع ضياعها تقريبا "قرانا"، وجميع سكانها تقريبا أصبحوا "رجالنا"، وجميع مناصب رؤساء وعمد القرى تقريبا صار يشغلها "رجالنا". وكان هؤلاء يتظاهرون بانهم عملاء للعدو، ولكنهم كانوا يعملون فى الواقع لمصلحتنا.

وكان رئيس بلدية الناحية لى زو ايك واحدا من هؤلاء.

فعشية تقدمنا الى جبل بايكدو، وحين أرسلنا جماعة استكشافية الى منطقة تشانغباى، كان قد تم اجتذابه من قبل كيم زو هيون، وكان قد اصبح عضوا خاصا فى جمعية استعادة الوطن.

كان يملك دكان عقاقير فى ووليدونغ ويعمل مداويا شعبيا فى آن واحد مع قيامه بمهام رئيس بلدية الناحية. وقد استغل منصبه بمهارة لمساعدتنا فى عملنا بطريقة جوهرية جدا.

وقد قال لى زى سون انه لم يتوقف عن مراقبته منذ جرى اعتقاله فى البلاد بسبب مشاركته فى النضال ضد تعاونية الرى. وقد تقبل هو نفسه توجيه لى زى سون وكان ينفذ بوعى كل ما يأمره به أو يطلبه منه.

فى ذلك الحين كان على العاملين السياسيين السريين أن يحملوا اذنا باجتياز النهر أو شهادة اقامة للذهاب الى داخل البلاد أو للعمل فى ظروف آمنة والاستقرار فى قرى الجانب الصينى من نهر آمروك. وبدون شهادة الاقامة، لم يكن بامكان أحد منهم البقاء فى المكان الذى جرى ارساله اليه، وكان من المستحيل على من لا يملك تصريح عبور النهر، ان يجتاز بحرية نهر آمروك الذى تحرسه شرطة الجمارك.

وكلا الوثيقتين كانت تصدرهما الشرطة بكفالة رئيس بلدية الناحية، ولم تكن تمنحهما الا للمسجلين فى سجلات الاقامة التى يقدمها رئيس البلدية.

ومن اجل توفير الامن لعاملينا السياسيين السريين وتأمين ظروف العمل بحرية لهم، لجأ لى زى سون ولى زو ايك الى الحيلة: فقد سجلوا اسماء كثير من "المقيمين المزيفين" فى ايرشيسيداوكو، وهى القرية الاخيرة للقادم باتجاه جبل بايكدو. ومن اجل الوصول الى ابعد نقطة فى هذا المكان، كان لا بد من اجتياز طريق طويل ومتعرج، ولهذا كان رجال الشرطة انفسهم يتجنبون الذهاب الى هناك.

سجل لى زو ايك عاملينا السياسيين السريين الذين يعملون فى منطقة تشانغباى وداخل البلاد بأسمائهم المستعارة، وذهب بهذا السجل الى الشرطة حيث راح يشكو بصخب:

"هؤلاء الجبليون الفقراء أناس جهلة بالكامل، لا يعرفون شيئا. انهم لا يذهبون الى أى مكان طوال اثنى عشر شهرا فى السنة، ولهذا فهم لا يعرفون شيئا عن الدنيا، بل انهم يجهلون انه لا بد لهم من وثائق اقامة لكى يعيشوا فى قراهم. ليس أمامى من طريقة اخرى سوى أن أحمل بنفسى هذه الوثائق الى هؤلاء الناس المغفلين حتى ولو ادى ذلك الى انهيار قواى من كثرة المسير. الحقيقة ان كون المرء رئيسا لبلدية الناحية ليس أمرا سهلا على الاطلاق."

وافق رجال الشرطة على شكواه وتذمره قائلين ان جهل الاهالى يسبب لهم المشاكل حقا. وسلموا اليه والى العمدة وثائق اقامة باسماء "السكان الوهميين". وهكذا كان لدى لى زى سون عدد كاف من هذه الشهادات على الدوام. وكان عاملونا السياسيون السريون الذين يتلقون منه هذه الوثائق قادرين متى شاؤوا على الاقامة

دون صعوبة فى محلات اخرى واجتياز الحدود بكل سهولة.

ومع التوسع السريع لشبكة منظمات جمعية استعادة الوطن فى منطقة تشانغباى وتطور مجال نشاطاتها، ارسلنا الى هناك فى دفعة واحدة اكثر من ثلاثين عاملا سياسيا بهدف تعزيز المنظمات حديثة الانشاء، لكى نستند الى هذه المنظمات فى نقل الحركة الثورية الى عمق البلاد.

وصلت الى سينسينغتشون باك روك كوم (باك يونغ هى) أول آمرة للسرية النسوية، ووصل معها كذلك عاملان سريان من منظمة الاحداث. فأوكل لى زى سون الى لى زو ايك تسجيلهم باسماء مستعارة أو مزيفة.

كما انضم لى هون، رئيس قرية ديانغسى فى شيجيوداوكو، الى جمعية استعادة الوطن بفضل تأثير ى زى سون الذى سارع الى زيارته بعد عودته من المعسكر السرى ولقائه بى، وشرح له مضمون "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن" وكلفه بمهمة التأثير على الشباب الموثوقين واعدادهم للدخول فى منظمتنا، قائلا له ان تلك هى مشيئة القائد كيم.

وكان اول رجل قدمه لى هون الى لى زى سون تنفيذا لمهمته هو آن دوك هون، الذى كان قد التجأ الى ديسانتشون فى شيجيوداوكو بعد أن شارك فى حركة الجمعيات الفلاحية فى يونغهونغ (كوميا)، بمحافظة هامكيونغ الجنوبية. فى ربيع ١٩٣٧، اسس لى زى سون فرع منطقة شيجيوداوكو لجمعية استعادة الوطن بالتعاون مع آن دوك هون كرئيس للفرع. وحتى صيف ذلك العام نفسه، كانت قد نظمت فى جميع قرى المنطقة الخاضعة لتأثيره فروع للجمعية. وكان من يتولي رئاسة كل فرع بشكل عام هو عمدة القرية نفسه. وقد كانت نشاطات هذه المنظمات مكثفة جدا لدرجة ان الاطفال كانوا ينشدون علنا الاغانى الثورية. واثناء عملى فى جبل بايكدو، التقيت عدة مرات مع لى هون. فكان يكثر من الحديث فى تلك المناسبات عن لى زى سون.

وقد اعتاد ان يقول لى اننى محظوظ فى مسألة كسب الرجال.

"لقد أصبت أيها القائد باختيارك لى زى سون. فأنا لم أر فى اراضى تشانغباى الفسيحة هذه شخصا آخر بمثل ذكائه وتفانيه. فقد تخلى عن شهر عسله ليكرس نفسه

كليا للحركة الثورية فى اماكن غريبة. اننى اكن له احتراما كبيرا. وبفضله تحولت انا نفسى الى جندى، ايها القائد."

عندما استقرت ثكنتنا فى جبل يقع خلف ديانغسى فى شيجيوداوكو بمحافظة تشانغباى، قدم لنا لى هون وزوجته مساعدة قيمة. كان موقع ذلك الجبل مؤاتيا لانه يمكن الوصول من هناك الى وادى كوموبغول عبر غابة كثيفة. وقد كانت زوجة لى هون تنزل الى حاضرة المحافظة، وتتظاهر بانها تبيع السجائر أو جبنة فول الصويا لترصد تحركات العدو. فاذا ما لاحظت وجود شىء مثير للشبهة كانت تشعل نارا فى فناء بيتها، وعندئذ تتوارد الى مقر القيادة التقارير حول الوضع من مختلف مواقع الحراسة التابعة للجيش الثورى الشعبى. اما فى بعض الاحوال الخاصة، كتحرك وحدة معادية كبيرة مثلا، فكان لى هون يأتى مباشرة ويقدم الينا تقريرا مفصلا.

لقد كان هناك فى كل انحاء تشانغباى رؤساء بلديات نواحى وقرى وعمد وطنيون من امثال لى هون.

ان تحويل تلك الاراضى الى عالم لنا، وتحويل سكانها الى رجال يناصروننا هو النجاح العظيم الذى حققه الشيوعيون الكوريون تنفيذا للمهمة الاستراتيجية باقامة قاعدة جبل بايكدو.

ويمكننى التأكيد اننا اذا كنا قد تمكنا من جعل تشانغباى ومحيطها عالما خاضعا لنا خلال أقل من نصف سنة من استقرارنا فى جبل بايكدو، فان الفضل فى ذلك يعود الى ثوريين مخلصين ومتحمسين لا يتوانون عن المجازفة بحياتهم من أمثال لى زى سون.

لقد كان ابنا حقيقيا للجماهير الشعبية وخادما مخلصا ووفيا لها، ولد وسط لهيب الحرب المناهضة لليابان، وواحدا من الوطنيين والشيوعيين الكوريين الرائعين الذين مهدوا بدمائهم وحياتهم طريق الثورة من اجل تحرير الجماهير.

كان لى زى سون ثوريا ناضجا ومجربا يمتلك كل المواهب والخصال التى لا بد أن يتحلى بها أى كادر من كوادر المنظمة السرية.

كما انه استطاع نشر الروح الثورية بين أفراد اسرته، تماما مثلما فعل او زونغ هوا.

ان عقيدته وطريقته فى العمل كثورى تتلخص فى تلقين الروح الوطنية

المناهضة لليابان أولا لمن تربطه بهم علاقات القربى لكى يتمكن بذلك من نشر الوعى الثورى فى القرية بأسرها، ثم فى البلاد كلها والامة قاطبة على المدى البعيد. وهكذا، فقد ضم اخواته الصغيرات الى العمل الثورى مذ كان فى مسقط رأسه. وقد قدمت له احدى شقيقاته الصغيرات مساعدة كبيرة فى نشاطاته الثورية.

وقد قام لى زى سون بعمل الشىء نفسه مع زوجته وحماته بعد انتقاله الى سينسينغتشون.

وبفضل مساعدة زوجها الدقيقة وعنايته الدافئة، استطاعت تشاى تشوى ريون التقدم الى ان تولت رئاسة جمعية النساء التابعة لجمعية استعادة الوطن فى سينسينغتشون.

فتحت تأثير زوجها، تيقظت بسرعة كبيرة على الصعيد الفكرى. لقد كانت امرأة ذات مشاعر غنية وحساسية سياسية استثنائية. وقد اتاحت لها هذه الخصال ان تستوعب بسرعة مناهج العمل الثورى وملاحظة القواعد التى لا بد للثورى من احترامها بطريقة صارمة.

ومع ان لى زى سون كان يحب زوجته كثيرا، الا انه كان متشددا فى المطلوبية منها. لقد كان يعاملها بحنان فى العادة، ويتبادل معها المزاح واللهو، اما فيما يتعلق بالعمل السرى، فكان يضع خطا فاصلا وواضحا بين الامور الرسمية والامور العائلية، دون ان يتفوه أمامها بكلمة واحدة حول المسائل السرية.

فى احدى المرات هرعت زوجة شرطى كنيته "لى" الى تشاى تشوى ريون لتقول لها:

"اسمعى يا تشوى ريون، هل تقضين كل وقتك متكاسلة دون ان تفعلى شيئا سوى تناول الطعام ثلاث مرات فى اليوم؟ انك لا تعرفين اذن أى شىء عما يحدث فى حانة القرية. هل لا تعرفين شيئا حقا؟"

ذهلت تشاى تشوى ريون وهى تتطلع اليها متسائلة، ثم تلعثمت قائلة:

"لست أعرف شيئا. كيف تريدين من امرأة مسكينة مثلى ان تعرف بما يدور فى الحانة؟"

"انك حمقاء تماما... ان زوجك يستمتع هناك على هواه مع نساء الآخرين ... يالك من مسكينة..."

وانصرفت بصمت قبل ان تكمل كلامها.

فى تلك الليلة بالذات، ذهبت تشاى تشوى ريون الى الحانة. وما ان فتحت الباب خلسة حتى رأت الصالة ممتلئة برجال ونساء مجهولين. لقد كان ما أخبرتها به زوجة الشرطى صحيحا. فقد كان زوجها والشرطى لى أيضا وسط ذلك الحشد. ولكنها لم تشعر بانهم "يستمتعون على هواهم" مثلما قالت لها المرأة. فقد ادركت بالبديهة ان زوجها يستغل هذا المحل الواسع الذى لا يلفت انظار الشرطة، ليعقد اجتماعا سريا. وعرفت كذلك ان الشرطى لى ينتمى أيضا الى المنظمة السرية.

لماذا اذن قالت زوجة هذا الشرطى بحماقة انهم يلهون؟ يبدو ان افراطها فى الغيرة جعلها ترى فى الاجتماع السرى "لهوا".

سارعت تشاى تشوى ريون الى اغلاق الباب وهى مطمئنة. ولكنها لم تستطع الافلات من نظرات زوجها الحادة، والذى بقى يؤنبها طوال تلك الليلة.

وبينما كانت تستمع صامتة الى عبارات التقريع العاصفة، فكرت بألم فى انها قد اقترفت خطيئة حين اتاحت لشخص آخر ان يستفزها، وبأن الشك أو الغيرة اللذين لا أساس لهما قد يلحقان الضرر بانسجام الاسرة، وربما يدمرانها، وان الثقة هى الضمانة الاولى لتمتين الروابط الزوجية.

فى تلك الليلة، مارس لى زى سون كل سلطاته على زوجته، ولكنه لم يتفوه مع ذلك بكلمة واحدة حول الهدف من زيارته للحانة حتى ولو لمجرد اثبات نقاء سلوكه. لقد كان واعيا جدا لمفهوم السرية. لم نكن نضع انظمة عمل مكتوبة للثوريين بشكل عام، بل ولم تكن هنالك مثل تلك الانظمة الخطية حتى بالنسبة للعاملين السريين ونشطاء التنظيمات السرية، ولكن لى زى سون كان يحتفظ فى وعيه بأنظمته التى يحترمها بشكل لا يقبل الجدل.

حين كنت فى منطقة تشانغباى، اتيح لى بين حين وآخر زيارة بيته فى سينسينغتشون. واذكر اننى أمضيت ليلة فى بيته فى احدى المرات، وقدموا لى يومها

شعيرية مصنوعة من دقيق البطاطا المجمدة. وبينما كنت هناك، علق ستارة بين الغرفة التى كنا فيها والغرفة الاخرى القريبة من المطبخ بحيث لا تستطيع تشاى تشوى ريون رؤيتى. ولهذا، لم تكن تعرف اننى كيم إيل سونغ، بالرغم من انها كانت تقدم لى الوجبات بنفسها.

وحين علمت، فيما بعد، عن طريق باك روك كوم حقيقة هويتى، احتجت امام زوجها بعينين دامعتين:

"انك تقول دائما انه لا بد من الثقة بالناس، ولكنك لم تخبرنى بان الزائر هو القائد كيم إيل سونغ. فهل هنالك فى الدنيا امتهان لا يستند الى اساس اكبر من امتهانك لى؟"

"افهمينى، لم يكن بامكانى ان اكشف لك عن شخصيته. لقد فعلت كل ذلك من أجل ضمان أمنه الشخصى. عليك ان تكونى متفهمة حتى ولو آلمك ذلك."

لقد كانت هذه واحدة من أنظمة عمل لى زى سون.

وهكذا، فقد كان لصلابة طبعه وسلوكه المبدئى الثابت تأثير مؤات على تطور تشاى تشوى ريون وتكوينها ورؤيتها للعالم.

حين عاد الى بيته، بعد ان التقى بى فى معسكر جبل بايكدو السرى، قال لزوجته:

"قد نتلقى من الآن فصاعدا ضيوفا كثيرين. يجب ان نحتفظ دائما باحتياطى وافر من البطاطا ونشاء البطاطا والشعير وعجينة فول الصويا والحطب. وسيكون عليك القيام بأعمال بيتية كثيرة."

وقد كان عليها ان تتعرق بغزارة بالفعل، لكى تقوم على خدمة المقاتلين والعاملين السريين. وكان عليها ان ترهق نفسها فى العمل كل يوم. فقد قشرت كميات كبيرة من الحبوب الي حد انها احدثت ثقبا فى حجر الرحى الذى صنعه لى زى سون بيديه.

بعد ان ثور اسرته، فعل الشىء نفسه مع اهالى قريته. واسس مع كوون يونغ بيوك فى سينسينغتشون منظمة فرعية خاصة للحزب، وراحت صفوفها تتوسع منذ

ذلك الحين باعضاء كثيرين من جمعية استعادة الوطن فى منطقة تشانغباى. ولم يكن هناك مجال للشك فى ان سينسينغتشون كانت تحتل المقام الاول بين جميع القرى فى مجال جمع شمل الناس فى المنظمة وفى مهمة تقديم المساعدة لجيش حرب العصابات.

كان اهلها، اذا ما علموا بان مقاتلى حرب العصابات سيأتون الى قريتهم، يسارعون أولا الى تحميص السمسم لعصره واستخراج الزيت منه. ثم يواظبون على التوفير فى المؤن لكى يتمكنوا من تقديم المساعدة للمقاتلين. اما البطاطا، وهى محصول القرية الاساسى، فلم يكن بالامكان نقلها الى خارج القرية، ناهيك عن استهلاكها هناك، ولهذا السبب كانوا يحولونها الى نشاء يرسلونه الى المعسكرات السرية لجيش حرب العصابات.

لم تكن نساء سينسينغتشون يرسلن الينا عجينة فول الصويا النيئة، بل كن يعالجنها قبل ارسالها. فكن يخلطنها بدقيق القمح ثم يقطعن العجين الى قطع لها حجم وشكل كعك الارز، ويقلينها. وبهذه الطريقة كنا نستطيع الاحتفاظ بعجينة فول الصويا واستهلاكها باطمئنان.

كانت المساعدات التى يرسلها الينا اهالى سينسينغتشون تصل الى عشرات الآلاف. وكانوا ينقلون هذه الكميات الضخمة على ظهورهم حتى معسكراتنا السرية أو الى الاماكن التى يخيم فيها المقاتلون.

ويمكننى القول انه كان لديهم موجه جيد. فقد كان لى زى سون شخصا كثير القدرات، اضف الى ذلك انه كان يتلقى مساعدة فعالة من جانب كوون يونغ بيوك، وباك روك كوم، وهوانغ كوم اوك.

لقد زرت هذه القرية قبل خوض معركة بوتشونبو، وقد تأثرت كثيرا حين رأيت كيف يستقبل اهلها الجيش الثورى بحرارة وهم جميعا متحدون بمتانة. وحين وصلنا الى القرية، نصبوا أربع آلات لصنع الشعيرية، وخلال وقت قصير كانوا قد اعدوا وجبة الشعيرية لمئات الاشخاص. والواقع ان رشاقتهم كانت مثيرة للذهول. ولهذا اعتبرها رفاقنا قرية فاتنة. وكان اهلها جميعهم، دون استثناء، يروقون لنا. وقد علمنا

فيما بعد، انه كلما ذهبنا الى هناك كان لى زى سون يدعو الى اجتماع استثنائى لاعداد الاستقبال.

الحادثة التالية تساعدنا على معرفة موهبته التنظيمية العالية وقدرته على ايجاد حل سريع للظروف الطارئة.

فى ربيع ١٩٣٧، وبمناسبة الاول من ايار، نظمت لجنة جمعية استعادة الوطن فى محافظة تشانغباى مظاهرة فى سينسينغتشون. ومن أجل اجراء المظاهرة بشكل شرعى فى وضح النهار وأمام انظار الجميع، كان لا بد من وضع خطة مقنعة حتى لا تكون لدى الاعداء اسباب للريبة. أعلن لى زى سون عن اقامة حفلة لصيد الثعالب وجمع فى مكان معين شبان وأطفال جميع القرى. انتظم المتظاهرون فى صف احادى طويل وهم يحملون رايات حمراء فى المقدمة، وساروا على امتداد حافة الجبل فى مكان مشرف على نهر آمروك، ووصلوا الى قرية نامسوك فى ايرشيداوكو. وكانوا يصرخون فى اثناء ذلك بأعلى اصواتهم "عاش استقلال كوريا!"، ويطلقون بين حين وآخر هتافات اخرى من اجل تضليل الاعداء.

وقف سكان قرى ضفتى النهر يراقبون هذه المظاهرة الفريدة وهم ممتلؤون بمشاعر البهجة. أما شرطة مركز كاريمتشون وعسكريو الحامية الحدودية على الضفة الاخرى فلم يتجرؤوا حتى على تقصى سبب تلك الضجة على الجبل، لانهم ظنوا ان احدى وحدات الجيش الثورى قد ظهرت فى المكان. وحين انتهت المظاهرة وتبين لهم ان الاهالى هم الذين قاموا بها، اجتازوا النهر ودخلوا الى اراضى تشانغباى ليستفسروا عن اسباب ذلك التحرك الحاشد.

فرد عليهم الناس بأنهم كانوا يصطادون الثعالب.

"لماذا كنتم تحملون رايات حمراء اذن؟"

"الثعالب تخشى اللون الاحمر اكثر من سواه. ولهذا كنا نلوح برايات حمراء."

وهكذا تمكن المتظاهرون من خداع الشرطة مجددا. والحقيقة ان الرايات الحمراء ضرورية لصيد الثعالب، ولكنها ضرورية كذلك للمظاهرة.

ومع الاخذ بعين الاعتبار ان قمع الامبريالية اليابانية وصل فى عام ١٩٣٧ الى

ذروته، فان اقدام مئات الاشخاص على التلويح بالرايات الحمراء واطلاق الهتافات المطالبة باستقلال كوريا فى وضح النهار، يصبح عملا مثيرا للذهول. ولكن الاغرب من ذلك هو ان العسكريين ورجال الشرطة اليابانيين والمنشوكيين لم ينتبهوا الى ان الامر عبارة عن مظاهرة مناهضة لليابان ومنشوكو. لقد كانت مغامرة استثنائية لا يمكن أن يخطط لها الا أشخاص يتمتعون بمهارة وجرأة بارزتين.

بعد هجومنا على بوتشونبو، أرسل لى زى سون الى مكان المعركة عددا من عضوات جمعية النساء فى سينسينغتشون لمعرفة نتائج المعركة واستطلاع رأى السكان. وأرسل الينا تلك الحصيلة. ولم نكن قد طلبنا منه ذلك، ولكنه قرر القيام بذلك العمل ونظمه بمبادرة خاصة منه.

هاتان الواقعتان اقنعتانا بأن لى زى سون هو شخص موهوب بمنهجه الخاص فى العمل الثورى ومفكر متحمس. لقد ارهق دماغه اكثر من الآخرين فى سبيل الثورة ومن اجل انجاز المهمة التى اوكلت اليه. ولو لم يمر بهذه الاعمال الشاقة المتتالية، لما استطاع تحقيق الرقم القياسى العجيب بتحويله تشانغباى الى عالم لنا فى ذلك الوقت القصير وبتلك الطريقة المخلصة.

كل واحد منا يعرف ان اولئك الاشخاص الذين لا يفكرون بالامور لا يمكنهم القيام بمبادرات، وحيث لا توجد مبادرات لا يمكن وجود ابداع وتجديد.

واذا نظرنا الى الامور بتمعن، فانه يمكننا التأكيد ايضا على انه بفضل التعقل استطاع الانسان التحول الى سيد العالم، والى كائن مقتدر يمكنه القيام بأى شىء وفق رغبته.

ومن خلال تأملات فكرية متعددة ومتلاحقة، تمكن الانسان، الكائن الاجتماعى الواعى، من ادخال تحولات تدريجية على الطبيعة والمجتمع وعلى نفسه بالذات، واستحق ان يكون سيد العالم بجدارة.

ان حزبنا يحث كوادره واعضاءه والعاملين الآخرين ليكونوا مفكرين متحمسين لانه يولى أهمية مطلقة للدور الذى يلعبه الفكر فى تحويل الطبيعة والمجتمع والانسان.

لقد كان لى زى سون يملك قدرة ابداعية تستند الى مزيج متلائم من الفكر والممارسة العملية. وهو لم يتوقف عن التأمل والتفكير حتى وهو فى المحاكم والسجون. فعند محاكمته ركز تفكيره للوصول الى الطريقة التى يجب عليه ان ينهى بها حياته كشيوعى.

فكان قراره الذى اتخذه وهو معتقل فى سجن شرطة هيسان هو التالى: "الشىء الوحيد الذى يمكننى عمله أمام المحكمة هو ان أتحمل مسؤولية (جرائم) اكثر لكى أنقذ الرفاق". وقد ضحى بنفسه فعلا وتمكن من انقاذ رفاق كثيرين. وحين جرى اعتقال رئيس بلدية الناحية لى زو ايك، شجعه قائلا له: "لا أحد يعرف شيئا عن نشاطاتنا سوى ثلاثة أشخاص: القائد كيم، وأنت وأنا. اما القائد، فهو موجود فى الجبال، وأنا لن أنطق بكلمة واحدة فى أى حال من الاحوال. لذا، فان كل شىء مرهون بك أنت بالذات. فاذا حافظت على صمودك، فلن يحدث أى شىء". وقد تصرف لى زو ايك كما نصحه، واستطاع نيل حريته بعد بضعة ايام من التعذيب. وبفضل تحمل لى زى سون مسؤولية جميع "الجرائم"، تم انقاذ كيم بيونغ تشول، رئيس المنظمة الحزبية فى سينسينغتشون، ولى زو كوان من الحكم عليهما بالاعدام. لقد كانت فضيلة الشيوعى لى زى سون تتمثل فى التضحية بنفسه من اجل انقاذ الآخرين.

وحين علم، عن طريق كوون يونغ بيوك، باقدام زانغ زونغ ريول على الخيانة فى السجن، ابدى لى زى سون قلقه لان تلك الخيانة قد تعرض حياة عدد كبير من الرفاق المخلصين للخطر. كان عليه ان يخبرهم بأسرع ما يمكن بما جرى، ولكنه لم يكن يملك ولو نتفة صغيرة من قلم رصاص. وبعد تفكير عميق، عض شفته السفلى، واخذ يبلل اصبعه بالدم ليكتب على قطعة قماش: "زانغ زونغ ريول خان". ثم دس ما كتبه فى زنزانة اخرى اثناء اقتياده الى غرفة التعذيب. وبهذه الطريقة استطاع رفاق كثيرون ان يعدلوا نضالهم بما ينسجم مع الوضع الناشئ.

انه لمما يؤسفنى اننى لا أستطيع ان أعرض فى هذا الكتاب جميع الحوادث المؤثرة التى قام بها لى زى سون خلال سبع السنوات التى امضاها فى السجن.

حين زارته تشاى تشوى ريون فى السجن يوما، لم تر فى زوجها ذلك الوجه

الجميل الدمث الذى كان له وهو يتنقل منهمكا فى بناء منظمات جمعية استعادة الوطن. لقد كان مظهره رهيبا، فهو مجرد هيكل عظمى لم يبق له شىء من جسده الاصلى. ولكنه بالرغم من حالته المحزنة، حضر أمام زوجته التى كانت تقف فى الجهة الاخرى من القضبان الحديدية، وعلى وجهه تعابير الهدوء والبسمة. وفى لحظة الفراق، رجاها بالحاح ان تحصل له على خريطة للعالم بدلا من ان يطلب منها اطعمة. وقد اعترفت تشاى تشوى ريون فيما بعد بانها قد شعرت بحيرة بالغة حيال طلب زوجها الغريب ذاك. أما أنا فأعتقد ان لى زى سون أراد الحصول على خريطة العالم ليرى بطريقته التشكيل الجديد الذى سيصبح عليه العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وصورة الوطن الذى سيبرز محررا ليضىء ببريقه الكوكب الارضى كله، بعد نكبة الحرب. وهذا فى اعتقادى دليل واضح على عدم شعوره باليأس أو التشاؤم رغم كونه محكوما بالاعدام، فقد كان يحلم دائما بمستقبل باهر للوطن والعالم. لقد كان يعيش الواقع، ولكنه كان يرى المستقبل، وفيما هو يواجه الموت مباشرة، تصور الحياة الجديدة، السعيدة والمزدهرة، للوطن المحرر. هكذا يمكننا تفسير قوله "الشيوعية هى شباب دائم" أمام القاضى الذى كان ينصحه بالتخلى عن معتقداته.

فى اوائل عام ١٩٤٥، ذهبت تشاى تشوى ريون مع ابنتها الصغرى الى قاعة الزيارة فى سجن سودايمون فى سيؤول. تلك الطفلة التى عانت الكثير قبل ان يبلغ عمرها شهرين بسبب نقص حليب الام حين جرى زجها فى السجن مع امها، كانت قد أصبحت زهرة ستكمل عما قريب الثامنة من عمرها. تطلعت الطفلة باستغراب الى وجه الرجل غير الحليق الذى يقف فى الجهة الاخرى من القضبان.

"انه ابوك."

قالت لها تشاى تشوى ريون ذلك وهى تشير بأصبعها.

تبادل الاب وابنته النظرات، ولكن فم الطفلة لم ينطق بكلمة "ابى!". لم يكن من السهل قول ذلك لطفلة لم تعرف أباها حتى بلوغها السنة الثامنة من عمرها تقريبا. لقد رأت فى مرات لا حصر لها كيف يداعب الآباء فى بيوت الجيران ابناءهم

وبناتهم. ولكن ذلك الاب الذى يقف امامها بدا لها غريبا. فهو لم يحاول معانقة ابنته، وانما كان ينظر اليها باسما فقط من وراء القضبان.

ولكن ما ان لامست يدا الاب المكبلتان بالاغلال شعر الطفلة وداعبتاه، حتى صاحت: "ابتاه!".

فابتلع لى زى سون شيئا ساخنا فى حلقه، وقطع على نفسه أمام ابنته "عهدا" لم يستطع تحقيقه مطلقا حين قال لها: "سيكون أبوك فى البيت عما قريب". أى ألم عظيم أحس به فى قلبه حين وجد نفسه مضطرا لتقديم هذا الوعد الكاذب لابنته التى كانت ترى أباها لاول مرة.

لا حاجة للقول ان وعده قد ذهب ادراج الرياح. ففى العاشر من آذار ١٩٤٥ أخرجه الاعداء الى قاعة الاستجواب وحاولوا اقناعه: "اليوم هو عيد القوات البرية فى جيشنا الامبراطورى اليابانى. اذا تخليت الآن عن معتقداتك فسوف نعفو عنك من حكم الاعدام".

ولكنهم لم يستطيعوا ثنيه عن افكاره سواء بالمكائد الترغيبية أو بالتعذيب الوحشى.

ان لى زى سون، الذى كان فيما مضى معلما فى مدرسة ليلية وعمدة قرية جبلية مجهولة فى تشانغباى، كان فى الوقت نفسه وطنيا غيورا ومناضلا ثوريا حازما، ضحى بنفسه فى سبيل الثورة المناهضة لليابان وهو فى زهرة الحياة.

لا أحد يولد ثوريا. فالانسان يتصلب كثورى ومناضل فى خضم الحياة والنضال فقط. وهذا التطور يتفاوت من انسان الى آخر، ولكن حقيقة الثورة ودروس التاريخ تؤكد ان أى شخص يملك ايديولوجية راسخة ووطنية متأججة يمكنه التحول الى ثورى اذا ما تلقى التوجيه السليم. لهذا، فاننا فى مسار تحقيق الثورات الثلاث: الفكرية والتقنية والثقافية، نولى الاولوية للثورة الفكرية. لانها هى بالتحديد التى تشكل بيت القصيد فى بناء وعى الناس وتزويدهم بالحس التنظيمى الذى يتيح لهم التحول الى وطنيين غيورين ومناضلين ثوريين فولاذيى الارادة، وهى التى تشكل القوة الدافعة التى تدفع بقوة عجلة النضال الثورى وقضية الجماهير الشعبية فى الاستقلال.

فى احدى زياراته لقاعدتنا، ولست اذكر اذا كانت الزيارة الثالثة أو الرابعة، قدرت عاليا جهوده العظيمة التى يبذلها من اجل منظمة جمعية استعادة الوطن. فهز كلتا يديه بحيرة وقال:

"لا تقل لى مثل هذا الكلام ايها القائد. فالفضل فى ذلك لا يعود الى مهاراتى أو جهودى. لقد جعلت تلك الوثيقة حتى من رجل مثل رئيس بلدية الناحية لى زو ايك عضوا فى جمعية استعادة الوطن. فحين رأى هذه الوثيقة توسل الى لكى اضمه الى المنظمة اذا كان القائد كيم هو رئيسها. اضف الى ذلك ان اهالى تشانغباى يتمتعون بمشاعر وطنية عالية. أما أنا شخصيا، فلم أقم بأى عمل عظيم."

هكذا كان لى زى سون، شخصا فى منتهى التواضع.

وهو اليوم ينظر الى الاجيال التالية من موقعه فى مقبرة الشهداء الثوريين على جبل دايسونغ، وبملامح التواضع المعتادة التى تنعكس فى تمثاله النصفى الصغير. وعلى جانبيه توجد تماثيل كوون يونغ بيوك، ولى دونغ كول، وزى تاى هوان الذين سقطوا مثل قطرات الندى على منصات الاعدام.

٤ــ مع رفاق السلاح فى منشوريا الجنوبية

هنالك واقعة أخرى اتذكرها بتأثر عميق، وقد جرت بعد ان اقمنا معسكرات سرية فى مواقع مختلفة من منطقة جبل بايكدو، وبينما كنا نقوم بالنشاطات العسكرية والسياسية على طول نهر آمروك، جاءت لزيارتنا الفرقة الثانية من الفيلق الاول فى القوات المتحدة المناهضة لليابان، ووسط المعايشة والعمليات المشتركة، وطدنا اواصر الصداقة والتضامن القتالى مع اولئك الرفاق فى السلاح.

لقد كانت العمليات المشتركة بين الجيش الثورى الشعبى الكورى والوحدات المسلحة للشيوعيين الصينيين موضوع نقاش معمق فى اجتماع ياوينغكو الذى انعقد فى آذار ١٩٣٥. وقد قررنا هناك ان تنطلق وحدتنا فى الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، وان تنطلق وحدة اخرى نحو الجنوب عبر ممر سينكايلنغ. أما أهم الوحدات الصينية التى كانت تعمل فى المناطق المجاورة لنا فهى وحدة جو باو جونغ فى نينغآن، ووحدة لى يان لو فى ميشان، ووحدة يانغ جينغ او فى منشوريا الجنوبية، ووحدة جاو شانغ جى فى جوهى. وكانت كل واحدة منها تسعى، منفردة، لخوض عمليات مشتركة مع الوحدات المجاورة.

وقد جرى لفرقة منشوريا الشرقية الاولى المستقلة التى تقدمت نحو الجنوب، لقاء مؤثر مع مقاتلى الفيلق الاول فى نايرهون بمحافظة مينغتشيانغ، ما بين شهرى آب وايلول ١٩٣٥. وكانت وحدتنا فى ذلك الحين قد اجتازت مجددا ممر لاويلنغ وبدأت تعمل جنبا الى جنب مع وحدة جو باو جونغ.

وقد كان بين من تم ارسالهم الى منشوريا الجنوبية كل من او زونغ هوب وكيم بيونغ، الآمرين القادمين من وانغتشينغ.

وقد تذكر او زونغ هوب فيما بعد بتأثر الاحتفالات المثيرة التى نظمها الرفاق فى منشوريا الجنوبية لتحية القادمين من منشوريا الشرقية: فقد نصبوا قوس نصر

من اغصان الصنوبر الخضراء، ورفعوا الاعلام، وأقاموا منبرا، بل وألقوا كذلك بعض خطابات الترحيب. وقد قال لنا انه وافراد وحدته فتحوا عيونهم على اتساعها لرؤية ذلك. تحدث يومذاك يانغ جينغ او ممثلا لوحدة منشوريا الجنوبية، وتحدث لي سو تشونغ باسم وحدة منشوريا الشرقية على التوالي؛ وقد قوطعا عدة مرات بتصفيق مئات الاشخاص. ومازلت احتفظ في ذاكرتي برسم لخص ذلك الاجتماع بمهارة ونشر في العدد الخاص من صحيفة "رينمين غومينغباو".

حين وصل تشاو غووان على رأس القوة الرئيسية من الفرقة الى معسكر كومويغول السري، لم نكن موجودين هناك، اذ كنا قد خرجنا للقتال. وقد حمل الينا الخبر مراسل بعثه كيم زو هيون الذي كان مسؤولا عن التموين والملابس والمبيت، ويبدو انه انهمك يومئذ في تقديم ضيافة سخية للضيوف. رغبنا في رؤيتهم بأسرع ما يمكن، ولذا رجعنا الى المعسكر السري فور انتهاء المعركة.

لقد احسسنا بفرح غامر للقائنا برفاق السلاح من الوحدات المجاورة. فالشوق الى الناس كان احساسا شديدا وعظيما لا ينطفئ في قلوبنا. فنحن الذين نعيش في الجبال، بعيدا عن القرى، لم تكن الاشياء التي نشتاق اليها مجرد شيء واحد أو شيئين. فهناك الحنين الى مسقط الرأس، والى ذوي القربى، والى زملاء الدراسة، والى الاحبة، والى مختلف منجزات الحضارة ... ولكن الحنين الاكبر كان حنيننا للرفاق والناس. ولهذا، حين كنا نحل في قرية، كان كل شيء يبدو مثل عيد.

ولهذا السبب بالذات، اطلقنا صيحات السعادة وعانقنا المراسل الذي حمل الينا خبر مجيء مقاتلي تشاو غووان الى معسكرنا.

لدى عودتنا الى المعسكر، خرج نحو ٧٠ أو ٨٠ رفيقا من منشوريا الجنوبية لاستقبالنا. احاطوا بنا في عدة أحزمة؛ وكان هناك معانقات ومصافحات متدفقة العواطف اوقعتنا في ارتباك. ولو ان اناسا آخرين رأوا ذلك المشهد، لربما اعتقدوا انه استقبال نتلقاه في معسكر سري لرفاقنا في منشوريا الجنوبية.

كانت تلك هي المرة الاولى التي نلتقي فيها أنا وقائد الفرقة تشاو غووان معا.

كان يبدو وكأنه ضابط مدرب في اكاديمية عسكرية، فهو فولاذي الارادة وشديد

التطلب. وقد كان ذلك هو انطباعى الاول عنه. ولكن هذا الانطباع ما لبث ان تبدل بعد بضعة أيام من المعايشة. فقد كان رجلا شديد الحذر واجتماعيا، وكان يكبرنى بنحو عشر سنوات.

أحسست بعاطفة من يلتقى بأحد ابناء بلدته، ذلك انه ينحدر من محافظة يونغجى بمقاطعة جيلين، وقد تخرج من دار المعلمين فى جيلين. وبعد تخرجه من دار المعلمين، كما قال، عمل معلما فى المدرسة الثانوية الاولى بالمدينة نفسها. وفيما بعد درس فى الاكاديمية العسكرية والسياسية فى شانتونغ ثم فى بكين، وقد عكف فى هاتين المدرستين على قراءة الكتب الماركسية اللينينية. وبعد التحاقه بالنضال المسلح المناهض لليابان، أصبح مفوضا سياسيا للفوج السابع من الفرقة الاولى فى الفيلق الاول، وفى خريف ١٩٣٤ بدأ يشغل منصب آمر الفرقة الثانية ومفوضها السياسى فى الفيلق نفسه.

قال لى بشىء من الحياء وهو يشير الى جنوده الذين يحيطون بنا:

"ايها القائد كيم، ارجوك ألا تشعر بالاستياء من المظهر البائس لحلفائك. انا المخطئ فى ذلك، لانى لم أقم بقيادة الوحدة جيدا. ارجو المعذرة."

كان ضيوفنا القادمون من منشوريا الجنوبية، ضباطا وجنودا، يرتدون بدلات عسكرية صيفية ممزقة الى حد تظهر معه تحتها ملابسهم الداخلية، وهو ما يؤكد طول المسافة التى قطعتها الفرقة وكثرة المشقات التى واجهتها.

أضاف قائلا:

"ايها القائد كيم، انه لمما يخجلنى ان اقول لكم اننا لم نستطع تقديم بدلات شتوية للجنود."

وتطلع باعجاب الى ملابس جنودنا السميكة المبطنة، ورسم ابتسامة حزينة.

فقلت له مواسيا:

"ما الذى تقوله؟ كم من المعارك خضتم ومن المصاعب واجهتم حتى تحولت ملابسكم الى اسمال؟ حين عدنا من حملتنا الى منشوريا الشمالية كان مظهر وحدتنا مماثلا لما انتم عليه. واذا كان لا يسوءكم، فان لدينا كمية احتياطية من الملابس الشتوية، ولكننى لا

أعرف مقدارها بالضبط. فاذا كانت غير كافية، فسنصنع كمية اخرى ... ما رأيك؟"

لم يعد يعرف ماذا يفعل من شدة الفرح.

"اذا كان ذلك ممكنا فسوف استطيع النوم مطمئنا."

خلال نحو عشرين يوما من العيش معا، تبادلنا الآراء حول النضال المشترك. واصبحنا صديقين حميمين، حتى اننا تحدثنا فى شؤوننا العائلية فضلا عن الحديث فى القضايا المتعلقة بالتعاون بين الوحدتين وادارة الوحدة، والتثقيف الداخلى، وسبل تمتين الصفوف، واساليب العمل مع الجماهير، وتكتيك حرب العصابات وآفاق الثورة فى كوريا والصين.

ومن بين صفاته، وجدت جاذبية خاصة فى صراحته وبساطته. لقد كان صريحا ومتواضعا جدا. فمع انه يكبرنى بنحو عشر سنوات، الا ان هذا الفارق فى السن لم يكن يؤثر على محادثتنا. كما انه لم يكن يأخذ المراتب بعين الاعتبار؛ فاذا ما أعجبه محدثه، كان يظهر له حتى اعماق روحه. ولم يتردد فى الاعتراف بالمصاعب التى تعانى منها وحدته وفقدانه للجنود.

كانت الفرقة الثانية من الفيلق الاول، التى يقودها تشاو غووان، وحدة مؤلفة اساسا من قوات حرب العصابات الشعبية المناهضة لليابان التى نظمها كوريون فى بانشى، ومن الفوج الاول فى الفرقة الاولى المؤلفة من متمردين من جيش منشوكو العميل ومن رجال وحدة الشغب الجبلية. وكانت الفرقة تمارس نشاطها اساسا فى محافظة بانشى والمناطق المحيطة بها.

وقد روى تشاو غووان انه تنفيذا لخطة العمليات التى اقرتها القيادة، كان يقوم فى الصيف بحملة الى الشمال من نهر هويفاهى ويعود منها فى الشتاء ليعوض الخسائر ويعزز الصفوف. وكان ذلك يتكرر كل سنة كعملية دورية، بحجة توسيع مسرح عمليات وحدات حرب العصابات. وكانت النتيجة انه لفت انظار العدو وتم تحديد طريقه الثابت على خريطة العمليات المعادية. وفى نهاية المطاف، أصبح يعانى فى كل حملة الكثير من الخسائر بسبب الهجمات المفاجئة للاعداء الذين أخذوا ينصبون له الكمائن.

واضاف قائلا ان الفرقة فى صيف ذلك العام (١٩٣٦) فقدت عددا كبيرا من جنودها خلال الحملة. وقد ذهب تشاو غووان نفسه، بالتعاون مع الفرقة الاولى لمنشوريا الشرقية، بعيدا حتى سانسونغ فى محافظة ايمو، على رأس بعض قوات الفرقة. وبعد انتهاء الحملة، جمع شمل جنوده فى هويتشوانجان بمحافظة هواتين، وجاء من هناك مباشرة الينا عبر محافظة فوسونغ، وهذا هو سبب عدم مروره من نايرهون فى محافظة مينغتشيانغ، حيث توجد قاعدة تموين الفيلق الاول، وهكذا لم يستطع استبدال ملابس جنوده بملابس أخرى شتوية.

وبينما هو ضحية الكآبة، يعصر دماغه للعثور على مخرج من الوضع الصعب، علم فى احد الايام بخبر الهجوم الذى قمنا به على حاضرة محافظة فوسونغ، وكان من أخبروه بذلك هم افراد الوحدة الصغيرة التى يقودها سونغ مو سون، وكانوا يقومون بمهمة الحصول على المؤن فى سانداولاجيهى بمحافظة فوسونغ.

وقال لنا مضيفا ان اطلاعه على اخبار ذلك الهجوم قد امده بحافز عظيم. وفكر بينه وبين نفسه: "اذا كان الآخرون يحققون الانتصارات بفرقة حديثة التأسيس، فلماذا يتوجب على وحدتى ان تخوض معارك قاسية وتعانى؟ ولماذا يتوجب على ان اسير بشكل آلى نحو شمالى هويفاهى كل صيف على الرغم من الخسائر الكبيرة التى نتعرض لها فى هذه الحملات؟ ألا يتوجب على ان استخلص العبر من ذلك؟". وعلى الفور، دعا الشريحة العليا من وحدته لمناقشة اجراءات عديدة من اجل احداث تغيير حاسم فى عملياته، وكان من بين الاجراءات التى اتخذوها القيام فى أسرع وقت ممكن بخوض عمليات مشتركة مع وحدتنا. وكانت وجهة نظر الجميع متفقة على انهم سيتمكنون بهذا من تطوير تكتيكاتهم واساليبهم القتالية ومراكمة الخبرات المفيدة. وكان سونغ مو سون هو مشجع هذا الاقتراح، وقد ايده القائد تشاو غووان اكثر من الجميع.

وعلى الفور، انطلقت الفرقة نحو دادونغكو فى محافظة هواتين، للتوجه الى معسكرنا.

يبدو ان الفرقة الثانية لم تخض معارك ناجحة على الرغم من المحن الكثيرة التى تعرضت لها. وقد نظرنا الى محنها الشاقة كما لو كانت محننا.

الى جانب قوات حرب العصابات فى منشوريا الشمالية، فان الفيلق الاول من قوات دونغبى المتحدة المناهضة لليابان، والذى كان يدعى كذلك باسم قوات حرب العصابات لمنشوريا الجنوبية، كان عمليا هو الوحدة الاساسية المجاورة للقوة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى. ومنذ الايام الاولى للحرب المناهضة لليابان، أعرنا اهتماما كبيرا لتأسيس تلك القوات وتطورها وسعينا دون هوادة لتحقيق النضال المشترك معها. وقد ارسلنا اليها عددا كبيرا من الكوادر الكوريين الاكفاء فى منشوريا الشرقية، ممن تمرسوا فى حرب العصابات. كجزء من هذه الجهود، ارسلنا مندوبينا فى صيف ١٩٣٢، حين انطلقنا نحو منشوريا الجنوبية، الى لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ للتعاون مع وحدتيهما. ولكننا لم نستطع للاسف الشديد تحقيق هذا الهدف.

وقبل اجتماع نانهوتو، كرسنا انفسنا بشكل أساسى للتعاون مع وحدة حرب العصابات لمنشوريا الشمالية. وقد ذهبنا الى هناك مع الوحدة مرتين. وعملنا جنبا الى جنب مع شيوعيى المنطقة، وكذلك مع القوات الصينية المناهضة لليابان. ومع انه كان علينا ان نتحمل الآلام بسبب الخسائر والتضحيات، الا ان التعاون مع جيراننا اظهر حيوية عظيمة.

فحين كنا نقاتل مستندين الى قاعدة حرب العصابات فى تشينتاو، كنا نتواجد، جغرافيا، على مسافة اقرب الى منشوريا الشمالية من منشوريا الجنوبية، اذ لم يكن يفصلنا عنها سوى جبل.

أما فى النصف الثانى من الثلاثينات، حين بدأنا النضال بنقل مسرح عملياتنا الى تشينتاو الغربية، فقد اصبح الامر معاكسا تماما. فرصاصنا الذى كان يدوى يوميا فى هذه المنطقة، الى جنوب غربى جبل بايكدو، كان يوقظ فى وحدات منشوريا الجنوبية الرغبة العارمة فى اقامة التعاون بأسرع ما يمكن مع الجيش الثورى الشعبى. وقد عرضت هذه المسألة كمسألة ملحة لا يمكن تأجيلها لمزيد من الوقت. وكان ان اجرينا اول عملية مشتركة على هذا المستوى فى منطقة جبل بايكدو بالتعاون مع فرقة تشاو غووان.

يمكن التأكيد ان نضال حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية تم خوضه وقيادته من قبل الشيوعيين والثوريين الكوريين، مثلما جرى فى كل من منشوريا الشرقية والشمالية. فالفرقة الاولى والثانية والثالثة التابعة للفيلق الاول من القوات المتحدة المناهضة لليابان فى منشوريا الجنوبية كانت مؤلفة فى غالبيتها من الكوريين. والامر نفسه ينطبق على الكوادر العسكريين والسياسيين، باستثناء يانغ جينغ او، ووى جين مين، وتشاو غووان وغيرهم.

فى التقرير الذى تلاه جو باو جونغ فى احتفال اقيم فى جيلين فى شهر كانون الاول ١٩٤٥، أكد ان الرفاق الكوريين والجماهير الثورية الكورية نظموا فى سنة ١٩٣٢ قوات حرب العصابات الجبارة فى منشوريا الشرقية، وفى عام ١٩٣٣ نظموها فى بانشى، وجوهى، وميشان، وتانغيوان، وقد تحولت تلك القوات فيما بعد الى عدة فيالق فى القوات المتحدة المناهضة لليابان؛ فالفيلق الخامس كان يضم عددا كبيرا من خيرة الرفاق الكوريين، كما ان عددا كبيرا من الكوادر العسكريين والسياسيين فى كل فيلق، ابتداء من القائد ونائبه السياسى وحتى آمرى الفصائل وموجهيها، كانوا من الكوريين أيضا. ووحدة حرب العصابات فى بانشى التى ذكرها جو باو جونغ، هى جنين الفيلق الاول فى القوات المتحدة المناهضة لليابان، أى قوات حرب العصابات لمنشوريا الجنوبية.

وكما تعبر التسمية الشعبية التى تطلق على قوات بانشى لحرب العصابات فان منطقة بانشى هى مهد نضال حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية.

لقد قيل لى ان اول لجنة حزبية فى محافظة بانشى كانت تضم نحو اربعين شيوعيا، وانهم جميعا كانوا كوريين. وهناك نظم لى هونغ كوانغ اول جماعة مسلحة من نحو عشرة كوريين، اصبحت بعد ذلك محور وحدة حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية. وقد كان كوريون كذلك جميع اعضاء هذه الوحدة الاوائل، وعددهم يربو على الثلاثين. والامر نفسه ينطبق على معظم مسؤولى الجمعية المناهضة لليابان، وجمعية النساء، وطليعة الاحداث، ولجنة الفلاحين فى قاعدة بانشى لحرب العصابات. وباختصار، كان الكوريون يتولون دورا رياديا، ومركزيا واساسيا فى

انطلاق وتطور حركة حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية.

وقد كان هناك كوريون كثيرون أيضا فى فرقة تشاو غووان. فأكثر من نصف الشريحة العليا، بمن فيهم سونغ مو سون وباك سون ايل وعدد كبير من الجنود كانوا من الكوريين، وهو ظرف مؤات لتنفيذ العمليات المشتركة بسهولة.

لقد سدد الشيوعيون الكوريون فى منشوريا الجنوبية ضربات عسكرية وسياسية قاسية الى الامبرياليين اليابانيين، محتفظين بروابط مباشرة معنا، أو حسب وجهة نظرهم وقرارهم بين حين وآخر. وكانوا يجتازون نهر آمروك فى بعض الاحيان للهجوم على مناطق حدودية.

فى النصف الاول من الثلاثينات، كنا نتوغل بكثرة من منشوريا الشرقية الى داخل كوريا. وفى شهر كانون الثانى ١٩٣٥ وحده، قامت وحدات صغيرة من الجيش الثورى الشعبى الكورى بالهجوم اربع مرات على قضاء اونسونغ. وبعد ان خاضت تلك الوحدات معارك ضد الجنود والشرطة فى قرية نامسان وقرى وولبا وسيسون وميسان فى القضاء نفسه، نشرت صحف سيؤول بذعر اخبارا تقول ان وحدات حرب العصابات قد هاجمت بقوات كبيرة اونسونغ وهونيونغ وأماكن اخرى من محافظة هامكيونغ الشمالية.

وفى ايار عام ١٩٣٥، قامت احدى وحداتنا بعمل سياسى بين جماهير منطقة نونغسا فى ناحية سامزانغ فى قضاء موسان، ثم فى المناطق القريبة من دامالوكو فى محافظة آنتو، خاضت اشتباكا وجهت فيه ضربة موجعة الى رجال شرطة الامبريالية اليابانية الذين كانوا يتعقبونها.

أما لى هونغ كوانغ الذى كان يطفئ حنينه الى الوطن بخوض المعارك فيما وراء نهر آمروك، فقد جرفه تيار التقدم الى داخل كوريا الذى كان يزداد اندفاعا سنة بعد أخرى، فاجتاز النهر على رأس وحدته وهاجم دونغهونغزين فى قضاء هوتشانغ. ففى ليلة الخامس عشر من شباط ١٩٣٥، قاد ثلاث مجموعات صغيرة من الفرقة الاولى فى الفيلق الاول، وبرشاشين خفيفين حاصرت وهاجمت مركز الشرطة والتعاونية المصرفية وعددا من المواقع الاخرى، مما أوقع الاعداء فى ارتباك شديد.

ذعر الاعداء من الظهور المتوالى للجيش الثورى الشعبى داخل كوريا، فراحوا يطلقون الصرخات قائلين انها حوادث لم يسبق لها مثيل فى تاريخ حراسة الحدود. كيف يمكن وجود فاشل مثل القائد تشاو غووان بين وحدات منشوريا الجنوبية التى أخذت، منذ الهجوم على دونغهونغزين، تظهر جدارتها القتالية على اتساعها فى داخل البلاد وخارجها؟ وفيما أنا انظر الى وجهه المكفهر، داهمنى احساس بالاسف.

قال:

"لقد توصلت فى الايام الاخيرة الى القناعة بان المخرج الوحيد للبقاء على قيد الحياة هو فى النضال المشترك مع الوحدات المجاورة. لقد تأخرت كثيرا فى استخلاص هذا الدرس. وأقول بنزاهة، اننى أشعر بالندم لانى استهترت بالعلاقات مع القائد كيم."

ثم اطلق زفرة طويلة وهو يدعك وجهه بكلتا يديه وكأنه رجل يتخلى عن كل شىء.

فقلت له مشجعا:

"ايها القائد تشاو، اقترح عليك ان تستريح هنا لبضعة ايام الى ان تسترد معنوياتك. هنالك مثل شائع يقول: دائما هناك مخرج للنجاة حتى ولو انطبقت السماء على الارض. وبما ان الانسان ليس الها، فكيف يمكنه تفادى الاخطاء؟ يجب عدم الخوف من اخفاق مؤقت."

ثم حدثته بعد ذلك عن المشقات التى واجهتنا فى هضبة لوزوكو، حيث كانت وحدتنا كلها معرضة لخطر الموت من الجوع والبرد القارس وحصار العدو، ورويت له قصة لحظات الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، حين وجدنا أنفسنا مرة اخرى فى مآزق لا مثيل لها بسبب البرداء والعاصفة الثلجية العاتية ومطاردة العدو العنيدة، وكيف اننا نجونا بفضل مساعدة المحسنين.

لقد سبب لنا هذا الوصول المفاجئ لعدد كبير من الضيوف مصاعب، خصوصا، فى حل مسألة المبيت. فأمرت ضباطنا بان يقدموا لهم كل الاكواخ وان يقيم اصحابها فى خيام ويوقدوا نيران المعسكر. وفى الحال، اخلى مقاتلونا اكواخهم،

ونصبوا الخيام واشعلوا المواقد. وقد كان اسلوبهم فى العمل ماهرا وسريعا بحيث نال اعجاب الضيوف.

لقد كان بين مقاتلينا عدد كبير من المعلمين فى اعداد المواقد. فقد ابتكروا طريقة فريدة لاشعال النار فى الجذوع وعمموها على الوحدة بأسرها. لقد كانت طريقة بسيطة، ولكنها سحرية. فقد كانوا يقطعون الجذوع بمقياس واحد متناسب، ثم يكدسونها بشكل هرمى بحيث يضعون ٥ – ٦ جذوع فى القاعدة، و٤ – ٥ فى الطبقة الثانية، و٣ – ٤ فى الثالثة، و ٢ – ٣ فى الطبقة الاخيرة حيث يضعون اغصانا جافة ويضرمون فيها النار. وكانت نيران تلك المواقد تستمر لوقت طويل، وتشتعل الجذوع الرطبة بشكل جيد يضاهى اشتعال الجذوع الجافة، كما ان النار لم تكن تطلق شرارا، اضافة الى انها كانت تنشر حرارة عالية.

فى البدء، هز جنود الفرقة الثانية رؤوسهم وتساءلوا اذا ما كان بالامكان اشعال الجذوع بتلك الطريقة. ولكنهم ما ان رأوا النار تستعر فى هرم الجذوع حتى صرخوا باعجاب: "مرحى، مرحى!".

وقد ابدى تشاو غووان أيضا اعجابه، وفيما هو يتطلع الى النار المتأججة، سألنى وقد بدت على وجهه ابتسامة ذات مغزى:

"أتعرف ما الذى نصحنى به وى جين مين الذى التقيته مؤخرا فى مانجيانغ؟"

"بماذا نصحك؟"

"طلب منى اذا ما التقيت بوحدة القائد كيم ان أتعلم أولا طريقة اشعال الموقد. وانا أرى الآن انه أمر رائع."

وأضاف تشاو غووان ان الموقد واكواخ الجذوع قد تركت فى نفسه انطباعا استثنائيا. واعترف انه ادرك لاول مرة من خلال وجوده معنا أن بامكان الوحدة ان تعيش بفضل تلك المواقد والاكواخ حتى فى اعماق الجبال وغيرها من الاماكن النائية وغير المأهولة.

فى اليوم التالى، أمرت عددا من النجارين الماهرين وافراد السرية الرابعة من الفوج السابع بأن يبنوا فى ذلك اليوم تحديدا ثكنة يستخدمها جنود الفرقة الثانية

وحدهم كى لا يشعروا بمضايقات اثناء اقامتهم فى معسكرنا. فقطع معلمو البناء عندنا الاشجار وشيدوا خلال الوقت المحدد كوخا ضخما وواسعا بمساعدة حماسية من الرفاق فى الفرقة الثانية.

وحين علم تشاو غووان بانه قد جرى تشييد ابنية مماثلة فى اماكن برية عديدة من منطقة جبل بايكدو، أعرب عن اعجابه مجددا وأكد انه كان يعتقد حتى تلك اللحظة بانه لا يمكن اقامة معسكر فى منطقة مقفرة مثل جبل بايكدو، ولهذا كان يمضى بحثا عن الدساكر ليطلب منها الطعام والمأوى، وانه لم يحاول اقامة معسكر فى الجبل على الاطلاق تقريبا، وحتى عندما كان مؤخرا فى شمالى نهر هويفاهى، بات هو وجنوده فى بيوت القرويين.

بعد ان اصبح للرفاق القادمين من منشوريا الجنوبية "مسكنهم الخاص" ضمن معسكرنا، امرت كيم زو هيون المسؤول عن التموين وكيم هاى سان، بان يقدما لهم ما يكفى من المواد الغذائية وادوات المطبخ، بل وبضع عشرات كذلك من البدلات العسكرية الاحتياطية الموجودة فى المستودع. ولكن الالبسة لم تكف الجميع، وقد احزننا ذلك. ومع ذلك، فقد تمكن الآخرون فى اليوم التالى القاء ملابسهم الصيفية المهترئة الى النار، والفضل فى ذلك يعود الى العاملات فى مشغل الخياطة الذى تديره باك سو هوان اللواتى استكملن النقص فى الملابس بالعمل طوال تلك الليلة. ومع ان عملنا ذاك لم يكن انجازا باهرا، الا اننا قمنا على ما اعتقد بما يتطلبه منا الواجب الاخلاقى كمضيفين. كما اعددنا لهم كذلك وسائل الاستحمام والحلاقة. كنا قد اقمنا فى معسكر كومويغول السرى مرجلا ضخما واستخدمناه بفعالية، وكان ذلك المرجل فى الاصل ملكا لمحطة هينغشان لقطع الاخشاب التى كانت تستخدمه لاعداد العلف للمواشى، وقد انتقل الى يدى او زونغ هوب عندما شن هجوما على تلك المحطة. وبعد ان استكمل ضيوفنا نظافتهم، قدمنا لكل واحد منهم مجموعة من ادوات النظافة وبضع علب سجائر.

هرع تشاو غووان الى معسكرنا واعرب باسم وحدته عن امتنانه المخلص. واضاف انه يشعر بأسف شديد لانه جاء خالى الوفاض، ولانه يتلقى المساعدة فقط ولا يدرى كيف يرد على هذا الجميل بالمثل.

فقلت له: يجب ألا يدور مثل هذا الحديث بين جيران يناضلون من اجل الهدف والمثل الاعلى نفسه؛ ولو اننا حللنا ضيوفا على وحدتك ألم تكن ستستقبلنا بالطريقة نفسها؟ ولا تفكر بانك تتلقى المساعدة من وحدة أخرى، بل فكر بانك فى بيت ذويك، واذا كنت تريد رد المساعدة بالمثل مهما كلف الامر، فيكفى ان تروى لنا خلال اقامتك معا بعض الحوادث الطريفة التى عشتها.

فأجابنى بأن ليس لديه ما يرويه لاثارة اهتمامى، وهو الذى خرج حديثا من مقاعد الدراسة، سوى المعلومات التى اكتسبها فى اكاديمية شانتونغ العسكرية والسياسية، وانه مستعد لعرضها علينا اذا كنا بحاجة اليها.

قدم لآمرينا دروسا عديدة فى تكتيكات الحرب النظامية. وقد كانت دروسا معمقة جدا واتاحت لنا الى حد بعيد ان نعرف بوضوح تكتيك العدو فى الحرب النظامية وأن نواجهها باتقان تكتيكاتنا فى حرب العصابات.

وردا على ذلك، نقلنا تجربتنا فى حرب العصابات الى آمرى السرايا لفرقة تشاو غووان وموجهيها السياسيين وللضباط الآخرين الاعلى منهم رتبة. ولاننا فعلنا ذلك بايراد الكثير من الامثلة القتالية الحية، فقد ايقظنا فى نفوسهم اعظم الاهتمام.

اكدت لهم على ضرورة ايلاء اهمية خاصة لدعم الشعب للجيش وحب الجيش للشعب، واضفت: يجب ان يبقى ماثلا فى اذهانكم ان الشعب هو مصدر قوتنا وذكائنا وحياتنا؛ وبهذا المعنى، عليكم ان تقاتلوا وانتم واثقون فيه وان تتعلموا منه وتستندوا اليه وتدفعوه الى العمل؛ ولكى تستفيدوا من الشعب لا بد لكم من ان تنعموا بمحبته، وهذا يتطلب منكم أن تحبوه أولا. فاذا ما حملتم اهل احدى القرى فوق طاقتهم لمجرد انكم ستقضون ليلة واحدة فى قريتهم، فانهم سيعتبرون ذلك ازعاجا لهم؛ واذا ألحقتم بهم الضرر ومددتم يدكم الى ممتلكاتهم، فان النتائج ستكون سيئة؛ أما اذا أحببتموهم كما تحبون أعز الناس الى قلوبكم، فانهم سيتبعونكم طوعا، ومثل هذا الجيش الذى يتبعه الشعب هو جيش لا يقهر.

لقد حضر الرفاق القادمون من منشوريا الجنوبية فى عدة مناسبات الاجتماعات والدراسة والتدريبات وعدة نشاطات يومية كنا ننظمها. وقد كانت النتائج جيدة جدا. وقد

افتتنوا جميعهم واكدوا صحة الاشاعات التى كانت تقول ان وحدتنا هى الوحدة الجامعية.

وفتح تشاو غووان قلبه وقال: فقد كان معتادا حتى ذلك الحين على التردد الى شمالى وجنوبى نهر هويفاهى، حيث كان يطفو مثل عشبة على صفحة الماء، ولم يكن قد فكر فى اقامة معسكر سرى يستخدمه كنقطة ارتكاز لحل كل المسائل بقواه الخاصة، كما انه لم يفكر فى مد شبكة المنظمات السرية فى مجال عمل قوات حرب العصابات باتخاذ المعسكر كمركز، ولم يفكر كذلك فى توسيع النضال بالاعتماد على القاعدة المؤلفة من المعسكر السرى والمنظمات السرية.

وفى احدى الليالى، وبينما نحن نتمشى فى الغابة بعد ان حضرنا حفلة سمر اقامتها وحدتنا، قال لى مؤكدا:

"ان وحدتك تعطى انطباعا بانها جيش حقيقى من كل النواحى. وقد بدأت الآن أدرك سر انتصاراتكم المتتالية فى المعارك."

لقد درس الرفاق القادمون من منشوريا الجنوبية بحرص اسلوب حياة وحدتنا. وصححوا حياتهم اليومية لتصبح على طريقتنا، وقلدونا فى تنظيم الدروس والتدريبات. وعززوا صفوفهم وفرضوا الانضباط العسكرى بصرامة أشد. وباختصار، تمكنوا من تبديل مظهرهم.

اقترحت على تشاو غووان:

"اظن ان الوقت صار مناسبا لكى تتعاون الوحدتان لخوض معركة كبيرة. سنشن هجوما من الجانبين على الاعداء المسعورين فى (عمليتهم التأديبية الشتوية الكبرى). هناك قاعدة جماهيرية جيدة فى تاوتشوانلى واماكن حدودية اخرى بين محافظتى تشانغباى ورينتشيانغ. كما يمكن لنا ان نتلقى تعاونا غيورا ودعما من المنظمات الثورية السرية التى بنيناها، وان ننتقى أيضا افضل الشباب من اجل تعزيز الصفوف بسرعة. فاذا ما نفذت وحدتانا، بتعاون وثيق، عمليات استنزاف متواصلة فى خاصرتى العدو، فاظن اننا سنتمكن من التوصل الى نجاحات مدوية."

فوافق على اقتراحى فى الحال. بل اننا اتفقنا كذلك على القيام بعمليات مشتركة حسب الظروف الناشئة.

أبدى الرفاق فى الفرقة الثانية حزنا عميقا حين غادروا معسكرنا. كما تخضلت بالدموع عيون ضباطنا ومقاتلينا ايضا.

وقبل ان يغادر تشاو غووان المعسكر، تقدم منى بطلب:

"ايها القائد كيم، ألا تستطيع ان تقدم لى جندى اتصال من بين جنودك؟"

لقد تكرر ما حدث حين كنت فى منشوريا الشمالية. فقد رجانى جو باو جونغ حينذاك بان ارسل اليه ضباطا وجنودا كوريين، وقد بعثت اليه باك راك كوون، وزون تشانغ تشول، وآن زونغ سوك، وباك كيل سونغ وعددا كبيرا آخر ليعملوا فى وحدة منشوريا الشمالية.

أجبته:

"اشكرك لثقتك برفاقى. ألا يكون ذلك بسبب روابط خاصة تربطك بالكوريين؟"

"لا. لقد بدؤوا يثيرون اعجابى بعد ان تعرفت على لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ. ربما لا يعلم الكوريون فى تشينتاو مدى اعجابنا بهم حين انتصر لى هونغ كوانغ على وحدة شاو بين ليانغ."

كان هذا الاخير ضابطا كبيرا سىء السمعة فى جيش منشوكو العميل، وكان يقتل وينهب الشعب دون أى وازع من ضمير فى محافظة ليوهى، مثله فى ذلك مثل لى دو سون فى آنتو والآمر وانغ فى فوسونغ.

وقد الحق لى هونغ كوانغ الهزيمة بهذه الوحدة تحديدا فى سانيوانبو وغوشانجى وليانغشويهيجى فى محافظة ليوهى.

وبعد ذلك مباشرة، أنقذ يانغ جينغ او بجسارة ومهارة على مقربة من ليانغشويهيجى، حين كانت قيادة الفيلق الاول محاصرة بقوات معادية ضخمة. وبعد العملية، قدره يانغ وغيره من قادة وحدته واعتبروه منقذ حياتهم، ورمزا للشجاعة.

وحين استشهد لى هونغ كوانغ فى المعركة، قال تشاو غووان انه من الصعب عليه ان يصف الحزن الذى أحس به جميع ضباط وجنود الفيلق نفسه بمن فيهم قائده يانغ.

قررت الموافقة على طلبه:

"لدى رامى رشاش أعتز به كثيرا منذ مرحلة وانغتشينغ، ولست ادرى اذا كان

يناسبك. اسمه كانغ زونغ ريونغ ... انه آمر فصيلة، وهو فى الوقت نفسه رامى رشاش. ولديه قوة هرقلية."

علمت انه يعرفه، كما يعرفه سونغ مو سون، مسؤول قسم التنظيم فى الفرقة الثانية.

واتفقنا اخيرا على نقله اليها.

حين علم كانغ زونغ ريونغ بذلك، حاول عدم الابتعاد عنى، ولكنه عندما أصبح يعمل مع تشاو، قاتل بشكل لا تشوبه شائبة كآمر فصيلة رشاشات تقوم بحراسة قيادة الفرقة الثانية.

بعد فترة من ذلك، قامت تلك الوحدة بنشاطات عسكرية وسياسية مكثفة فى المناطق الحدودية بين محافظتى تشانغباى ورينتشيانغ. فقد ذهبت من معسكرنا مباشرة الى تاوتشوانلى، حيث مكثت اسبوعا واحدا لتعزيز صفوفها والبحث عن أرض لاقامة المعسكر السرى بمساعدة المنظمة السرية. وفى اثناء ذلك، ارسلت أمرا خطيا الى كيم زاى سو للتعاون الجيد مع الفرقة بتعبئة منظمات جمعية استعادة الوطن. اذذاك، كانت تلك المنظمات المشكلة فى تاوتشوانلى وغيرها من قرى سياكانغتشو، تقدم مساعدة نشطة الى رجال جيش حرب العصابات. وهذا ما فعلوه ايضا مع الفرقة الثانية.

وبفضل تلك المساعدة، استطاعت الفرقة الخروج منتصرة من المعركة ضد وحدة جينغآن التى ظهرت فى وادى تاوتشوانلى.

فى اواسط شهر تشرين الثانى ١٩٣٦، تلقت قيادة وحدة تشاو من الاهالى معلومات حول تحركات العدو، وقررت ابادته فى الليل. فنصبت كمائن قبيل الغروب فى الوادى نفسه الذى يوجد فيه برج حراسة. وكان الموقع لا يكاد يبعد اكثر من عشرة امتار عن آخر بيوت القرية.

وما ان دخلت القوة المعادية الكبيرة القرية حتى أخرجت الاهالى من بيوتهم واجبرتهم ان يخبروها عن المكان الذى استقر به رجال جيش حرب العصابات. ولكن أيا منهم لم يستجب لطلب العدو، رغم انهم كانوا يعرفون ان رجال جيش حرب

العصابات ينصبون كمينا امام أنوفهم. والحقيقة انهم تصرفوا كمحسنين. فلو انكشف السر نتيجة أى سهو، لوقع جميع القرويين ضحية انتقام العدو، ولكنهم حافظوا على السر مجازفين بحياتهم.

وقد اتاح ذلك لرفاقنا فى الفرقة الثانية ان يحققوا انتصارا مدويا. وفى اليوم التالى، وبفضل المعلومات التى قدمها الاهالى، اطلقوا نيرانا مركزة على قافلة معادية تضم اكثر من ٢٠ سيارة شاحنة كانت قد اتت لنقل جثث قتلى الاشتباك السابق. وهكذا زرعوا الرعب فى صفوف الاعداء.

بعد تعزيز الصفوف فى تاوتشوانلى واحراز نجاحات كبيرة فى المعارك، كتب الى تشاو غووان يقول: لقد بدأت تظهر اكثر فأكثر آثار اقامتنا فى معسكر هيسياجيكو (كومويغول) السرى. لا يمكننى، أنا تشاو غووان، ان انسى فضل القائد كيم؛ ومنذ الآن فصاعدا لن أرسل اليكم سوى اخبار طيبة.

ولكنه لم يستطع مع ذلك تحقيق عهده عمليا. فقد كان يتقدم باتجاه رينتشيانغ، حين فاجأه العدو بالقرب من محطة تشيداوكو لقطع الاخشاب فى محافظة تشانغباى، وسقط مصابا بجراح خطيرة. فعهد القيادة مؤقتا الى سونغ مو سون، وتراجع مع حراسه الى مكان آمن ريثما يسترد عافيته. ولكن خائنا وشى به للاعداء الذين حاصروا الموقع من الجهات الاربع لكى يعتقلوه حيا. قاتل جنود الحراسة باستماتة لانقاذه، ولكن قائدهم أصيب بعدة رصاصات معادية.

حين علمت بخبر موته، تذكرت الكلمات الاخيرة التى وجهها الى قبل الوداع:

"ايها القائد كيم، حين تبدأ العمليات النهائية الحاسمة من أجل تحرير كوريا، اخبرنى بذلك وسأحضر مع وحدتى على جناح السرعة للمشاركة فيها."

لم يستطع تشاو غووان تنفيذ ذلك، فقد قضى نحبه للاسف حتى دون ان يرى، ليس تحرير كوريا وحسب، وانما كذلك وطنه الحبيب الصين. وقد احسست بالاسى والحزن الشديدين لموته.

فى اوائل عام ١٩٣٧، وصل باك سون ايل، مسؤول قسم التموين فى الفرقة الثانية، الى معسكرنا السرى حاملا معه رسالة من سونغ مو سون تتعلق بموت

تشاو. وقد عرض مو سون بصراحة فى الرسالة حزنه لفقدان القائد وغمه وارتباكه لعدم معرفته كيف يقود الوحدة الى الامام، وطلب منى اخيرا ان اقترح عليه توجها من اجل نشاطاته التالية.

أشفقت عليهم من ان يغرقوا فى لجة الحزن بسبب فقدان قائدهم، وكتبت رسالة يمكن اعتبارها طويلة جدا بمعايير ذلك الزمن. وقد شددت فيها على ضرورة التلاحم، وحشد القوى من اجل تجاوز الازمة، وشحذ الذكاء الجماعى الى اقصى الحدود فى سبيل ادارة الوحدة. وبسبب كثافة الثلوج، نصحته ببناء معسكر سرى فى منطقة ليمينغشوى الجبلية، حيث لا يمكن للعدو الاقتراب بسهولة، وان يعكفوا هناك على العمل الايديولوجى والسياسى وعلى التدريب العسكرى للمستجدين، واخبرته اننى اود زيارته بعد عيد رأس السنة القمرية.

ان ذهابى اليهم كرجل عادى وتقديم التعازى هو واجب اخلاقى وفرض على كرفيق فى السلاح وصديق حميم للفقيد. كما انه يمكن لزيارتى ان تمدهم بالعزاء والدعم.

بعد الانتهاء من معركة هونغتوشان، ذهبت اليهم تنفيذا للوعد الذى قطعته على نفسى. وفى منتصف الطريق، خضنا معركة فى تاوتشوانلى، وبعد قضاء ليلة فى سيمينكايتينغ، بعثت كشافين الى اعالى نهر ليمينغشوى وباتجاه باتاوكو.

وحين علم الرفاق فى الفرقة الثانية بخبر وجودنا فى سيمينكايتينغ، من خلال مراسلنا جاؤوا الينا فى تلك الليلة نفسها حتى قبل ان يتناولوا العشاء. وبعد منتصف الليل بكثير، علمت بمجيئهم، فخرجت مع جندى اتصال للقائهم بعد ان امرت كيم زو هيون باعداد الحساء الممزوج بكعك الارز للضيوف القادمين.

حييتهم من بعيد، فركض اعضاء قيادتهم نحوى وأحاطوا بى فى طوقين أو ثلاثة وعانقونى وهم يقفزون فرحا. وفى كل لحظة، كنت اشعر كأن وجهى يحتك بقطعة كبيرة من الجليد لشدة برودة بشرتهم.

أما سونغ مو سون، الذى حل محل القائد، فلم يفلت يدى الى ان وصلنا الى المهجع. وقد قال لى:

"شكرا لكم، فأنت المحسن الذى مدنا بالقوة حين كانت وحدتنا تعانى محنة كبيرة."

"لا، أيها الرفيق مسؤول قسم التنظيم. فأنا لا استحق كل هذا الاطراء. لقد تأخرت كثيرا فى الوصول، أ ليس كذلك؟"

فى ذلك اليوم، ابدى مودة فريدة تجاهى، تماما مثلما فعل من قبل. ومثلما كنت قد اعتبرت تشاو غووان كأحد ابناء مسقط رأسى، فقد عاملنى سونغ مو سون بالشعور ذاته. فقبل انضمامه الى النضال المسلح المناهض لليابان، كان قد عمل بين الشباب فى ووليهيجى، وهى قرية من ضواحى جيلين.

لقد قاد لى دونغ كوانغ، فى احدى الفترات، الحركة الشبابية هناك. وبتوجيه منه، نظم سونغ مو سون وغيره من الشباب جمعية هيوكسين للشباب وجمعوا شمل الجماهير الشبابية حولها. وفى محافظة يونغجى كانت تعمل جمعيتا سينهونغ وزونزين للشباب. وكان سونغ مو سون العضو المكلف بالشؤون التنظيمية فى جمعية هيوكسين للشباب التى حولها لى دونغ كوانغ فى ربيع ١٩٢٨ الى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية، ثم اعاد تنظيمها فيما بعد لتصبح اتحاد الشباب الشيوعى.

خلال الاعمال المناهضة لمد سكة حديد جيلين – هويريونغ ومقاطعة البضائع اليابانية، قامت منظمة ووليهيجى الشبابية بتنظيم مظاهرة تضامنية.

وقد توافقت تلك الفترة مع الوقت الذى كنت أقود فيه الحركة الشبابية والطلابية فى جيلين.

كلما تذكرنا مرحلة جيلين، كان سونغ مو سون يلوم بعض كوادر مجموعة زونغوى. وقد انبته على ذلك وأنا اسأله اذا لم يكن يبالغ فى لوم الرواد الذين يعانون العناء من اجل حركة الاستقلال، فاحمر وجهه غضبا وأجاب قائلا انه لا يبالغ حتى ولو قال ما هو اكثر فظاظة. وعدت استفسر منه عن سبب انطباعاته السيئة عنهم، فحدثنى فى اجابته عن الاجتماع المحلى لمجموعة زونغوى فى جيلين الذى انعقد فى اوائل عام ١٩٢٨.

حضر سونغ مو سون ذلك الاجتماع كمندوب عن ووليهيجى. وكان هناك

مندوبون كذلك عن شوانغهيجين وجيانغدونغ وسينانتون. وقد ناقش المندوبون مسألة جمع التبرعات المالية الاجبارى.

ألقى كو اى هو خطابا عنيفا باسم المجموعة. وهدد حتى بتعبئة الجيش من اجل جمع الاموال لان الاهالى المقيمين فى المناطق التى تشرف عليها المجموعة لم يسلموا التبرعات فى موعدها المحدد. وقد ادى ذلك الى خلاف بين المشاركين فى الاجتماع والمجموعة التى ترعاه. كما تحدث سونغ مو سون وعارض الخطيب فى مداخلته، وقد ادى ذلك الى تعرضه للضرب حتى أغمى عليه، على يد ارهابيين ارسلهم كو اى هو.

وكان سونغ مو سون يعرف جيدا كذلك ارهابية مجموعة كوكمين فى وانغتشينغمين. فتحدثنا عن او دونغ زين، وهيون موك كوان، وكو وون آم وكل ما له علاقة بأزمنة جيلين. لماذا لم نفعل ذلك فى تلك الايام التى عشنا فيها معا فى معسكر كومويغول السرى؟

ومع ذلك، لم نلامس الموضوع الآن، فى البيت الريفى فى سيمينكايتينغ، وتذكرنا فقط الفقيد تشاو غووان وناقشنا مسألة مصير الفرقة التى أصبحت بلا قائد وعملياتها المستقبلية.

قدمنا الحساء الممزوج بكعك الارز الى الرفاق فى الفرقة الثانية. وكان هناك رفيق صينى عضو فى القيادة، وأكول مشهور، تناول ثلاثة أطباق من ذلك الطعام. وقد قال انه بهذه الوجبة قد احتفل حقا بعيد رأس السنة. واضاف انهم لم يتناولوا الغداء بسبب مطاردة العدو لهم فى طريق عودتهم من الهجوم على محطة غاوليبوجى لقطع الاخشاب.

عقد قادة الوحدتين اجتماعا فى الفجر من اجل تنفيذ عملية مشتركة فى ليمينغشوى.

لقد جعلتنى التجربة الطويلة استشف ان الاعداء سيصلون فى منتصف نهار اليوم التالى. ولكى نجتذب انتباههم، تعمدنا ترك آثار كثيرة وكأننا قد انتقلنا نحو ليمينغشوى. ان كل من يأتى من اتجاه ايرداوجيانغ سيكون مضطرا الى دخول هذا

الوادى. ان من يتقدمون من جهة باتاوكو سيظهرون هناك دون شك، ذلك ان الفرقة الثانية توغلت هناك بعد اشتباك جرى اثر الانتهاء من الهجوم على غاوليبوجى.

كانت نقطة التقاء جدول بيشويكو مع نهر ليمينغشوى هى المكان المناسب لنصب الكمين للاعداء القادمين من الاتجاهين. وقد اخترنا ذلك الموقع لدى دخولنا وادى ليمينغشوى.

بعد ان اوضحت احتمال تحرك العدو، اكدت على ضرورة نصب كمين مشترك لكى نبيد اعدادا كبيرة من جنود الاعداء.

وقدرت ان الانتصار يعتمد الى حد بعيد على ضمان التكتم، وهو ما يستدعى انتهاء جميع الوحدات من تناول الفطور والوصول الى المكان المحدد قبل بزوغ الفجر؛ وبعد احتلالها مواقعها القتالية، لا يمكنها اطلاق دخان أو التكلم، ويتوجب على افرادها عدم السعال، وعدم الابتعاد مطلقا عن مواقعهم، وكذلك عدم اطلاق النار قبل تلقى الاوامر بذلك. وأوردت فى الوقت نفسه بالتفصيل كيف يجب ان يكون مضمون ومنهج الخطبة المقنعة للعدو، وكذلك كيفية معاملة الاسرى.

بعد ذلك مباشرة، وزعت المهمات القتالية للوحدات. واتت معطيات الاستطلاع لتشير الى عدم وجود اى تبدل فى وضع الخصم. وحين أصبحت الوحدتان جاهزتين للانطلاق، نظمتا حفلا خطابيا تكريما للفقيد، وذلك عملا باقتراحى. وقد تحدثنا، انا وسونغ مو سون، فى الاحتفال.

يصب نهر ليمينغشوى فى باتاوكوهى بعد ان يتدفق من سيدينغفانغ، النقطة الفاصلة لمحافظة تشانغباى فى الغرب. وكانت قرية سيمينكايتينغ تقع فى اعالى مجراه. وعلى مسافة نحو ستة كيلومترات باتجاه الاسفل، تظهر قرية ليمينغشوى المؤلفة من نحو ١٥ أو ١٦ اسرة كورية تزرع أراضى الوقيد.

قبل ان تشرق الشمس تماما، كانت القوات قد احتلت مواقعها وحفرت الخنادق. وكانت منحدرات الجبل المحيطة بالمكان مغطاة بطبقة سميكة من الثلج، أما نهر ليمينغشوى فكان متجمدا.

كان البرد شديدا يصل حتى نخاع العظام، لكن معنويات المقاتلين كانت عالية

جدا. ومنذ تلقى الرفاق القادمين من منشوريا الجنوبية الامر بالانطلاق، اكدوا انهم قد حققوا جزءا كبيرا من الانتصار، لانهم كانوا قد سمعوا بان المعركة التى اقودها تنتهى بالنصر على الدوام.

نشرت القوات الرئيسية على رابية فوق نقطة التقاء مياه النهرين. هناك كانت تمتد اراضى الوقيد التى كانت قاحلة فى الزمن الغابر، وكان الموقع يتيح لنا اطلاق النار بسهولة نحو الاسفل، باتجاه الوادى. وفى منتصف المرتفع اقمت مقر القيادة، ونشرت فى المقدمة الفوج السابع وسرية الحراسة فى وحدتنا؛ والى اليسار الفوج الثامن؛ والى اليمين مقاتلى الفرقة الثانية. وعلى رابية اخرى ليست شديدة الارتفاع، فى الجهة الاخرى من الوادى، نصبت كمينا مؤلفا من فرقة صدامية تضم نحو ٦٠ الى ٧٠ رجلا. اما الجبل العالى المقابل لهاتين الربوتين، فكان مغطى بأشجار كثيفة متشابكة تحول دون فرار العدو المهزوم. وقبالة الكمين كان هناك سهل يبلغ عرضه نحو مئة متر، يتيح لنا تصفية الاعداء برمايات مركزة.

ومن اجل مراقبة العدو القادم من جهتى ايرداوجيانغ وباتاوكو وعرقلة تقدمه، ارسلت حضيرة اعتراضية الى كل جانب، وأقمت على الجبل الخلفى موقعا لتلقى الاشارات التى ترسلها الحضيرتان بواسطة رايات الاشارة. وكان الجميع متخندقين ينتظرون. ومع ذلك، لم يظهر جنود العدو الى ما بعد انقضاء الظهيرة.

همس بايك هاك ريم بسأم واسنانه تصطك:

"ألن يأتوا؟"

"دعك من الجزع. سيأتون."

وانا ايضا كنت ارتعش من البرد وكانت اسنانى تصطك.

أكل المقاتلون كعك الذرة المجمد وهم ملتصقون بالارض ومغطون بالثلج. وكان الغداء الذى تناولته يوم ذاك هو كعكة ذرة مجمدة اخرجها بايك هاك ريم من حقيبته وقدمها الى. لقد كان البرد قارسا لدرجة ان اليد ما تكاد تلمس الحديد حتى تلتصق به على الفور. لم يظهر العدو حتى بعد الساعة الثانية مساء، ولم يكن من السهل البقاء وسط الثلوج ثمانى أو تسع ساعات متحملين برد شباط القارس.

ومع ذلك، كان لا بد لنا لكى نحقق الانتصار من أن نتحمل وان نتغلب على مزيد ومزيد من المصاعب. فاذا ما ألحقنا بالاعداء هزيمة ساحقة فى هذا المكان، فانهم لم يتجرؤوا بعد ذلك على مهاجمتنا.

فى حوالى الساعة الخامسة، اخبرتنا جماعة اعتراضية ارسلناها الى المرتفع الجنوبى الشرقى باتجاه باتاوكو، بان العدو يقترب. ورأيت من خلال المنظار القوة الرئيسية المعادية بقيادة مستشار يابانى، تقترب ببطء مقتفية اثر الدورية المتقدمة التى يقودها ضابط من جيش منشوكو العميل.

وعن طريق جندى اتصال، كررت الامر لوحداتنا بألا تطلق النار الى أن اصدر الامر بذلك بعد مرور الدورية ودخول آخر رجل فى القوة الرئيسية الى مرمى نيران الكمين.

وبالتزامن مع وصول العدو، اصبح الجو مكفهرا بغتة. فقد غطت السماء غيوم قاتمة. ولولا بياض الثلج للف المكان ظلام دامس. لسعتنا ريح باردة من الشمال، وجعلت تلك الريح جنود العدو عاجزين عن فتح عيونهم.

وما ان دخلت القوة الرئيسية المعادية كلها منطقة الكمين، حتى أطلقت مسدس الاشارة. فراحت اكثر من ٤٠٠ بندقية وعدة رشاشات تطلق نيران الحقد على العدو. أمرت هان ايك سو باطلاق بوق الهجوم؛ فبدا الاعداء كالفئران المحبوسة فى خابية. كان النجاح القتالى باهرا جدا. فقد اوقعنا فى صفوفهم اكثر من مئة اصابة، واجبرنا سريتين على الاستسلام، واستولينا على ثلاثة رشاشات خفيفة واكثر من ١٥٠ بندقية وكمية كبيرة من الذخيرة. ولم يتمكن من الفرار سوى افراد الدورية المتقدمة.

وفيما نحن نضرب جنود العدو القادمين من جهة باتاوكو، ظهر الآخرون القادمون من جهة ايرداوجيانغ، ولكن خوفهم من تبادل اطلاق النار الكثيف الذى يسمع فى الوادى، جعلهم يتوقفون امام الجبل الذى ترابط فيه الحضيرة الاعتراضية التى فتحت وابلا من الرصاص على اولئك الجنود المرتبكين. فلم يعودوا يعرفون ما يفعلون، وولى الاحياء منهم الادبار مخلفين ضحاياهم على الارض.

طلبت من اهالى قرية سيمينكايتينغ ان يأخذوا جنود العدو الجرحى، ويقدموا

لهم الرعاية الطبية والطعام، وان يطلقوا سراحهم بعد ذلك مع الاسرى السليمين. وعندئذ، اذا لم تخنى الذاكرة، ظهرت النادرة الشهيرة لجندى جيش منشوكو العميل الذى قال انه يستحق ان يكون متعاونا جديرا مع جيش حرب العصابات، ذلك انه وقع اسيرا فى يد هذا الجيش ست مرات، وكان يسلمه بندقية فى كل مرة.

فى معركة ليمينغشوى تلك، فقد العدو فى باتاوكو ومحيطها الجزء الاكبر من قوات "الحملة التأديبية الشتوية الكبرى"، ومرغنا فى التراب تبجحاته بانه سيقضى على قوات حرب العصابات، وتلاشت نواياه فى "الحملة التأديبية الشتوية الكبرى" كفقاعات الزبد. وباختصار، وضع انتصارنا ذاك حدا لعمليات "تأديب" ضخمة. ولهذا السبب فانى اتذكر تلك المعركة بتأثر شديد. كما انها ساهمت فى استعادة الرفاق فى الفرقة الثانية لحماستهم. فأثناء تبادلى الطعام والمبيت معهم، قدمت لهم النصائح الضرورية لنشاطاتهم التالية واتخذت الاجراءات اللازمة لكى يتمكنوا من ضمان تحقيق تلك النشاطات بمساعدة منظمات جمعية استعادة الوطن فى منطقتى تاوتشوانلى وتيانشانغشو.

وبعملهم بنصائحى، اقاموا المعسكر السرى فى عمق وادى تاوتشوانلى وعاشوا هناك بأمان مكرسين وقتهم للدراسة السياسية والتدريب العسكرى الى ان جاء موسم الدفء. وقيل لى ان المنظمة السرية فى المكان قدمت لهم الاقمشة وصنادل القنب، وجوارب البوسون الكبيرة والكثير من المساعدات الاخرى.

وفى اواسط أيار، حين بدأ تفتح النباتات، عدت الى اللقاء بهم مجددا فى تلة غير بعيدة عن قرية ليمينغشوى، والى الغرب منها. وكانت وجوههم جميعا جيدة ومفعمة بالحيوية لانهم عاشوا فترة مريحة فى المعسكر السرى.

ولكننى وجدت نفسى فى مأزق مع ذلك، لان الكوريين المنتمين الى تلك الوحدة ارادوا الذهاب معى. قالوا لى انهم راغبون جدا فى الانتقال الى وحدتنا، ووضعونى فى موقف حرج بتوسلهم الى السماح لهم بذلك.

عملت على اقناعهم الى ان تعبت حنجرتى: لقد شكلنا القوات المتحدة مع الرفاق الصينيين لان هذا اكثر فائدة من القتال وحدنا، ولكى نتلقى دعم ومساعدة الشعب

الصينى؛ وبالرغم من انكم ضمن الفيلق الاول، الا انه يجب ألا يغيب عن بالكم انكم تشكلون مفرزة جوالة من الجيش الثورى الشعبى الكورى، لان اكثر من نصف عناصر الفيلق هم من الكوريين؛ فاذا انتقل الجميع الى وحدتنا، فمن ذا الذى سيقاتل من ينقضون علينا من كل الجهات؟ انتم يتوجب عليكم سحق الاعداء فى منشوريا الجنوبية بالتعاون مع غيركم من عناصر الفيلق الاول، أما الاعداء فى منشوريا الشرقية فيتولى امرهم الرفاق فى الفرقة الرابعة، والاعداء فى منشوريا الشمالية يقاتلهم الرفاق فى المنطقة نفسها؛ وبهذا فقط، نستطيع خوض القتال بنجاح ضد الاعداء فى منطقة جبل بايكدو؛ أما اذا لم تكبحوهم من كل الجهات، فسوف ينقضون جميعهم على قواتنا الرئيسية مثل اسراب الدبابير؛ ولهذا السبب، نرسل افضل كوادرنا العسكريين والسياسيين، الذين دربناهم بمشقة، الى الوحدات فى منشوريا الشمالية أو الجنوبية على السواء. ولكن، ها أنتم الآن تريدون اللحاق بنا، وهو أمر يحرجنى. لقد فارقتم آباءكم وزوجاتكم وابناءكم تحدوكم الرغبة فى انقاذ البلاد، وعليكم ان تتجاوزوا المشاعر الفردية من اجل تحقيق الانتصار فى الحرب العظمى المناهضة لليابان. وبعد تحرير البلاد السليبة، سنلتقى جميعنا ونتحدث عن هذا اليوم وكأنه حكاية.

وأقول بصراحة انه كلما طلب منى الرفاق فى منشوريا الجنوبية ان ابعث اليهم افرادا، كنت أوافق على طلبهم. ولم يحدث ذلك مرة واحدة أو مرتين.

لقد كان جميع من جرى اختيارهم دون استثناء، رجالا اكفاء. فقد جاء لى دونغ كوانغ ولى مين هوان من منشوريا الشرقية. وبعثت جندى الاتصال لى كيم تايك مان الى تشاو يا فان الذى خلف القائد تشاو غووان فى آذار ١٩٣٧، لانه كان قد وضع عينه عليه.

سون يونغ هو، رئيس دائرة الشؤون العامة فى الفيلق الاول، الذى كان صديقا لى منذ مرحلة دار المعلمين فى جيلين، كان عضوا فى رابطة ليوكيل للطلاب التى نظمناها. وكانت له ميول خاصة الى الموسيقى والرياضة. وبسبب بنيته القوية ومحياه الوسيم، كان ذا شعبية واسعة بين فتيات جيلين. لقد كان لاعب القفز العالى

وعازف الكمان فى دار المعلمين. وبينما كان يعمل فى اتحاد الشباب الشيوعى، جرى اعتقاله على يد الشرطة وزج به لبعض الوقت فى سجن سينويزو. وبعد اطلاق سراحه، انهمك فى اعمال التوعية الثورية فى قرى ووليهيجى بمحافظة يونغجى، وفى العام التالى ذهب الى محافظة بانشى فى منشوريا الجنوبية، حيث عمل رئيسا لتحرير صحيفة "بانيل تشونغنيون ايلبو"، لسان حال اللجنة الحزبية فى المحافظة. وفى شتاء عام ١٩٣٧، بدأ يعمل رئيسا لدائرة الشؤون العامة فى قيادة الفيلق الاول. عدت للقاء به فى نانبايتسو فى شتاء عام ١٩٣٨. وقد ابتهج كثيرا وطلب البقاء الى جانبنا. ولكننى بعد ثلاثة شهور من ذلك، سمعت وللاسف الشديد، انه قد استشهد ببطولة فى احدى المعارك بالقرب من بويرهى.

من بين جميع وحدات حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية، كان اهتمامنا ينصب دائما على الفرقة الثانية من الفيلق الاول التى كانت تعمل قريبا منا. وحين كنا نحتفل بانتصارنا فى معركة بوتشونبو فى اجتماع مشترك لمقاتلى حرب العصابات والاهالى، جاءت الفرقة لمشاركتنا البهجة. كما ان معركة جيانسانفينغ جرت بالتعاون بين القوة الرئيسية من وحدتنا والفرقة الرابعة، والفرقة الثانية من الفيلق الاول.

وخلال بضع سنوات، نفذت هذه الفرقة الاخيرة عمليات مشتركة جيدة مع وحدتنا فى المنطقة الجنوبية الغربية من جبل بايكدو. وفى وثائق شرطة العدو وصحفه الصادرة فى النصف الثانى من الثلاثينات، هناك تماثل أحيانا فى ايراد اسمى واسم تشاو غووان، ولا بد من اعتبار ذلك انعكاسا حيا للتاريخ الذى كتبه ثوريو كوريا والصين وهم يشقون متكاتفين الطريق الصعب للنضال المشترك والعمليات المشتركة.

وكلما تذكرت الآن تلك الايام التى تطور فيها نضالنا الثورى الظافر، تظهر أمام عينى صور رفاق السلاح فى الفرقة الثانية من الفيلق الاول: تشاو غووان، وسونغ مو سون، وباك سون ايل ... وبمجرد تذكر اسمائهم، أشعر بغصة فى حلقى وتظهر أمام عينى من خلال الثلوج المتساقطة وجوههم الحبيبة.

٥ـ "سامئيل وولغان"

لقد اعترف الجميع ومازالوا يعترفون، سواء فى الشرق أو فى الغرب، فى الماضى أو الحاضر، بالتأثير الذى تمارسه المطبوعات على حياة الانسان. بل هناك من يؤكدون بان العالم منذ القديم، باستثناء بعض الامم غير المثقفة، كان محكوما ببضعة كتب. وقد أعطى التاريخ أدلة كافية على مدى أهمية الدور الذى تلعبه المطبوعات فى تحويل المجتمع وتطوره. فاذا كان الانسان يحرك العالم، فليس من المبالغة القول ان أحد العوامل التى تحرك الانسان يتمثل فى المطبوعات التى يكتبها مثقفون شرفاء ورواد، ينطقون باسم العدالة والحقيقة.

لقد قلنا عن المطبوعات انها وسيلة تثقيف الجماهير والدعاية بينها وتنظيمها.

اضف الى ذلك انه يمكن اعتبار المطبوعات الثورية وسيلة رائعة من اجل توحيد الزعيم والحزب والجماهير فى رباط واحد.

فى افتتاحية العدد الاول من صحيفة "ايسكرا"، كتب لينين يقول: "من الشرارة ينطلق اللهب"، وهى صرخة من ذهب ما لبثت ان انتشرت فى العالم بأسره. وقد تحولت تلك الشرارة الى لهيب اكتوبر الذى امتد الى كل الاراضى الروسية.

وعمليا، يمكن التأكيد ان المطبوعات قد لعبت دورا كبيرا فى توجيهى نحو طريق الثورة.

بين العبارات الشهيرة على المستوى العالمى هناك عبارة تقول: "ما لا يمكن تحقيقه بالسيف، يمكن التوصل اليه بالقلم". وحين أخرجنا الى النور "ساينال" و"بلشفيك" و"نونغوو" كنا نعرف القيمة الحقيقية للمطبوعات، ونعقد عليها آمالا لا تقل عن تلك التى نعقدها على البنادق والسيوف.

فالمطبوعات تشكل أحد أسلحة النضال الثورى الجبارة. ولرصاصاتها مدى لا حدود له.

حين كنا نقوم باستنهاض الناس وحثهم على عدم نسيان الوطن ومواطنينا فيه، كان صوتنا المنطلق من جبل بايكدو عبر "سامئيل وولغان" و"سوكوانغ"، يصل الى جميع رجال جيش حرب العصابات والاهالى فى كل ارجاء منشوريا الشمالية والجنوبية. ليس هناك فى الدنيا وسيلة للدعاية والتحريض اكثر قوة من المطبوعات من اجل نشر الافكار والشعارات الكفاحية نفسها فى وقت واحد بين ملايين الاشخاص، وتوحيدهم وصقلهم تنظيميا وفكريا.

فى مرحلة النضال المسلح المناهض لليابان، اعتاد رجالنا ان يطلقوا تسميات شعبية على اشكال الدعاية: فأسموا الدعاية الشفهية "المدفع الصوتى" واطلقوا على الدعاية من خلال النشاطات الفنية اسم "مدفع الطبل" أما الدعاية المكتوبة فأسموها "مدفع القلم" أو "مدفع الحروف".

وقد كان للشكلين الاولين، بالمقارنة مع الدعاية المطبوعة، تأثير سريع وطابع تحريضى سريع، ولكن الاخيرة بالمقابل، كانت تتميز بتأثيرها الدائم وعدم تقيدها بالمكان.

وفى الظروف التى كان فيها الاعداء يكبحون الكلمة ويقمعون بالحراب والهراوى دون رحمة أى تعبير أو عمل يرون فيه عائقا أمام الحفاظ على نظامهم، وجدنا أنفسنا مضطرين الى ضمان سرية النشاطات التنظيمية والدعائية الهادفة الى تأمين القيادة الموحدة للمنظمات الثورية. وقد دفعنا هذا الوضع الى البحث عن وسائل للدعاية والتحريض اكثر ملاءمة لحرب العصابات وايلاء الاهتمام اللازم الى "مدفع القلم" الذى كنا نعتبره وسيلتنا المفضلة. وهكذا، ما ان انتهينا من اقامة المعسكر السرى فى جبل بايكدو، حتى اقمنا هناك مطبعة وبدأنا بطباعة "سامئيل وولغان" لسان حال جمعية استعادة الوطن.

عندما اسسنا جمعية استعادة الوطن فى دونغكانغ، تحدثنا عن ضرورة اصدار هذه المجلة. فمن أجل نقل الحرب المناهضة لليابان الى الامة كلها من خلال ضم جميع قطاعات الجماهير الشعبية فى وعاء ضخم هو الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، كان لا بد لنا من الاستخدام المناسب "للمدفع الصوتى" و"مدفع الطبل" والتشغيل الفعال بشكل خاص "لمدفع القلم".

فى الفترة الاولى من عقد الثلاثينات، كان عملنا السياسى من أجل الجبهة الوطنية المتحدة يعانى الكثير من محليته. فقد كان مجاله يغطى بشكل اساسى منشوريا والمناطق الشمالية من كوريا، دون ان يتجاوزها كثيرا. ولكن جمعية استعادة الوطن كانت تنوى رفع راية الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان فوق كل الاراضى الكورية، وفى الصين واليابان والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وكل مكان يقيم فيه مواطنونا.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، كنا نرسل بين الحين والآخر عاملين سريين الى أماكن كثيرة، ولكن عددهم كان محدودا جدا للاسف الشديد. ولاننا كنا قد تركنا فى منشوريا الشمالية عددا لا بأس به من الكوادر العسكريين والسياسيين ممن عملوا كثيرا فى حركة الجبهة المتحدة فى منشوريا الشرقية منذ مرحلة بدء نضال حرب العصابات، فقد أصبحنا نعانى من نقص فى الكوادر.

وقد كانت المطبوعات هى احدى الوسائل الهامة لملء ذلك الفراغ الذى سببه نقص الكوادر. كنت واثقا من اننا اذا اصدرنا مجلة او صحيفة تنطق باسمنا وتحظى بمحبة الجماهير ويتم توزيعها فى كل مكان، فان كل نسخة منها ستعوضنا عن عامل سياسى سرى.

على الرغم من ذلك، وبسبب ظروف قاهرة، لم نستطع اصدار تلك المطبوعة فى الموعد المناسب. فقد كانت هناك معارك كثيرة وتحركات متتالية. وكنا نجد انفسنا محاصرين دائما من قبل الاعداء. وكان علينا ان نسير كل يوم عشرات، بل ومئات الريات ونحن نحمل امتعتنا على ظهرنا. ولم يكن ذلك الوضع يتيح لنا اصدار مطبوعاتنا.

وما كدنا نقيم معسكر جبل بايكدو السرى والمطبعة، حتى أصبحت لدينا مطبوعة تنطق باسم جمعية استعادة الوطن هى "سامئيل وولغان"، المجلة السياسية النظرية ذات الطابع الجماهيرى التى كان هدفها الاول خدمة المثل الاعلى لجمعية استعادة الوطن فى تحقيق استقلال البلاد بتعبئة العشرين مليون كورى.

وقد حرصنا على ان نطلق على المجلة اسما يتناسب مع مهمة جمعية استعادة الوطن، ووجدنا ذلك فى عبارة "سامئيل وولغان".

لقد كانت "سامئيل" (الاول من آذار) تمثل الانتفاضة الشعبية التى جرت فى ذلك اليوم، تلك الحركة الاستقلالية المثيرة التى خاضها الكوريون على المستوى الوطنى فى مواجهة الغزاة الامبرياليين اليابانيين.

وبالتالى، كان الاسم بحد ذاته، بوصفه تعبيرا عن ارادة الامة، يتضمن هدفنا الاستراتيجى فى الحفاظ على الخط الاصيل للثورة الكورية، بما يتفق وظروفنا وتوسيع النضال المسلح من جبل بايكدو الى سائر اراضى البلاد، اضافة الى مغزاه فى التهيئة لحرب المقاومة بتعبئة الامة كلها.

لقد تمت طباعة "سامئيل وولغان" كناطقة بلسان جمعية استعادة الوطن، وتولت فى الوقت نفسه هذه الوظيفة بالنسبة للجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، اضافة الى كونها المجلة السياسية الجماهيرية الموجهة الى كل البلاد والى الامة بأسرها. ومن هنا تحولت الى مطبوعة ذات صبغة وطنية شاملة، لا يحبها ويقرأها مقاتلو الجيش الثورى الشعبى الكورى والثوريون الشيوعيون وحدهم، وانما كذلك البرجوازيون الوطنيون، والمتدينون، وجنود جيش الاستقلال.

شكلنا هيئة التحرير أساسا من اعضاء الامانة، واخترنا لرئاسة التحرير لى دونغ بايك الذى كان قد عمل صحفيا من قبل.

وتحت اشرافه، دفعت الجماعة عجلة الاستعداد بحماسة من أجل اصدار العدد الاول. جرت مناقشات كثيرة حول مسائل تتعلق بتوجه التحرير وشؤون المطبعة. كما أجريت دراسات دؤوبة لمطبوعات البلاد للتوصل الى القطع المناسب.

وبالنسبة للاوساط الصحفية فى البلاد، كانت تعصف ريح عاتية من الاغلاق الدائم والمؤقت للصحف والمجلات. فقد كانت المجلات التى تبدى أدنى علائم الوطنية تتعرض للقمع والاغلاق غير المشروط، ولهذا لم يكن هناك سوى مجلات قليلة يمكننا الاستفادة منها كمرجع.

لقد تصفح محررونا تلك المجلات، ولكنهم لم يروا فيها النموذج المنشود، ولم يفكروا بمحاكاتها. بل حاولوا عمل كل شىء بطريقة أصيلة وبمبادرة ذاتية.

قررنا ان يكون قطع "سامئيل وولغان" هو قطع مجلة سياسية – نظرية

جماهيرية، وان يكون مضمونها مشبعا بفكرة الوطنية وبالوحدة الوطنية الكبرى. واتفقنا على ان يتضمن كل عدد منها، اضافة الى المقال المعمق أو الافتتاحية، اقساما ثابتة مثل "اخبار حركة أمتنا من اجل استعادة الوطن"، و"أخبار حول انتصارات الجبهة الثورية الوطنية المناهضة لليابان فى أماكن مختلفة"، و"عمود اسئلة وأجوبة"، و"أهم الاحداث المحلية"، و"ابرز الاخبار العالمية"، و"صفحة الفن والادب".

اما فيما يتعلق بالنصوص الاصلية، فقد ارتأينا تأمينها اساسا عن طريق تعبئة المحررين فى وحدة الجيش الثورى الشعبى الكورى التى توجد فيها الامانة، اضافة الى النصوص التى يتم جمعها من وحدات الجيش الثورى الشعبى الاخرى التى تعمل فى مختلف المناطق، ومن خلال منظمات جمعية استعادة الوطن. ومن اجل ضمان ذلك، اتخذنا اجراء يقضى بنشر مبعوثين خاصين لمجلة "سامئيل وولغان" فى اماكن مهمة من منشوريا الشرقية والجنوبية والشمالية، كما شجعنا القراء على المساهمة الواسعة.

تناقشنا وبحثنا بدأب عن حلول من أجل تحويل اصدار "سامئيل وولغان" الى مهمة تخص جمهور القراء، للتوصل الى جعل هذا الجمهور، على اختلاف طبقاته وفئاته الاجتماعية، يساهم فى المجلة بارسال الكتابات اليها بانتظام، وبتقديم الآراء الينا من اجل اغناء المضمون وتحسين شكلها باستمرار. واخيرا، صاغ لى دونغ بايك قواعد مشاركة القراء فى تحرير المجلة.

وقد كانت تلك القواعد جذابة. فقد صاغها بطريقة تجعل كل من يقرأها، حتى ولو لم يكن قادرا على الكتابة، يشعر بنفسه مدفوعا الى تناول القلم وكتابة شيء ما بسرعة كبيرة. وكانت تلك القواعد مسبوقة بطلب تقول كلماته انه سيتم الترحيب بالمساهمات لجمع الآراء الرائعة والثمينة للشخصيات الوطنية من مختلف القطاعات الاجتماعية. ثم توضح بعد ذلك الانظمة، مثل: طول المقالات حسب مضمونها ونوع المساهمة وتطبيق المكافآت للمساهمين النشطين.

وزعنا هذه التعليمات من خلال المنظمات وضمناها فى العدد الاول تحت عنوان "نرحب بالمساهمة".

ولم يمض وقت طويل الا وتلقينا اعمالا عديدة مرسلة من مناطق مختلفة. ومازالت منقوشة فى ذاكرتى صورة "الشيخ ذى الغليون" وهو يتلقى تلك الاعمال بسعادة كبيرة. وقد قرأت أنا أيضا باهتمام وفرح كل تلك الاصول الكثيرة.

فرئيس اركان جيش الاستقلال الذى يقوده ريانغ سى بونغ، أعرب فى رسالة التهنئة التى ارسلها، عن تحيته المخلصة والحارة لتأسيس جمعية استعادة الوطن. وقد ترك فى نفسى اعمق الاثر المقال الذى يشير الى اللقاء بين لى دونغ كوانغ، الذى كان يعمل فى منشوريا الجنوبية كممثل لجمعية استعادة الوطن، وشخص يدعى باك، وهو مندوب المواطنين الكوريين المقيمين فى شنغهاى. فقد اشار المقال الى ان ذلك المندوب، وبعد ان شارك لسنوات عديدة فى الحركة الاستقلالية فى بكين وتنتسن واماكن اخرى فى الصين، ذهب الى منشوريا الجنوبية لدى تلقيه خبر تأسيس جمعية استعادة الوطن واقترح اقامة جبهة متحدة داخل البلاد وخارجها، باتخاذ الجمعية كمحور لها. وكان ذلك يشكل فرصة طيبة لتوسيع شبكة منظمات جمعية استعادة الوطن الى مجمل الاراضى الصينية الشاسعة. وفور انتهائى من قراءة ذلك المقال، ارسلت عاملا سياسيا كفوءا للاتصال مع لى دونغ كوانغ.

هكذا، وفى اثناء الاعداد لطبع "سامئيل وولغان"، كان قسم التحرير يعمل فى الوقت نفسه كمكتب استعلامات ساهم بطريقة مباشرة فى توسيع وتعزيز الشبكة التنظيمية لجمعية استعادة الوطن.

كما اننى لا استطيع نسيان رسالة وصلتنا من لجنة جمعية استعادة الوطن فى احدى المناطق، والتى تتحدث عن تطريز علم تهنئة الى الجيش الثورى الشعبى:

"... فى ظل التعاطف الحار من جانب ابناء الشعب الوطنيين ساهم كل واحد منا، رغم فقرنا، بزون واحد او اثنين وربما بوون واحد. وهكذا جمعنا ٨ وونات و ٧١ زونا، وهو مبلغ تافه لا يكفى لشراء أى مواد عسكرية، ولهذا السبب قررنا نحن والوطنيين الآخرين بالاجماع، انه من الافضل صنع علم تهنئة وارساله اليكم..."

قررنا ان نضم الى العدد الاول كل هذه الرسائل المضمخة بمشاعر الاخلاص.

ان مسألة النصوص التى كانت تقلقنا اكثر من سواها من الامور التحضيرية،

تم حلها بأفضل مما كنا نتصور، واجتمعت لدينا نصوص كافية، وقد شجع ذلك "الشيخ ذا الغليون". وفى أحد الايام، ظهر فى مقر القيادة ووضع أمامى نحو عشر صفحات بيضاء، وقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

"لقد أصبح لدينا ما يكفى من المخطوطات. وما ينقصنا الآن هو الشىء الاكثر أهمية: كلمة تقديم المجلة والمقال المعمق. وعندما نحصل عليهما، نستطيع البدء بتصميم المجلة. وكاتب هذين الموضوعين يجب ان يكون فى كل الاحوال هو حضرتك ايها الرفيق رئيس الجمعية. وها هى الاوراق أمامك."

"ما الذى سيفعله رئيس التحرير اذن؟ فما دام السيد رئيس التحرير حيا ومعافى، ومعروفا بموهبته فى الكتابة، فكيف اتجرأ على دفعه جانبا واحتلال موقعه؟ لا، لا يمكننى الاقدام على عمل كهذا. والصواب هو أن تتولى انت، ايها السيد رئيس التحرير، كتابة كلمة التقديم."

ففضلا عن انشغالى بأعمال كثيرة، كنت أرغب فى ان يتولى ذلك الصحفى الشريف الذى اجتاز طريقا من العذاب، كتابة هذا النص والتعبير على هواه عن الحزن الذى يثقل عليه بسبب فقدان الوطن، وان يخط كلماته الملتهبة التى يفكر بتوجيهها الى ابناء امتنا العشرين مليونا. فدفعته بما يشبه الاكراه الى القيام بهذه المهمة.

ولكننا اتفقنا بالمقابل على ان اكتب أنا بنفسى مقالا معمقا بعنوان: "ذكريات عن حركة الاول من آذار". ولكن انهماكى بأعمال كثيرة مستعجلة لم يتح لى كتابة المقال فى الموعد المقرر. وفى المرات القليلة التى توفر لى الوقت للكتابة، كانت تصلنى للاسف أخبار اعتقال جاسوس حينا، أو يصل تقرير عن تقدم "وحدة تأديبية" نحو معسكرنا السرى فى حين آخر، فأجد نفسى مضطرا الى الانطلاق مسرعا الى المعركة.

كنت اشتاق كثيرا الى كيم هيوك وتشاى ايل تشون، فكلاهما كان رئيس تحرير ل "بلشفيك" و"نونغوو" على التوالى، وكانا رفيقى وصديقى الحميمين فى مرحلتى كارون ووتشازى، كما كانا، فى الوقت نفسه، موهبتين لامعتين فى التحرير.

فاذا كانت كلمات الشاعر كيم هيوك منفتحة وهائجة مثل نهر عظيم دافق، فان كلمات تشاى ايل تشون كانت ذات جوهر وطنى قوى وعلى درجة عالية من العقلانية والتحليل الدقيق. كان كيم هيوك ينشر بين الفينة والاخرى فى"بلشفيك" اغنيات ثورية من كلماته وألحانه. ومازلت اذكر منها حتى الآن "أغنية حقد على المجتمع الرأسمالى" و"اغنية مناهضة للفئوية".

الاغنية الاولى، التى تنضح بمشاعر الكراهية والحقد على المجتمع الرأسمالى، تنتقد الاستغلاليين بصورة لاذعة، أما الاغنية الثانية فهى هجائية، تعرى دون مواربة وجه الفئويين المرتهنين الذين يحاولون بحماية الآخرين ان يبنوا الحزب مستخدمين اختاما من البطاطا.

لو كان كيم هيوك وتشاى ايل تشون الى جانبنا، لكنا خففنا الكثير من الاعباء عن كاهل "الشيخ ذى الغليون".

وقد كان على ان اكتب المقال حول حركة الاول من آذار ووثائق المهرجان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، منتهزا الاستراحة بين معركة دامية واخرى، تماما مثلما كتبت مسرحيتى "بحر من الدماء" و"مصير عضو فرقة الدفاع الذاتى".

ومن بين الاعمال التحضيرية لاصدار العدد الاول من "سامئيل وولغان"، كانت الصعوبة الكبرى التى واجهتنا حتى اللحظة الاخيرة هى كيفية الحصول على مواد الطباعة. فلم يكن لدينا سوى آلة ناسخة قديمة واحدة. ولم تكن كمية الحبر كافية، ولا الملاسات ولا ورق الحرير ولا الورق. وقد حل العاملون فى المطبعة هذه المسائل بأنفسهم. فاذا ما نفد الحبر، كانوا يصنعون قمعا من الصفيح ويحرقون تحته لحاء اشجار الحور، ثم يجمعون السناج ليخلطوه بعد ذلك مع الزيت والحبر المصنوع فى المعمل. وحين تتعطل الملاسة، كان يصنعون واحدة اخرى من عجينة الغراء وراتينج الصنوبر بعد غليهما معا. واذا ما تلف رأس قلم الكتابة الحديدى، كانوا يصنعون غيره من ابر الحذائين.

لقد كانت جهودهم العنيدة من اجل "سامئيل وولغان" جديرة بان تقدم كنموذج لروح الاعتماد على القوى الذاتية والنضال بتصميم.

واخيرا، اتت جهودهم بالثمرة المنشودة: ففى الاول من شهر كانون الاول ١٩٣٦، ظهر الى الدنيا العدد الاول من "سامئيل وولغان".

حمل الى "الشيخ ذو الغليون" النسخة الاولى من المجلة وقال لى:

"اذا ما فعلت شيئا مفيدا فى حياتى غير المجدية، فانه طباعة هذا العدد الاول من (سامئيل وولغان). أيها القائد، أعلم انك مشغول جدا، ولكن، استمع الى الصرخة العالية التى تعلن عن ميلاد مجلتنا." وراح يقرأ بانفعال شديد الفقرة الاولى من كلمة التقديم:

"منذ ان احتل قطاع الطرق اليابانيون وطننا كوريا، تحول الثلاثة والعشرون مليونا من مواطنينا ذوى الملابس البيضاء الى عبيد لاولئك الامبرياليين، وامتهنت حياتنا وحقوقنا الانسانية دون رحمة وكأننا أدنى مرتبة من الخنازير والكلاب."

لقد كان لمجلة "سامئيل وولغان" اصداء واسعة. وكانت رائعة آراء الجيش وبقية الاهالى حول عددها الاول. والى جانب كلمات التهنئة التى ارسلتها الينا المنظمات المحلية لجمعية استعادة الوطن، تلقينا منها كذلك رسائل تطلب منا فيها ان نضاعف كمية ما نطبعه من المجلة. وكان هنالك أيضا من أرسلوا، باسم منظماتهم، معربين مسبقا عن طلباتهم من نسخ العدد التالى.

اعددنا قائمة بالاجهزة والمواد التى تفتقر اليها طباعة المجلة وحاولنا ايجاد حلول لها، فقد اتصل باك دال بشخص يدرس فى اليابان، وحصل من خلاله على آلتى نسخ عاليتى الفعالية. وقد قيل لى انه تم استلام الآلتين فى محطة دانتشون للقطارات، وجرى نقلهما الى كابسان فى عربة، بوضعهما منفصلتين فى كيسى بطاطا. وكان على من نقلوهما ان يختبئوا طوال النهار فى الغابة بسبب الحراسة البوليسية المشددة، ويسيروا فى الليل فقط، الى ان تمكنوا من ايصالهما الى اوفونغدونغ حيث يوجد قسم الطباعة التابع لاتحاد التحرر الوطنى.

وقد أراد باك دال ارسالهما الى معسكرنا السرى. ولكنى جعلته يرسل آلة منهما لنستخدمها ويبقى الاخرى فى كابسان لكى يستخدمها اتحاد التحرر الوطنى الكورى فى طباعة المجلة الناطقة باسمه والتى كانت تصدر تحت اسم "هوازونمين".

وكان الجهاز الذى وفرته لنا جماعة باك دال جيدا بالفعل. فقد كان مردوده اكبر بعدة مرات من الجهاز السابق، مما جعل كمية نسخ المجلة ترتفع منذ العدد الثانى لتصل الى عدة مئات.

تجاوزت شعبية "سامئيل وولغان" كل توقعاتنا. وأظن انها كانت مرغوبة ليس بسبب شكلها الاصيل، وانما بسبب مضمونها الذى كان مشبعا بفكرة الجبهة الوطنية المتحدة من أوله الى آخره. وهذا يعنى انها كانت تعكس باكثر الاشكال حساسية وصوابا المهمة التى كانت تطرحها المرحلة التاريخية على الامة. فأمام الهجمة الفاشية للعسكريتارية اليابانية، كان أهم شىء بالنسبة للثوريين الكوريين يتلخص فى حشد كافة القطاعات والفئات الشعبية بتماسك ضمن اطار الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان من أجل ترسيخ اسس حرب المقاومة التى تشمل الشعب بأسره.

وبظهور المجلة طرحت مهمة الاسراع الكبير فى توسيع وتعزيز شبكة منظمات جمعية استعادة الوطن.

فازداد فى قفزات كبيرة عدد المنضوين الى صفوف الجيش الثورى الشعبى وعدد انصارنا والمتعاطفين معنا. ان قذيفة أو قذيفتين من "مدفع القلم" اثارتا اصداء واسعة حتى ان من أطلقوهما بالذات فوجئوا بذلك.

ففى محادثة مع كوون يونغ بيوك، اعترف باك اين زين بانه كان لمجلة "سامئيل وولغان" دور كبير جدا فى انضمام الغالبية العظمى من المؤمنين بديانة تشوندو فى شمالى سلسلة جبال ماتشون الى منظمات جمعية استعادة الوطن خلال وقت قصير.

مما لا ريب فيه انه كان للى دونغ بايك الدور الاكبر فى اصدار "سامئيل وولغان". لقد بذل جهودا كبيرة عند تأسيس جمعية استعادة الوطن، ولكنه تعب وتعرق بشكل لا يقاس من اجل اصدار وطباعة المجلة. فقد كرس لها الجزء الاخير من حياته كليا.

طوال اكثر من ثمانين سنة امضيتها فى الحياة، لم أر مطلقا من يقتصد فى الورق اكثر من "الشيخ ذى الغليون". فقد كان يحتفظ حتى بقصاصات لا يتجاوز

حجمها حجم وريقات الشجر ويستخدمها بحرص شديد، فيملأها بحروف صغيرة اشبه بحبيبات السمسم. واذا ما لف احدهم سيجارة بورقة بيضاء، كان ينتقده بعبارات قاسية لانه لا يعرف كيف يوفر الورق. أما هو، فكان يدخن الغليون دائما. ولسنا ندرى اذا كان السبب فى ذلك هو هوسه فى الاقتصاد فى الورق.

وبغض النظر عن السبب فى ذلك، فالحقيقة هى ان ذلك الغليون جعل لى دونغ بايك يقتصد كثيرا. فلولا الغليون، لكان أحرق خلال حياته عدة آلاف من الاوراق.

لقد كان رئيس تحرير "سامئيل وولغان" لى دونغ بايك، يدون مذكراته دون ان يتوقف عن ذلك ليوم واحد، ويجمع كل المواد التى تصل الى يديه ويحفظها بحرص فى جعبة لكى يكتب، كما كان يقول، تاريخ النضال الثورى المناهض لليابان عندما يتحرر الوطن، ولكنه لقى مصرعه ضحية احدى عمليات "التأديب" المباغتة فى معسكر يانغمودينغجى السرى. لقد قتله الاعداء مع شيوخ ومرضى لم يتمكنوا من الهرب، واحرقوا المعسكر بمن فيه. ان الكثير من الوثائق والصور والمذكرات التى كان يقدرها كثيرا ويحتفظ بها بحرص، اختفت محروقة معه دون أن يبقى لها أثر. ومازلت حتى الآن أشعر بحزن لا يمكن وصفه كلما فكرت بتحول كل تلك الوثائق التاريخية الى كومة من الرماد فى صباح واحد، وهى الوثائق التى كان يعتنى بها كثيرا ويعتبرها أفضل هدية يمكنه ان يقدمها الى الوطن المستقل. ولو ان مذكراته وحدها نجت من بين كل رزم الوثائق تلك، لكان فى ذلك مصدر سعادة كبيرة للاجيال الحالية.

فيما بعد، استعدت فى معسكر يانغمودينغجى السرى رفاته من بين أنقاض أحد الاكواخ ودفنتها. لم نعثر على غليونه الذى كان يدخن فيه بمتعة كبيرة. ولم يبق أى شىء يمكن الاحتفاظ به كأثر من آثاره. لكن الشىء الوحيد الذى لم تستطع التهامه حتى النيران هو الذكرى المؤثرة والعميقة التى بقيت لدى المناضلين المناهضين لليابان من ذلك المثقف الثورى اللامع والقديم. قبل بضعة سنوات، حين اكتشف موقع معسكر بايكدوسان السرى، عثر على أشجار تحمل شعارات منقوشة بيدى لى دونغ بايك.

وقفت مطولا أمام تلك الاشجار وأنا أشعر بأننى التقى مع رئيس تحرير "سامئيل وولغان" نفسه حيا.

بين جميع المثقفين الذين التقيت بهم خلال الثورة المناهضة لليابان، كان لى دونغ بايك هو اكثرهم اخلاصا وثورية وأوسعهم علما.

لقد كان لممثلى المثقفين المتقدمين فى مختلف البلدان والعصور، دور كبير فى الثورة والتغيير الاجتماعى.

وفى العصر الحديث، كان للمثقفين فى بلادنا أيضا، دور بالغ الاهمية فى تطور الحركة الثورية. وبالرغم من هذه المحدودية أو تلك، فقد ساهموا بنزاهة، عبر سبل واساليب مختلفة، فى حركة التحرر الوطنى والحركة الشيوعية.

وقد كان لى دونغ بايك واحدا منهم. انه ممثل للمثقفين الثوريين، توصل الى الالتحاق بصفوف الكفاح المسلح المناهض لليابان بعد ان اجتاز الطريق الاكثر شيوعا الذى كان يمكن للمثقفين الكوريين السير عليه فى عقد العشرينات.

ومن موقعه المتردد وغير الحازم، تحول لان يكون ثوريا حقيقيا وقدم خدماته الى المقاومة المسلحة الاكثر فعالية.

بين من تولوا العمل فى الصحافة داخل جيش حرب العصابات فى مرحلة جبل بايكدو، يأتى كيم يونغ كوك فى المكان الثانى بعد لى دونغ بايك بموهبة الكتابة فى اعتقادى. فقبل ان ينضم الى وحدتنا عن طريق باك دال ولى زى سون، كان قد عمل فى جمعية الفلاحين الحمراء داخل البلاد.

لم يكن يعد، كعسكرى، ضمن "الدرجة الاولى" من العسكريين، ولكنه كان ممتازا كأديب يكاد لا يكون له منافس. وكل من رأوا كتابته بالقلم ذى الرأس الحديدى كانوا يفرقعون بألسنتهم من الدهشة لان الحروف كانت تبدو وكأنها كتبت بالآلة الكاتبة. وكان يكتب فى الليلة الواحدة اكثر من عشر ورقات حرير (ستانسيل) بواسطة القلم ذى الرأس الحديدى، وكانت الحروف متناسقة وكأنها حروف المطبعة لدرجة ان "الشيخ ذا الغليون" كان يطرى عليه دائما.

اما اذا اردت الحديث عن أحد عيوبه، فأقول انه كان ليبراليا وكثير النسيان، اذا

كان بالامكان اعتبار ذلك نقيصة. لقد كان فقدانه للذاكرة خطيرا الى حد انه نسى بندقيته فى احدى المرات فى مكان توقفنا فيه للراحة، وبعد ان ابتعدنا نحو ثمانية كيلومترات عن ذلك المكان، صاح فجأة "آه، بندقيتى!" وركض راجعا بأقصى سرعة. وقد تم انتقاده ومعاقبته بصرامة يومذاك.

"البندقية هى حياتك، فكيف يمكنك الكتابة اذا كنت مذهولا الى حد نسيان حياتك وتركها؟"

هذا ما قلته له بعد ان نفذ العقوبة. فحك كيم يونغ كوك رقبته، واجابنى بشىء من الجرأة: "جميع الكتاب المشهورين عالميا تقريبا كانوا ضعيفى الذاكرة الى حد خطير". فلم نتمالك أنا و"الشيخ ذو الغليون" نفسينا من الضحك.

لقد كان مولعا بدراسة الادب، وكان يكتب الاشعار والروايات فى اوقات الفراغ التى تتوفر له. وقد ظهرت بعض اعماله فى جريدة "سوكوانغ" التى اصدرناها فى عام ١٩٣٧ لتكون صحيفتنا الداخلية. ومازلت اذكر بشكل مشوش ان العدد الاول من تلك الجريدة تضمن كلمات أغنية من نحو خمسة مقاطع، يقول فى احدها: "حين انضم زوج جارتى الى الجيش الثورى، انضم زوجى الى فرقة الدفاع الذاتى". وقد اضافها كيم يونغ كوك الى النص الذى كان يجرى غناؤه على لحن اغنية "آريرانغ". وفى الاعداد الثانى والثالث والرابع من الصحيفة، صدرت رواية قصيرة له على حلقات. كان هو نفسه رئيسا لتحرير "سوكوانغ". ولسوء الحظ، فان ذلك الكاتب الشاب والموهوب غادرنا مبكرا جدا عندما صرعته رصاصة من القوات "التأديبية" فى خريف ١٩٣٨، بينما كان يجمع مع كيم زو هيون العسل البرى لتقديمه الى الضعفاء والجرحى.

لقد ظهر فى صحيفة "سوكوانغ" السياسية الاسبوعية، الكثير من مواد الدراسة السياسية والعسكرية الموجهة الى مقاتلى حرب العصابات. وقد نشر فيها عملى الذى يحمل عنوان: "مهمات الشيوعيين الكوريين".

وثمة شخص آخر برز بين محررى "سوكوانغ" هو ريم تشون تشو. فقد ساعد كيم يونغ كوك وعمل بنشاط فى تحرير وطباعة هذه الاسبوعية.

و"زونغسورى" هى صحيفة اسبوعية داخلية اخرى صدرت مع بدء دورة الدراسة السياسية والعسكرية فى معسكر ماتانغكو السرى، وكانت تتضمن بصورة اساسية موضوعات سياسية وعسكرية ومواد تثقيفية اخرى تساعد المتدربين فى الدورة.

كان يتولى رئاسة التحرير تشاى كيونغ هوا. ولم يكن قد تلقى تعليما جامعيا، ولكنه استطاع توجيه ذلك العمل الصعب بمهارة. واعتقد ان مفتاح مسعاه الناجح كان يتمثل فى اصراره على الدراسة، مما اتاح له استيعاب معارف متعددة. فقد قرأ فى مسقط رأسه بمبادرته الذاتية، كل المناهج والمراجع اللازمة للتسجيل الجامعى.

كان بامكان المرء ان يستمع طوال النهار الى احاديثه دون ان يشعر بالملل. وحتى الروايات الشعبية ذات المستوى العادى التى يتثاءب المرء وهو يقرؤها، كانت تتحول الى اعمال ادبية رائعة من الطراز الاول حين يرويها هو. لقد كانت موهبة التحدث هى وسيلته القوية ومهارته الكبرى. ولهذا، كثيراما كنا ننتدبه لالقاء خطابات تحريضية. وكانت بلاغته تفتن المستمعين.

لقد شارك فى مسقط رأسه بحركة للشباب والطلاب، وخرج الى المنفى فى تشانغباى هربا من ملاحقة الاعداء. وكرس نفسه فى منفاه للعمل فى تنوير الجماهير، متنكرا بمهنة معلم فى مدرسة خاصة. وقد انضم بعد فترة قصيرة بالطبع الى منظمة جمعية استعادة الوطن. ومنذ ان اصبح على اتصال بخط العمل السرى الذى يقوم به كوون يونغ بيوك، اختاره مسؤولا لقسم التنظيم فى فرع اللجنة الحزبية فى شيتشيداوكو وعاملا سياسيا لمنطقة سونغزين (مدينة كيم تشايك حاليا). وبسبب خطأ ارتكبه فى احدى اللحظات، أصبح من المستحيل عليه مواصلة النشاط السرى، فانضم الى جيش حرب العصابات.

كانت المقاتلات فى صفوف جيش حرب العصابات يتهامسن بانه رجل جذاب. ولكننى كنت معجبا بموهبته وشخصيته اكثر من اعجابى بمظهره. لقد كان عبقريا نادرا، واديبا بارزا ورساما ممتازا فى الوقت ذاته. فهو صاحب جميع الرسوم التوضيحية تقريبا التى ظهرت فى صحيفة "زونغسورى". لقد كان يوجه الدروس

السياسية، ولكنه كان مقاتلا طليعيا كذلك فى ميدان المعركة، يتصدر الصفوف دائما عند الهجوم. وخلال مواجهات جينغآنتون التى جرت فى اوائل عام ١٩٣٨، تطوع بالانضمام الى جماعة الاقتحام، وشق طريق التقدم أمام الوحدة. وقد اصيب يومذاك برصاصة قاتلة انتزعت حياته.

ولشدة حزنى لفقدان رفيق رائع مثل تشاى كيونغ هوا، أمضيت الليلة التى لقى فيها مصرعه وأنا اكتب كلمات الاسى دون ان اتمكن من كبح دموعى. وبالرغم من شدة البرد يومذاك، فقد اقمنا له حفل تأبين مهيب.

كان هناك صحيفة اسبوعية اخرى لدى جيش حرب العصابات، ولكنها اسبوعية اخبارية، هى "تشولهيول"، لسان حال اتحاد الشباب المناهض لليابان، وقد صدرت فى اواخر عام ١٩٣٩، قبل بدء العمليات بوحدات كبيرة عبر طريق دائرى. وحيث اننا كنا قد فقدنا الصحفيين اللامعين من امثال لى دونغ بايك، كيم يونغ كوك، وتشاى كيونغ هوا، فاننا لم نجد بدا من تكليف التلاميذ المستجدين بتحرير المطبوعات واصدارها. وبعد اتخاذى القرار بتعليم فن الكتابة من خلال الممارسة، اوكلت مهمة طبع "تشولهيول" الى كانغ وى ريونغ الذى كان يترأس فى الوقت نفسه المنظمة الحزبية واتحاد الشباب فى مقر القيادة. ولكنه لوح بيديه على الفور قائلا انه غير مناسب لهذا العمل ورجانى ان أكلف شخصا آخر سواه بهذه المهمة. وامام اصرارنا وافق دون رغبة منه، واخيرا، تمكن بمساعدة الجماعة من اصدار صحيفة جيدة.

ومثلما كان الحال فى "سامئيل وولغان" و"سوكوانغ"، فقد اولت اسبوعية "تشولهيول" اهتماما اساسيا الى المواد المتعلقة بالاحداث الايجابية. فقد كان تقدم النماذج الايجابية مثل لى وول سول وقصة المأثرة الكفاحية لمقاتل مستجد تمكن وهو مسلح بحربة من انتزاع رشاش حديث، تشيكى الصنع، وقد وردت هاتان الحادثتان فى العدد الاول من "تشولهيول".

عندما كانت الدورة السياسية والعسكرية فى معسكر بايشيتان السرى على وشك الانتهاء، ومن أجل رفع حماسة وجرأة الشباب، أنشأنا جائزة وشاح الشرف الاحمر لمجترحى المآثر القتالية. وكنا نسمح للمقاتلين الذين يتلقون الوشاح بان يعلقوه فوق

ملابسهم فى ايام الاعياد والمناسبات الاخرى التى توليها الوحدة اهمية خاصة.

اعطينا توجيهاتنا بشأن العدد الخاص من "تشولهيول"، بمناسبة مراجعة الدراسة السياسية والعسكرية، بان يتضمن العدد فضلا عن المراجعة المذكورة، اخبارا حول نظام المكافآت الجديد، وذلك لايقاظ اهتمام القراء.

وعلى هذا النحو، لم تكن مطبوعاتنا الثورية وسيلة رائعة للدعاية ولتثقيف جماهير القراء وحسب، بل كانت تشجعهم أيضا لتحقيق مآثر بطولية، وكانت تشكل عونا فعالا فى النضال ورفيقا حميما فى رحلة الحياة.

ان أهم الخصائص التى تميزت بها "سامئيل وولغان" وغيرها من مطبوعاتنا ابان الثورة المناهضة لليابان، هى انها لم تر النور من خلال قرار ذاتى لعدد من الاشخاص الموهوبين، وانما بفضل المشاركة الحماسية من اوسع جماهير القراء فى مهمة الكتابة والتحرير والطباعة.

لقد كنا نعتبر تعبئة الجماهير والاستناد اليها فى اعداد المطبوعات هو قانون حتمى، مثلما هو الحال فى جميع المهمات الاخرى.

والواقعة التالية جرت، كما اذكر، حين كانت وحدتنا تخيم فى نانبايتسو.

اثناء تجولى فى المعسكر، رأيت مقاتلة تجلس وحدها فى الغابة وتنكب على كتابة شيء فى دفترها. وكانت منهمكة فى عملها لدرجة انها لم تشعر باقترابى منها، بل تابعت بل رأس قلم الرصاص بلسانها، وهى مستغرقة تماما فى الحروف التى يخطها القلم بصعوبة. سألتها عما تكتب، فقالت انها تؤلف نصا دعائيا وتفكر بنشره فى المناطق الريفية.

لقد ادهشنى النص كثيرا. فاذا اخذنا فى الاعتبار ان كاتبته لم تستطع انهاء دراستها الابتدائية، فقد كان نصا ناضجا وجيد الصياغة. فتحت عنوان "الى الشباب الكوريين المقيمين فى منشوريا"، عرضت فكرتها وأظهرت بوضوح الهدف الذى تسعى اليه. وهكذا، قمنا باضافة بعض اللمسات على النص ونشرناه فى "سامئيل وولغان". واظن انه أحدث صدمة قوية بين القراء.

وحتى الطاهيات المتواضعات فى جيش حرب العصابات اللواتى لم يتلقن

التعليم الابتدائى بصورة نظامية، كتبن ايضا لمطبوعاتنا. وبفضل دعم الجماهير ومشاركتها الفعالة فقط، استطعنا اصدار "سامئيل وولغان"، و"سوكوانغ"، و"زونغسورى" و"تشولهيول" وغيرها من المطبوعات فى ظل ظروف بالغة الصعوبة من الحرمان التام من الامدادات، كما استطعنا تهيئة جذور راسخة للتقاليد الثورية فى هذا الميدان.

لقد أقرت فى بلادنا اليوم "جائزة سامئيل وولغان" وهى أعلى جائزة تمنح للعاملين ذوى الكفاءة البارزة فى الصحافة. فلو كان لى دونغ بايك حيا الآن، لكان بالتأكيد أول من كوفئ بهذه الجائزة.

أود أن أنصح عاملى القلم لدينا بألا ينسوا هؤلاء الاسلاف من الجيل الاول فى صحافتنا الثورية، الذين ضحوا بأنفسهم دون ان يتلقوا حتى ولو ميدالية.

الفصل الخامس عشر   توسع الجبهة السرية

(كانون الاول ١٩٣٦ – آذار ١٩٣٧)

١– المناضل الصلب باك دال

كان باك دال رجلا لم يجرب مرة واحدة فى حياته ارتداء الزى العسكرى، ولم نقاتل، انا واياه، معا فى الوحدة نفسها. وقد التقيت به فى بعض المناسبات فقط، حين كان يأتى الى منطقة جبل بايكدو. ولم اره فى مناسبتين لاننى كنت غائبا عن المعسكر.

ليس من السهل التوصل الى تفهم كامل لشخص مجهول تلتقيه مرة او مرتين. ولكن، هنالك مثل شائع يقول: فى ليلة واحدة يمكن بناء سور عظيم، وبالنسبة الينا يمكن القول ان لقاء واحدا يمكن ان يكون كافيا لتعميق التفاهم.

وقد كان، مثل لى زى سون، رجلا نظيفا، لم تؤثر فيه شرور الدنيا. فهو لم ينتسب الى اية فئة او طائفة، ولم يحط نفسه بمظاهر الاهمية ولم يتصرف كمنظر كبير. ولم يكن واحدا من النشطاء الرائجين، مثل كيم تشان وآن كوانغ تشون اللذين التقيت بهما فى مرحلة جيلين.

وبالرغم من انه كان بمثل سذاجة فلاح جبلى، الا انه كان يملك لغة وسلوكا مجربا ومعارف غنية. منذ اللقاء الاول به، استطعت ان اعرف بسهولة انه رجل ذو وزن. كان يعرف كيف ينتقد بطريقته عدة حركات سابقة وكيف يقلق على مصير الامة. قال انه من اجل البحث عن القائد القادر على قطع العلاقة مع اسلوب الحركة القديمة، ذهب الى هونغنام ودانتشون، بل ووصل كذلك الى اراضى تشينتاو.

وبينما كان يبحث بلهفة عن قائده، كنا من جهتنا نبذل جهودا عنيدة لاكتشاف ثوريين مؤهلين داخل كوريا.

فمن اجل نقل الخط الاصيل للثورة الكورية الى حيز الواقع، اعطينا الاولوية للمهمة الاستراتيجية فى خلق منجم موثوق، ونقطة ارتكاز سرية، قادرة على توجيه مجمل النضال المسلح والسياسى داخل البلاد من جهة، والعمل من جهة اخرى على بناء قوات سياسية وعسكرية مقتدرة للتعجيل بالاستعدادات من اجل حرب مقاومة تشمل الامة كلها، موجهة لتحقيق استعادة الوطن بالجهود الذاتية.

ان الحديث عن بناء هذه القوى السياسية فى كوريا يعنى اعداد عناصر النواة القادرين على الارتفاع بمجمل الثورة المناهضة لليابان الى ذروة كبيرة، باتخاذ الكفاح المسلح محورا، وهو ما يستدعى حشد جميع قطاعات الجماهير الوطنية بتلاحم تحت راية الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، وذلك من خلال توسيع شبكة جمعية استعادة الوطن، والعمل فى الوقت نفسه على بناء منظمات الحزب المقتدرة داخل الوطن.

وكان ذلك هو المفتاح الذى يتقرر به نجاح او اخفاق كل النشاطات السياسية والعسكرية التى سنخوضها فى جبل بايكدو.

لم ننطلق من الصفر فى النضال من اجل توسيع وتطوير الحركة الثورية داخل البلاد. فقد كانت هناك قاعدة تنظيمية محدودة يمكننا الاستناد اليها من اجل تعميق الثورة، كما كانت توجد قوى سياسية متمرسة جربت ضربات سيوف وهراوى الامبريالية اليابانية. لقد كانت هناك نقابات عمالية، وجمعيات فلاحية ومنظمات لقطاعات جماهيرية اخرى كانت تنبثق الى الوجود فى كل انحاء البلاد مثلما تنبثق براعم قصب الخيزران بعد المطر، كما كان هناك مناضلون مجربون يقودون تلك المنظمات نحو النضال المناهض لليابان، وشعب تدرب واكتسب الحنكة والقدرة عبر اخفاقات ومحن متتالية، ودروس نضالية مؤلمة تراكمت بالدم والدموع مع كل تجربة انتكاس واخفاق... كل ذلك شكل ركيزة متينة من اجل تعميق الحركة الثورية والانتقال بها الى مرحلة اعلى وفق استراتيجية وتكتيكات جديدة.

كـان موقفنـا وتوجهنـا بشـأن هـذه الحركـة، هـو احتـرام اسـتحقاقاتها وتجاربهـا، لتصويبها وتطويرها انطلاقا من هذه القاعدة ووفق متطلبات المرحلة الجديدة.

فـى اواخـر عقـد العشـرينات وبدايـة الثلاثينـات، كنـا قـد ارسـلنا الـى المنـاطق الحدودية الشمالية والى عمق الاراضى الكورية عاملين سياسيين سريين اكفاء، ممن ترعرعـوا فـى صـفوف "الاتحـاد لاسـقاط الامبرياليـة" والجـيش الثـورى الكـورى، وكلفناهم بمهمة تنفيذ بعض الاستعدادات لاقامة القاعدة السياسية والعسكرية.

ومن اجل القيام بقفزة جديدة فى الحركة الثورية داخل البلاد، كان لا بد من تقدم عسكرى وسياسى جرىء الى هناك، يقوم به الجيش الثـورى الشـعبى، باعتبـاره القـوة القيادية الرئيسية لنضال التحرر الوطنى والحركة الشيوعية الكوريـة، كمـا كـان لا بـد من كسب الدعم والتأييد الايجابى لحركته.

فالحركة الثورية داخل البلاد، التـى كانـت ضـحية الاخفاقـات والمحـن المتتاليـة، كانت تنتظر فى الواقع قيادة وخطوطا جديدة. فبالرغم من ان الفئـة العليـا فيهـا كانـت مشوشة لانهماكهـا فـى النزاعـات الفئويـة، الا ان روادهـا فـى القاعدة ومعهـم الشـعب، كانوا مستعدين للانطلاق فـى معركـة الحيـاة او المـوت، مستوعبين الخطـوط والقيـادة الراديكالية. كما ان المناضلين المنهمكين فى اعادة بناء الحزب، كانوا يتـذكرون وهـم فى السرية او فى السجن اعمالهم المحبطة ويعصرون ادمغتهم للتوصل الى مخرج.

كان لا بـد لنـا مـن التعجيل باتخـاذ اجـراءات عمليـة للاستجابة بسرعة الـى هـذه المطالـب، وخصوصـا، توحيـد النضـال المسـلح المنـاهض لليابـان والحركـة الثوريـة داخـل كوريـا. وهـذا يعنـى بعبـارة اخـرى، ان نضـع الحركـة تحـت قيادتنـا. ومـن اجـل تحقيق هـذا الهـدف كـان لا بـد لنـا، اولا وقبـل كـل شـىء، مـن البحـث داخـل البـلاد عـن ثوريين صلبين مثـل لـى زى سـون، وبـذل جهـود مشـتركة لاتخـاذ اجـراءات تـؤدى الـى توسيع شـبكة جمعيـة اسـتعادة الـوطن بسـرعة وتعبئـة الامـة كلهـا فـى الحـرب المقدسـة المنـاهضة لليابان.

وكمرشـح للقيـام بهـذا العمـل، قـام لـى زى سـون باختيـار بـاك دال. وتحـدث عنـه قائلا:

"باك دال رجل فولاذى الارادة، وهو مستعد حتى للوقوف على حد السيف من اجل تحقيق ما يعتبره عادلا. اضف الى ذلك انه منظر عظيم. ففى احدى المرات، خاض مناظرة حول احدى المسائل مع (منظر ذى لبدة) متعنت، منحدر من دانتشون، وقد فند آراءه بشكل حاسم. فاذا كنا نريد تمهيد الطريق الى محافظتى هامكيونغ الجنوبية والشمالية، لا بد لنا من اللقاء مع باك دال."

حين سمعت ذلك، احسست بالرضى فى اعماقى. ولكن، كان من الصعب على الوثوق بكلماته وحدها دون ان اراه، لان اولئك الرجال المشهورين الذين اغرتنى الاشاعات بمقابلتهم، لم يتوصلوا الا الى تخييب ظنى على عكس ما كنت آمل قبل اللقاء بهم.

فقد كان معظمهم يفتقرون الى وجهة نظر خاصة واضحة والى التفكير والممارسة الاصيلين، ناهيك عن اختلاف آرائهم.

لم يكن باك دال شخصية بارزة مثل آن تشانغ هو، او كيم زوا زين، او لى تشونغ تشون، او او دونغ زين، او سون زونغ دو، او سيم ريونغ زون، او هيون موك كوان، او هيون ها زوك، او كو وون آم، او كيم تشان، او آن كوانغ تشون، او سين ايل يونغ، او سو زونغ سوك، الذين التقيت بهم فى مرحلة جيلين. لم يكن سوى هدف للمراقبة من قبل الشرطة المحلية او البوليس السياسى.

ومع ذلك، فان هذا الرجل المتواضع مثل حطاب ريفى، برز كمارد تاركا اثرا كبيرا فى ثورتنا، واصبح رفيقى وصديقى الحميم الذى لم استطع نسيانه حتى الآن. وحسب اقوال لى زى سون، فان اسمه الاصلى هو باك مون سانغ. وقد بدأ جيرانه بتسميته "باك دال" لكونه صلبا مثل شجرة باكدال (نوع من السنديان)، ثم اصبحت تلك التسمية لقبا له فيما بعد، وتحولت لتكون اسمه اخيرا.

لقد ولد فى ناحية دوكسان فى قضاء كيلزو بمحافظة هامكيونغ الشمالية. وبالنظر الى ان والده كان يدير مصنعا لمعالجة السردين فى ميونغتشون، فان اسرته لم تكن فقيرة جدا، ولكنه مع ذلك لم يكد ينهى مرحلة الدراسة الابتدائية. لقد تزوج وهو فى الحادية عشرة من عمره، وبعد خمس سنوات من ذلك تم تعيينه محاسبا

مأجورا فى المصنع المذكور. ويبدو ان والده قد حاول جعله يعتاد منذ الصغر على تأمين معيشة اسرته بنفسه، بدلا من الاعتماد على الثروات الموروثة.

ولشدة خجله من زواجه المبكر، لم يعترف لرفاقه بانه رب اسرة. فاذا ما دخل فى وقت الغداء الى البيت حيث تبقى زوجته وحدها، لم يكن يطلب منها تقديم الطعام له؛ وانما كان يكتفى بذرع الغرفة جيئة وذهابا.

وعلى الرغم من كون والده رجلا منفتح الطبع وطيب القلب، الا انه كانت لديه محظية لكونه مغرما بالمشروبات الروحية والنساء. ولهذا، كان يبتعد بطريقة او باخرى عن زوجته، مما ايقظ فى ابنه احساسا شديدا بالشفقة على امه.

فقد قال لى فى احدى المرات: "لقد كنت امقت من لديهم محظيات اكثر من اى كان. فقد رأيت طول حياتى كيف كانت امى تتألم بسبب تلك المحظية وتذوقت بنفسى المرارة التى يسببها تعدد الزوجات".

واضاف قائلا اننا احسنا صنعا بتبنينا قانونا يلغى تعدد الزوجات بعد تحرير البلاد.

ان نكبة الام بنظام تعدد الزوجات كانت عاملا سبب الارق للابن حتى اللحظة الاخيرة من حياته. فقد استخلص درسا من آلام امه التى عاشت متوحدة لا تكاد تتلقى اى حب حقيقى من زوجها، فابتعد عن المشروبات وعن النساء الاخريات، وكرس كل كيانه لزوجته التى كانت تكبره بما لا يقل عن خمس سنوات.

لقد كان البخل احد اهداف ضجره الاخرى. فقد كان يمقت كل البخلاء بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية او مهنتهم او جنسهم.

"اذا ما رأيت بخيلا، افقد الشهية طوال اليوم."

هذا ما قاله لى فى زوول، سنة ١٩٥٧، حين استرد عافيته جيدا وصار قادرا على المسامرة.

ومن كلامه ادركت انه عدو للفردية والانانية.

وكان هو نفسه يتميز باريحية عظيمة. اذا استخدمت التعبير الشعبى، فاننى اقول انه كان لديه فائض من الانسانية. ففى موسم جنى محصول البطاطا، كان يشد

عابرى الطريق المسافرين من ايديهم ليدعوهم الى بيته وهو يوقظ شهيتهم بالقول لهم: "ان البطاطا هذه السنة حلوة مثل العسل، ألا تريدون تذوقها؟". اما جيرانه الذين لا يزرعون البطاطا، فقد قدم لهم كعكا منها صنعه خصيصا لهم.

ولو ان رجلا مثله، ولو مثل طبعه، اصاب ثراء، فانه سيتحول على ما اعتقد الى محسن كبير. فمع انه كان يفتقر الى المال، الا انه لم يكن يبخل باى شىء من اجل مساعدة جيرانه.

وفور خروجه من المدرسة الابتدائية، درس بنفسه العلوم القديمة ومقررات المدرسة الثانوية. ويمكن التأكد من اهتمامه بالدراسة بمجرد معرفة حقيقة انه حين كان فى سجن سودايمون فى سيؤول استوعب بنفسه تماما، رغم كونه مقعدا، كتاب "دونغوى بوكام" الطبى.

عند وقوع "حادثة هيسان"، ذهل رجال الشرطة الذين اضطروا الى تفتيش بيته حين اكتشفوا وجود اكوام من الكتب الاشتراكية، منها "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن"، و"البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن"، و"اسس الاشتراكية"، و"نظرية تطور المجتمع"، و"المعارف الاولية حول مسألة المستعمرات"، و"الحركة النسائية للطبقة البروليتارية"، و"بيان النضال ضد البطالة"، و"قاموس الاشتراكية"، و"خطاب وانغ مينغ فى المؤتمر السابع للاممية الشيوعية"، و"بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى"، و"اطروحات حول المسألة الكورية"، و"معارف عامة لاعضاء الحزب". لقد كان غنيا بالكتب، ولكنه فقير فيما سواها لدرجة انه لا يمكن لمس اى شىء فى غرفته، حتى ولو حركت فيها عصا طويلة.

فى لقائى الاول معه قال لى انه لم يتعلم اى شىء تقريبا، وانه لا يعرف الكثير، ولهذا، فانه يرغب فى ان اعلمه شيئا فشيئا باعتباره اميا. ولكن ذلك لم يكن سوى تعبير عن تواضعه، اذ كان يملك معارف واسعة حول النظريات الثورية الماركسية عموما. ومع ذلك، لم يشأ المفاخرة بمعارفه او التعالى على احد. بل ولم يكن لديه ادنى قدر من الطموح للحصول على شىء من "النفوذ". وباختصار، كان رجلا

نزيها لا يطمع باى منفعة مادية او منصب. وفى هذا تكمن، على ما اعتقد، خصائصه الرائعة كرجل حقيقى، ووطنى حقيقى، وثورى حقيقى.

لقد كان يضع نفسه دائما فى مقام الطالب وينتظر بلهفة من يأخذ بيده ويقوده الى طريق قويم. وهذا ما جرى حين نظم لجنة عمل كابسان، فقد قصر عضويتها على الموضع المسمى "كابسان" واطلق عليها اسم لجنة عمل لكى يوضح طابعها المؤقت. وقد شكلها منذ البداية تحت الشرط المسبق بخضوعها للحزب الشيوعى الكورى الذى سيتأسس فى المستقبل، وبتغيير اسمها باسم آخر مناسب. لقد انطلق باك دال من الموقف المتمثل بانه فى ظل عدم وجود قائد يقود النضال المناهض لليابان، فانه يرغب اولا فى بناء منظمة ذات محدودية محلية بنفسه لكى ينطلق بالحركة.

لم تكن عملية تنظيم تلك اللجنة بالعمل السهل. فقد كان بعض النشطاء الاجتماعيين فى المنطقة يتخذون موقفا استسلاميا لخوفهم من ملاحقة جيش وشرطة العدو، ويحاولون تبرير موقفهم بعدم وجود منظمة مركزية للحزب.

كانوا يتذرعون بالقول: "يجب عدم تشجيع واثارة النضال المناهض للامبريالية، لانه يجرى تلقائيا فى قضاء كابسان. يجب ان ننتظر الى ان يتشكل حزب شيوعى كورى، وعندئذ سيطرح خطا جديدا، وبالاستناد الى هذه القاعدة، سيقود الحركة فى كابسان. وهذا هو بالتحديد ما يعنيه الاخلاص للماركسية – اللينينية واحترام مبدأ المركزية".

ولكن باك دال فند ذلك الرأى باعتباره هروبا من الثورة، واضاف: من واجبنا تنظيم الحركة العفوية فى قضاء كابسان والسعى بدأب لتوسيعها الى كافة اراضى كوريا؛ وبهذا فقط، سيكون بمقدور اللجنة المركزية للحزب الشيوعى، عندما يتأسس فى المستقبل، قيادة الحركة وتوجيهها بسهولة اكبر. وكما هو واضح، فان لجنة عمل كابسان ولدت وسط النضال العنيد ضد اولئك الذين كانوا يجلسون منتظرين مجىء عصر مناسب، او من كانوا يتملصون من مراقبة الشرطة بالهرب الى اماكن اخرى ومحاولة الحفاظ على حياتهم.

وبنظرة بعيدة المدى من اجل حماية لجنة العمل من قمع محتمل يشنه العدو، اطلق باك دال على منظمات اللجنة الدنيا اسماء مختلفة، مثل جمعية زونغوو، وجمعية زونزين، والجمعية المعادية لليابان. ومن اجل تنوير الجماهير لم يتورع عن استغلال جمعية زينهونغ وفرقة الدفاع الذاتى وغيرهما من المنظمات المرتشية. وحين كان ينظم باسمائها حلقات الدراسة الليلية او اللقاءات الرياضية او الاجتماعات الصباحية، كان رجال الشرطة الذين يجهلون الحقيقة يعربون عن رضاهم قائلين ان قرويى كابسان ايضا سيصبحون مواطنين مخلصين للامبراطورية اليابانية.

وكلما كان يعقد اجتماع مسؤولى المنظمات الدنيا التابعة للجنة العمل، مرة كل شهر حسب الخطة، كان ينظم منافسة بكرة القدم. وحين تحتشد الجماهير، يبدأ المباراة ثم يستغل ذلك لعقد الاجتماع خفية، ويوزع المهمات وما سوى ذلك. كما كان يستغل مراسم احياء ذكرى الموتى، وحفلات الزفاف، ومآدب اعياد الميلاد، والاحتفال بعيد الميلاد الستينى، كمناسبات لعقد اجتماعات سرية لاعضاء المنظمة ومسؤوليها. لقد كان استغلال المناسبات الشرعية ملائما لاخفاء نشاطاتها ونشرها بقوة.

ومن اجل استخدام تلك المناسبات الى اقصى الحدود، كان اعضاء لجنة العمل ينسجون بمهارة فائقة علاقات مع شرطة الامبريالية اليابانية وعملائها. وتنفيذا لتعليمات اللجنة انضم معظم اعضائها الى المنظمات المرتشية او المنظمات الادارية الدنيا للامبريالية اليابانية، حيث كانوا يتصرفون "كعناصر نموذجية".

لقد كان ذلك اجراء جريئا وجذريا بالمقارنة مع سلوك جمعية سينكان، والاتحاد العام للنقابات العمالية، واتحاد الشباب، والنقابة العمالية الحمراء، والجمعية الفلاحية الحمراء التى كانت تخوض مواجهة غير مشروطة ضد جنود وشرطة الامبريالية اليابانية وعملائها، متخذة موقف العداء السافر منهم.

ان تكتيك التخفى المرن فى الظاهر والمتصلب فى الباطن، الذى طبقه باك دال لاول مرة بين المناضلين داخل كوريا، اظهر فعالية عالية.

فمن كانوا يتظاهرون بانهم يخدمون العدو باخلاص من موقعهم كعمد قرى ونواح او غيرهم من رؤساء المؤسسات مثل جهاز الشرطة وفرقة الدفاع الذاتى

والجهاز الادارى وجمعية تنشيط الريف وفرقة الاطفاء وجمعية المدارس وجمعية حماية الغابات، جميعهم كانوا مفيدين، سواء فى تجريد العدو من سلاحه الروحى ومعرفة دخيلته بالتفصيل او فى تفكيك واجتذاب القوى المتمحورة حوله والتحذير من ازعاجات محتملة للاهالى. وبالرغم من ان باك دال كان ثوريا غير ضئيل الشأن يتولى فى الوقت نفسه مسؤولية لجنة عمل كابسان وقسمى الشؤون السياسية والاضرابات فى المنظمة نفسها، الا انه كان ينتمى كذلك الى الهيئات الرسمية التى يديرها العدو. فكان يحتل بكل حق مناصب هامة، مثل نائب رئيس جمعية تنشيط الريف فى المنطقة الاولى بقرية سينهونغ فى ناحية بوتشون، ورئيس جمعية مدرسة ايلسين، ونائب رئيس فرقة الدفاع الذاتى فى المنطقة نفسها، كما كان عضوا فى فرقة الاطفاء فى قرية دايوسيتشون بناحية وونهونغ.

ولمعرفة مدى براعته فى استغلال الهيئات والمنظمات المأتمرة بأمرة الامبرياليين اليابانيين، يكفى ان نذكر مثالا واحدا وهو ان ٦٣ شخصا من ضحايا حملة الاعتقالات الاولى عند وقوع "حادثة هيسان" هم اعضاء فى فرقة الدفاع الذاتى، وقد كانوا يحتلون مناصب مختلفة مثل رئيس كتبة جمعية زينهونغ، والمسؤول عن خمسة بيوت فى فرقة الدفاع الذاتى، ومستشار جمعية حماية الغابات، وموجه ادارة الزراعة الجبلية، والممثل العام لاحصاء الاراضى المحروقة، والمشارك فى الدورة التدريبية للشباب على المعارف المتوسطة المستوى، ومسؤول الشؤون التعليمية للمدرسة ومستشار المدرسة المختصرة(٠).

وكما هو واضح، فان لجنة عمل كابسان دفعت بنشاط عجلة نضالها وهى توائم بمهارة ما بين الاساليب الشرعية وغير الشرعية، ومطلقة فى الوقت نفسه الشعارات المناسبة لخصائص المناطق الريفية، كالمطالبة مثلا بتخفيض ايجار الاراضى الزراعية، وحرية استصلاح الاراضى باحراقها، ومعارضة العمل الاجبارى والربا، واعادة النظر فى الفرض الاجبارى لزراعة القنب والقمح.

---

(٠)المدرسة المختصرة: مدرسة ابتدائية مدتها سنتان فقط – المترجم

ان هذه الشعارات تعطى للوهلة الاولى انطباعا بان هناك ميلا الى النضال الاقتصادى، ولكنها تجسد كذلك طابعا سياسيا حادا فى النضال كما هو الحال بالنسبة لمعارضة الزراعة الاجبارية للقنب والقمح. فاذا كان فلاحو كابسان يعارضون زراعة القنب، فلان القنب كان مادة اولية لانتاج اجهزة عسكرية. وقد اوصلوا المحصول الى الاخفاق الذريع بزراعتهم بذورا مسلوقة او زراعة الاشتال متباعدة بحيث تتفرع كثيرا ولا تعود مجدية.

على اى حال، اقنعنى لى زى سون بان باك دال هو شخص لا بد لنا من اقامة اتصالات معه باسرع وقت ممكن.

تشاورنا حول طريقة للقاء به، وعينا لى زى سون مسؤولا عن عناصر الاتصال داخل كوريا. وقد انجز المهمة الموكولة اليه بسرعة. فقد اخبرنى لى زى سون عبر عنصر الاتصال بان باك دال يطالب بان نرسل اليه مباشرة مندوب الجيش الثورى الشعبى. لم اعرف السبب الذى منعه من المجىء الى معسكرنا السرى، رغم ترحيبه باللقاء بنا.

ومن هذه الواقعة وحدها، توصلت الى القناعة بانه ثورى شديد الحذر والصبر، مما زاد من فضولنا وثقتنا به. كنا بحاجة الى ثورى مخلص، رصين وصبور، وليس الى منظر ايديولوجى خفيف سرعان ما يتوقف عن الغليان من مرجل او ينساق للريح تحمله حيث تشاء.

استجبنا له وارسلنا كوون يونغ بيوك، الخبير فى العمل الحزبى، الى كابسان.

واورد فيما يلى نص الرسالة التى بعثتها الى باك دال مع كوون يونغ بيوك:

الى الرفاق الوطنيين داخل البلاد الذين يحبون الوطن
ويناضلون ضد الامبريالية اليابانية

ايها الرفاق المقاتلون ضد الاعداء الامبرياليين اليابانيين الاشرار داخل البلاد:

نحن الذين نحمل السلاح من اجل استعادة الوطن فى سهوب منشوريا، ونقاتل ضد جيش وشرطة اليابان ومنشوكو.

نتمنى من اعماق قلوبنا ان نصافحكم بقوة ونوحد كل قوانا فى المعركة ضد الامبريالية اليابانية ومن اجل استعادة الوطن.

ابعث اليكم بمندوبنا وآمل ان تتبادلوا فى اللقاء معه آراء نزيهة.

تحياتى اليكم

كيم إيل سونغ

ذهب لى زى سون برفقة كوون يونغ بيوك الى كابسان. وقد التقيا، على ما اذكر، مع باك دال فى شهر كانون الاول عام ١٩٣٦. اطلعه كوون يونغ بيوك على حقيقة تنظيم جمعية استعادة الوطن، وتحدث اليه حول مضمون النشاطات المهمة للجيش الثورى الشعبى الكورى.

بدا له ان ظهوره كان حدثا مؤثرا بالنسبة الى باك دال الذى كان يتطلع بلهفة الى اقامة اتصال معنا. وحين رجع كوون يونغ بيوك، قال لنا انه بالرغم من كونه رجلا تلقى لقب "الحديد عديم الرائحة" لانه لا يبدى مشاعره الداخلية بسهولة، الا انه ابتهج كثيرا حين تلقى رسالتنا لدرجة ان عينيه تخضلتا بالدمع.

وقال لى كوون يونغ بيوك.

"لقد طلب منى باك دال ان اساعده على الفور ليلتقى بالرفيق القائد. وقال انه مستعد للمجىء الى هنا فى اى لحظة، اذا سمحتم له بذلك."

استولت على رغبة اكبر فى رؤيته. فقررت اللقاء به فى معسكرنا السرى وامرت كوون يونغ بيوك باتخاذ الاجراءات اللازمة للقاء.

ومن جهته، قام باك دال بالاستعدادات اللازمة لرحلته. وكانت تلك الرحلة تتمثل فى اجتياز نهر آمروك دون مخاطر. وقد كان الوضع مريعا فى ذلك الوقت حتى انه كان من شبه المستحيل عبور النهر بصورة غير شرعية. فاعمل فكره وذهب لرؤية الشرطى كيم من مركز شرطة قرية كونونغدينغى، ويتبع الى ثكنة شرطة هيسان.

"انظر ايها الشرطى كيم. ألم تسمع بخبر تشانغباى؟"

قال تلك الكلمات بصخب فور دخوله الى مركز الشرطة، موحيا بان شيئا عظيما قد حدث. فتطلع اليه كيم وعدد آخر من رجال الشرطة بعيون مرتابة.

"عن اى خبر تتحدث؟"

"يقال ان كثرة ظهور (قطاع الطرق) فى اراضى تشانغباى دفعت الاهالى الى الاسراع بالرحيل الى مناطق اخرى، وهم يبيعون ما لديهم من الحبوب باسعار زهيدة. سأذهب الى هناك لاحضار عربتين من فول الصويا من اجل كسب المال. فاذا اردت ان تستفيد من ذلك، فاكتب لى تصريحا بعبور النهر."

صدق رجال الشرطة قوله ورضوا عن ذلك، واكد كل واحد منهم انه سيعطيه التصريح، طالبا منه بالمقابل ان يأتيه بكمية من فول الصويا لكى يصنع منها صلصة وعجينة. وهكذا وصل التصريح بسهولة غير منتظرة الى يد باك دال. فعبر النهر دون مضايقات ووصل الى بيت لى زى سون الذى قاده الى مقر القيادة. وقد وصلا الى المقر عند الفجر.

لقد كان لى زى سون على حق: فقد اثار باك دال انطباعا بانه يمتلك جسدا سىء التطور بسبب صغر وجهه بالمقارنة مع اتساع ظهره، وكان يفتقر الى المظهر الجدير بالفارس الجوال ويبدو وكأنه حطاب ريفى. ولكننى قرأت مع ذلك شيئا فى نظرته الحادة التى صوبها الى وجهى.

قال:

"لقد كنت متشوقا لرؤيتك."

كانت تلك هى تحيته الاولى؛ وكانت بسيطة، ولكننى لمست فيها الصدق.

فمع انهما كلمتان او ثلاث كلمات عادية، الا انها جعلتنى اشعر بزوبعة فى قلبى.

وقد اضاف قائلا انه كان يحلم باللقاء معنا مذ كان يعيش حياة السجن فى كيلزو. فقد اعتقلته الشرطة حين كان يعمل فى مركز الاعمال العامة فى منشرة الاخشاب بكيلزو، والتى ذهب اليها هربا من مراقبة العدو، وللعمل فى الوقت نفسه على توسيع المنظمة. وفى احد الايام، وجد بين كومة من الاوراق القديمة صحيفة تتضمن مقالا

حول هجوم وحدتنا على العدو فى منطقة تشانغباى. ومنذ ذلك الحين لم يعد يفكر بشىء سوانا. وبعد اطلاق سراحه، عاد الى كابسان، ثم غادرها متنكرا بزى بائع متجول وتجول فى كل القرى على ضفة نهر آمروك تقريبا بحثا عن خط يوصله الينا.

وقال بسعادة وهو يمسك يدى مجددا ويهزهما بقوة:

"انه لمن حسن حظى حقا ان التقى بالقائد اليوم."

"اننى احس بنفس المشاعر وانا التقى بك. فانت اول مندوب يأتى من داخل البلاد لزيارتنا منذ وصول الجيش الثورى الشعبى الكورى الى جبل بايكدو."

"كيف يمكننى ان اكون مندوبا؟ اننى قروى من كابسان. ... انتم لا تعرفون اننى حين كنت اذهب الى كيلزو او سونغزين او هامهونغ او غيرها من المدن، كان اولئك السادة الذين يدعون بانهم يقومون بحركة ما، ينظرون الى بعين واحدة."

بدا لى انه يحاول ان يتخذ الوضع المتوافق مع "قروى من كابسان". ولكننى لمحت صورة مارد فى لغته وحركاته المتواضعة.

"ليس هناك قانون يقول ان الرجال العظماء يولدون فى المدن فقط. أليس كذلك؟ لقد علمت عن طريق لى زى سون ان لجنة عمل كابسان قد قامت حتى الآن بنشاطات وطنية كثيرة مناهضة لليابان. وانه لمما يبعث فينا الحماس ان نجد لنا رفاقا يتمتعون بارادة حديدية فى داخل البلاد."

قدمت له كأسا من الماء الدافئ لكى ابعث الدفء فى جسده، لكن محدثى تظاهر بتناوله وسارع الى اطلاعى على الاوضاع داخل البلاد. كان يتقد حماسة، وبدا لى رجلا يستحق ان يكون هدفا للتقدير.

بدأت محادثتنا الاساسية فى صباح اليوم التالى. والحقيقة اننا تبادلنا خلالها الكثير من الآراء.

كان باك دال هو البادئ بالكلام. وقد بدأ بشرح الوضع داخل كوريا وحالة الحركة فى منطقة كابسان.

كان الوضع داخل البلاد يتلخص بما يلى: يمكن القول ان كوريا فى الداخل تدخل

فترة انحدار؛ فحركة اعادة بناء الحزب فقدت الحماس على ما يبدو، كما ان حركة الجمعية الفلاحية قد انقضت؛ اما النشطاء الذين استسلموا امام القمع، فانهم يهيمون على وجوههم فى الجبال بحثا عن ملجأ، أتكون لديهم الحماسة للنهوض من جديد؟ لا، وحتى لو افترضنا انهم عادوا للنهوض بجرأة، فانهم سيفتقدون الخط. وما فائدة القتال غير المجدى دون خط؟ لقد اصبح همهم الوحيد هو الحفاظ على حياتهم؛ ومما لا شك فيه ان بعضهم يواصلون النضال، ولكنهم لم يتخلصوا من عادة الفئوية؛ فالامر لم يعد يقتصر على وجود "جماعة شنغهاى" و"جماعة روسيا" وجماعات محافظتى هامكيونغ الجنوبية والشمالية، بل ان جماعة هامكيونغ الجنوبية نفسها انقسمت الى فئة هامهونغ وفئة هونغوون وفئة دانتشون، وجميعهم يستنفدون نشاطاتهم فى النزاعات والمماحكات الكلامية الفارغة وحدها، مسببين بذلك البلبلة للجماهير.

ثم واصل قائلا:

"ان العقبة الكبرى التى تواجه الحركة الثورية داخل كوريا هى عدم وجود القيادة الصائبة. وبكلمة اخرى، ليس هناك خط قادر على اقناع الجميع، ولا شخص قادر على صياغة ذلك الخط. وهكذا، حين ظهر فى زمن آخر، تمرد الفلاحين فى دانتشون، تم ارسال رجل الى الكومنترن طلبا للنصيحة والتوجيه، ولكن النتيجة لم تكن تستحق الذكر. الى من علينا ان نتطلع اذن؟"

اذا ما اختصرنا كلماته، فان المسألة الاكثر الحاحا التى يأمل بالتوصل الى حل لها من اجل الحركة الثورية داخل البلاد تتلخص فى مسألتى الخط والقيادة.

والقضية الهامة الاخرى التى ناقشناها هى مهمة وطبيعة الجيش الثورى الشعبى الكورى.

فقد رجانى باك دال ان اغفر له عدم لياقته وسألنى بنبرة جدية:

"يقول الثوريون داخل البلاد الآن ان القائد كيم إيل سونغ يقوم بالثورة الصينية على الرغم من كونه كوريا، وان وحدته تنتمى الى قوات دونغبى المتحالفة المناهضة لليابان، بالرغم من انها مؤلفة من كوريين؛ فكيف نفسر ذلك؟ اود ان استمع الى توضيح منكم مباشرة."

مثلما كان قد اخبرنى لى زى سون، فان باك دال كان يتمتع بطبع منفتح جدا.

ولم استطع الا ان اشرح له الامر باسهاب نسبى: من الطبيعى جدا ان يظهر مثل هذا السؤال بين الثوريين داخل البلاد، لان الصحافة تطلق على وحدتى اسم الفرقة السادسة فى الفيلق الثانى من قوات دونغبى المتحالفة المناهضة لليابان؛ ولكنهم اذا اعتبروها وحدة صينية محضة، فانهم يرتكبون خطأ فاحشا، لان ذلك مناف للحقيقة؛ فكما يشير اسمها، فان قوات دونغبى المتحالفة المناهضة لليابان هى تشكيلة من عدة وحدات لحرب العصابات المناهضة لليابان التى تعمل فى منطقة شمال شرقى الصين، وهى تضم وحدات حرب العصابات الصينية التابعة للحزب الشيوعى، والوحدات الصينية المناهضة لليابان من اتباع نظام جيش الانقاذ الوطنى، ووحدات حرب العصابات الكورية المناهضة لليابان التى يقودها الشيوعيون الكوريون، وهى بعبارة اخرى جيش اممى متحالف تم تشكيله من اجل القضية المشتركة فى حرب المقاومة المناهضة لليابان، وهذا التحالف للقوات المسلحة للشيوعيين والوطنيين الكوريين والصينيين فرضه وجود عدو مشترك هو اليابان، وهدف مشترك هو تحرير البلدين، ومسرح النضال المشترك المتمثل فى اراضى شمال شرقى الصين، اضافة الى مشاعر الصداقة التى ترسخت بين الشعبين على امتداد التاريخ، وتشابه اوضاعهما؛ كما ان نظام القوات المتحالفة هو، على اى حال، نتاج العفوية، ولهذا كان يجرى ضمنها احترام سيادة واستقلالية كل جيش وطنى؛ وبالرغم من ان جيشنا الثورى الشعبى الكورى كان يساعد الثورة الصينية تحت اسم القوات المتحالفة، الا انه كان جيشا وطنيا بالكامل، مهمته الاساسية هى تحرير وطنه، وكان يعمل بصورة مستقلة مكرسا نفسه للثورة الكورية اولا وقبل كل شىء؛ وكان كل مواطنينا المقيمين فى منشوريا يعرفون ان جيشنا هو جيش وطنى كورى يقاتل منذ تأسيسه من اجل تحقيق تحرير وطنه وحرية امته؛ لقد كنا نطلق على انفسنا اسم القوات المتحالفة المناهضة لليابان حين نكون فى منطقة تعيش فيها غالبية صينية، والجيش الثورى الشعبى الكورى حيث تعيش غالبية كورية.

واضفت قائلا: لقد حاول البعض فى احد الاوقات النيل من سيادة وحقوق جيشنا

الوطنى فى الاستقلالية وخرقها، مناقشين مسألة قيام الكوريين بثورتهم الخاصة، ومتذرعين بمبدأ حزب واحد لكل بلد؛ وفيما بعد، نصحنا الكومنترن بالعمل بصورة مستقلة، بعد انفصالنا عن القوات المتحالفة المناهضة لليابان، لاننا لا نخالف بذلك هذا المبدأ. ولكننا قررنا البقاء هناك، آخذين فى الاعتبار ان انفصالنا سيضعف من دعم الشعب الصينى لنا وسيكون غير مؤات لنشاطاتنا؛ كما ان الانفصال لم يرق للصينيين ايضا. ان نظام القوات المتحالفة الحالى، كنتاج للروابط الحميمة بين رفاق السلاح فى البلدين فى نضالهما ضد العدو المشترك، يمكن القول عنه بكل حق انه نموذج للعمل المشترك المناهض للامبريالية على الصعيد الاممى. وطالما لم يخترق احد حقنا فى الاستقلالية، ولم يعرب الصينيون عن استيائهم، فسوف نواصل الحفاظ على نظام التحالف هذا، واذا كان ممكنا فاننا نرغب فى تشكيل قوات متحالفة مناهضة لليابان كذلك مع الجيش الوطنى المنغولى والجيش السوفييتى.

بعد ان استمع باك دال الى شرحى، ابتسم ابتسامة عريضة وقال:

"ياللعجب! لقد كان تخوفنا اذن دون طائل حين فكرنا فى انه اذا كانت وحدة القائد كيم لحرب العصابات تنتمى الى الجيش الصينى فيجب علينا ألا نعقد الآمال عليها. اننى اشعر الآن بتجدد حماستى."

"اذا كنت تقول الحقيقة، فانا اشعر بالرضى ايضا. اقول لك، ثق بالجيش الثورى الشعبى الكورى. صحيح ان الجيش اليابانى قوى، ولكنه ليس بالجيش الذى لا يهزم مطلقا. اننا نخطط لتوسيع الحرب الى داخل كوريا لاسترجاعها، متخذين من جبل بايكدو نقطة ارتكاز لنا. لقد اصبح تحرير الوطن مسألة وقت فقط. ونحن نحشد الآن، القوى القادرة على تحقيق ذلك. ويجب ان تكون مدركا تماما اننا نضم الى هذه القوى لجنة عمل كابسان التى تقودها انت بالذات."

بعد ذلك، طرحنا على بساط البحث مواضيع مهمة تتعلق بسياستنا حول الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان وجمعية استعادة الوطن.

وقدم باك دال دعمه المطلق لضرورة انشاء الجبهة ولكل الاجراءات اللازمة لتوسيعها وتعزيزها، وللتوجه العام المطروح فى "برنامج النقاط العشر لجمعية

استعادة الوطن". وقال ان علو هدف الجمعية وشعبيتها واتساع قوتها يجعل منها منظمة مهيبة، ومختلفة اختلافا جذريا عن المنظمات الوطنية السابقة التى كانت نتاج التعاون اليسارى واليمينى، مثل جمعيتى سينكان وكونوو.

ومع ذلك، لم يعرب عن تأييده لكل اجراءاتنا وتوجهاتنا. ففيما يتعلق باسم جمعية استعادة الوطن وبعض بنودها، كانت له وجهة نظر اخرى:

"اننى واثق تماما من اننا، نحن الشيوعيين، نناضل بكل تأكيد من اجل التحرر الوطنى، ولكن من الافضل لنا، لكى نحقق الهدف النهائى، ان نبنى المجتمع الشيوعى. ولكن اسم الجمعية وبرنامجها ذا النقاط العشر يثيران فى نفسى انطباعا بانكم قد تراجعتم الى الخط القومى، وابتعدتم كثيرا عن متطلبات البرنامج الشيوعى. هل استطيع القول انكم تخليتم عن الهدف الاعلى وقدمتم الهدف الادنى وحده...؟"

بدا عليه القلق لاننا قد نتعرض للوم بسبب تخلينا عن الهدف الاسمى للحركة وتبنى موقف انتهازى والتراجع الى الحركة الاصلاحية والمصالحة، هاجرين بذلك النضال الفعال. وقد رأيت انه لم يتخلص بعد من طريقة التفكير الدوغمائية، مثله فى ذلك مثل "الشيخ ذى الغليون" فى البداية.

وقد اوضحت له الامور فى هذا الشأن بالقول: لا يمكن صنع الثورة بجهود عدد محدود من الشيوعيين فقط، فالثورة لا تنتصر الا اذا عبأنا جميع قطاعات الجماهير؛ وانت تعرف ان من يرزحون تحت نير سيطرة الامبريالية اليابانية الاستعمارية ليسوا العمال والفلاحين والشيوعيين وحدهم، وانما جميع ابناء الامة ايضا؛ وفى ظل هذا الوضع، يتوجب علينا ان نحشد فى اطار الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان جميع القوى ذات المصلحة فى استقلال كوريا. انت تناقش مسألة اسم جمعية استعادة الوطن، ولكن هذه التسمية فى الواقع مناسبة ومقبولة من قبل كل القطاعات الاجتماعية؛ هناك الآن من يفكرون بانه لا بد بالضرورة عند تشكيل منظمة من ان يلحقوا باسمها صفات معينة مثل "ثورية" او "حمراء"، وهذا تعبير عن التطرف اليسارى. عندما اضفنا كلمة الوطن الى اسم منظمة الجبهة الوطنية المتحدة، اردنا ان نوضح بذلك انها تخص الامة كلها، وليست مقتصرة على بعض الطبقات او الفئات بعينها.

روى لى باك دال انه كان يتبادل الخبرات فى احيان كثيرة مع اشخاص من سونغزين وهاكسونغ وكيلزو ودانتشون وبوكتشونغ، وكان يكتشف فى تلك المناسبات ان اولئك الاشخاص كانوا يمارسون النشاطات السرية بفظاظة وعدم تبصر. ففى سونغزين مثلا، واثناء عيد دانو، كانوا ينظمون منافسات فى المصارعة التقليدية الكورية، فكان اعضاء جمعية الفلاحين يجلسون حول حلبة المصارعة وهم يعقدون حول جباههم عصابة حمراء اللون ليميزوا انفسهم بذلك عن سواهم من الجماهير غير المناضلة. فاذا لاحظوا ان لاعبيهم قد اخفقوا، سارعوا الى زج لاعبين آخرين تباعا للفوز على الخصوم بتكتيك انزال بحر من الناس الى الحلبة. فاذا ما خسروا رغم ذلك العناد بسبب قلة المهارة، كانوا يعمدون الى افتعال ضجة فى المنافسة، محاولين بذلك اظهار قوتهم. فكان رجال الشرطة الذين يجلسون على المنصة بملابس مدنية ينتهزون تلك الفرصة لاكتشاف عناصر النواة فى جمعية الفلاحين، ويستغلون ذلك لاعتقالهم او لكشف المنظمات السرية.

وكانوا يقترفون آنذاك فى بعض المناطق اخطاء يسارية فى العلاقة مع جمعية هيانغكيو ايضا. كان قد شكل هذه الجمعية اشخاص محليون متنفذون بهدف احياء الاحتفالات فى ذكرى مؤسس الكونفوشية، وكانت منظمة تفوح منها رائحة الاقطاعية. وقد اعتادت ان تقدم عرضا مضحكا توزع فيه مناصب فخرية مثل زانغوى وكيوغام؛ وكان اعضاؤها يتبادلون التحية فيما بينهم مرفقينها بتسمية بعضهم بعضا السيد فلان زانغوى او السيد فلان كيوغام، تعبيرا عن التوقير. ولم يكن ذلك يستدعى بكل تأكيد التشجيع الكبير باعتباره احتراما للاخلاقيات الكونفوشية الاقطاعية. ولكن، لم يكن هناك ما يدفع الى معارضته بشكل مكشوف او محاولة القضاء عليه بين ليلة وضحاها.

ومع ذلك، فان بعض الشباب الملوثين بالتطرف اليسارى، والمتعللين بمعارضة الاقطاعية، اقدموا على اقتراف ممارسات مسيئة باحراقهم او تمزيقهم قبعات اجدادهم المصنوعة من شعر ذيل الخيل، وهى رمز لمنصب زانغوى، فكانوا يتعرضون للعار لان الشيوخ ضربوهم بغليوناتهم. وكان هؤلاء الشيوخ يضجون

صـاخبين ويسـتنكرون تصـرفاتهم باعتبـارهم شـيوعيين حقيـرين لا يعترفـون حتـى بالقواعد الثلاث والمبادئ الاخلاقيـة الخمسـة للكونفوشية، ولا يحترمـون الاكبـر مـنهم سنـا.

وكـان المستفيد الوحيد من ذلك هو الامبريـاليـة اليابانيـة. فعنـدما كانـت جمعيـة هيانغكيو تنظم احتفالا فى ذكرى كونفوشيوس، كـان الامبريـاليون اليابـانيون يرسلون حـاكم القضـاء لكـى يقدم فـروض التـوقير. وكـان هدفهم مـن ذلـك هـو ان يظهـروا ان الشيوعيين يعارضون اجدادهم، بينما السلطات الحكومية اليابانية لا تفعل ذلك. وكمـا يبـدو واضـحا، كـان الاعـداء يسـتغلون بمكـر حتـى المنظمـات المحليـة، مثـل جمعيـة هيانغكيو، لمواجهة القوى الشيوعية.

عدت الى التحدث من جديد قائلا:

"اكرر القول بان عمل المنظمة لن يكون على خير ما يرام لمجرد اضـافة صـفة (حمراء) او (ثورية) الى اسمها، كما ان ذلك لا يضمن تلقائيا طابعهـا الثـورى. يمكن لمنظمات جمعية استعادة الوطن ان تتشكل تحت تسميات مختلفـة تتفق مـع وضـع كل منطقة ومستوى وعى الجماهير فيها. فعلى سبيل المثال، يجب تشكيلها بطريقـة تتيح للعمــال ان ينظمـوا النقابــة، وللفلاحــين ان ينظمـوا جمعيـتهم الخاصــة، وللشـباب ان ينظمـوا اتحـاد الشـباب المنـاهض للامبرياليـة او اتحـاد الشـباب الشـيوعى. وبمقتضـى تحليلى، فان جمعية زينهونغ، المنظمة المرتشية التى تضم جماهير واسعة، تعمل فـى مناطق عديدة داخل البلاد. ومن اجل اجتذاب كل قطاعات الجماهير الى جانبنا، لا بـد لنا من التغلغل فى هذه الجمعيـة ايضـا. فـاذا استطعنا تثوير اعضـائها بهذه الطريقـة، فـاننى اعتقد بـان طابعهـا سـيتبدل تـدريجيا بمـا يتفـق وروح البيـان التأسيسـى لجمعيـة استعادة الوطن، والشـىء المهم فى هذه الحالـة هو المضـمون ولـيس الشكل. فـاذا كـان ذلك مفيدا لثورتنا، فمن واجبنا ألا نتقيد باسم المنظمة."

احس باك دال بتأنيب الضمير، وقال:

"بعد الاستماع اليكم، اصبحت متأكدا من ان اسلوب حركتنا يعانى مشكلة."

وقد اكتشفت من كلامه ان المناضلين داخل البلاد يعـانون مـن نقص ومحدوديـة

فى طريقة التفكير والممارسة. والخطأ الاكبر يتمثل فى تفسيرهم الدوغمائى للحركة القومية والحركة الشيوعية. فرفض الحركة القومية بمجملها واحتقارها يشكل انحرافا يساريا كان يقترفه فى ذلك الحين مدعو الشيوعية وانصار الجمود العقائدى الماركسى الذين اعتادوا ابتلاع الماركسية – اللينينية كاملة دون مضغها.

بعد ان عدت الى التأكيد على انه لا يوجد لدى الشيوعيين الكوريين قضية اكثر اهمية من التحرر الوطنى، اضفت قائلا انه لا يمكن ان تتواجد الحركة الشيوعية المعزولة عن الامة ولا حاجة الى مثل هذه الحركة.

"ان مفهوم الامة الذى نتحدث عنه لا يشمل العمال والفلاحين وحدهم، وانما كذلك جميع قطاعات الجماهير الاخرى المحبة للبلاد والامة وللعمل الخلاق ومستقبل الوطن المحرر. وهذه هى بالضبط القاعدة التى يمكن من خلالها تعبئة الامة كلها وضمها الى جمعية استعادة الوطن. وبالتمسك بهذه القاعدة، يتوجب علينا ان ندفع الى العمل جميع الناس الذين يمكن دفعهم من اجل حرية كوريا واستقلالها. يتوجب علينا ان نحقق استقلال كوريا بالقوى الذاتية للامة، وليس بالاعتماد على القوى الخارجية، وعندما نعبئ الامة كلها بالاستناد الى فكرة السيادة والاستقلال هذه، سنتمكن حينئذ فقط من اخراج مصير كوريا من المعضلة."

وعلى الرغم من ان باك دال كان رجلا اقترف الكثير من الجمود العقائدى فى التفكير والممارسة، الا انه اعترف بذلك بجرأة وتقبل ما طرحته عليه بنفس راضية.

اقترحت عليه تحويل لجنة عمل كابسان الى منظمة فرعية تابعة لجمعية استعادة الوطن واستبدال اسمها ليصبح اتحاد التحرر الوطنى الكورى. وقد تقبل اقتراحى على الفور.

كرسنا ساعات طويلة لمناقشة واجبات هذا الاتحاد فى توسيع شبكة الجمعية داخل كوريا وتحديد اجراءات لنقل ذلك الى حيز الواقع. وكنا نتناقش فى العراء احيانا ونحن نتدفأ قرب نار الموقد. وقد توصلنا خلال وجوده فى المعسكر السرى الى تفاهم تام وتطابق فى وجهات النظر حول كل المسائل التى ناقشناها، ومنها توسيع المنظمة الحزبية داخل الوطن، ومساعدة الجيش الثورى الشعبى الكورى،

والتغلغل فى اجهزة الحكم المعادية، وضمان امن الثوريين داخل البلاد، واسلوب ومكان الاتصال التالى، وكلمة السر وعنصر الاتصال.

لقد كان اكثر ما اثر بى من باك دال هو صراحته وتواضعه وسلوكه المخلص تجاه الثورة. كان يعرف كيف يعبر دون مواربة عما يعجبه وعما لا يعجبه. بشكل عام، هنالك اناس يعربون عن اعجابهم بما لا يعجبهم فى الواقع، ويقولون جيدا عما يعتبرونه سيئا، وذلك لانهم يتملقون مستمعيهم والجو المحيط بهم. وعندما يتوجب وجود كثيرين ممن لديهم العزيمة والحماسة لقول الحقيقة، اسود او ابيض، حتى ولو اثار ذلك سخط مستمعيهم، نجد ان هناك من هم على النقيض من ذلك. ان من ينطق بعكس ما يؤمن به، او حسب الظروف، محاولا تملق رؤسائه، لا يمكن ان يكون مرؤوسا مخلصا، وانما هو خائن. ولا يمكن لفم الخائن ان ينطق بالحقيقة.

وبالرغم من ذلك كله، تحدث باك دال دون تردد عما لا يعجبه. اعترف بان هذه الصفة لديه قد فتنتنى تماما وجعلتنى ارى ان الانجذاب نحو شخص لا يكون منشأه شيئا معقدا ومثيرا او تشدقا وأبهة. ان نقطة الجاذبية فى الانسان تتمثل فى ما هو اكثر بساطة وعادية وتواضعا وصراحة.

ان زونغ زون تايك، الذى كان اول رئيس للجنة الدولة للتخطيط فى حكومة جمهوريتنا، وبالرغم من كونه مثقفا ينحدر من البرجوازية الصغيرة وهدفا للمعارضة السياسية العنيدة من جانب الفئويين، كان لا ينطق الا بالحقيقة امامى. ففيما يتعلق بتنفيذ السياسة الاقتصادية، كان يدافع دائما عن الامكانيات الواقعية، ولم يتصرف بطريقة اخرى فى اى حال من الاحوال. وعلى افتراض انه شعر بالقلق لاننى قد اكون وجهة نظر خاطئة حول احد حقول الانتاج بعد الاستماع الى تقرير مزيف، كان يهرع الى مكتبى ويوضح لى الحقيقة الملموسة، حتى ولو اضطره ذلك الى الانتظار اربع او خمس ساعات. وبفضل مساعدته تلك، استطعت ان اعرف مجمل اوضاع الحياة الاقتصادية فى البلاد واوجهها الوجهة الصائبة.

يقال انهم كانوا يختارون الموظفين فى غابر الازمان، لكونهم فى المقام الاول، من نسب راق؛ وثانيا، لجمال مظهرهم؛ وثالثا، لرقة اصواتهم. ولهذا، كان ذوو

المنشأ الفقير، والاجساد غير المتناسقة، واللهجة القاسية، لا يستطيعون احتلال المركز الاول فى الامتحان الحكومى المخصص لانتقاء الكوادر، حتى وان كانوا يتمتعون بكفاءات عالية.

وقد كان جدى لأمى ينصح دائما بالقول:

"يجب ترقية الناس فى وظائفهم حسب كفاءاتهم وخصالهم، وليس حسب نسبهم او ممتلكاتهم او مظهرهم الخارجى او لهجتهم."

لقد جعلنى باك دال اتذكر هذه الكلمات رغما عنى. واكرر القول انه وان كان ذا مظهر متواضع، الا انه كان رجلا ثابت الارادة ومنفتحا وصريحا ونزيها، لا يعرف الغرور ولا الشكليات. واذا اردنا التعبير، كما يفعل الناس الآن، فقد كان دون ريب رجلا يستحق ان يحفظه الآخرون فى قلوبهم.

"ثق بى ايها القائد. فحتى لو تمزق جسدى عشر مرات، او حتى مئة مرة، فاننى سأقاتل من اجل استعادة الوطن ممتثلا لافكارك. لا تقلق بشأن لجنة العمل الحزبى داخل كوريا او اتحاد التحرر الوطنى الكورى."

بعد ان قال هذا، غادرنا. ولكى ينفذ ما وعد به رجال الشرطة، عاد الى قرية لى زى سون، وحمل عربة بفول الصويا الذى تنتجه منشوريا، ووزعها على رجال الشرطة عند عودته اليهم.

فى شهر كانون الثانى ١٩٣٧، دعا باك دال الاعضاء القياديين فى لجنة عمل كابسان الى اجتماع لتحويل اللجنة الى اتحاد التحرر الوطنى الكورى، وقد تم فى ذلك الاجتماع تبنى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن ليكون برنامجا للاتحاد. كما ناقش المجتمعون فى الوقت نفسه الاجراءات اللازمة لتجسيد خط الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، اضافة الى عدة مسائل عملية اخرى، مثل توسيع صفوف المنظمة فى منطقة كابسان لتصل الى كافة ارجاء المحافظة والبلاد؛ واتخاذ الاحتياطات الصارمة للحيلولة دون تغلغل العناصر الفئوية الى داخل الاتحاد؛ والمحافظة المتشددة على الاسرار؛ وتثقيف اعضاء الاتحاد؛ واصدار مطبوعة باسمه وغير ذلك من المسائل.

لقد كانت اعادة تنظيم لجنة عمل كابسان وتحويلها الى اتحاد التحرر الوطنى الكورى حدثا آخر مهما وعميق المغزى فى تاريخ جمعية استعادة الوطن. فقد شكل الاتحاد معينا لتوسع منظمة الجمعية الى اعماق كوريا.

بعد ذلك الاجتماع، حدث تغيير فى طريقة تفكير واسلوب عمل الشيوعيين فى منطقة كابسان.

فقد استفادوا من مطبوعة "هوازونمين" لسان حال اتحاد التحرر الوطنى الكورى، فنشروا مقالات حول خطنا ووزعوها فى اوساط منظماتهم الدنيا. وفى كابسان واماكن اخرى فى محافظتى هامكيونغ الشمالية والجنوبية، انتشر خطنا وتوجيهاتنا بسرعة، وتأسست فى الوقت ذاته منظمات جمعية استعادة الوطن. لقد اخذت شعلة النضال المناهض لليابان تتأجج بعنفوان لم يسبق له مثيل.

فى شهر ايار ١٩٣٧، التقيت مرة اخرى مع باك دال. كان ذلك حين اصبح الوضع فى منطقة كابسان رهيبا جدا بسبب تقدم وحدة تشاى هيون نحو موسان. فقد انتشرت على امتداد الحدود من جديد مواقع الحراسة الصارمة، حتى لم يعد يسمح لفأر بالمرور.

ومع ذلك، تمكن باك دال من اقناع الشرطة هذه المرة ايضا، وخرج من قريته بطريقة شرعية لزيارتنا.

وقد استمر النقاش مطولا، وانتقل من مناقشة الوضع الداخلى فى كوريا الى البحث فى نتائج النشاطات التى جرت.

لقد جعلنا تقرير باك دال حول الحركة داخل البلاد نشعر بقدر عظيم من الرضى. فشبكة منظمات جمعية استعادة الوطن تفرعت بسرعة بفضل النشاطات المتحمسة التى يبذلها المناضلون الطليعيون فى اتحاد التحرر الوطنى الكورى. فقد كانت الشبكة تمتد الى المناطق الهامة البعيدة على ساحل البحر الشرقى، مثل سونغزين وكيلزو ودانتشون وهونغوون، ناهيك عن كابسان واماكن اخرى من محافظة ريانغكانغ الحالية. اضف الى ذلك ان اسلوب النضال كان يكتسب تحسنا ملحوظا.

اريناه رشاشين خفيفين كنا قد حصلنا عليهما كغنيمة فى معركة. ومازلت اذكر

حتى الآن صورة باك دال السعيد وهو يداعب الرشاشين بيديه.

لقد اقنعنى اللقاء مع الرفاق القادمين من داخل البلاد بانهم لن يتخلصوا من حصار ضيق يرون من داخله المسألة بصورة تقتصر على المظهر الوطنى للحركة، وانهم غير قادرين على تحليلها برؤية واسعة على المستوى العالمى. وقد استفدت ساعات طويلة فى توسيع افق رؤيتهم، بحيث يتمكنون من رؤية مسألة الثورة الكورية بارتباطها بالظروف الدولية التى تحيط بها، او بمعنى آخر، بارتباطها بالاممية الشيوعية والحزبين الشيوعيين فى الصين واليابان، وبالاحداث الجارية فى العالم. وقد كان هذا حيويا من اجل تنشيط عملهم داخل كوريا.

لقد كان الوضع الدولى حينئذ متقلبا جدا.

فبينما كانت القارة الاوروبية تلتهب بنيران الحرب الاهلية الاسبانية، كانت افريقيا تهتز بفعل الاحتلال الايطالى لاثيوبيا. ويمكن اعتبار هذا الاحتلال، الى حد ما، اكثر اشكالية من الحرب فى اسبانيا. فمع ان هذه الحرب كانت تبدو ذات طابع دولى، الا انها لم تتعد كونها اقتتالا اخويا. اما احتلال ايطاليا لاثيوبيا فكان يمثل اعتداء قوة عظمى على امة ضعيفة. وما دار فى هذا الشأن آنذاك يتلخص بان القوتين العظميين المفترستين، انكلترا وفرنسا، شجعتا الاحتلال، اما عصبة الامم بشكل خاص، فلم تتخذ اى اجراء فعال، مسلمة بذلك اثيوبيا كلها لتكون ضحية الغزو.

لقد جاء اعتداء اليابان على منشوريا وظهور السلطة النازية فى المانيا، ليشكلا خلفية دولية للعمل القرصانى الوقح الذى اقدمت عليه ايطاليا. فما ان اعتلى هتلر السلطة، حتى بدأ باقامة امبراطورية المانية عظمى. ومع ان الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا والقوى الرأسمالية الاخرى ابدت قلقها لظهور السلطة الهتلرية، الا انهم تعاطفوا مع سياستها المعادية للشيوعية وابدوا الكرم تجاهها، وكانت نيتهم هى استخدام القوات المسلحة الالمانية كجدار لكبح القوى الشيوعية وقد استمدت المانيا الفاشية التشجيع من ذلك، فالحقت بها منطقة الالزاس الفرنسية فى شهر كانون الثانى ١٩٣٥، وفى شهر آذار من السنة نفسها، الغت من جانب واحد البنود العسكرية فى معاهدة فرساى التى فرضت على المانيا دفع تعويضات الحرب الباهظة ومنعتها من

امتلاك اكثر من مئة الف جندى، ومن امتلاك دبابات وطائرات وسفن حربية تزيد حمولتها على الف طن. وبعد الغاء تلك البنود، اعلنت المانيا الهتلرية رسميا عن "قانون تشكيل جيش الدفاع الوطنى" الذى يضم ٥٥٠ الف جندى دائم، موزعين على ٣٦ فرقة من خلال تطبيق نظام التجنيد الالزامى. واعلن غورنغ عن تشكيل القوات الجوية الالمانية. وكان كل تحرك تقوم به المانيا النازية عاملا مهما فى حث ايطاليا وتشجيعها على اقتراف عدوانها المسلح ضد اثيوبيا.

ومن اجل ايجاد ذريعة للغزو، افتعلت ايطاليا نزاعات عسكرية متعددة الاشكال ضد اثيوبيا.

وبالنظر الى هذا الوضع المتأزم، حيث كانت ايطاليا تعد العدة لعدوان عسكرى ضخم، تقدمت اثيوبيا بشكوى الى عصبة الامم بصفتها بلدا عضوا فيها. ولكن عصبة الامم لم تبد اى اهتمام بالامر. اما انكلترا وفرنسا اللتان كانتا تلعبان دورا هاما فى تلك المنظمة الدولية، فلم تبذلا اى مسعى لمواجهة ايطاليا بشأن المسألة الاستعمارية، ما دام سلوكها لا يسبب ضررا كبيرا لمصالحهما. واصلت اثيوبيا دعوتهما بالتدخل كوسيطين. وقد ذكرت الاشاعات ان امبراطور اثيوبيا استنهضهم بعينين دامعتين لكى يساعدوه فى احدى جلسات الجمعية العامة لعصبة الامم فى مقرها بجنيف. بل انه بعث كذلك برسالة الى الولايات المتحدة، التى لم تكن عضوا فى المنظمة الدولية، مطالبا اياها بممارسة نفوذها على ايطاليا، ولكن الولايات المتحدة لم تبد استجابة لمطلبه ايضا، واتبعت سياسة انعزالية من خلال تطبيقها "قانون الحياد".

وفى شهر تشرين الاول ١٩٣٥، داهمت ايطاليا اثيوبيا حتى دون اعلان للحرب. وقد تم الحاق الهزيمة باثيوبيا، على الرغم من المقاومة الباسلة التى ابداها جيشها وشعبها.

ولم تتوقف عصبة الامم عند حد عدم فرض اى عقوبات فعلية على ايطاليا، بل انها غضت النظر عن الواقع الواضح المتمثل بان انكلترا وفرنسا تقدمان الاسلحة لايطاليا من وراء ستار التقيد الاقتصادى المفرض اسميا. لقد تجسدت صحة المثلين القائلين: ان الطيور على اشكالها تقع، والكلب لا يعض اخاه.

انهارت سمعة عصبة الامم الى الحضيض. ولم يكن هناك بالتأكيد اى مبرر للاستغراب، لانها كانت تقف دائما الى جانب القوى الامبريالية، حيث كانت على الدوام وسيلتهم للعدوان. ففى زمن تأسيسها، دعمت بالكامل اعادة توزيع المستعمرات على شكل "اقتسام الاراضى الموضوعة تحت الانتداب"، ومارست سياسة سافرة فى العداء للسوفييت. وحتى الآن مازال الوعى العالمى يتذكر جيدا دفاعها الوقح عن الاعتداء الامبريالى اليابانى ضد منشوريا. كما انها لم تعمل على منع احتلال المانيا الفاشية للالزاس، ولم تحل دون تدخل المانيا وايطاليا المسلح فى اسبانيا. والاسوأ من ذلك كله انها لم تصدر ولو بيان استنكار لهذه الاعتداءات. وكمنظمة دولية مهمتها حفظ السلام فى العالم، لم تبد اهتماما كذلك بالغزو الذى شنته المانيا فيما بعد ضد النمسا وتشيكوسلوفاكيا، مقدمة بذلك الدعم والتشجيع.

ان التبدل المفاجئ فى الوضع الدولى، والذى امتاز بالاشتداد المتزايد لجور القوى الفاشية والعسكريتارية، وعجز عصبة الامم، اشار بوضوح للشيوعيين الى انه لا بد لهم من قيادة نضال التحرر الوطنى عبر طريق الاستقلالية، وبالاعتماد على قواهم الذاتية.

عدت الى اللقاء مجددا مع باك دال، فى الوقت الذى كان فيه عدوان الامبريالية اليابانية ضد اراضى الصين الرئيسية يمثل المشكلة الراهنة.

فقد ادت "حادثة هوابى" عمليا، الى تحويل هذه المنطقة الى عالم خاص بالامبريالية اليابانية.

فبعد "الحادثة" المذكورة، عجلت الامبريالية اليابانية من زيادة تسلحها واستعدادها للحرب. وفى شهر آب ١٩٣٦، حددت حكومة هيرودا السياسة الاساسية للدولة باحتلال موقعها فى آسيا الشرقية، والتقدم فى الوقت نفسه نحو جنوب المحيط الهادى. وقد شكل ذلك توجها استراتيجيا من اجل غزو الصين بالكامل، والتوجه فى الوقت نفسه نحو الشمال ضد الاتحاد السوفييتى، ثم نحو الجنوب بعد ذلك باستغلال اول فرصة سانحة.

استمع باك دال وشيوعيون آخرون من داخل البلاد باهتمام كبير الى تحليلنا للوضع الدولى.

كلفتهم بمهمة العمل على تنظيم القوى بدقة لان هناك ادلة تشير الى اقتراب اقدام الامبريالية اليابانية على افتعال الحرب فى الصين، ووجوب تشديد النضال ضد هذه الامبريالية بالاستفادة الفعالة من الوضع السائد.

قلت لهم موضحا:

"ان اليابان تقوم بتحرك مشبوه. وستقدم، عاجلا او آجلا، على شن حرب واسعة النطاق ضد الصين. وهذا سيكون فرصة مؤاتية لنضالنا. صحيح ان شن تلك الحرب سيجعل اليابان تزيد من نهبها والضغط على رقابنا، الا انه سيتشكل فى مؤخرتها مع ذلك فراغ كبير، وكلما وسعت اليابان من حدود تواجدها، كلما فتحت امامنا امكانية العمل بحرية فى مناطق واسعة. وبالتالى، عليك يا باك دال ان تستعد جيدا للمبادرة فى مواجهة الوضع الجديد. عليك ان تكسب مزيدا من القوى المناهضة لليابان عن طريق الادارة الفعالة لاتحاد التحرر الوطنى الكورى، وان تتخذ فى الوقت نفسه الاستعدادات المناسبة من اجل القيام بانتفاضة."

بعد ذلك، وقبل ان يغادر المعسكر السرى، كلفته بمهمة اخرى خاصة تتمثل فى رسم خريطة لمدينة بوتشونبو وارسالها الى، وكذلك التقصى بالتفصيل عن حالة الحراسة على الحدود وابلاغى بذلك. وقد انجز هذه المهمة بمسؤولية. وقد اسهمت الخريطة والتقارير التى ارسلها الينا بدور كبير فى ضمان انتصارنا فى معركة بوتشونبو.

بعد خمسة ايام من هذه المعركة، بعثت اليه مراسلا وحددت موعدا للقاء به، ولكننى لم استطع الاجتماع معه للاسف لاننا كنا قد انسحبنا باتجاه جيانسانفينغ على رأس الوحدة. ذلك ان هيئة الحاكم العام فى كوريا سارعت بعد تعرضها لضربة ساحقة فى بوتشونبو الى عقد اجتماع استثنائى، وضعت فيه برنامجا لشن هجوم "تأديبى" كبير ضدنا عن طريق تعبئة الفوج ٧٤ فى هامهونغ والقوات المرابطة فى محافظة تشانغباى والشرطة العاملة داخل كوريا.

ومع اننى استدعيت باك دال مرة اخرى فى شهر تموز من السنة نفسها، الا ان لقاءنا لم يتم ايضا لان العدو قام باعتقاله. وقد جاء لى بيونغ سون لاطلاعى على خبر اعتقال باك دال وعلى وضع الحركة الثورية داخل البلاد.

طلبت منه ان يقيم لنا اتصالا مع شيوعيى مناطق ميونغتشون وسونغزين. كما كلفته بمهمة تنظيم وحدة حرب عصابات انتاجية داخل البلاد.

وقد انتقلت هذه المهمة فيما بعد الى باك دال، لدى خروجه من السجن.

فى شهر حزيران ١٩٣٨، هام باك دال على وجهه، كما قيل لى، لفترة لا تقل عن شهر فى غابة تشانغباى، وكان يبحث عنا للاستماع الى نصائحنا فيما يتعلق بالاجراءات اللازمة لمواجهة الوضع غير المؤاتى، حيث كان القمع يشتد ضد المنظمات داخل البلاد.

وقد وصلنى هذا الخبر فى وقت متأخر جدا، لانى كنت اعمل آنذاك فى منطقة رينتشيانغ ومينغتشيانغ.

كانت الشرطة اليابانية تعمل بكل هستيرية من اجل القاء القبض على باك دال وغيره من عناصر نواة اتحاد التحرر الوطنى الكورى. وكان تشاى ريونغ الشرطى الكورى فى مركز شرطة هيسان يلاحق باك دال، معبئا فى ذلك رجال الشرطة الذين يرتدون الملابس المدنية، وفرقة الدفاع الذاتى، بل وفرقة الاطفاء ايضا.

وفى شهرى ايلول وتشرين الاول من عام ١٩٣٨، اعتقل العدو كلا من باك دال وكيم تشول اوك على التوالى، وذلك بوشاية من كيم تشانغ يونغ، ابن عم الثانى منهما. كما جرى بعد ذلك اعتقال لى ريونغ سول (لى كيونغ بونغ).

وقد طبق الجلادون على باك دال اساليب تعذيب لم يعرف لها مثيل. كانوا يريدون معرفة مكان وجودنا وقائمة اسماء اعضاء منظمة اتحاد التحرر الوطنى الكورى. ولكن جميع اساليب التعذيب لم تستطع ثنى ارادة باك دال الفولاذية. ثم حكموا عليه بالاعدام، ولكن عدم توفر الادلة جعلهم يصدرون عليه بعد ذلك حكما بالسجن المؤبد.

لقد تحطم جسد السجين فى غرفة التعذيب الى حد لا يمكن معه اصلاحه. فقد انكسر عموده الفقرى وعظم ساقه. ولكن روحه لم تتبدل مع ذلك ولم تلن. وقد تمكن وهو مقعد من تحمل عذابات سبع او ثمانى سنين فى السجن بأعجوبة لا يمكن لابناء الجيل الشاب الراهن حتى ان يتصوروها.

وفى احد الايام التى تلت التحرير، علمت انه خرج حيا من سجن سودايمون على حمالة. وقد بقى لبعض الوقت فى سيؤول، حيث كانت تعتنى به زوجته. وشخص الاطباء مرضه بانه التهاب فى النخاع. وفيما بعد، فحصه الدكتور تشاى وونغ سوك وصحح مرضه على انه سل فى النخاع الشوكى. وقد تلقى باك دال علاجا طبيا فى مستشفى سيؤول الجامعى.

ارسلت الى هناك مدير مكتب الشؤون العامة للجنة الشعبية المؤقتة لشمالى كوريا وكلفته بمهمة احضاره الى بيونغ يانغ. لقد كان باك دال فيما مضى رجلا قويا وصلبا مثل شجرة السنديان، وكان ممتلئا بالنشاط، حتى انه قطع فى ليلة واحدة مسافة عدة مئات ري، ولكن حين مثل امامى محمولا، كان مقعدا بائسا نصفه السفلى مشلول بفعل التعذيب، ولم يكن فيه اى ملمح من مظهره السابق. لقد كان جسده نحيلا وضئيلا بحيث يمكن حمله بيد واحدة.

ولكنه رغم حالته تلك، احتضننى بكلتا يديه من خاصرتى والدموع تنهمر من عينيه بغزارة. قال انه بعد ان رآنى حيا لم تعد لديه رغبة اخرى حتى ولو مات فى الحال. اما الاطباء الذين فحصوه فقد كان تشخيصهم لحالته اشبه باصدار حكم بالاعدام. اذ ان ايا منهم لم يتكلم عن امكانية انقاذه. فمنذ ان غادر بوابة السجن، كان شبح الموت يلاحقه.

وفرت له الاقامة فى بيت قريب من بيتى، واتخذت الاجراءات الدقيقة لشفائه. ووفرت له كل انواع الادوية ذات الفعالية الخاصة، وارسلت اليه كل الاطباء المشهورين وكلفتهم برعايته. وكنت ازوره وانا فى طريقى الى المكتب وعند عودتى منه لأطمئن على صحته. وحين علمت فى احدى السنوات بوجود بقرة حلوب فى ووسانزانغ بنامبو، امرت باحضارها لتقديم الحليب اليه. وبعد حرب الثلاث سنوات الضارية، امرت باقامة "جناح لباك دال" فى مركز النقاهة فى زوول، وخلال اقامته فى هذا المركز، كنت ابعث اليه من بيونغ يانغ طائرة محملة بالخضروات التى يحبها.

ومع ان باك دال كان طريح الفراش، الا انه كان يقول بقلق دائما: "على ان

استعيد عافيتى بسرعة لكى اساعد القائد، ولكن...". لقد بذل جهودا جبارة للتغلب على المرض الذى كان يشتد مع مرور الايام خاذلا جهود العاملين الطبيين المخلصة.

لقد كان مرضه خطيرا لدرجة لا يستطيع معها تحريك جسده. ولكنه كان يفاجئنا، رغم ذلك، باجهاد فكره دائما من اجل الحزب والثورة.

والواقعة التالية جرت، اذا لم تخنني الذاكرة، فى عام ١٩٤٩. كان باك دال يعيش حينذاك كناقه فى دار الراحة فى ووسانزانغ، وعلم ان بساتين الفاكهة فى المنطقة الريفية المحيطة تفقد التفاح بفعل الامراض والاوبئة بسبب عدم لف الثمار بالاوراق. فنظم العمل لصنع الاغلفة الورقية، بتعبئة نواب مجلس الشعب الاعلى القادمين من جنوبى كوريا، والذين كانوا يعيشون كمستجمين، وكذلك العاملين فى دار الراحة. وقد شارك هو نفسه فى صنعها وهو يستند الى لوح موضوع فوق صدره.

وحين كان يتلقى الرعاية الطبية فى زوول، بعد وقف اطلاق النار، قام بزيارة قرية مجاورة على دراجة ذات ثلاث عجلات ارسلتها اليه، واكتشف هناك وجود الكثير من الحبوب الضامرة فى سنابل الارز، لان البذور كانت مختلفة عن الصنف الذى اختاره الحزب. وقد التقط باك دال سنبلة تحتوى على عدد كبير من الحبوب الضامرة، ووضعها فى مغلف رسالة وارسلها الى قائلا انه لا يتم تنفيذ سياسة الحزب الزراعية بدقة.

فقمت فى احد الاجتماعات التى تلت ذلك بتوجيه الانتقاد الى كوادر تلك المنطقة، وسألتهم لماذا لم ينتبهوا الى تلك الظاهرة، بينما استطاع اكتشافها جريح يلازم الفراش مثل باك دال، ونقل الامر وهو حزين جدا الى لجنة الحزب المركزية. وقد علمت بعد ذلك ان رئيس لجنة الحزب فى محافظة هامكيونغ الشمالية زار باك دال واعتذر منه.

وحين ايقن انه لا امل له فى الشفاء، وانه يعيش ايامه الاخيرة، بدأ يكتب وهو فى فراشه كتبا تفيد فى تربية الاطفال والشباب.

عندما علمت بذلك، اسرعت اليه وطلبت منه ان يتخلى عن هذا العمل المجهد.

فامسك باك دال يدى بقوة وقال: لقد استطعت البقاء على قيد الحياة حتى الآن،

بفضل رعاية القائد المفضال؛ فانى لن اشعر براحة الضمير واعيش لوقت اطول ما لم اقدم بعض المساهمة فى الثورة؛ حتى حين لم اكن اقوم بواجبى كعضو فى لجنة العمل الحزبى داخل البلاد وكمسؤول عن اتحاد التحرر الوطنى الكورى، فقد تم اعتقالى على يد شرطة الامبريالية اليابانية، واصبحت مقعدا فى النهاية، لا افعل شيئا سوى استهلاك الاغذية التى تقدمها لى الدولة؛ ومن اجل انجاز هذا الواجب الثورى، سأبذل جهودى حتى وان كانت ضئيلة. لهذا ارجو ألا تمنعنى من ذلك.

ثم قال باصرار:

"لقد كان اوستروفسكى ضريرا، ولكنه كتب مع ذلك روايات طويلة من اجل الثورة. أليس كذلك؟ اما انا فنظرى سليم، فكيف لا استطيع الكتابة اذن؟ مما لا شك فيه ان نقص كفاءتى لن يتيح لى كتابة اعمال باهرة."

وبمساعدة زوجته هيون كوم سون التى خدمته طول حياته باخلاص، فكانت يديه وساقيه وممرضته، وبمساعدة العاملين الطبيين كذلك، بدأ كتابة مذكراته "الوطن اغلى من الحياة"، ورواية السيرة الذاتية الطويلة "الفجر" التى تعكس نضال الشيوعيين فى منطقة كابسان ابان النضال الثورى المناهض لليابان. ان اعماله التى كان يكتبها حرفا بعد حرف، ساكبا فيها دم قلبه، اثارت الانفعالات فى نفوس قراء كثيرين لما تتضمنه من اخلاص غير محدود للثورة.

وقد ارسل اليه قراء كثيرون رسائل ينقلون فيها تأثرهم بقراءتها ويعربون عن شكرهم له. وقد شجعته اقوالهم بانهم وجدوا فى اعماله رفيقا لا يثمن فى الحياة، والهمته كتابة عدة كتب اخرى متتالية.

وفى احد الايام، بعد ان امعن النظر فى سريره من عدة زوايا، وقاسه بمسطرة، قدم لزوجته ورقة سجل فيها بعض الارقام. وطلب منها صنع طاولة له وفق تلك الارقام، لكى يتمكن من الكتابة وهو على السرير.

وبعد ايام، تم ارسال طاولة جيدة اليه قام بصنعها احد النجارين.

داعب باك دال قوائم الطاولة بيده، وقال لزوجته: "انها جيدة الصنع. حافظى عليها جيدا. سأستريح الآن قليلا، وبعد ذلك سأكتب وانا مستند اليها".

ولكنه لم يستطع، للاسف الشديد، ان يستخدمها ولو مرة واحدة. فقد توقف نبض قلبه الذى كان يخفق بقوة وباخلاص متأجج للحزب والثورة، وللوطن والشعب. وقد اشاع خبر موته جوا من الحزن العميق فى كافة ارجاء البلاد.

عقدنا فى بيته جلسة لهيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب، وهو امر لم يعرف له مثيل فى التاريخ، واتخذنا قرارا باضفاء طابع وطنى على جنازته.

وحين كنا نودع الفقيد، لحقت بالتابوت. فانا الذى شعرت بالذنب لانى لم ارافقه حتى مكان بعيد عندما ودعته فى جبل بايكدو، رغبت حتى ولو فى تقديم ذلك الوداع الاخير له. لقد ذرفت دموعا كثيرة حتى تبلل المنديل. ولم استطع تناول الطعام، تماما مثلما جرى لى عند فقدان كيم تشايك. وربما كنت لن اشعر بمثل ذلك الحزن الكبير لو اننى رأيته يمشى على قدميه ولو مرة واحدة على ارض الوطن المحرر.

فيما بعد، اعدنا بناء بيته بالشكل الذى كان عليه فى قرية وونهونغ بقضاء بوتشون، حيث كان يقيم قبل التحرير، واقمنا امام البناء تمثالا له من البرونز. واعتقد انه كان اول تمثال من نوعه يقام لمناضل ثورى فى بلادنا.

بالرغم من ان باك دال فقد جناحيه فى المواجهة مع العدو، الا انه واصل النضال العنيد من اجل الثورة حتى اللحظة الاخيرة من حياته.

لقد كان حقا الممثل الشرعى للثوريين داخل البلاد، وكان اول من اندمج فى النضال المسلح المناهض لليابان وفى الثورة داخل البلاد بعد تقدم الجيش الثورى الشعبى الكورى الى جبل بايكدو، كما كان مندوبنا مطلق الصلاحيات داخل البلاد، وقد عمل وعانى من اجلنا اكثر من اى كان. واذا كنا قد استطعنا خلال وقت قصير ان نؤسس الحزب ونقيم الدولة المستقلة وذات السيادة، والغنية والمقتدرة، رغم الوضع المعقد الذى تلا التحرير، فان الفضل فى ذلك يعود الى المناضلين داخل البلاد من امثال باك دال.

٢ـ لجنة العمل الحزبى فى البلاد

لقد كان امتلاكنا لحزبنا الشيوعى المستقل الخاص بنا رغبة اجماعية لدى الثوريين الكوريين واحدى اكثر المهمات الاستراتيجية اهمية والتى طرحها الشيوعيون الشباب من الجيل الجديد حين بدؤوا النضال الثورى المناهض لليابان.

وعلى امتداد مسار هذه الحرب كنا نسعى لتجسيد الخط المستقل بخلق منظمات الحزب القاعدية، وهو ما يتلخص فى توسيع وتوطيد تلك المنظمات بضم المناضلين البارزين اليها، من الطليعيين المتمرسين والمدربين فى ممارسة النضال الثورى.

ان الجيش الثورى الشعبى الكورى الذى يشكل القوة الاساسية للثورة المناهضة لليابان، كان ايضا قوة رئيسية وقائدة فى انشاء منظمات الحزب، وفى النشاطات المكرسة لاتخاذ الاستعدادات التنظيمية والايديولوجية لتأسيس الحزب. وهذا النشاط الذى راح يتكثف طردا مع تنامى الوظيفة القيادية ودور لجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، شكل قوة دافعة جبارة قدمت دعما سياسيا قويا للنضال المسلح، فى الوقت الذى كان يعزز القيادة الحزبية لهذا النضال وقاعدته الجماهيرية من جهة، وعمل من جهة اخرى على توجيه الثورة الكورية بمجملها، وباتخاذ الكفاح المسلح كمحور لها، نحو صعود جديد.

ان العمل فى انشاء منظمات الحزب الذى دفع عجلته مناضلو الطليعة الشيوعية الذين كانوا يشاركون مباشرة فى النضال المسلح، فى النصف الثانى من الثلاثينات، شكل التوجه الرئيسى للحركة الشيوعية فى بلادنا ومثل الخط الشرعى بصورة لا سبيل الى دحضها.

لقد تقدمنا فى هذا العمل بمشقة، واجتزنا منذ البداية مسارا معقدا. والسبب فى ذلك يرجع الى الوضع الخاص لثورتنا والى مختلف المصاعب التى تبرز متتالية.

ففى نضال الشيوعيين الكوريين من اجل ان يكون لهم حزبهم الخاص، وجدوا

انفسهم مضطرين الى اختبار مشقات لا حصر لها، اذ كان عليهم ان يدفعوا ثمنا باهظا والتقدم عبر طريق من التسويف، فى الوقت الذى كان يمضى فيه آخرون عبر طريق مستقيم.

وفضلا عن انه كان علينا ان نواجه مصاعب كتلك التى كان يصطدم بها عموما مقاتلو المقاومة فى المستعمرات وهم يسعون لتأسيس الحزب، فقد فرض علينا وضعنا الخاص بكوننا نعيش فى ارض الغربة، ان نعانى كذلك محنا ومصائب لم يعرفها شيوعيو بلدان اخرى.

وكما قلت سابقا، فقد اقدمت الاممية الشيوعية فى عام ١٩٢٨ على الغاء اعترافها بالحزب الشيوعى الكورى، واصدرت تعليماتها حول اعادة تنظيمه وطلبت من الشيوعيين الكوريين المتواجدين فى منشوريا واليابان بالانضمام الى الحزبين الشيوعيين فى البلدين المعنيين احتراما لمبدأ حزب واحد فى بلد واحد.

كان هناك من تقبلوا هذا الامر كمصير محتوم يتوجب معه على الشيوعيين الكوريين ان يتقبلوا الاتجاه العام وينقادوا اليه بوداعة، فاختاروا الطريق السلبى بالدخول الى حزب بلد آخر على امل ان تصل اللحظة المؤاتية، وكان هناك من استاؤوا من اجراء الاممية الشيوعية الذاتى، فمضوا فى عكس اتجاه ذلك الاجراء، وواصلوا لبعض الوقت حركتهم بثبات، دون ان ينقلوا عضويتهم الى حزب البلد الذى يقيمون فيه. ولكن هؤلاء الرجال الذين كانوا يعملون وفق العادة وبشكل مشتت، لم يستطيعوا الحفاظ على موقفهم ذاك لوقت طويل، وانتهوا جميعهم الى الانهيار.

يمكن للشيوعيين فى بعض الحالات الضرورية ان ينضموا مؤقتا الى حزب بلد آخر. فحيث ان الحركة الشيوعية هى حركة وطنية واممية فى الوقت نفسه لان عنوانها الاساسى هو التضامن الطبقى، فليس من المستغرب، من كافة وجهات النظر، ان يناضل من يعملون فى هذه الحركة لبعض الوقت ضمن صفوف منظمات الحزب فى بلد آخر، بغض النظر عن جنسيتهم.

فعندما كان مقر الاممية الشيوعية فى موسكو، قام عدد كبير من قادة الاحزاب الشيوعية فى بلدان مختلفة وكذلك اللاجئين السياسيين المقيمين هناك بالانضمام

والعمل فى صفوف الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى، مع احتفاظهم فى الوقت نفسه بالعضوية فى منظمات بلدانهم.

ولكن المشكلة كانت تتمثل فى واقع ان حرمان الاممية الشيوعية للشيوعيين الكوريين من منظمتهم الهادية، ادى الى الالقاء بهم فى وضع مذل حقا والعيش حياة بائسة فى بيت غريب.

لهذا السبب بالذات، اعتبرنا منذ البداية ان اجراء الاممية الشيوعية لم يكن عادلا. ولكننا لم نفرط مع ذلك فى الهياج، ولم نقدم كذلك على اقتراف اعمال التخلى التام كالانحراف او رفض الحركة الشيوعية نفسها. بل تقبلنا قرار الاممية الشيوعية كاجراء مؤقت، وسعينا جاهدين دون كلل من اجل خلق حزب من نمط جديد بقوانا الذاتية ومبادرتنا.

فقد عمدنا اولا، وضمن الاطار الذى يسمح به مبدأ الاممية الشيوعية، الى دفع عجلة الاستعدادات من اجل بناء حزبنا الخاص، بينما نحن نبحث دون هوادة عن المناهج المناسبة للواقع الملموس للثورة الكورية. ويمكن القول ان نقطة انطلاق حزبنا تمثلت فى جمعية تلاحم الرفاق، التى كانت مؤلفة من الاعضاء الطليعيين فى منظمة "ت. د".

ولكن، فى النصف الاول من عقد الثلاثينات، حين كانت الوحدة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى تعمل فى منشوريا الشرقية والشمالية، كانت جهودنا فى انشاء منظمات الحزب تصل بصعوبة الى عمق البلاد.

لقد كنا قد انشأنا فى ذلك الحين بالطبع عددا من منظمات الحزب القاعدية فى اونسونغ وزونغسونغ وانحاء اخرى من البلاد، على ضفاف نهر دومان. ولكن منشوريا الشرقية كانت، رغم ذلك، هى المنطقة الرئيسية لنشاطات شيوعيى الجيل الجديد من اجل بناء تلك المنظمات. ففى الوقت الذى كنا نوجه فيه اهتمامنا الاساسى الى توطيد اللجنة الحزبية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، كنا نوسع منظماتنا الحزبية ونهيئ عناصر النواة الذين سنحتاج اليهم فيما بعد من اجل انشاء تلك المنظمات باعداد واسعة فى البلاد، وكنا نقوم بذلك كله بترابط وثيق مع منظمات الحزب فى كل محافظات تشينتاو.

وفى اجتماع دونغكانغ، فى ايار ١٩٣٦، وباستلهام روح اجتماع نانهوتو، قمنا بتعميق التوجه لانشاء منظمات الحزب وناقشنا الاجراءات التى يتوجب اتخاذها لتحقيق ذلك. كما طرحنا المهمات الهادفة الى الاعداد الكامل، فى البلاد، للمرتكزات التنظيمية والايديولوجية من اجل تأسيس الحزب. وكاجراء لتنفيذ ذلك، قررنا انشاء لجنة العمل الحزبى داخل البلاد وناقشنا امكانية توسيع منظمات الحزب الطليعية بضم اعمدة النضال الثورى اليها.

وقد جرى التأكيد فى الاجتماع، اساسا، على المسائل التالية: ان العمل على انشاء منظمات الحزب يجب ألا يقتصر على قوات حرب العصابات او على شمال شرقى الصين، وانما يجب القيام بهذا الاعداد للاسس التنظيمية والايديولوجية من اجل تأسيس الحزب فى عمق البلاد ايضا؛ فاذا كان تشكيل منظمات الحزب القاعدية يقتصر حتى ذلك الحين على بعض المناطق الحدودية، على امتداد ضفة نهر دومان، فانه من الواجب، منذ الآن فصاعدا، اقامتها فى مناطق واسعة داخل البلاد؛ وانه من اجل القيادة الموحدة للاستعدادات الجارية فى البلاد لتأسيس الحزب لا بد من تنظيم لجنة العمل الحزبى داخل البلاد.

وكانت مسألة تأسيس هذه اللجنة مطروحة كضرورة حيوية كذلك من اجل تعزيز القيادة الحزبية لحركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان التى ستتوسع على مستوى البلاد كلها.

ومن اجل تشكيل هذه اللجنة بصورة مناسبة وبما يتفق مع الوضع الواقعى، وهى التى ستتولى تلك المهمة بالغة الاهمية، كان لا بد من تبادل الآراء بكل صراحة مع الشيوعيين داخل البلاد الذين يعرفون الوضع السائد مثلما يعرفون راحات اكفهم.

وقد كان وصول باك دال الى معسكرنا فرصة جيدة لاجراء هذا التبادل. وكان احد المواضيع الاساسية التى ناقشناها حينذاك هو تأسيس المنظمات الحزبية.

فبعد ان انتهينا من الحديث عن جمعية استعادة الوطن، ناقشنا بجدية، وطوال نصف نهار، مسألة اقامة المنظمات الحزبية داخل البلاد.

وعندما اعربت عن رأيى بان لا يقتصر عملنا داخل البلاد على انشاء منظمات

لجمعية استعادة الوطن وحدها، وانما منظمات الحزب الشيوعى ايضا، بدت المفاجأة على باك دال وسألنى عن اى حزب شيوعى اتحدث.

وقد بدا لى سؤاله طبيعيا. فقد كان من غير المفهوم على الاطلاق التحدث عن بناء منظمات للحزب الشيوعى فى بلد لا وجود فيه لهذا الحزب، وحيث ذهبت ادراج الرياح كل المبادرات لاعادة تأسيسه، كما ان جهود وطاقات المناضلين الذين قدموا من اجل هذه القضية تضحيات مؤلمة، بقيت مجرد ذكريات حزينة فى السجون، اضف الى ذلك ان القانون كان يحظر، ومنذ زمن بعيد، حرية انشاء الجمعيات. كل هذه الامور هى التى دفعت باك دال الى ذلك التساؤل او ربما الى الارتياب بما سمعته اذناه.

وما ان اوضحت له اننا ننوى اقامة منظمات لحزبنا الشيوعى الكورى، حتى عاد يسأل:

"وما رأى الاممية الشيوعية فى هذا الشأن؟ وبتعبير ادق، هل توافق الاممية الشيوعية على ذلك؟"

"بما ان الامر يتعلق بقضية داخلية تخصنا، فما هو شأن موافقة الاممية الشيوعية على ذلك؟ ليس هناك اى مبرر يجبرنا على تلقى موافقتها فى مسألة تأسيس منظماتنا الحزبية فى البلاد. ألا ترى ذلك؟"

هز باك دال رأسه بارتياب:

"ما دام الحزب الشيوعى فى كل بلد هو فرع اقليمى للاممية الشيوعية، فانه مجبر على تلقى التوجيه والاشراف منها. فكيف نجرؤ على بناء منظماتنا الحزبية دون مصادقتها؟ هل ستسمح لنا الاممية الشيوعية بالعمل على هوانا؟"

لم يكن ثمة شك فى ان باك دال قد وقع فريسة لطريقة التفكير الدوغمائية.

"الثورة فى الواقع هى عمل لا يقوم به المرء وفق توجيهات او موافقة من احد، وانما بمحض ارادته. واود ان اسألك امرا ايها الرفيق باك دال. هل تشارك انت نفسك فى الثورة مدفوعا من احد؟ وهل نظمت لجنة عمل كابسان بموافقة غريبة؟"

"لا، لا شىء من هذا القبيل."

"اذن، هل نال ماركس موافقة احد، حين اسس اتحاد الشيوعيين؟ ولينين... حين اسس الحزب البلشفى؟"

بقى باك دال صامتا، لا شىء لديه ليقوله.

"من المستغرب ان ماركس ولينين اسسا احزابا دون الحصول على الموافقة من احد، بينما لا نستطيع نحن عمل ذلك. لقد طرحت الاممية الشيوعية على الشيوعيين الكوريين فى اطروحتها الصادرة فى كانون الاول ١٩٢٨ مهمة اعادة بناء حزبهم. وبمقتضى شروط تلك الوثيقة نريد الآن تشكيل منظمات حزبية فى البلاد. فمن ذا الذى سيتجرأ اذن على لومنا؟ لا يمكن حتى للاممية الشيوعية ان تفعل ذلك. ففى مثل هذه القضايا لا يمكن الحديث عن امور مثل التصريح والمصادقة. انها مسألة ترتبط فى التحليل الاخير بحق الشيوعيين الكوريين فى السيادة. وحين نستطيع نحن انفسنا ان نحل المسألة الداخلية فى بيتنا، فلماذا يتوجب علينا ان نسأل الآخرين عن الطريقة التى سنتصرف بمقتضاها؟ اننا المسؤولون عن الثورة الكورية على اى حال، فما هو رأيك؟"

عندئذ فقط اعترف باك دال بانه كان قاصر الذهن واعرب عن اتفاقه التام مع موقفنا ومشروعنا.

"الحقيقة اننى كنت افكر حتى اليوم بطريقة سخيفة. فبدلا من ان اكون واعيا باننا المسؤولون عن الثورة الكورية، كنت اظن ان الاممية الشيوعية هى التى تقرر كل ما يتعلق بالثورة فى كل بلد. ولكننى اريد ان اوجه اليكم سؤالا آخر ايها القائد. فعندما تتشكل منظمات الحزب داخل البلاد، ماذا سيكون انتماؤها ومن الذى سيقودها؟"

"ستنتمى تلك المنظمات الى لجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، وهى ايضا التى ستقودها. ففى ظروف كوريا الحالية الخاصة، حيث لا وجود للحزب الشيوعى، فان لجنة الحزب فى الجيش الثورى هى التى ستتولى دور هيئة الاركان ومهمة قيادة الثورة الكورية بمجملها. فنشاطاتها محمية بثبات من قبل القوات المسلحة. ان السيطرة الوحشية التى تفرضها الامبريالية اليابانية بقوى الدرك

والشرطة، انتزعت كل امكانية لاعادة بناء الحزب فى كوريا. ومعظم المناضلين الذين انهمكوا فى مهمة اعادة بنائه، انتهى بهم المطاف الى غياهب السجون. والمنظمة الوحيدة التى بقيت بمنجى من براثن العدو هى لجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى التى تتمتع بضمانة السلاح. وفى ذلك يكمن السبب فى كونها تملك الصلاحية القيادية للثورة الكورية بمجملها. وكون هذه اللجنة تؤدى دور هيئة اركان الثورة هو النتيجة الحتمية لتطور الحركة الشيوعية فى بلادنا. ان التاريخ يفرض علينا تولى هذه المهمة. ولجنة العمل الحزبى داخل البلاد التى ستتشكل، ستحظى بالحماية المسلحة."

ظهرت ابتسامة سعادة على محيا باك دال، وقال:

"يكفى، لم اعد اريد توجيه المزيد من الاسئلة."

انتقلنا بعد ذلك لمناقشة مسائل عملية حول تشكيل لجنة العمل الحزبى داخل البلاد.

وفى هذه المرة بدأ باك دال بتوجيه الاسئلة ايضا. يبدو ان لديه عادة طرح الاسئلة قبل الدخول الى ميدان المناقشة.

"لقد بلغ الجدال اوجه فى البلاد الآن حول مسألة الاسبقية بين انشاء الحزب او انشاء المنظمات الجماهيرية. جماعة هامهونغ تعطى الاسبقية لتأسيس الحزب بينما تصر جماعتا دانتشون وهونغوون على تشكيل المنظمات الجماهيرية اولا، ثم تشكيل الحزب بعد ذلك فى سياق النضال العملى."

"وما هو رأيك انت يا رفيق باك دال؟"

"ليس لدى رأى محدد. فحسب الفهم العام، يتوجب تأسيس الحزب اولا... ولكننى لست متأكدا حتى من هذا الامر."

لقد كان يبحث عن سبب هذه المعضلة فى اطروحة الاممية الشيوعية الصادرة فى شهر كانون الاول. وقد كان العنوان الاصلى لتلك الوثيقة هو: "اطروحة حول مهمات الفلاحين والعمال الكوريين". وقد طلبت الاممية الشيوعية فيها من الشيوعيين الكوريين ان يعملوا بنشاط فى المنظمات العمالية والفلاحية، وان يبذلوا

جهودهم من اجل اكتساب مناضلين من جمعية سينكان وغيرها من منظمات التحرر الوطنى الجديدة والقديمة، وتركيز كل الاهتمام على تنشيط الوحدة الفكرية للحزب وايجاد كل الطرق الممكنة لاعادة تنظيم وتوطيد وتطوير الحزب الشيوعى الكورى فى اسرع وقت ممكن. ومع ذلك، فقد اعتقد بعض الشيوعيين ان الوثيقة تطرح مسألة اعادة تنظيم الحزب ومسألة تشكيل المنظمات الجماهيرية كمهمتين متزامنتين، وقد ادى ذلك الى نوع من الالتباس فى الفهم.

"حسب وجهة نظرى، فان هذه المسألة لا يمكن ان تكون موضع النقاشات. فترتيب الاولوية يفرضه الواقع والظروف الملموسة. ولا علاقة فى هذا المجال لوثيقة كانون الاول. ويمكن حل كل الامور بتشكيل المنظمات الحزبية او الجماهيرية اولا فى الاماكن التى تتوفر فيها الظروف المؤاتية لهذه او تلك. فحيث يوجد ولو ثلاثة اشخاص جديرين بان يكونوا اعضاء فى الحزب، يمكن تشكيل نواة منهم على الفور. اما اذا لم يكن هناك شخص واحد مثل هؤلاء، فيجب انشاء منظمات جماهيرية اولا، وبعد اعداد عناصر شيوعية فيها يمكن بناء منظمة حزبية. مما لا شك فيه ان المنظمتين مرتبطتان احداهما بالاخرى، ولهذا السبب لا يمكن التعامل معهما بفصلهما انفصالا مفتعلا. ولكن، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار، وبغض النظر عن ترتيب الاولويات، انه يتوجب على الشيوعيين ان يولوا اهتمامهم الكبير الى اعداد احتياطى الحزب من بين الجماهير. وكلما توفر لدينا مناضلون طليعيون، جديرون بعضوية الحزب، يمكننا ان نشكل منظمة حزبية فى اى لحظة."

اراد باك دال ان يعرف الوظيفة التى ستضطلع بها لجنة العمل الحزبى داخل البلاد التى افكر بانشائها.

فقدمت له شرحا مسهبا:

... انها جهاز قيادة منطقية فى البلاد، يتولى بصورة موحدة توجيه النضال الثورى ويتحمل مسؤولية تأسيس منظمات الحزب. فبسبب انعدام هيئة الاركان المتمتعة بصلاحية القيادة الموحدة، تعانى الحركة فى البلاد من نقطتى ضعف قاتلتين: التشتت والعفوية. ومن اجل جمع شمل القوميين الوطنيين والشيوعيين

العاملين المشتتين داخل البلاد فى قوة واحدة، واقامة اتصال مباشر فيما بينهم، لا بد من وجود جهاز قيادى يتولى وينفذ هذه المهمة. وهذا الجهاز بالتحديد سيكون لجنة العمل الحزبى داخل البلاد. وعندما تتشكل اللجنة، نفكر بان نضم الرفيق باك دال الى عضويتها. وعليه ان يتولى دور المندوب مطلق الصلاحية لهذه اللجنة داخل البلاد. ونرغب فى اللقاء مباشرة مع جميع المناضلين المتفرقين فى كل ارجاء البلاد، ولكننا مازلنا نفتقر الى الوقت اللازم لذلك. فأرجو من الرفيق باك دال ان يتولى لدى عودته الى البلاد اللقاء، اولا وقبل كل شىء، مع النشطاء فى محافظتى هامكيونغ الشمالية والجنوبية ومناطق اخرى، وان يدفع عجلة الاستعدادات لحشدهم فى منظمات الحزب داخل البلاد...

بعد ان استمع باك دال الى ما قلته، بدت على وجهه مظاهر القلق:

"اقول بصراحة اننى لا استحق كل هذه الثقة العالية. لست ادرى اذا ما كنت مناسبا لمثل هذه المهمة. ويبدو لى ان لدى قدرا غير ضئيل من العيوب."

لقد ضاعفت اعترافاته الصريحة من ثقتى به.

دعونا الى اجتماع للجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى وشكلنا لجنة العمل الحزبى داخل البلاد، وقد جرى اختيار كيم بيونغ وباك دال لعضويتها، وعينت انا رئيسا لها. وباعتبار باك دال عضوا منفذا على الارض، فقد تولى مهمة العمل لتشكيل منظمات حزبية فى مناطق مختلفة من البلاد بما فيها كابسان.

وقد ايد منهجنا الذى يتلخص فى بناء منظمات قاعدية داخل البلاد اولا، والاستناد اليها للعمل فيما بعد على تشكيل جهاز مركزى للاعلان عن تأسيس الحزب.

بعد انتهاء ذلك الاجتماع، رجانى باك دال اذا ما لوحظ قصور فى اساليب العمل فى البلاد او اذا ما كانت هناك مهارات جديرة باتخاذها كمرجع، لكى نشير اليها كلها.

اعربت اولا عن رأيى بوجوب التخلى عن اسلوب العمل على طريقة المنفيين.

"اننا نرى الرفاق داخل البلاد يتصرفون فى الوقت الراهن على طريقة

المنفيين، وهو امر غير مجد وضار تماما. فحيث انهم يلتجؤون فى النهار الى الجبال، ولا ينزلون منها الا خفية فى الليل ليلتقوا بالناس، فان اعضاء المنظمات يتجنبون اللقاء بهم خوفا من مراقبة العدو. من المستحيل توسيع المنظمات باتباع طريقة المنفيين هذه. ولا بد للرفاق الذين يمارسون النشاطات السرية فى المناطق التى يسيطر عليها العدو، من ان يستغلوا الى اقصى الحدود امكانيات العمل الشرعى من خلال المشاركة فى الانتاج. ويجب عليهم ان يتخلوا على الفور عن اسلوب العمل على طريقة المنفيين."

احمر وجه باك دال حين سمع رأيى، وقال:

"انا ايضا كنت اتصرف فى الواقع بهذه الطريقة. اننا نفكر فى المواجهة المباشرة وحدها، دون ان ندرك انه يجب علينا فى بعض الحالات الضرورية تطبيق اسلوب الالتفاف."

رحنا نتبادل الحديث لبعض الوقت، تاركين جانبا المحادثات الرسمية.

قلت له اننى لا استطيع ان اجد السبب الذى يجعله، وهو الذى يمقت العادات والتقاليد البالية، يقص شعره مثل كاهن بوذى حين ينتعل الآخرون احذية فاخرة مصنوعة من جلود الغنم، ويتركون شعورهم تطول كثيرا ويحملون العصى ليظهروا بمظهر الرجال الحديثين.

فاخبرنى باك دال انه فى الفترة التى شارك فيها فى الحركة النقابية، كان اذا وقع فى يد الشرطة، امسكه هؤلاء من شعره وضربوا رأسه بالجدار. وقد كان ذلك يغيظه كثيرا مما دفعه الى "جز الاعشاب الضارة"، وقد بدا لى تصرف باك دال فى "جز الاعشاب الضارة" ذكيا جدا. ولكنه اضاف قائلا انه مستعد لترك شعره يطول او ابقائه قصيرا اذا كنت اطلب منه ذلك.

"لا، لا حاجة الى ذلك. بما انك فعلت ذلك عن قناعة فلا لزوم الآن للعودة الى الحالة السابقة."

"اذا لم يكن لديك اعتراض ايها القائد، فسأبقى حليق الشعر مثل كاهن بوذى. فمن يضمن لى اننى لن ازور مراكز الشرطة مجددا؟"

وبالفعل، فقد كان عليه ان يتحمل آلاما كثيرة فيما بعد فى مراكز الشرطة والسجون.

سألته ان كان مستعدا للتقدم الى اختبارات، كاختبار الانضمام الى الشرطة، على سبيل المثال، اذا كان فى ذلك فائدة للثورة. فنظر الى بعينين مفتوحتين على اتساعهما من الذهول والاستغراب، وقال:

"هل تفكرون فى جعلى شرطيا؟"

"اذا تطلبت الثورة ذلك، فيجب ان تكون حتى شرطيا. ولكننى لا افكر فى الواقع بجعل الرفيق باك دال شرطيا. المهم هو ان تكسب ثقة مركز الشرطة، وليس مهما ان ترتدى الزى الرسمى او لا ترتديه من اجل ذلك."

بدت على وجهه ابتسامة الرضى:

"اننى على علاقة جيدة مع رجال الشرطة، ولكننى لم افكر مطلقا باجتياز امتحان القبول فى سلك الشرطة. سأجرب ذلك عند عودتى."

والواقع انه تقدم فى ربيع العام التالى الى تلك الامتحانات، وكان قد ذهب قبل ذلك لمقابلة آمر مركز الشرطة وقال له بافتخار:

"ايها السيد الآمر، انا ايضا ارغب فى ان اترقى كشرطى، ما رأيك؟ هل انا صالح لمثل هذا العمل؟"

لم يستطع آمر الشرطة مواراة انفعاله، فنهض واقفا دفعة واحدة:

"أتقول الحقيقة؟"

"ومن كل قلبى. لقد تجرأت على مقابلتك لانى اتخذت قرارا حازما."

"انت لست صالحا لان تكون شرطيا وحسب، بل انك رائع لهذا العمل. واذا ما قمت بخدمتك على احسن وجه، فانك ستترقى حتى تصل الى منصب آمر شرطة."

"لست اجرؤ على انتزاع المنصب من حضرتك. هل رأيت احدا بمثل هذه الوقاحة؟"

"لا تقل هذا الكلام. اننى مستعد للتخلى عن منصبى كآمر، اذا كان شخص مثل باك دال سيتحول الى مواطن يابانى مخلص. اننى افعل ذلك بطيبة خاطر من اجل

الامبراطورية اليابانية العظمى. ان تطلعاتك جيدة. فلتتقدم بأسرع وقت الى اختبارات القبول."

تحدث باك دال بصخب عن استعداده للتقدم الى اختبار الشرطة، واقدم على ذلك بالفعل، ولكنه كتب اجابات غير جيدة وغير سيئة. وبهذا انتهت لعبته، اذ جرى استبعاده مثلما كان يأمل. لقد تصرف بمهارة كبيرة وفق الخطة التى وضعناها. وفى احدى وثائق الشرطة السرية التى تضم معلومات عن باك دال، اضاف اليابانيون فقرة تقول: "فى آذار عام ١٢ شووا (١٩٣٧)، شارك من تلقاء نفسه فى امتحانات الشرطة فى كابسان بمحافظة هامكيونغ الجنوبية، ولم ينجح".

وبتقدمه الى امتحان الشرطة، حاز باك دال على ثقة اليابانيين. وقد كان فى مركز الشرطة فى المنطقة شرطى يدعى كيم، وكان يعتبر باك دال شخصا جيدا، وقد كفل اسباقياته عدة مرات. وتظاهر باك دال بانه مخلص للشرطة، وكان يعمل كل ما يرغب فيه بموافقتهم.

لقد كان للجنة العمل الحزبى داخل البلاد اهمية عظيمة فى الواقع للحفاظ على توجيهنا المستقل لتأسيس الحزب ودفع عجلة بناء منظماته داخل البلاد بنشاط.

وهذا لا يعنى المواصلة الصرفة او التكرار لعملية اعادة بناء الحزب التى بدأت على اثر حل الحزب الشيوعى الكورى، قامت بها فئات عديدة منقسمة على نفسها. ان عملية بناء منظمات الحزب التى جرت تحت قيادة هذه اللجنة، كانت هى وحدها فى الحقيقة، حركة اعادة تأهيل الحزب والنضال من اجل خلق منظمات الحزب المستقلة باخلاص، والتى تميزت بصورة جوهرية عن حركة اعادة بناء الحزب التى وجهتها الاممية الشيوعية نفسها او عن محاولة الاتحاد العمالى الاممى الاحمر (بروفينتيرن) لاعادة بناء الحزب عن طريق الحركة النقابية الحمراء.

فمع الدخول فى عقد الثلاثينات، بدأت الاممية الشيوعية تولى شيئا من الاهتمام لنضال التحرر الوطنى فى كوريا، وخصوصا لحركة اعادة بناء الحزب. وكان اهتمامها ذاك مرتبطا بحقيقة ان العسكرية اليابانية فى الشرق الاقصى كانت تتحول بسرعة الى قوة خطرة مثل الفاشية فى اوروبا.

وفيما يتعلق باعادة بناء الحزب الشيوعى فى كوريا، كان هناك فى الكومنترن عدة اشخاص، بمن فيهم كووسينين، قدموا اقتراحات بالاستناد الى وجهة نظرهم الشخصية.

والاقتراح النموذجى منها هو المشروع حول تأسيس الحزب الثورى الوطنى الكورى، الذى طرح للنقاش فى الفترة التالية للمؤتمر السابع للاممية الشيوعية. وعلى ما اذكر، فان شرحا مفصلا لرأى الكومنترن حول دعوة الحزب المذكور الى اثارة المقاومة المناهضة لليابان فى كوريا، وذلك فى عمل حول الجبهة المتحدة المناهضة للامبريالية فى منشوريا، نشره يانغ سونغ فى "الاممية الشيوعية".

لقد كتب يقول ان الوضع السائد فى تشينتاو يتطلب ضم اكبر عدد من العمال والفلاحين الصينيين والكوريين ذوى الروح الثورية الى صفوف منظمات الحزب الشيوعى الصينى من اجل توسيعه وتوطيده، والعمل فى الوقت نفسه من اجل تأسيس الحزب الثورى الوطنى الكورى، واشار الى ان المهمة الاكثر اهمية بالنسبة لهذا الحزب يجب ان تتمثل فى النضال المناهض لليابان من اجل استقلال كوريا، وانه لا يمكن لمؤسسيه الا ان يكونوا شيوعيين. ثم اكد بعد ذلك على انه لا بد لهذا الحزب من ان يتخذ طابع حزب الجبهة المتحدة المناهضة لليابان. ويمكن القول ان هذا الرأى يمثل وجهة نظر الاممية الشيوعية ووجهة نظر عاملى الحزب الصينى الذين كانوا يعملون اذ ذاك فى تلك المنظمة الاممية.

ومع ذلك، فقد توصلنا الى حل مسألة تشكيل منظمات الحزب والجبهة المتحدة حسب احكامنا وقراراتنا الخاصة.

فقد دفعنا عجلة تنفيذ المهمتين فى آن واحد، ولكننا لم نخلط بينهما. لان الحزب لا يمكنه ان يمثل باى حال من الاحوال الجبهة المتحدة، كما انه لا يمكن لمنظمة الجبهة المتحدة ان تعنى الحزب نفسه.

فى ذلك الحين، كان هناك بين الاستقلاليين من حاولوا تشكيل هيئة سياسية تجمع تحت اسم الحزب الوطنى الاوحد، كل القوى السياسية اليسارية واليمينية، اى ما يشبه الكومنتانغ فى الصين.

لقد دفعنا عجلة تأسيس منظمات الحزب الى الامام بتشكيلنا لجنة العمل الحزبى

داخل البلاد، وحققنا فى الوقت نفسه الوحدة الوطنية الكبرى عن طريق تأسيس جمعية استعادة الوطن باعتبارها منظمة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان.

وكانت الاممية الشيوعية قد حاولت بالطبع فى فترات سابقة، وبوسائل مختلفة، اعادة بناء الحزب فى كوريا.

ان "اطروحة حول مهمات حركة الجمعية العمالية الثورية فى كوريا" (المعروفة بالعنوان الشائع "اطروحة ايلول")، والتى نشرها فى شهر ايلول ١٩٣٠، المكتب التنفيذى للاتحاد العمالى الاممى الاحمر الخاضع لاشراف الكومنترن، عرضت مسألة تشكيل الجمعية العمالية الثورية كشرط لا بد منه من اجل اعادة بناء الحزب الشيوعى. واستنادا الى اطروحة ايلول هذه تحديدا، سعى الشيوعيون الكوريون جاهدين من اجل تشكيل الجمعية العمالية الثورية (الجمعية العمالية الحمراء)، واتخذوا منها قاعدة جماهيرية لدفع عملية اعادة تأهيل الحزب الشيوعى.

فى شهر تشرين الاول من العام التالى، قامت امانة الاتحاد العمالى لعموم الباسفيك، وهى فرع الاتحاد العمالى الاممى الاحمر فى شنغهاى، بالدعوة الى اعادة تشكيل الحزب الشيوعى باتخاذ الجمعية العمالية الثورية كقاعدة جماهيرية له. وقد صدرت دعوتها فى عبارات قوية وحازمة تضمنها نداؤها الذى يحمل عنوان "نداء مستعجل الى المتعاطفين الكوريين مع امانة الاتحاد العمالى لعموم الباسفيك" وهو النداء المعروف باسم "رسالة تايلاو فى تشرين الاول".

لقد كانت هذه الوثائق الصادرة عن الاتحاد العمالى الاممى الاحمر، جنبا الى جنب مع "ملاحظة حول الحركة الشيوعية الكورية" الصادرة فى ايار ١٩٣١ والمعروفة بملاحظة كووسينين، عضو اللجنة التنفيذية للكومنترن، هى الوثائق عالجت مباشرة، من حيث مضمونها، مسألة اعادة بناء الحزب الشيوعى الكورى.

وفى حزيران ١٩٣٤، صدر فى موسكو باسم جماعة المبادرين الى تأسيس الحزب الشيوعى الكورى "برنامج عمل الحزب الشيوعى الكورى"، وهى وثيقة يتوجب ادراجها ضمن الجهود الساعية لتحقيق هذا الهدف.

فحتى تحت السيطرة الاستعمارية للامبريالية اليابانية الغاشمة المفروضة على

الشعب الكورى، ومع اشتداد القمع ضد الحركة الثورية، عمل الشيوعيون الكوريون داخل البلاد على نشر حركة اعادة بناء الحزب دون تردد وبأشكال متعددة. فحادثة الحزب الشيوعى فى محافظتى هامكيونغ الجنوبية والشمالية، وحادثة تشكيل اتحاد الشيوعيين الكوريين، وقضية اجتماع الكوريين لاعلام الكومنترن حول اعادة بناء الحزب الشيوعى الكورى، وحادثة اللجنة التحضيرية لاعادة بناء الحزب الشيوعى الكورى وغيرها من الاحداث، كانت جزءا من حركة اعادة تشكيل الحزب التى انتشرت آنذاك فى مناطق مختلفة من البلاد.

وقد انطلقت هذه الحركة ايضا متخذة من اراضى الصين قاعدة لها.

فجماعتا م.ل وسوسانغ قامتا بذلك متخذتين من جيلين ومحيطها مركزا. وقد نظمتا من اجل هذا الهدف اللجنة التحضيرية لاعادة بناء الحزب، والرابطة المركزية للكوادر من اجل اعادة بناء الحزب، واتحاد اعادة تأهيل الحزب، ولجنة تنسيق اعادة بناء الحزب وهيئات اخرى من هذا النمط.

كما جرت هذه النشاطات فى اليابان ايضا، متخذة من طوكيو قاعدة لها.

ويمكن اعتبار الجمعية العمالية الحمراء والجمعية الفلاحية الحمراء جزءا من تلك الحركة، وقد انتشرت هاتان الجمعيتان فى كافة انحاء البلاد منذ نهاية العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات. هذه الحركات التى كان لها شكل شرعى فى اول الامر، انتقلت فيما بعد الى الشكل غير الشرعى، وصارت نشاطا سريا، وكانت تطرح النضال من اجل اعادة بناء الحزب الشيوعى كهدف اقصى لها.

وقد اقتصرت عضوية معظم حركات اعادة بناء الحزب داخل البلاد وخارجها على الفئات العليا، دون ان تتخلص كثيرا من الشكل البائد للحركات الموجودة، ومن الميول الارتهانية والمفاهيم الفئوية. ومع ذلك، فقد سعينا جاهدين لكى نشكل فى البلاد منظمات حزبية من نمط جديد مستندين الى النجاحات التى حققتها الحركات السابقة لاعادة بناء الحزب، بالرغم من محدودية تلك الحركات المذكورة آنفا. وبكلمة اخرى، لقد بذلنا جهودا كبيرة للعثور على شبكات الجمعيات العمالية والفلاحية الحمراء لكى ننظم منها خلايانا الحزبية.

فى النصف الثانى من شهر ايار ١٩٣٧، عقدنا فى قاعدة جبل بايكدو الاجتماع الثانى للجنة العمل الحزبى فى البلاد وتبنينا اجراءات من اجل رفع وظيفة ودور هذه اللجنة وتعزيز قيادة العمل لتشكيل المنظمات الحزبية والحركة الثورية داخل البلاد. وخلال الاجتماع، جرى تقويم حالة سير تشكيل منظمات الحزب فى الفترة التالية لتأسيس لجنة العمل الحزبى داخل البلاد، كما جرى فحص جدى للمهمات المطروحة فى هذا النشاط وطرق تنفيذها.

وفى هذه المناسبة، اكدت بصورة خاصة على ضرورة التصدى لمظاهر الارتهان والجمود العقائدى فى العمل لتشكيل منظمات الحزب والحياة داخلها، وعرضت الاجراءات الواجب اتخاذها لجمع شمل الشيوعيين الذين يعملون متفرقين داخل البلاد ضمن منظمات الحزب والمنظمات الثورية الاخرى، واعادة الحيوية الى نظام القيادة التنظيمية للحزب بما يتفق ومتطلبات الواقع الذى يتضاعف فيه عدد منظمات الحزب.

ان مضمون المسائل التى نوقشت والحلول المتخذة آنذاك شكلت معلما جديدا فى تعزيز تقدم الجيش الثورى الشعبى الكورى الى داخل كوريا وتطوير نشاط تشكيل منظمات الحزب والنضال الثورى فى البلاد.

وقد ارسلنا فيما بعد جماعة العمل السياسى للقيام بمهمة مساعدة نشاطات الحزب فى البلاد. ففى صيف وخريف عام ١٩٣٧، اوفدنا هذه الجماعة المؤلفة من عضو لجنة العمل الحزبى داخل البلاد كيم بيونغ، وكل من كوون يونغ بيوك، وزونغ ايل كوون، وكيم زو هيون، وما دونغ هى، وكيم جونغ سوك، وبايك يونغ تشول، ولى دونغ هاك، وتشاى كيونغ هوا، وكيم وون سين، ولى تشانغ سون، ولى كيونغ وون، ولى بيونغ سون، اوفدناهم الى عدد من المناطق الشمالية من كوريا للمشاركة فى تأسيس منظمات حزبية والقيام بالعمل بين الجماهير. وقد اطلق عليهم اسم جماعة العمل السياسى فى شمالى كوريا. ومن خلال نشاطاتهم المكرسة لغرس الافكار الثورية فى المناطق الشمالية من كوريا، دعموا بشكل مباشر عملية تشكيل المنظمات الحزبية.

لقد خصصنا لاعضاء الجماعة مناطق لنشاطهم السياسى. وكنا نطلق عليها فى

ذلك الحين تسمية "المناطق السياسية"، وكان لها ترتيبها الرقمي: الاولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، والتى كانت تبدأ من ساحل البحر الشرقى وتمتد حتى ساحل البحر الغربى، وقد حدد كيم بيونغ هذه المناطق اساسا بالتشاور معى.

وكان بامكان اعضائها ممارسة العمل التنظيمى والسياسى بطريقتين: فاما ان يقوموا هم انفسهم بالعمل على الارض، واما ان يمارسوه بصورة غير مباشرة من خلال نشطاء آخرين يعدونهم جيدا بانفسهم.

وفى اوائل عام ١٩٣٧، قامت احدى جماعاتهم الفرعية، بقيادة لى دونغ هاك، بالتوغل الى القرى المحيطة بناحية وونهونغ فى قضاء كابسان، وذلك بمساعدة لى زى سون، ووزعت هناك مئات المنشورات التى تتضمن دعوات ونداءات تبث الروح الوطنية المناهضة لليابان والتطلع الى استقلال كوريا. وبعد القيام بعمل دعائى بين الحشود اختفت وعادت الى الوحدة كالبرق. وكان الغرض من هذه العملية هو خلق الظروف المؤاتية لتهيئة الارض من اجل تشكيل المنظمات الحزبية.

كما ان الجماعتين الفرعيتين اللتين يقودهما ما دونغ هى وزى تاى هوان، المسؤولتين عن العمل فى قضاء سامسو ومحيطه، حققتا عمليات توغل متتالية فى المناطق الواقعة الى الشمال من ممر ماتشون الجبلى، حيث كسبوا تعاطف الاهالى بنشاطاتهم السياسية الماهرة والحذرة.

ولكى نؤمن لباك دال وضعا مؤاتيا فى نشاطاته، بعثنا اليه عنصر ارتباط شاب يدعى سون زانغ بوك.

وقبل انطلاقه، قلت له ان يذهب الى الجهاز الادارى اليابانى فور وصوله الى البلاد لكى يسجل نفسه فى السجل المدنى، دون نسيانه انه يجب عليه ان يتقمص شخصية رجل آخر ولد وترعرع فى كوريا.

اخذه باك دال الى مركز الشرطة وقال الى آمره باحتيال:

"ايها السيد الآمر، قل لى مبروك."

فذهل الشرطى وراح ينقل نظره من احدهما الى الآخر. وكان قد بدأ بمعاملة باك دال بلطف شديد منذ تقدمه لامتحان الشرطة.

"وهل لديك اسباب لكل هذه السعادة؟"
"اجل يا سيدى. لقد كسبت اخا مجانا."
راح باك دال يخطو بخيلاء امام سون زانغ بوك الذى بقى مسندا ظهره، وقال له بصوت عال يمكن لجميع الموجودين فى المبنى ان يسمعوه:
"لقد كنت اتألم على الدوام لانه لا اخ لى. وفجأة حقق والدى رغبتى هذه."
"أهذا الفتى اذن هو اخ بالتآخى وجده لك ابوك؟"
"لا شيء من هذا القبيل. انه أخى من ابى الذى اقام علاقة غرامية مع امرأة اخرى غير امى اثناء وجوده فى كيلزو. والصبى الذى اصبح يتيما بعد وفاة امه، عاش حياة التشرد الى ان سمع بان له اخا غير شقيق فى كابسان، فجاء للقاء بى. وقد قررت اعالته فى بيتى."
"ياه، لا بد ان اباك كان زير نساء رهيبا! لقد كسب بالمجان ابنا وجيها."
اثارت كلماته القهقهات بين جميع رجال الشرطة التى هزت المكان. ولان آمر الشرطة كان معتدل المزاج، فقد قام باجراءات التسجيل اللازمة دون البحث عن مشاكل.
وقد سجل باك دال اخاه المزيف سون زانغ بوك فى السجل المدنى باسم باك يونغ دوك، وهكذا استطاع التفرغ للنشاطات السرية منذ ذلك الحين.
ولكن، بعد عدة ايام، وقع امر مفاجئ اثر بنتائجه على عمل المنظمة السرية فى كابسان.
ففى قرية دايزونغ بناحية ونهونغ التابعة لقضاء كابسان، اقدم لص على سرقة ٢٠ ونا من احد البيوت الريفية، ولكى يغطى جنحته تلك، تظاهر بانه نزل لتوه من الجبل. وكان من الشائع فى ذلك الحين اطلاق تسمية "رجال الجبل" على جنود جيش حرب العصابات، وتسمية "الرجال القادمين من الجبل" على العاملين السريين لجيش حرب العصابات. وفى الوقت الذى وقعت فيه عملية السطو تلك بالذات، كان باك دال موجودا فى قرية دايزونغ لتوجيه عمل احدى منظمات جمعية استعادة الوطن القاعدية. وبسبب هذه المصادفة العرضية، اعتقلته الشرطة على انه "رجل قادم من

الجبل". اضف الى ذلك ان الشرطة كانت قد تلقت معلومات عن شخص يدعى لى بيونغ سون، قادم من كيلزو، ويكثر من التردد على بيت باك دال، وقد حاولت اعتقاله ايضا، ولكنها لم تعثر عليه.

كان لى بيونغ سون قد انتقل الى كابسان فى السنة السابقة مع كيم يونغ كوك، وذلك بعد مشاركتهما فى حادثة الجمعية الفلاحية الحمراء فى كيلزو. ومنذ انضم كيم يونغ كوك الى جيش حرب العصابات، وجد لى بيونغ سون عملا فى محطة لقطع الاخشاب بناحية بوتشون وانهمك فى توجيه منظمات اتحاد التحرر الوطنى فى تلك المناطق. وقد ارادت الشرطة اليابانية فى ذلك اليوم اعتقال سون زانغ بوك معتقدة انه لى بيونغ سون، ولكن رجال الشرطة انسحبوا من بيت باك دال حين تأكدوا من خطئهم بسبب فارق السن الكبير بينهما.

فى تلك الفترة، كنا نرسل الى تشانغباى والى داخل البلاد عددا كبيرا من النشطاء السياسيين، ولم يكن بامكاننا تغطية حاجتنا من هؤلاء بالاعتماد على مقاتلى الجيش الثورى الشعبى الكورى وحدهم. فاستكمال العدد المطلوب من النشطاء السياسيين كان يتطلب ما يساوى عدد جنود فوج كامل، ولم يكن بمقدور جيش حرب العصابات ان يهتم بالعمل السياسى وحده والتخلى عن القيام بعمليات عسكرية. ولهذا السبب، انتقينا وارسلنا الى البلاد اعضاء من المنظمات السرية فى تشانغباى ممن يملكون تجربة غنية فى العمل السياسى، كما ارسلنا رفاقا آخرين جرى اعدادهم مسبقا من خلال انتمائهم الى المنظمات الثورية وممارستهم العمل مطولا بين الجماهير فى منشوريا الشرقية. كما قامت منظمة جمعية استعادة الوطن فى محافظة تشانغباى فى تلك الفترة نفسها، بارسال عدد كبير من النشطاء السريين الى داخل البلاد عن طريق لى زى سون.

وقد تولى كيم بيونغ، عضو لجنة العمل الحزبى داخل البلاد، مهمة ايفاد العاملين السياسيين.

وكان منصبه الرسمى آنذاك هو العمل كمفوض سياسى للفوج السابع. ولكونه كادرا سياسيا وعسكريا كفوءا فى قيادة الجيش الثورى الشعبى الكورى، فقد تولى

مسؤولية كل ما يتعلق بالنشاطات فيما وراء خطوط العدو، وهو مجال يتمتع بخبرات غنية فيه. ولم تقتصر مساعدته لى فى عملى على النصف الاول من عقد الثلاثينات، وانما تواصلت من النصف الثانى من العقد ايضا. وقد كان واحدا من الكوادر الذى كنت اقدرهم اكبر تقدير فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان.

وفيما بعد، سقط بالطبع فى قبضة العدو بسبب وشاية من احد المرتدين، وقد عانى خطوبا كثيرة بل وكانت هناك بعض اللطخات فى حياته السياسية، ولكنه حافظ بثبات على اخلاصه لنا. فقد كان مرتبطا كثيرا بعمل القيادة واللجنة الحزبية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، وحين كنا نوطد العلاقات مع الثوريين فى البلاد بتوسيع نطاق الكفاح المسلح الى هناك والتحقيق الكامل للاستعدادات من اجل خوض حرب مقاومة تشمل الامة بأسرها، تولى هو نفسه مسؤولية هذه النشاطات مباشرة، ولهذا السبب، كان يعرف اكثر من الجميع الاحداث التى جرت آنذاك. وقد كان هناك قدر غير قليل من الشؤون العسكرية والاحداث المتعلقة بالنشاطات السياسية السرية لا يعرفها احد سواه.

ان التفاصيل والاحداث والتواريخ التى يذكرها هى صائبة فى الغالب. واعتقد ان المدونات التى تركها قد اغنت التاريخ الثورى لحزبنا. ولو ان كيم بيونغ واصل القتال ضمن جيش حرب العصابات حتى تحرير البلاد، لكان ذلك افضل بكثير. ولا يمكننى ان انسى حتى اليوم كيم بيونغ الذى ساعدنى فى عملى بتفان كبير فى مرحلة جبل بايكدو.

العاملون السياسيون الذين تم ايفادهم الى داخل البلاد توغلوا عميقا فى الجمعيات العمالية والفلاحية وغيرها من المنظمات القائمة، وكذلك فى جماعات الشيوعيين المعزولة. واستنادا الى هذه القاعدة عملوا بديناميكية لبناء منظمات الحزب وتوسيع الشبكة التنظيمية لجمعية استعادة الوطن.

وبفضل نشاطاتهم الناجحة بين الشعب، تغلغلت "رياح جبل بايكدو" بقوة لا يمكن كبحها. وتحت تأثيرهم توصل الشعب الى فهم صحيح للجيش الثورى الشعبى الكورى. وقد توافد اناس كثيرون الى جبل بايكدو للانضمام الى جيشنا.

وكاجراء آخر من اجل بناء منظمات الحزب، شكلنا نواة حزبية داخل البلاد، مؤلفة من عناصر نشطة مدربة فى اتحاد التحرر الوطنى الكورى. وقد اطلق المؤرخون على هذه النواة التى كان يترأسها باك دال اسم "جماعة الثلاثة اشخاص". وكانت مهمتها تتمثل فى انجاز دور المنظمة القاعدية للحزب، وان تكون فى الوقت نفسه الموجهة لعملية تشكيل المنظمات الحزبية فى البلاد.

ما اعتبره امرا فريدا فى اسلوب عمل باك دال لتوسيع تلك المنظمات وزيادة صفوف اعضائها هو تأسيسه المنظمات المغفلة، التى، وان لم تكن لها اسماء رسمية، الا انها كانت تجمع شمل المناضلين وتمارس نشاطاتها بصورة سرية. وقد ضمت جمعية استعادة الوطن مثل هذه المنظمات ايضا.

لقد كان اسلوبا فريدا فى تأسيس المنظمات السرية فى ظل ظروف اشتداد القمع المعادى الى اقصاه.

فهذا الاسلوب كان يسمح، حتى فى حالة اعتقال احد اعضاء المنظمة، ببقاء الاعضاء الآخرين بمنجى من الاعتقال، ذلك انه بدلا من اطلاق تسميات على المنظمات والتقاء عدد من الاعضاء فى الاجتماعات، كانت اللقاءات تجرى بشكل فردى، وكان العمل التثقيفى يتم بالطريقة نفسها، وكذلك الامر بالنسبة للاساليب النضالية وتوزيع المهمات.

بعد ان ودعنا، عاد باك دال الى كابسان، حيث كرس نفسه جسدا وروحا لمهمة بناء المنظمات الحزبية داخل البلاد، واسترشد بالتوجيهات التى حددناها له لكى يهيئ مناطق كابسان وسامسو كمركز حيوى لتشكيل تلك المنظمات، وانطلاقا من هذه القاعدة، وسع تدريجيا مجال نشاطاته نحو اقضية ومحافظات اخرى.

وقد اخترنا تلك المناطق باعتبارها الملائمة اكثر من سواها لهذا الهدف، آخذين بعين الاعتبار ظروفها الاجتماعية والاقتصادية الفريدة.

فمنطقة سامسو وكابسان كانت مشهورة اولا وقبل كل شىء، بانها منفى. وقد شاعت شهرتها السيئة هذه لدرجة ان هناك مثلا شائعا يقول: "حتى ولو القى بى الى سامسو وكابسان". فالمتحدرون من النبلاء المفلسين فى عهد سلالة لى الذين كانوا

يلاحقون ويجرى نفيهم الى هناك على يد الحكومة الاقطاعية، زادوا حجم الطبقة الدنيا من المجتمع، ذلك ان معظمهم كانوا فلاحين يزرعون اراضى الوقيد او عمال مناجم. كما ان اللاجئين الهائمين على وجوههم بحثا عن سبل الحياة، الذين تدفقوا الى مناطق هضبة كايما بعد "ضم كوريا الى اليابان"، اضطروا الى ممارسة العمل المرهق فى زراعة ارض الوقيد التى فلحوها بعد انتزاع الجذور منها بالفؤوس واحراق احراش الشجيرات الكثيفة المتشابكة. وبتحليل الوضع من وجهة النظر الطبقية، فان تركيبة السكان المحليين يمكن اعتبارها جيدة فى اصولها. اما طبيعة الهضبة الكثيفة والعميقة الملائمة لعمليات حرب العصابات، فقد تحولت منذ العقد الثانى من القرن الحالى الى ميدان معركة، حيث خاضت مفارز جيش المتطوعين وجيش الاستقلال، المسلحة ببنادق الفتيل، عمليات قتالية بغرض الدفاع عن البلاد وافتدائها بالحياة، وشكلت تلك الهضبة ايضا ملجأ كبيرا لمن كانوا يقومون بحركات اجتماعية. فقد كانت النشاطات الشرعية مستحيلة فى جميع المناطق الشمالية فى كوريا تقريبا. لذا، توافد الى هناك النشطاء الاجتماعيون واناس ذوو ارادة وطنية، ليس من داخل البلاد وحسب، وانما كذلك من تشينتاو الشمالية والغربية، بل ومن سيبيريا ايضا.

وحسب ما رواه باك دال، فان اربعة استقلاليين مناهضين لليابان كانوا قد قادوا الاضراب الطلابى فى مدرسة سونغسيل الثانوية فى بيونغ يانغ فى منتصف العشرينات، انتقلوا الى سامسو وكابسان ونظموا حلقة لدراسة الفكر الاشتراكى ضموا اليها مزارعى ارض الوقيد، وهو الحدث الذى شكل بداية الحركة الاشتراكية فى المنطقة.

وقد انضم اليهم فيما بعد اناس اضطروا الى سلوك طريق المنفى، بعد ان شاركوا فى جمعيات عمالية وفلاحية فى مختلف المناطق الساحلية الشرقية، ثم اسسوا معا اتحاد الشباب واتحاد الفلاحين واتحاد الطليعة.

وهذه الوقائع وحدها تشكل شروطا كافية لان يتم اختيار سامسو وكابسان كمركز لتشكيل منظمات حزبية داخل البلاد.

لقد رأت لجنة عمل كابسان النور دون ان تكون لها فى اول الامر تسمية

خاصة. وابتداء من شهر ايار ١٩٣٤ اخذت تجمع الاعضاء؛ لى كيونغ بونغ اولا، ثم توالى بعد ذلك كيم تشول اوك، وسيم تشانغ سيك وآخرون غيرهم. وقد نظمت اللجنة حملات ضد زراعة الكتان الاجبارية، وكذلك ضد الاتجاهات الغيبية والزواج المبكر، ولم يطلقوا عليها اسم لجنة عمل كابسان الا بعد نحو سنتين من ذلك، حين ادركوا انهم يناضلون فى منظمة واحدة.

انطلاقا من الخبرة المكتسبة فى انشاء منظمات حزبية داخل البلاد، قمنا بصياغة هذا الاسلوب فى عمل كتبته فيما بعد حول طريقة عمل الفروع الحزبية، وفى النصف الاول من الاربعينات عهدت بمهمة تطبيقها الى الرفاق الذين كانوا يتوغلون فى التراب الوطنى للقيام بعمليات فى جماعات صغيرة.

بعد التحرر، قال احد المناضلين متذكرا: "لقد انضممت الى منظمة، ولكننى لم اكن اعرف اسمها ولا تركيبتها لان ذلك كان سرا طى الكتمان".

وقد روى ثورى آخر ولد فى كابسان انه عرف كتبا ممنوعة كان يقدمها اليه باك دال وينبهه الى ضرورة قراءتها سرا، وانه قدم اليه بعض الخدمات ولا شىء اكثر من ذلك. ولكن محكمة الامبريالية اليابانية اصدرت عليه حكما قاسيا وبقى رهين السجن حتى يوم التحرير. لقد كان هؤلاء الاشخاص ينتمون الى منظمات بلا اسماء.

بعد ان هيأ باك دال المنطقة التى تضم سامسو وكابسان كمركز اساسى، بدأ يرسل الى الاقضية والمحافظات المجاورة خيرة المناضلين الذين كان قد دربهم واختارهم بنفسه. اما المهمة التى كان يوكلها اليهم فتتلخص فى تهيئة الارض فى الاماكن المخصصة لهم من اجل تشكيل منظمات حزبية.

وقد كان يخطط هذا العمل حسب توجيهاتنا، اى انه كان يسعى لكى يحصل المبعوثون حتما على وظائف مناسبة. لانه يضفى بذلك الشرعية على وضعهم الاجتماعى، ويصبحون فى ظروف تتيح لهم انجاز مهماتهم بنجاح. اضف الى ذلك انه يصبح بامكانهم التخلى عن اسلوب العمل كمنفيين ويستطيعون التغلغل بين الجماهير.

لقد ارسل باك دال الى قضاء موسان وحده خمسة او ستة عاملين سريين.

ان تشاى وونغ هو، الذى كان آنذاك رئيسا لجمعية مناهضة اليابان فى حارة سوندوك بناحية بوتشون، وهى منظمة خاضعة لتأثير اتحاد التحرر الوطنى الكورى، جرى ارساله الى قضاء موسان، حيث عمل، بالارتباط مع العاملين السياسيين، على تنشيط جمع التبرعات من اجل تأمين المواد التموينية لجيش حرب العصابات وجمع شمل المنظمات الجماهيرية من جهة، وقام من جهة اخرى باعداد مكثف لانشاء وحدة حرب عصابات انتاجية. وحتى بعد "حادثة هيسان"، حيث استقر منفاه فى منطقتى آنزى وهيلونغ، كان يتردد بكثرة على منطقة موسان لكى يضم العمال الحراجيين الى المنظمات الثورية.

بعث باك دال الى الاقضية الجنوبية من محافظة هامكيونغ الشمالية لى ريونغ سول، مسؤول قسم الشباب فى اتحاد التحرر الوطنى الكورى، ولى بيونغ سون، ومن خلالهما ارسل الى هو سونغ زين احد قادة الجمعية الفلاحية الحمراء فى سونغزين، بخطنا المتعلق بالحركة الثورية وبناء المنظمات الحزبية داخل البلاد. وقد قيل لى ان هذا الرجل المستعد للنضال بثبات حتى النهاية من اجل تطبيق خطنا المذكور، ذهب الى كابسان ليلتقى بنا، ولكنه لم يستطع تحقيق هدفه. فقد كنا عندئذ فى رينتشيانغ ومينغتشيانغ لتصفية نتائج "حملة ريهى".

وبينما كان باك دال يدفع عجلة بناء المنظمات الحزبية ويوسع شبكة جمعية استعادة الوطن، قام فى الوقت نفسه بعمل هائل من اجل احكام صفوف القوى العسكرية لثورتنا.

وحين كان لى بيونغ سون فى المعسكر السرى، اوكلنا من خلاله الى باك دال مهمة تشكيل وحدة حرب العصابات الانتاجية بضم اعضاء المنظمات الحزبية فى البلاد واعضاء النواة الشباب فى جمعية استعادة الوطن.

وكخطوة اولى فى الاستعدادات، استغل فرقة الدفاع الذاتى. فبذريعة "حماية مسقط الرأس"، وسعت الامبريالية اليابانية فرق الدفاع الذاتى الى حدود بعيدة. بل ووزعت اسلحة على المجندين لعسكرتهم. وفكر باك دال بانه اذا توصل الى الحاق

جميع افراد حرب العصابات الانتاجية بتلك التشكيلات، فانهم سيتعلمون استخدام الاسلحة وسينعمون بثقة كبيرة من جانب العدو، ويمكنهم عند الضرورة ان يتمردوا بشكل جماعى وهم يحملون الاسلحة. فاستغل موقعه الظاهرى كنائب لرئيس فرقة الدفاع الذاتى فى غولتشيكى، والحق معظم من كانوا فى السن المناسبة للخدمة كما حدده اليابانيون، وبذل مساعيه لكى يحتلوا مواقع قيادية.

كما انه عمل بحماسة لينقل الى حيز الواقع العملى توجيهنا بتنظيم وحدة حرب العصابات الشعبية الشمالية المناهضة لليابان. فانطلاقا من ضرورة الاسراع بتوسيع وتكثيف النضال المسلح فى المناطق الشمالية من كوريا، طرحنا مشروع بناء قوات حرب العصابات المذكورة على ان تضم اساسا اعضاء منظمات الحزب فى البلاد. وقد كانت الاراضى الفسيحة الواقعة الى الشمال من ممر ماتشون الجبلى مناسبة ومثالية لعمليات حرب العصابات، ذلك انها تمتد من ممر بوزون الجبلى وحتى موسان وكابسان.

طلبت عندئذ من الرفاق الموجودين داخل البلاد ان ينظموا هذه القوة من حرب العصابات، وقلت لهم اننا سنختار ونرسل اليهم مقاتلى حرب عصابات اكفاء من اجل تشكيل النواة القيادية، وانهم بتصرفهم كقدوة سيوسعون الصفوف ويقومون بالتدريبات. وتم تعيين تشاى ايل هيون من الفوج السابع، كقائد لوحدة حرب العصابات المذكورة، بينما جرى تعيين باك دال مفوضا سياسيا لها.

ولو لم تقع نكبة اعتقال باك دال ومعظم الكوادر القياديين فى اتحاد التحرر الوطنى الكورى وزجهم فى السجن، لكانت وحدة حرب العصابات الشعبية الشمالية المناهضة لليابان قامت بتنفيذ مهماتها دون عقبات، ومثلما كان مخططا لها.

كما تعاون اعضاء منظمات الحزب داخل البلاد بطريقة فعالة مع اعمال المفرزة الخاصة التى يقودها كيم زو هيون التى ظهرت هناك.

لقد شن الجلادون الامبرياليون اليابانيون موجة اعتقالات هستيرية ضد اعضاء منظمات الحزب واتحاد التحرر الوطنى الكورى، ولكن باك دال لم يتوقف عن النضال حتى وسط تلك الاجواء العاصفة. وحاول بكل السبل الحفاظ على منظمات

الحزب القاعدية والشبكة التنظيمية لجمعية استعادة الوطن وابقائها فى ظروف السرية.

ارسل الى كيم بيونغ تقريرا مفصلا حول ما كان يعانيه اعضاء المنظمات الحزبية فى البلاد واعضاء اتحاد التحرر الوطنى الكورى نتيجة "حادثة هيسان".

وما ان تلقيت ذلك التقرير حتى ارسلت كلا من ما دونغ هى وزانغ زونغ ريول الى داخل البلاد. ولكن ارسالهما لم يؤد الى النتيجة المنشودة مع ذلك، لانهما وقعا فى قبضة العدو اثناء بحثهما عن باك دال.

فكان على عندئذ ان ابعث كيم جونغ سوك الى دايزينبيونغ. وقد كانت كيم جونغ سوك تملك خبرة واسعة بالعمل داخل البلاد. فى اثناء ذلك، عاد باك دال الى دايزينبيونغ، بعد ان كان يعمل فى دانتشون وبوكتشونغ وهونغوون وسينفو ومناطق اخرى على السواحل الشرقية من اجل توسيع المنظمات، وقد عاد لاصلاح الوضع الصعب الذى تمر به المنظمات فى دايزينبيونغ. وبصعوبة بالغة تمكنت كيم جونغ سوك من الاتصال به واخبرتنى بنتائج لقائها معه.

فور تلقينا تقريرها، ارسلنا الى كابسان جماعة اتصال صغيرة يقودها بايك يونغ تشول والذى كان يتردد بكثرة الى العمل فى الاراضى الكورية، فضلا عن كونه مقاتل حرب عصابات. وقد بقى فى معسكره السرى فى منطقة ووليدونغ الى ان تم استدعاؤه للالتحاق بالوحدة على اثر اعتقال ما دونغ هى وزانغ زونغ ريول، وكان ينفذ من معسكره مهمة الحصول على مواد تموينية من مناطق مختلفة.

منذ اليوم الاول لدخول جماعة الاتصال الى البلاد، تعرضت للملاحقة من قبل الشرطة. وبعد معاناة لا يمكن وصفها، تمكن افرادها من العثور على جماعة باك دال وكيم تشول اوك ولى ريونغ سول. لقد كلفتهم فى جبل بايكدو بمهمة اصلاح المنظمات الثورية المدمرة وترتيبها والنهوض بالنضال الثورى داخل البلاد، وارسلتهم ثانية الى كابسان.

توغل بايك يونغ تشول الى داخل البلاد مرة اخرى بمرافقة جماعة باك دال واشتبك مع الشرطة اليابانية فى منطقة سوكسين حيث كان يقوم بتنفيذ مهمة. غطى

براحة يده احشاءه التى خرجت من بطنه المثقوب برصاصة، وواصل القتال الى ان وقع اسيرا. وقد اجلسه رجال الشرطة جاثيا فى حفرة واجبروا العابرين من هناك برمى الاحجار على "قاطع الطريق الشيوعى" الى ان دفنوه حيا. الحقيقة ان العمليات لانقاذ باك دال والمنظمات الحزبية داخل البلاد قد كلفتنا جهودا وتضحيات هائلة.

كان الاعداء يتحركون بجنون من اجل اعتقال باك دال. ففى كل مكان كان العملاء والخونة يمشطون الجبال واحدا بعد آخر.

وكعضو فى لجنة العمل الحزبى داخل البلاد، قدم لنا باك دال المساعدة بمساهماته الهامة فى تشكيل منظمات الحزب وتوسيع نطاق حركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان. وقد كان فى الواقع المسؤول الرئيسى عن هذه المنظمات داخل البلاد.

كما قدم مساهمات بارزة فى تشكيل المنظمات الحزبية داخل البلاد كل من: كيم بيونغ، وكوون يونغ بيوك، وكيم جونغ سوك، وعاملين سياسيين آخرين. فقد تمكنوا من انشاء المنظمات الحزبية وجمع شمل الشيوعيين بتراص، متغلبين على ما لا حصر له من المصاعب والمحن فى سينفا، وفونغسان، ورانغريم، وبوزون، وهونغنام، وسينهونغ، وليوون، ودانتشون وهوتشون وغيرها من مناطق كوريا الشمالية ومناطق تشانغباى.

بفضل النشاطات الحماسية لمناضلى حزبنا الطليعيين، تمكنت المنظمات الحزبية من توسيع نطاقها بسرعة الى مناطق شاسعة داخل البلاد. فقد برزت على التوالى منظمات ثورية فى كابسان، وسينفا، وفونغسان واماكن اخرى فى محافظتى هامكيونغ الجنوبية والشمالية، وكذلك فى منطقة يانغدوك وفى المناجم والمصانع والارياف وقرى الصيادين والمدن مثل بيونغ يانغ وبيوكسونغ وغيرها من المناطق الغربية. ففى تلك الاماكن التى خبت فيها الحركة النشطة السابقة للجمعيات العمالية والفلاحية الحمراء، عادت للانطلاق من جديد وقد اتخذت طابعا ثوريا. وقد توافقت عملية اعادة تنظيم وبناء الجمعيات العمالية والفلاحية السابقة مع ظهور المنظمات

الحزبية. وتجاوزت شبكة هذه المنظمات الحزبية ومنظمات جمعية استعادة الوطن المنطقة الشمالية من كوريا لتمتد الى سيؤول ومناطق وسطى اخرى، حتى بلغت حدود محافظتى كيونغسانغ وزولا، بل وحتى جزيرة زيزو واليابان، على الجانب الآخر من مضيق كوريا.

لقد اندفع بناء المنظمات الحزبية فى البلاد بارتباط وثيق مع عملية البناء التى كانت تجرى فى منطقتى تشانغباى ورينتشيانغ. فقد مدت هذه المنظمات جذورها ايضا فى مناطق اقامة الكوريين فى تشانغباى وفوسونغ ورينتشيانغ، وامتدت الى اماكن عديدة من منشوريا الشرقية والجنوبية. وبالاندفاع النشط لهذه العملية على مستوى البلاد كلها والامة بأسرها، توصل الشيوعيون الذين كانوا يعملون متفرقين الى جمع شملهم تنظيميا وتعززت القيادة الحزبية للثورة الكورية بمجملها.

لقد اقيم جهاز تنظيمى حزبى جبار غطى البلاد كلها، وبمقتضى ذلك كانت كافة منظمات الحزب تعمل تحت القيادة الموحدة للجنة الحزبية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى. وبقدر ما كان ينتظم ذلك الجهاز، ابتداء من اللجنة المذكورة، وهى اعلى جهاز قيادى، وحتى الخلايا الحزبية هيئات القاعدة، بقدر ما كان يجرى تسجيل تقدم مهم فى اعداد المرتكزات التنظيمية والفكرية من اجل تأسيس الحزب.

كان ذاك نجاحا عظيما آخر حققناه فى اثناء النضال الثورى المناهض لليابان، وشكل انتصارا سياسيا لا يقل عن الانتصار العسكرى الذى حققناه فى المناطق المتاخمة لنهرى آمروك ودومان منذ استقرارنا فى جبل بايكدو. ان نضالنا الدامى من اجل بناء تلك المنظمات لم يكن مجرد قوة دافعة جبارة لعملية تحرير الوطن وحسب، بل مثل كذلك قاعدة راسخة لكى تكتمل على اروع وجه عملية تأسيس الحزب بطريقة مستقلة.

ان الحركة الشيوعية الكورية التى كانت تعانى الهامشية والازدراء بسبب نزاعاتها الفئوية وبؤسها النظرى ونقص قدراتها العملية، بدأت تخطو خطوات واثقة على الطريق الجديد فى خضم النضال المسلح المناهض لليابان.

٣ـ معارك على سفوح جبل بايكدو

بعد ان استقر بنا المقام فى جبل بايكدو، تحولت دونغبيآنداو فى اراضى تشانغباى، وخصوصا الجزء الشمالى منها، الى اكبر "منطقة مزعزعة الامن" واصبحت مصدر ازعاج لجيش كوانتونغ وسلطات امن دولة منشوكو.

لقد تركزت كل اعصاب العسكريين والشرطة اليابانيين والمنشوكيين على هذه المنطقة. وتوالت فى الظهور على صفحات الجرائد اخبار الحوادث الصاخبة فى تشانغباى. فقد خيمت الفوضى التامة على سفوح جبل بايكدو التى كانت تعتبر فى السابق مناطق هدوء تام.

منذ الايام الاولى لاحتلالهم منشوريا، اعار المعتدون اليابانيون اهتماما عميقا للحفاظ على الامن فى المنطقة بهدف تحويلها، جنبا الى جنب مع كوريا، الى قاعدة استراتيجية للسيطرة على القارة الآسيوية.

ان دونغبيآنداو هى وحدة ادارية ظهرت الى الوجود حين قسمت حكومة بييانغ منطقة شمال شرقى الصين الى ثلاث مقاطعات: لياونينغ وجيلين وهيلونغكيانغ، والى عشر محافظات، وكانت دونغبيآنداو تشغل اراض شاسعة تضم اجزاء من مقاطعتى جيلين ولياونينغ الحاليتين. وكانت تشكل احد الاهداف التى تتمتع بأهمية خاصة، ليس بالنسبة للاوساط السياسية والتجارية اليابانية والمنشورية، وانما بالنسبة للاوساط العسكرية ايضا، سواء من وجهة نظر الخطة الرامية الى "توحيد كوريا ومنشوريا فى كيان واحد" بسبب متاخمة منشوريا لكوريا ووجود نهر آمروك بينهما، او من وجهة النظر الاقتصادية باعتبارها تحتوى كميات ضخمة من الثروات المعدنية والحراجية.

لقد اصاب الاعداء ذعر شديد حين رأوا اننا نسيطر تماما على القسم الشمالى من هذه الاراضى ونطور فيها دون هوادة نشاطات عسكرية وسياسية تمتد نحو الجنوب على طول نهر آمروك.

وضع جيش كوانتونغ المذعور "الخطة العامة لاقرار الامن فى دولة منشوكو"، بهدف اتخاذ اجراءات من اجل استتباب الامن الدائم فى دونغبيآنداو ومناطق اخرى من منشوريا. وبالاستناد الى هذه الوثيقة، صاغت حكومة منشوكو "ملخص الخطة الثلاثية لاقرار الامن". وقد كان الهدف المركزى للعمل الخاص هو بالتحديد القسم الشمالى من دونغبيآنداو (محافظات تشانغباى، ورينتشيانغ، وفوسونغ، ودونغكانغ، وهوينان، وجينتشوان، وليوهى، وتونغهوا، وجيان). ونظمت حكومة منشوكو لهذا الغرض "لجنة اعادة تأهيل دونغبيآنداو" فى المركز، و"مكتب اعادة تأهيل دونغبيآنداو" و"الهيئة الخاصة للحفاظ على الامن فى دونغبيآنداو" فى تونغهوا من جهة، واقامت من جهة اخرى "قيادة تأديب تونغهوا" برئاسة ساساكى، كبير مستشارى جيش منشوكو، وباشرت "عملية التأديب الشتوية الكبرى" التى كان الهدف منها فرض الامن العام فى شمالى دونغبيآنداو.

وكان اكثر ما استفز اعصاب الدوائر العسكرية اليابانية هى الطلقات التى كان يسمع دويها كل يوم من جراء عمليات جيشنا الثورى الشعبى فى تشينتاو الغربية، وقاعدة الثورة من النمط الجديد المؤلفة اساسا من شبكة المعسكرات السرية فى جبل بايكدو، والتى كانت تقام فى كل مكان فى ظل حماية تلك العمليات العسكرية، وجبهة الانبعاث السرية.

اصدرت طوكيو تعليمات الى الحاكم العام، الجنرال مينامى، وهو القائد الاعلى فى كوريا المستعمرة، والى القائد العام لجيش كوانتونغ الجنرال ويدا، الحاكم الفعلى لمنشوريا، لكى يتباحثا فى اجراءات الطوارئ من اجل القضاء التام على القوات المسلحة المناهضة لليابان والحفاظ على الامن العام.

وهكذا جرت "محادثات تومين" سيئة الصيت فى قاعة سرية من المبنى الملحق بالقنصلية اليابانية فى تومين، المدينة الجمركية الصغيرة على الحدود الكورية المنشورية. وهذه الواقعة وحدها تكفى لمعرفة مدى القلق الذى كان يشعر به مينامى، ومعه ويدا، من مسألة "تأديب" قوات حرب العصابات الكورية عندما اعفى من مناصبه كقائد عام لجيش كوانتونغ وسفير مفوض وفوق العادة معتمد لدى دولة منشوكو، ليجرى تعيينه كحاكم عام فى كوريا.

بعد محادثات مينامى ووويدا السرية، جرت محادثات اخرى بين مرافقيهما: دوجو، القائد العام للدرك فى جيش كوانتونغ، وميتسوباشى رئيس مديرية الشرطة فى هيئة الحاكم العام لكوريا. وقد اتفقوا فى هذه الاجتماعات على ما سمى "السياسات الثلاث" الهادفة الى سحق الوحدات المسلحة المناهضة لليابان. وكانت تلك السياسات تتألف، باختصار، من تعزيز الحراسة الحدودية، والقيام بعمليات "تأديب" مشتركة واسعة النطاق، واقامة قرى اعتقال جماعى فى تشينتاو الغربية.

حدد دوجو وميتسوباشى الخطة المفصلة لتكثيف العمليات المشتركة.

كان جوهر "السياسات الثلاث" هو القيام "بعملية التأديب الشتوية الكبرى" فى عام ١٩٣٦، وكان هدف العملية الاول هو جبل بايكدو، حيث مقر قيادتنا. وكانت تلك العملية تختلف عن سابقاتها لكونها عملية "تأديب" مختلطة، يشارك فيها جنود الجيش اليابانى المرابطون فى كوريا، والذين كانوا يعملون آنذاك فى منشوريا، وجنود جيش كوانتونغ الموجودون فى المنطقة. وكان تكتيك العملية يرمى الى المزج ما بين اسلوب التطويق بقوات كبيرة والتمشيط، اى تمشيط الوديان والجبال مثلما يتم تسريح الشعر. وكان الهدف هو تصفية كافة الوحدات المسلحة المناهضة لليابان فى ذلك الشتاء الذى جرى تحديده كموعد اقصى.

ومن اجل تحقيق الهدف المشؤوم، طرح الحاكم العام فى كوريا "الحفاظ على الامن العام وتعزيز الحراسة الحدودية" كمهمة اولى، وعزز حاميات الحدود، ووطد ووسع المنشآت الدفاعية، وحصل من الميزانية الحكومية للامبراطورية اليابانية على مبالغ باهظة كأرصدة اضافية. وتلقت الوحدات اليابانية المرابطة فى كوريا والحاميات الحدودية الخاصة ووحدات الشرطة فى المناطق الحدودية، الامر بالانطلاق الى مواقع العمليات.

ودفع جيش كوانتونغ بدوره، وباقصى اهتمام، عجلة الاستعدادات للعملية "التأديبية" فى دونغبيآنداو.

احتشد عدد كبير جدا من وحدات "التأديب" من مختلف الانواع فى المناطق الحدودية على امتداد ضفاف نهرى آمروك ودومان مع اتخاذ جبل بايكدو كمحور.

كما انتقلت مفارز الشرطة من جنوبى كوريا الى المناطق الجبلية الشمالية. وبدأت وحدات جيش كوانتونغ المرابطة فى تشيتشيهاير بالنزول جنوبا، باتجاه جبل بايكدو، بينما قامت وحدات الفرقة اليابانية التاسعة عشرة المرابطة فى كوريا باجتياز نهر آمروك. وكانت تتجه نحونا مفارز من شرطة اليابان ومنشوكو ووحدات "تأديبية" من جيش منشوكو العميل. وتزايد فجأة عدد مراكز الشرطة على ضفاف نهر آمروك. ففى كل مكان ظهرت مواقع المراقبة، وظهرت فوق النهر شبكة متشابكة من الاسلاك الهاتفية. وحتى زوجات رجال الشرطة جرى اخراجهن للتدرب على الرماية. اما دروب الاماكن النائية والوعرة فى جبل بايكدو التى لم تكن تمر عليها الا عربات وزحافات قليلة تجرها الثيران والخيول، فصارت تذرعها عربات المدافع وقوافل المركبات، وبدأت تظهر فى الغابات آثار حوافر خيول مختلطة.

منذ بدايات شتاء ذلك العام، ملأت وحدات "التأديب" انحاء غابات بايكدو كلها تقريبا. وقد مشطوا كذلك المناطق المحيطة وهم يتبجحون قائلين: "ستكون عملية التأديب الاخيرة والحاسمة، وسيتم ضمان الامن نهائيا". وسرعان ما بدأت تدور على سفوح جبل بايكدو اشتباكات جديدة بين الجيش الثورى الشعبى الكورى والجيش المعتدى اليابانى.

كان الوضع يبدو فى اقصى حالات عدم المؤاتاة بالنسبة الينا. ففى المكان الاول، كان الاعداء متفوقين علينا عدديا بشكل لا سبيل الى مقارنته. وكانت وحدات النخبة المدعومة بسلاح الطيران تشكل القوة الرئيسية المعادية. كما ان العدو عبأ كل القوى الادارية والاقتصادية والبوليسية. اما نحن، فلم يكن لدينا ما نستعين به، اللهم الى مساعدة الشعب الصامتة.

ان المعارف والتجارب العسكرية العامة تؤكد انه لا يمكن فى مثل هذه الظروف مجرد الحديث عن الهجوم. ومع ذلك، وعلى الرغم من التعاليم والمعارف الشائعة، طبقنا على طريقتنا تكتيكات جديدة، وهى تكتيكات هجومية اساسا، وهكذا دفعنا الاعداء الى موقف سلبى. فى شهر تشرين الثانى ١٩٣٦، عقدنا فى معسكر كومويغول السرى اجتماع الكوادر العسكريين والسياسيين للجيش الثورى الشعبى

الكورى، حيث قمنا بمراجعة لنشاطات وحدات الجيش العسكرية والسياسية فى الفترة التالية لاجتماع نانهوتو، وبحثنا كيفية احباط "عملية التأديب الشتوية الكبرى" وتوطيد وتطوير قاعدة جبل بايكدو.

كانت استراتيجيتنا الاساسية تهدف الى التغلب على تفوق العدو فى العدد والعدة بتفوقنا عليه فكريا وتكتيكيا.

واستنادا الى رفعنا المسبق لجاهزية مناضلينا الفكرية الى درجة عالية، طبقنا تكتيكات رشيقة ونشطة، مثل المواءمة المناسبة لعمليات الوحدات الكبيرة والصغيرة، وتكتيك الاجتذاب والكمائن، والهجمات المباغتة، والدفاع المحكم، وقطع طرق تراجع العدو وابادته بعد تفتيت تشكيلاته. وقد خرجنا منتصرين فى كل هذه المعارك.

وحيال عملياتنا الرشيقة هذه، سيطرت خيبة الامل على الاعداء منذ بداية "عملية التأديب الشتوية الكبرى". ولدى رؤية وحدات الجيش الثورى الشعبى الكورى تتقدم نحو نهر آمروك، ظن الاعداء فى اول الامر ان وحدات جيشنا لا تستطيع قضاء الشتاء فى تلك الظروف، كما هو الحال مع القوات المناهضة لمنشوكو. ولكنهم كانوا مخطئين. فكلما كثفوا من عملياتهم "التأديبية"، كنا نزداد صمودا، وفيما نحن نحتمى باعماق الغابات، طورنا عمليات عسكرية سياسية اشبه بفنون السحر فى الظهور والاختفاء فى محيط جبل بايكدو والمناطق الحدودية على امتداد نهر آمروك، مما جعلهم يلزمون موقف الدفاع، وعززنا قاعدة جبل بايكدو التى انشئت لتوها.

لقد وجهنا فى ذلك الشتاء ضربات قاسية الى العدو فى معارك عديدة، ومن ابرز المعارك الجديرة بالذكر، تلك التى جرت عند مداخل كومويغول، وفى هونغتوشان، وتاوتشوانلى، وليمينغشوى.

وقد كانت المعركة التى دارت فى مدخل كومويغول ذات طابع دفاعى، وفيها احبطنا مسبقا عملية العدو الهادفة الى مهاجمة معسكرنا وتحطيمه.

لكن الاعداء الذين تمرغوا فى تراب الهزيمة منذ بدء "عملية التأديب الشتوية

الكبرى"، كثفوا عملياتهم، كما عبأوا العديد من الجواسيس لمعرفة موقع مقر قيادتنا.

بعد بدء هذه العملية "التأديبية"، كنت اتواجد غالبا فى معسكر كومويغول مع القوة الرئيسية من وحدتنا.

وفى احد تلك الايام، بينما كان او زونغ هوب يقوم بالحراسة مع بعض المقاتلين فى موقع متقدم، اعتقل رجلين مشبوهين يرتديان ملابس الفلاحين، واحضرهما الى المعسكر. وبعد التحقيق معهما تبين لنا انهما جاسوسان. كانا يتقدمان خفية، ويشقان طريقهما وسط الغابة، باتجاه المعسكر عند اعتقالهما من قبل مقاتلينا الذين كانوا يراقبون تحركاتهما، ولهذا لم يتح لهما الوقت للقيام بأى شىء. قالا بمكر انهما لم يعودا يطيقان اضطهاد الامبرياليين اليابانيين ولهذا جاءا بحثا عن جيشنا الثورى، وانهما كانا راغبين فى اللقاء معى. وحيث ان مظهرهما وسلوكهما كان مثار الشبهات، فقد قام رفاقنا بتفتيشهما. وقد عثر فى حزام احدهما، تحت سرواله، على فأس صغيرة كان يصنعها جهاز التجسس المعادى كسلاح. ومن خلال التحقيق معهما، عرفنا ان احدهما عميل متماد للعدو يعمل جاسوسا منذ عدة سنوات متظاهرا بانه بائع جوال. اما الآخر فكان فلاحا بائسا رافق ذاك مكرها كدليل. كانت مهمتهما تتمثل فى معرفة موقعنا بدقة واعطائه الى القوات "التأديبية" التى كانت تصعد الجبل فى اثرهما وهى تمشط الغابة. اعترفا بانه تم تشكيل "وحدات تأديبية" يابانية ومنشورية مشتركة، وقد انطلقت احدى وحداتها من ايرداوجيانغ متوجهة نحو كومويغول، بينما مضت وحدة اخرى عبر شمال غربى ماجياجى فى شيليوداوكو، وهى تقترب من معسكر حرب العصابات، وعندما يصدران صوت الاشارة المتفق عليه، تبدأ تلك الوحدات هجومها. واضافا ان الهجوم سيكون مدعوما من الطيران المرابط فى قاعدة هويريونغ. كانت اعترافاتهما متطابقة مع المعلومات التى جمعتها مجموعاتنا الاستطلاعية. لم تكن القوات المعادية قد اطبقت سوار الحصار بعد. فبعد ان شم الاعداء موقع مقر القيادة من خلال الجواسيس، قرروا مداهمة كومويغول مع وحدة "التأديب" اليابانية التابعة لفرقة رانام التاسعة عشرة، وتلك التابعة لجيش منشوكو العميل المرابطة فى ايرداوجيانغ، وتوجيه ضربة مفاجئة لقيادتنا وقواتنا الرئيسية ليسحقوا بذلك "بؤرة الاضطرابات" من جذورها.

تحولت الظروف الى وضع غير مؤات وخطير الى اقصى الحدود بالنسبة لنا.

وحيث ان الاعداء كانوا يمشطون الاماكن القريبة من المعسكر ويضيقون الحصار، فقد قررنا مهاجمتهم من مواقع ملائمة والتسلل لكى نعود الى ضربهم مرة اخرى ليلا فى سانبودونغ، حين ينسحبون.

كانت الجهة الجنوبية من كومويغول عبارة عن واد عميق، وكان فى المكان الذى لا بد للقوات الرئيسية المعادية من ان تمر منه اختناق غريب الشكل يشبه عنق الزجاجة. وكان جانبا الهوة جرفين معلقين لا تستطيع تسلقهما حتى الحيوانات الجبلية. ولم يكن ثمة مكان افضل من ذاك لايقاع العدو فى ورطة وضربه بقسوة.

امرت السرية الثانية بنصب كمين على المرتفع الشمالى الغربى، والسرية الرابعة على المرتفع الشمالى الشرقى، وباقامة مواقع دفاعية وهمية فى عمق الوادى. وتركنا بعض المقاتلين بعد ان كلفناهم بمهمة اشعال المواقد واصدار ضجة بحيث يخلقون انطباعا بان القوة الرئيسية موجودة هناك. ثم ارسلنا جماعة الاستدراج للقيام بمهمة التغلغل الى المواقع المعادية لاثارة ضجة صاخبة طوال الليل والانسحاب عند الفجر، بعد ترك آثار تدل على انهم وحدة كبيرة.

عندما ارخى الليل سدوله، تغلغلت جماعة الاستدراج. كان البرد قارسا. ولكننى منعت اشعال المواقد كى لا نكشف مواقع الكمائن.

ومن اجل اجتذاب العدو الى حيث قواتنا الرئيسية، خلفت جماعة الاستدراج آثارا مضطربة وكأنها وحدة كبيرة ثم صعدت نحو المواقع الوهمية. وبعد وقت قصير، تعالى دخان المواقد من عدة اماكن عند السفح، وسمعت اصوات غناء عالية. وكانت تلك مناورة خداع جرى تنفيذها وفقا للخطة الموضوعة.

كان من الطبيعى ان يتجه اهتمام من يطاردون جماعتنا الاستدراجية نحو الضجة الصاخبة فى المواقع الوهمية. كانت الدورية المعادية تتقدم على صهوات الجياد. توقفت لبعض الوقت وراح افرادها يمعنون النظر نحو المواقع الوهمية، ثم اجتمعوا معا ليتداولوا شيئا بالسر. وفجأة، انفصل واحد منهم كان يمتطى جوادا اسود وانطلق يعدو منحدرا. ثم لحق به فارسان آخران.

وبعد نحو نصف ساعة، عادوا للظهور عند مدخل الوادى وهم يتقدمون طابورا

طويلا من المشاة. وعلى رأس كل تشكيل كان يمضى ضابط على صهوة جواد يعلق على خاصرته سيفا طويلا لامعا. كانت تلك الوحدة تنتمى الى فرقة رانام التاسعة عشرة. اما ضباط جيش جينغآن فلم يكونوا يتمتعون بكل ذلك الترف، اذ كانوا يسيرون على الاقدام مع الجنود. وكانت تتبع طابور المشاة قافلة خيول محملة بمدافع هاون مفككة. وكان الاعداء يتقدمون كذلك من واد آخر. لم يعد لدينا اى شك فى انهم يحاولون اكمال الحصار. وقد كانت لديهم قوات ضخمة تزيد اكثر من خمس مرات على قواتنا المؤلفة من نحو مئة رجل.

كان كسب الوقت هو احد المفاتيح لكسب النصر. وكان لا بد لنا من المبادرة الى توجيه ضربة قوية اليهم اولا وقبل ان يغلقوا سوار الحصار، لكى نتسلل الى الموقع الثانى. اما اشارة بدء الهجوم فستكون الطلقة التى سيتم بها اعدام الجاسوس. وما ان سمعت تلك الاشارة، حتى تم تمزيق الاعداء. فقد مات معظمهم وهم ينتظرون الامر بالهجوم. وتدحرجت المدافع المحشوة بالقذائف. وهكذا تحول الوادى عند مدخل كومويغول الى مقبرة للاعداء.

بعد الانتهاء من تفتيش ميدان المعركة، انسحبنا بحذر مستفيدين من ظلمة الليل.

ومثلما كنا قد قدرنا، فقد ابلغت دورية الاستطلاع قيادتنا بان تعزيزات معادية يقودها الناجون، توقفت فى احد الاماكن وبدأت تستعد للتخييم عندما خيم الظلام. اوكلت الى او زونغ هوب مهمة مهاجمتهم فى الليل. فشكل على الفور جماعة هجوم من جنود بحجم فصيلة. ولم تكن ثمة حاجة لاعداد كبيرة من الرجال فى مثل هذه العمليات الليلية.

تقدم او زونغ هوب وجماعته بخفة الى معسكر العدو، فألقوا القبض على حارس كان يغفو تحت احدى الاشجار واستجوبوه. ولو انه شنوا الهجوم دون ان يعرفوا جيدا طريقة توزيع المخيم، فان ذلك قد يؤدى الى قتل الاهالى الذين جرى اقتيادهم الى هناك كحمالين. وقد كان الاسير مهذارا، فاعترف بان اليابانيين يحتلون القسم الاوسط من المعسكر، يحيط بهم جنود جيش منشوكو العميل، بينما وضعوا الاهالى فيما حولهم ليستخدموهم كدروع. وكان جنود جيش منشوكو العميل وحدهم

من يقومون بالحراسة، بينما كان اليابانيون القادمون من كوريا ينامون ملء جفونهم وهم يعلقون احذيتهم المبللة الى جوار المواقد.

قسم او زونغ هوب رجاله الى مجموعات كل واحدة من ثلاثة اشخاص، وجعلهم يتنكرون وكأنهم دوريات. وحين وصلوا الى منتصف المعسكر، مجتازين مخافر الحراسة بسلام وهم يردون على حراس العدو بكلمة السر، راحوا يطلقون النار على خيام اليابانيين بعد ان حددوا مسبقا بضع خيام لكل جماعة منهم.

لم يجد الاعداء الذين فوجئوا وقتا لانتعال احذيتهم من فرط الارتباك. فراحوا يطلقون النار دون تبصر، وفيما بينهم فى الغالب؛ اذ لم يكونوا فى وضع يتيح لهم تمييز زملائهم من خصومهم. وقد حصد الرصاص الطائش العديد من الضباط والجنود. انقلب المعسكر كله رأسا على عقب، وبدا اشبه بخلية نحل هائجة. فانتهز المهاجمون الوضع، وخرجوا دون ان ينتبه اليهم احد. وقد بقى الاعداء يتبادلون اطلاق النار فيما بينهم طوال الليل، وقتل عدد كبير منهم. اما من استطاعوا الفرار، فماتوا جميعهم تقريبا متجمدين، ذلك انهم لم يتمكنوا من مقاومة برد جبل بايكدو القارس بعد ان خرجوا حفاة ودون معاطفهم المصنوعة من الفراء.

اما القوات المتبقية، فلم يستطع افرادها حمل مئات الجثث المنثورة على اتساع منطقة المخيم المدمر، فاكتفوا بقطع رؤوسها، ودسوها فى اكياس كبيرة وحملوها على عجل فى عربات ثم ولوا الادبار مسرعين.

بعد المعركة عند مدخل كومويغول، خضنا بشكل لا غبار عليه عددا آخر من المعارك على الضفة اليمنى لنهر آمروك. ففى العشرين من تشرين الثانى هاجمنا مدينة شيسيداوكو بمحافظة تشانغباى، وهى احد مراكز "التأديب" المعادية، وبعد ايام من ذلك سحقنا القوات المعادية فى شانغتشون، بتاوتشوانلى فى شيساانداوكو. وقامت بعض الوحدات الصغيرة بنشاطات عسكرية وسياسية فى مناطق شيوداوكو وشيجيوداوكو.

سيطر على الاعداء خوف شديد بحيث لم يعد يظهر لهم اى ظل فيما حول جبل بايكدو طوال شهرين او ثلاثة شهور. ولكن ذلك لم يكن يعنى تخليهم النهائى عن

العمليات "التأديبية". فقد كانوا يحاولون كسب الوقت من اجل عمليات اخرى. رفعنا حالة اليقظة. وبقيت الوحدة كلها فى حالة تأهب للحيلولة دون اقدام الجواسيس على التسلل. ووضعنا تكتيكات جديدة لكى نفرض وجودنا عسكريا. وهكذا خيم صمت مؤقت على سفوح جبل بايكدو.

فى تلك الاثناء استدعيت الى المعسكر لى هون، عمدة قرية شيجيوداوكو فى محافظة تشانغباى، واوضحت له توجه واسلوب العمل السرى، كما تحادثت مع اهالى شيتشيداوكو الذين كانوا يأتوننا بالمساعدات. كما ان اللقاءات مع باك دال وباك اين زين، واصدار الانظمة المؤقتة للجيش الثورى الشعبى الكورى، والتوسع السريع لمنظمات جمعية استعادة الوطن، كانت كلها احداثا تركت لدينا ذكريات محفورة بعمق، ما نزال نتذكرها حتى اليوم، من ذلك الشتاء الذى امضيناه فى جبل بايكدو منذ اواخر عام ١٩٣٦ وحتى اوائل عام ١٩٣٧. وفى احد اركان ذاكرتى يقبع الفلاح آن دوك هون، من شيجيوداوكو فى محافظة تشانغباى. لقد جرى لقائى معه حين شاعت فى تشانغباى والمناطق المجاورة اساطير كثيرة حولنا تدفع الى التفكير بانه يمكن حتى لحبات الصنوبر التى يلمسها كيم إيل سونغ ان تتحول الى رصاصات حقيقية.

وبفضول لا كابح له بسبب تلك الحكايات الغريبة، بدأ آن دوك هون يوجه الينا اسئلة لا تنتهى منذ اجتزنا عتبة بيته. وكان الرد على تلك الاسئلة امرا محرجا للغاية بالنسبة الى. ولحسن الحظ ان مضيفنا ظن ان القائد هو كيم بيونغ الذى كان يجلس فى الغرفة قريبا من المطبخ، فراح يتحدث معه، ولهذا السبب لم اجد مبررا للتدخل فى الحديث. وقد كان حديثهما مضحكا جدا.

"هل صحيح ان القائد لا يتنبأ بما سيحدث بعد ثلاثة ايام فقط، بل بما سيجرى فى المستقبل البعيد ايضا؟"

كان هذا هو السؤال الاول الذى وجهه الى كيم بيونغ، فرد عليه هذا الاخير بنبرة طبيعية تماما:

"هذه حقيقة ناصعة."

هز آن دوك هون رأسه علامة الرضى. وعاد يسأل من جديد:

"حسب ما يقوله شيوخ القرية المجاورة، فان القائد يفتح عينيه حين يحدث شيء ما، ويغمضهما حين لا يكون هناك اى شيء. فهل يمكن اعتبار هذا صحيحا؟"

"اجل، يمكن اعتباره صحيحا. فالقائد يغمض عينيه حين لا تكون ثمة مشاكل، ولكنه ما ان يفتحهما حتى تقع احداث عظيمة."

"وما هو رأيك بطريقته فى قطع المسافات؟ هل هى حقيقية ايضا؟"

"اجل، انها كذلك. فبما ان القائد يطوى الجبال ويطير بحرية فى الجهات الاربع، فانه يظهر ويختفى مثل البرق مرة فى الشرق واخرى فى الغرب."

"ما يقال اذن هو الحقيقة الخالصة عن انه مارد يظهر ويختفى بصورة سحرية، ويخجل امامه حتى هونغ كيل دونغ القديم."

كانت الاسئلة والاجوبة معا سخيفة، وقد تحملت الاستماع اليها دون ان اتجرأ على وقفها لان المضيف كان يوجه الاسئلة بجدية تامة وكان الضيف يرد عليها بالطريقة نفسها. ولكن ما فاجأنى هو ان كيم بيونغ المعروف عادة بصراحته واستقامته، كان يتكلم بمثل تلك الحماقة دون ادنى شعور بالقلق او الخجل.

اراد آن دوك هون ان يعرف كم مرة رأى كيم بيونغ القائد، واذا ما كان القائد موجودا يومذاك فى القرية. فقال كيم بيونغ دون تردد انه يلتقى كثيرا بالقائد، وان القائد موجود فى القرية.

خرج المضيف من الغرفة قليلا، فانتهزت الفرصة كى اؤنب كيم بيونغ بعبارات رقيقة على حواره الهذيانى.

فقال وهو يبتسم انه اذا كان الشعب يؤمن بهذه الاساطير، فيجب علينا المصادقة عليها مئة بالمئة. فاذا كان الشعب يؤكد على انه يوجد فى كوريا مارد سحرى هبط من السماء، فان هذه الاسطورة تنطلق من رغبته فى ظهور مثل هذه الشخصية لتستعيد له البلاد؛ واذا كان يعتقد حقا بوجود هذه الشخصية، فانه سيكون واثقا من التحرر، وعندئذ سيتبعنا ويشارك فى الحرب المقدسة المناهضة لليابان بتصميم اكبر.

ثم اضاف قائلا:

"لقد بدأ مواطنونا يفكرون: (فليفعل اليابانيون ما يشاؤون، فلدى امتنا الآن قائد يتقن السحر تماما. ولم يعد هناك اى سبب للخوف منهم. فاذا قاتلنا تحت قيادة القائد كيم، فاننا سنتمكن من تحقيق استقلال كوريا). الامر لا يتعلق باسطورة حول شخصكم ايها الرفيق القائد. انها ثقة الشعب المطلقة وآماله المعقودة على الجيش الثورى الشعبى الكورى. اذا اراد الشعب ان يؤمن بهذه الاساطير، فلماذا ننكرها وننفيها عن قصد؟"

بعد ان استمعت الى كلماته، اكدت على اننى سأقوم بعمليات عسكرية اكثر جرأة ورشاقة لكى ارد بذلك على آمال الشعب وثقته بنا.

ومثلما قال كيم بيونغ، فان القصص الاسطورية عنا زادت كثيرا من حماسة الشعب. حين سمع شبابنا المتحمسون ان هناك فى كوريا قائدا يزرع الرعب فى قلوب اليابانيين، سارع الكثيرون منهم الى الانضمام الى الجيش الثورى الشعبى وهم واثقون من الانتصار. واقول بصراحة ان هذه القصص الشعبية افادتنا كثيرا.

وقد انضم آن دوك هون نفسه فيما بعد الى الجيش الثورى الشعبى، وقاتل ببسالة كبيرة كغيره من المناضلين الى ان استشهد فى معركة جرت فى مينغتشيانغ. ويتذكر لى تشى هو بحزن انهم لم يستطيعوا يومئذ دفن جسده، واكتفوا بان غطوه باوراق الاشجار اليابسة والثلج.

مع مطلع العام الجديد (١٩٣٧)، عاد الاعداء الى الاقتراب من معسكرنا.

وحين اخفقت خطة توجيه ضربة ساحقة الى القوات المسلحة المناهضة لليابان العاملة فى منشوريا والمناطق الحدودية الشمالية الكورية، وافق امبراطور اليابان شووا على اقتراح الدوائر العسكرية وقرر ارسال مستشاره العسكرى شيداى كمبعوث خاص، لكى يستطلع خلال شهر من الزمن المناطق الحدودية على ضفاف نهر آمروك، حيث انقلب "حفظ الامن العام" تماما بسبب عمليات حرب العصابات المكثفة التى يشنها الجيش الثورى، ولكى يتدارس فى الوقت نفسه مع مينامى، حاكم كوريا العام، ووويدا القائد العام لجيش كوانتونغ، وكويسو، القائد العام للجيش اليابانى فى كوريا، طريقة تعزيز الهجوم "التأديبى" ضد الجيش الثورى الشعبى.

وقد طار شيداى من طوكيو الى المناطق المشار اليها مباشرة. وبسبب وصوله بذل الاعداء جهودا اكبر فى عملياتهم "التأديبية".

فالهجوم المفاجئ على معسكرنا السرى فى هونغتوشان جرى فى الوقت الذى كان فيه شيداى يفتش المناطق الحدودية تحديدا. وكان عناصر قسم التموين فى الجيش الثورى حينذاك يجرون الاستعدادات للاحتفال بعيد رأس السنة القمرية.

كانت وحداتنا المقاتلة الرئيسية موجودة فى معسكرى ديانغسى وكومويغول وهما قاعدتا انطلاقنا الاماميتان، اما انا فبقيت مع اعضاء الحراسة فى معسكر هونغتوشان السرى. ولكن كان لا بد لى من مغادرة المكان لاسباب اضطرارية قبل يومين من عيد رأس السنة القمرية.

توقفت اولا فى معسكر دوغولينغ الواقع فى واد ما بين هونغتوشان وهينغشان، لكى اقوم بزيارة تشجيع لكيم زونغ بو، وبعد ذلك توجهت الى معسكر التموين الاكثر عزلة فى جبل بايكدو. لقائى به الذى تحدثت عنه مجلة "سامتشونلى" جرى هناك.

فى هذا المعسكر، وهو معسكر هينغشان، كانت توجد اكواخ يقضى فيها اعضاء رابطة الاطفال الضعفاء صحيا فترة نقاهة، كما كان هناك مستشفى يتلقى العلاج فيه لى غى سون وباك سون ايل وآخرون، وكذلك مشغل باك يونغ سون لاصلاح الاسلحة، ومشغل الخياطة الذى تديره باك سو هوان. وكان يمضى فترة نقاهة هناك ايضا وى جين مين الذى كان يعانى كثيرا من مرض قلبه. فى تلك الايام، كان "الشيخ ذو الغليون" موجودا فى تلك "القرية الاولى تحت السماء" ومعه عدد آخر من اعضاء الامانة.

ابديت اهتماما بظروف حياة وعمل من يسكنون هناك وحددت اجراءات لتحسينها. ثم نظمت بعد ذلك اجتماعا للجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى حضره كيم بيونغ وكوون يونغ بيوك وكوادر عسكريون وسياسيون آخرون.

قمنا اولا باستعراض موجز للنشاطات العسكرية والسياسية للقوة الرئيسية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى منذ الاجتماع المماثل الذى عقد فى كومويغول، وبعد ذلك ناقشنا المهمات القتالية الآنية المطروحة لاحباط "عملية التأديب الشتوية

الكبرى" نهائيا. وقد اعرنا اهتماما خاصا لانتقال الوحدات القتالية التكتيكي والاستراتيجي الى خطوط القتال فى تاوتشوانلى وليمينغشوى ونحو منطقة فوسونغ، وتحديد لحظة بدء التقدم الى داخل البلاد. وقد تم التحديد الدقيق لهذه الشؤون فيما بعد، فى اجتماع سيكانغ.

ودرسنا فى البند الثانى مسألة اقامة الجهاز التنظيمى للجنة الحزب فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، وقررنا تشكيل اللجنة الحزبية لمحافظة تشانغباى، وتم تعيين كوون يونغ بيوك ولى زى سون كرئيس ونائب رئيس لها، وكذلك لجنة محافظة تشانغباى لجمعية استعادة الوطن برئاسة لى زى سون.

لقد كان لاجتماع ذلك اليوم أهمية بالغة، ليس فقط من اجل الحاق الهزيمة "بعملية التأديب الشتوية الكبرى" والدفاع عن قاعدة جبل بايكدو، وانما كذلك فى تاريخ بلادنا لانشاء المنظمات الحزبية.

وقد شارك فى الاجتماع ايضا وى جين مين. وكان لاحتفالات رأس السنة القمرية فى هينغشان اثر عميق فى نفوسنا. ففى تلك المناسبة زين باك يونغ سون مائدة الاحتفال باطباق من شعيرية البطاطا المصنوعة بجهاز اعده بنفسه من علب المحفوظات الفارغة. واعد العاملون فى مشغل الخياطة الشوشبرك، بينما اعد العاملون فى المستشفى المعكرونة، وكرمنا اهالى هينغشان بالكثير من الاطعمة الشهية.

لقد تذكر وى جين مين عدة مرات هذه الحفلة التى اقيمت عام ١٩٣٧ فى معسكر هينغشان السرى، عندما اكل بتلذذ كبير الشعيرية معى ولم يتوقف عن الاطراء على مهارة باك يونغ سون.

حين اتذكر ذلك اليوم، تظهر امام عينى صورة جندى صينى من جنود الحراسة، اسمه تشياو بانغ سين، وقد ابتلع اكثر من خمس عشرة قطعة شوشبرك، اضافة الى طبقين من الشعيرية. وقد كان خمسة اخوته انضموا الى جيش حرب العصابات فى اليوم نفسه والساعة ذاتها فى ديانغسى. ولانه كان اصغر اخوته، فقد اعتدنا على تسميته "سياووجى" اى (الخامس).

فى احد الايام اصيب "سياووجى" هذا بجرح فى احدى يديه. وقد اجريت له عملية جراحية بموسى عادية. لا بد انه شعر بألم شديد، ذلك ان المداخلة الجراحية تمت ببرود اعصاب، ودون اى تخدير. ولكنه تحمل ذلك كله. ولم يكن يستطيع قضاء بعض حاجاته قبل ان يلتئم جرحه، فكنت اساعده فى تلك الحالات. وحين كان حذاؤه يبتل، كنت اساعده على خلعه وتجفيفه. وحين ذهبت مع عناصر الحراسة الى وداويانغتشا بمحافظة آنتو لحضور اجتماع، وقعت فى حصار معاد بسبب وشاية احد المرتدين. وقد قاتل تشياو بانغ سين يومئذ جيدا، ولكنه فقد احد اخوته فى تلك المعركة.

بعد رأس السنة القمرية البهيج فى هينغشان، رجعنا الى معسكر هونغتوشان، ثم سمعنا بعد وقت قصير من ذلك صوت طلق نارى آت من موقع المراقبة.

كان الوضع حرجا وغير مؤات بالنسبة الينا. فكل قوتنا كانت مؤلفة من بضعة مقاتلين من سرية لى دو سو وجماعة الرشاشات المكلفة بمهمة حمايتى، وكان علينا ان نواجه اكثر من ٥٠٠ جندى معاد. اضف الى ذلك انه حين اكتشف حراسنا فى موقع المراقبة وجود الاعداء، كان هؤلاء قد وصلوا تقريبا الى قمة المرتفع الذى يقع فيه مركز المراقبة. وكان بامكانهم السيطرة علينا من ذلك الموقع.

امرت باحتلال الحافة الجنوبية على جناح السرعة، ووجهت الى آمر السرية التعليمات بسحب رجاله من مركز المراقبة لفتح الطريق امام المهاجمين. وجعلت المنسحبين من هناك ينزلون بالضبط عبر القمة التى تذكر بحد السكين وعلى مرأى من الاعداء. لم يكن فى ذلك المكان سوى طريق واحد، واذا ما انحرف احدهم عنه خطوة واحدة فانه سيهوى لا محالة الى هوة عميقة الغور وممتلئة بالثلج. فاذا استطعنا استدراج الاعداء الى هناك، فانه بامكان شخص واحد ان يواجه بمفرده دون صعوبة مئة شخص، او حتى الف شخص. كانت الحافة الجنوبية لجبل هونغتوشان تشكل نقطة استناد تكتيكية يمكن منها مراقبة المكان المنبسط كراحة اليد، وضرب الذين يتقدمون او حين يحاولون التراجع، وتصفيتهم بعد حشرهم فى الوادى عند ذيل المرتفع.

وقد استدرجهم حراس مركز المراقبة بالفعل الى القمة ذات الحافة الحادة.

وهكذا تحول المضيق بين القمة والحافة الجنوبية الى "مصيدة" للاعداء بكل ما فى الكلمة من معنى. والعامل الآخر الذى ساعد فى انتصارنا هو ان لى دو سو، وتنفيذا لاوامرى، جعل المنحدرات الجنوبية تتغطى بالجليد، بحيث لا يتسنى لاى عدو الصعود الى المواقع التى نحتلها.

لقد كانت معركة هونغتوشان امرا لا يصدق اذا نظرنا اليها من وجهة النظر المعارف العسكرية العامة. فعلى الرغم من التدنى الكبير فى النسبة العددية بيننا وبين العدو، استطعنا تصفية جنوده كلهم تقريبا. اما من جانبنا، فلم يصب سوى آمر السرية لى دو سو برصاصة وتم نقله الى المستشفى فى المؤخرة.

بعد انتهاء المواجهة المسلحة، بعثت جماعة الاقتحام الليلى الى موقع معسكر العدو، واعددت فى الوقت نفسه خطة لانسحابنا باتجاه فوسونغ، ذلك انه كانت لدينا شكوك بان العدو، وعلى الرغم من تقهقره السابق، سيعود عاجلا او آجلا لمهاجمتنا بتعزيزات. ولم يكن من المناسب ان نواصل القتال هناك بمثل ذلك العدد الضئيل من القوات. وكان افضل حل فى وضعنا ذاك هو الخروج من المكان بسرعة. وبينما نحن نتدارس امر انسحابنا، سمعنا من اسفل الوادى نفير ابواق الهجوم يطلقها جيشنا لحرب العصابات وازيز رصاص مدو. كانت وحدة او زونغ هوب توجه ضرباتها الى قوات العدو. فحين تلقت من الاهالى خبر قيام قوات "التأديب" المعادية بالتوجه الى هونغتوشان، هرعت بأقصى سرعة وقد اصابها القلق على امن القيادة. فاجتازت معسكر الاعداء من منتصفه جنبا الى جنب مع جماعة الاقتحام الليلى وهى تطلق نيرانا مركزة. فتمت بذلك تصفية القوى المعادية القليلة المتبقية. وارسل او زونغ هوب بعد ذلك هان ايك سو ليعرف اذا كان عليه ان يدخل مع وحدته الى هونغتوشان. اصدرت له الامر بان يواصل العمل وفق الخطة السابقة لان هجوم العدو على معسكر هونغتوشان قد اخفق تماما. ولكنه لم يعد الى كومويغول، حتى بعد تلقى هذا الامر، الى ان تأكد من سلامة القيادة. والواقع انه كان شخصا مخلصا لنا.

وكان هناك فلاح من ايرداوجيانغ نقل على كاهله فى هونغتوشان حمولات لليابانيين، واضطر كذلك الى جمع جثثهم، وروى فيما بعد لاعضاء احدى جماعاتنا الاستقصائية.

"لقد اجبر اليابانيون كل اسرة على تعبئة شخص منها لخدمتهم كحمال. ومن كان يقوم بهذه الاعمال عادة، كانت قدماه تتجمدان، ويفقد حتى اصابعه. وعندما اقتادونى لاول مرة، شعرت بالخوف وبقيت منبطحا فى ارض المعركة وجسدى كله مبلل بالعرق. ولكن، لاننا كنا نعرف ان جيش حرب العصابات هو الذى ينتصر فى كل مرة، فقد احسسنا بالسعادة فى داخلنا، بل ونسينا كذلك التعب. ولكن اكثر ما ضايقنا هو ان الاعداء، عند انسحابهم، اجبرونا على نقل جثث جنوده المقرفة. ففى معركة هونغتوشان مثلا، كان هناك عدد كبير من القتلى حتى ان الحمالات لم تعد كافية، ولهذا كنا نسحلهم على الارض بعد ان نربطهم من اعناقهم بالطماقات التى ننتزعها منهم."

فى احدى المرات، استقبلت وفدا من الصحفيين اليابانيين، وكان بينهم صحفى طويل القامة. لم ينبس ببنت شفة اثناء الحديث، واكتفى بتسجيل ملاحظات. ولكنه فتح فمه فجأة خلال الغداء وباح ما كان يخفيه فى قلبه. قال ان الرئيس كيم إيل سونغ كان معروفا على نطاق واسع بانه "نمر جبل بايكدو"، ولهذا كان يظن بانه رجل مخيف، ولكنه حسب ما رآه اثناء الحديث شخص بشوش جدا، واعترف بانه كان ملازما اول فى تلك الوحدة اليابانية التى تلقت ضرباتنا القاسية جدا فى معركة هونغتوشان. ومن حسن حظه انه كان يقوم تلك الليلة بجولة تفتيشية على مواقع الحراسة خارج المخيم، وهكذا استطاع البقاء حيا. وقد ضربه الدركيون ظلما وفرضوا عليه عقوبات اخرى شديدة لانه نجا. ولم يستطع نسيان ما عاناه آنذاك، فاستقال من الجيش واصبح صحفيا.

وحدة "التأديب" التى شاركت فى معركة هونغتوشان كانت يابانية – منشوكية مشتركة. والمثير للفضول ان جميع القتلى تقريبا كانوا من اليابانيين، اما جنود منشوكو العملاء فلم يتعرضوا الا لخسائر طفيفة.

وقد علمنا فيما بعد ان الضباط اليابانيين وجهوا الكلمات والرفسات الى ضباط جيش منشوكو العميل وهم يسألونهم لماذا مات رجالهم فقط فى حين استطاع جنود الجيش العميل الفرار احياء، فهل لدى رصاص رجال حرب العصابات تأثير مغناطيسى لا يلاحق معه الا اليابانيين؟ وهذا امر مستحيل بالطبع، وحقيقة ان جنود منشوكو وحدهم نجوا تشكل دليلا لا يمكن دحضه على انهم يتفاهمون سرا مع قوات حرب العصابات.

ما هو العامل الرئيسى فى انتصارنا فى هونغتوشان بمواجهة عدو متفوق علينا عدديا تفوقا كبيرا ؟ يمكن القول ان هذا العامل هو القوة الروحية الفولاذية لجيشنا.

ان ايمان جيشنا الثابت بالنصر، واستعداده القتالى الذى لا يلين، وروحه الثورية فى الاعتماد على قواه الذاتية، ونضاله العنيد، وروح التفانى والتضحية، هى كلها السمات التى اصبحت تسمى اليوم "روح بايكدو الثورية".

لم نعرف الهزيمة فى اى مكان وامام اى عدو على الاطلاق، لاننا حتى ونحن نقف فى مواجهة قوى تفوقنا عدديا بعشرات الاضعاف، كنا نقاتل ونحن مؤمنون بانتصارنا الاكيد، دون ان نفقد الوعى او الحماسة، ونبدى روح تضحية وارادة قتالية فولاذية.

وثمة امثلة لا حصر لها تثبت هذه الخصائص فى جيشنا لحرب العصابات المناهض لليابان.

لقد تلقى لى دو سو العلاج على يد الطبيب سونغ فى المستشفى القائم فى مغارة، وامضى اياما عصيبة مع نحو ثلاثة جرحى او مرضى آخرين، منهم لى غى سون وباك سون ايل. لقد كان ذلك المكان مستشفى بالاسم فقط، اذ لم تكن فيه تقريبا ادوية او حقن جديرة بالذكر، بل ولم يكن فيه مبضع واحد. ومع ذلك، كانت تخيم عليه تماما "روح بايكدو الثورية".

كان باك سون ايل فى حالة خطرة، وهو الذى كان مسؤولا فيما قبل عن قسم التموين للفرقة الثانية. ولانه لم يكن قد اخضع للعلاج المناسب، بدأت احدى ساقيه تتعفن.

وبعد معركة بوتشونبو مباشرة، ارسلت المواد التموينية الى الرفاق الموجودين فى المستشفى، وارسلت اليهم كذلك الادوية والمعلبات المحفوظة والبدلات الصيفية والاحذية واشياء اخرى اخذناها من غنائم الحرب، وارفقت ذلك كله برسالة اعربت لهم فيها عن املى بان يتغلبوا على الامراض التى يعانون منها وان اراهم اصحاء معافين تماما فى ميدان المعركة.

وحين قرأ باك سون ايل الرسالة، قرر الاقدام على بتر ساقه التى كانت تتعفن بيديه، فهيأ منشارا من الصفيح كان قد صنعه بنفسه من علبة محفوظات فارغة.

نصحه الطبيب سونغ ورفاق آخرون بالتخلى عن قراره ذاك، مقترحين عليه البحث عن حل آخر.

لكن باك سون ايل لم يستجب لهم، بل وبخ الرفاق لمحاولتهم الاشفاق عليه قائلا لهم انهم جبناء. اخبرهم انه مستعد لبتر ساقه بيديه، وانه يحتاج من اجل تنفيذ قراره الى مساعدة قليلة من الرفاق، اى انه يريد منهم تثبيت ساقه، وانه متلهف للشفاء بأسرع ما يمكن لكى يعود الى موقعه الثورى.

وقد كان عليه ان يعمل طوال ستة ايام فى بتر ساقه بذلك المنشار الصفيحى الذى كان شديد اللين، وكان فى اثناء ذلك يترنم بالاغانى الثورية. بعد انتهاء العملية اغمى عليه. ولحسن الحظ ان مكان البتر التأم دون اختلاطات وتعقيدات.

عند بدء شتاء ذلك العام، جرى نقل المستشفى الى مكان اكثر عزلة، واقيم فى كوخ من الجذوع بناه المرضى بأنفسهم. ولكن ذلك الكوخ، المستشفى خضع لتفتيش "وحدة التأديب".

باك سون ايل، الذى كان اول من اكتشف قدوم المهاجمين، فكر بانقاذ الرفاق. وبهذا التصميم احتضن بذراعيه جنديا معاديا كان يقترب منه لأسره، والقى بنفسه معه الى الهوة وهو يصرخ بأعلى صوته "وحدة التأديب هنا!".

لقد حافظ على حياته من اجل خدمة الثورة حتى عندما اضطر الى بتر ساقه بيديه، ولكنه لم يتردد عن التضحية بحياته فى سبيل الرفاق. وقد كان يعيش ويناضل فى جبل بايكدو اناس كثيرون مثله.

وبفضل صرخة الانذار التى اطلقها، تمكن لى دو سو من الاختباء لانه كان يجمع الحطب فى مكان بعيد بعض الشىء عن الكوخ. اما لى غى سون فجرى اعتقالها مع عدد آخر من المرضى، وتم قتل الآخرين.

وقد بقى لى دو سو وحيدا وسط الجبال، دون رفاق ودون كوخ ودون مؤونة، وكان عليه ان يتحمل محنا رهيبة. فهو لم يأكل اى شىء طوال ستة ايام، حتى ولا حبة واحدة من الحبوب، وبقى على تلك الحال الى ان عثر على كيس صغير من حبوب الصويا، لا يكاد يملأ ما يحويه من الحبوب قصعتين، وكانت لى غى سون تجمع تلك الحبوب باقتصاد بضع حبيبات منها كلما كان عليها ان تعد الطعام. وبعد استنفاد الصويا، اصبح السبيل الوحيد للبقاء على قيد الحياة هو مضغ ذيل الحصان، وهى نبتة تحبها الخنازير البرية كما يقال. ليست هناك كلمات يمكنها وصف المحن والمشقات التى عاناها حين اضطر الى مقاومة برد جبل بايكدو القارس فى العراء، مثل كائن بدائى، وبملابس ممزقة وبعض القطع المتبقية من اكياس الحبوب. فى كل يوم كانت تحط على الاشجار حوله اسراب من الغربان وهى تنعق بصخب. وبين الحين والآخر، كان احد تلك الغربان ينقض عليه طائرا ويلمس وجهه بجناحه ليرى ان كان حيا ام ميتا.

لقد فكر لى دو سو بان الحل الافضل هو الموت. فقد استنفدت حتى الجمرة الاخيرة التى كان يحافظ عليها بحرص بين الرماد.

ولكنه فى اللحظة الاخيرة، كما روى فيما بعد، فكر بأملى فى رؤيته سليما معافى فى ميدان المعركة من جديد، وفكر بموت باك سون ايل الذى القى بنفسه الى اعماق الهوة لكى يحافظ على امن الرفاق.

فقال فى نفسه: "لا يحق لى ان اموت. فاقدامى على قتل نفسى بيدى يعنى خيانة الرفاق الذين ضحوا بحياتهم لانقاذى. كما ان بقائى حيا وعودتى الى ميدان المعركة هو الامر الذى اصدره لى الرفيق القائد، ولا يحق لى عدم تنفيذ هذا الامر".

بذل جهودا يائسة للبقاء على قيد الحياة. وبقى وسط ذلك الجبل النائى الذى يشبه جزيرة مهجورة فى منتصف البحر مدة ثلاثة اشهر وعشرين يوما وهو يعانى الوحدة والحرمان من الطعام واللباس. وتمكن من النجاة باعجوبة.

لقد كان باك سون ايل، ولى غى سون وغيرهما من الرفاق الذين سقطوا ايضا طيور فينيق مثل لى دو سو، فعلى الرغم من تحول اجسادهم الى رميم، الا ان روحهم بقيت منتصبة مثل قمة جبل بايكدو.

على اثر معركة هونغتوشان، خضنا معارك تاوتشوانلى وليمينغشوى.

بعد معركة هونغتوشان مباشرة، انتقلت مع القوة الرئيسية من الوحدة باتجاه سياكانغتشو فى محافظة تشانغباى. كان الاعداء قد عادوا الى حشد قوات كبيرة فى المناطق المجاورة لجبل بايكدو وراحوا يقومون بعمليات تفتيش واسعة النطاق، وظهرت ضرورة تحويل انتباههم لكى نتمكن من القيام باعمال جديدة. كان انتقال وحدتنا الرئيسية الى سياكانغتشو يشكل تحركا تكتيكيا يهدف الى تشتيت قوات "التأديب" وخلق بلبلة فى صفوفها من اجل الاجهاز النهائى بعد ذلك على "عمليتها التأديبية الشتوية". وكنا قد وعدنا فى الاصل الرفاق فى منشوريا الجنوبية باللقاء معهم بعد عيد رأس السنة القمرية.

حين وصلت الوحدة الى قرية قريبة من ياوفانغجى، اصدرت الامر بالتخييم، وأرسلت كشافين الى تاوتشوانلى. فقابلوا فى الطريق عضوا من المنظمة السرية هناك متوجها الى احدى وحداتنا الصغيرة لينقل اليها معلومات عن تحركات العدو. فعلمنا ان احدى وحدات جينغآن وقعت فى حبائل تكتيكنا بالمواءمة بين عمليات الوحدات الكبيرة والصغيرة وتعرضت لمحنة وهامت على وجهها طول الشتاء، تسعى للبحث عن موقع قيادتنا لتصفى الحساب معنا.

من اجل الوصول الى تاوتشوانلى او الى وادى تشايريونغكام، كان لا بد من المرور عبر ممر طويل يتعرج بين اشجار حور ورجراج واجمة عوسج متشابكة وقصب يزيد طوله على طول قامة الرجال واعشاب جافة. من هناك توجهنا الى شانغتشون فى تاوتشوانلى، وفى اثناء هذه المسيرة توغل جندى الارتباط تشاى كوم سان فى تلك الاجمات الكثيفة ففقأت شوكة عينه، مما اثار ضجة كبيرة.

فاذا استطعنا استدراج العدو الى هذا الدرب الذى يبلغ طوله ١٢ كيلومترا، فانه سيضطر الى المسير فى رتل احادى، ويمكننا ان ننصب له الكمائن فى اماكن معينة،

حيث توجد جذوع مقتلعة، لتجزئة طابوره وضربه متفرقا. فى هذه الحالة ستكون العملية سهلة.

لهذا، قررنا ارهاق العدو الى اقصى الحدود بعملية استدراجه بوحدة صغيرة ثم تصفيته فى كمين تنصبه له الوحدة الكبيرة. استدعيت او زونغ هوب الى القيادة وكلفته بالمهمة. وحين رأى رجالنا ظهور الطابور المعادى اطلقوا نيرانا عشوائية على الصف الاول ثم انسحبوا بسرعة نحو هضبة اجمة العوسج، حيث كانت الكمائن. فطاردهم العدو دون تبصر وهو يجهل ما ينتظره.

دخلت جماعة الاستدراج فى درب الاجمة المتشابكة. كانت اشواك العوسج بالنسبة للاعداء غير الخبيرين بالجبال عائقا يشبه الاسلاك الشائكة. ولهذا، لم يستطيعوا تفادى انقسام صفهم الى جماعات، واستقبلناهم من مكامننا بوابل من الرصاص. فتراكضوا بفوضى، بعضهم صاعدا نحو الاعلى وبعضهم الى الاسفل، الى ان تم القضاء عليهم. اصطبغ الثلج بلون الدم الاحمر. وخرج المئات منهم من المعركة بفضل تكتيكنا فى تمزيق صفوفهم. وحين خيم الظلام، هربوا باتجاه قرية تاوتشوانلى تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى والجرحى.

ارسلت الينا المنظمة السرية فى تاوتشوانلى تقريرا بانه يمكن للاعداء ان يرجعوا الى ثكنتهم فى تلك الليلة بالذات. فقد كانوا يستعجلون الرجوع لخوفهم من هجومنا الليلى.

كانت المسيرة من مكان تجمع وحدتنا حتى الطريق الذى يمر من امام تاوتشوانلى، تحتاج الى نحو ساعتين على الاقل. ولكى نكسب هذا الوقت، كان علينا ان نبتكر وسيلة نؤخر بها انطلاق الاعداء. ولهذا السبب، طلبنا من المنظمة السرية فى تلك القرية ان تطيل ما امكن فى اعداد الطعام لهم.

وكان هذا هو ما فعلوه. كان الاعداء القلقون يستعجلون الطعام، لكن العمدة زونغ دونغ تشول، الذى كان يعمل فى المنظمة السرية، اطال المسألة بمطالبته بذبح الدجاج وطحن الارز، وكأنه يريد استضافتهم باخلاص حقيقى. كان يقول انه لا يستطيع اهمال معاملة السادة فى جيش جينغآن الذين تكرموا بزيارة قريته. وفى

النهاية، انطلق جنود العدو من هناك فى ساعة متأخرة من الليل، حين كنا قد اعددنا الكمائن على جانبى الطريق، وانتظرنا وصولهم طوال نحو ثلاثين دقيقة.

ابدنا يؤمئذ عناصر وحدة جينغآن عن بكرة ابيهم. وعلى الهضبة المغطاة بالاعشاب الجافة ظهرت جثث عدد من جنود العدو مبعثرة على الارض. وقد جمع جنود جيش حرب العصابات اسلحة القتلى فقط وانسحبوا باطمئنان. وقد قيل انهم اضطروا لتعبئة ٢٤ ثورا لنقل الجثث. ووضعوا فى كل عربة تسع جثث لنقلها الى شيسانداوكو. ومنذ ذلك اليوم، صار اهالى القرية يسخرون من الاعداء لهزيمتهم، ويسألونهم ببهجة: "اذا حملتم تسع جثث فى كل عربة، فكم جثة حملتم فى اربع وعشرين عربة؟".

بعد المعركة فى تاوتشوانلى، انتقلت وحدتنا الى وادى فوهوشوى، حيث التقينا مع الرفاق فى منشوريا الجنوبية، وقمنا بعمل ناجح آخر فى عملية مشتركة معهم. وكانت هذه هى المعركة الاخيرة التى شتتت شمل الاعداء نهائيا فى "عملية التأديب الشتوية الكبرى".

وهكذا تحولت اراضى تشانغباى الى عالم خاص بنا بعد ان احبطنا هذه العملية التى خطط لها العدو ونفذها بكل نشاط، وبفضل انتصارات متتالية سابقة للجيش الثورى الشعبى الكورى. لقد بذل الامبرياليون اليابانيون جهودا يائسة لكى يسيطروا على الجيش الثورى الشعبى الكورى عسكريا ويمنعوا تقدمه نحو داخل البلاد، ولكنهم تعرضوا للهزيمة اثر الهزيمة. ولكى يدمرونا سياسيا ويدفنونا اخلاقيا، لجأوا الى كل انواع الفضائح المشينة، بل انهم اطلقوا على لقب "رئيس قطاع الطرق" او "زعيم اللصوص الشيوعيين"، ولكنهم لم يحققوا النجاح ايضا. وحيال هذا الواقع الذى لا يمكن نكرانه، كانوا يرتعشون خوفا معتبرين ان اعمال حرب العصابات هى "تكتيكات الظهور والاختفاء السحرى" او "تكتيكات الصعود الى السماء او النفوذ الى باطن الارض".

شعر جنود وشرطة اليابان ومنشوكو بالعجز، وكأنهم مقيدون من اقدامهم وايديهم حيال اساليبنا القتالية المتغيرة. وكان اكثر ما يسبب لهم الخوف هو "تكتيك

لاوا". ففى مطبوعاتهم وتعليماتهم الداخلية اكدوا مرارا وتكرارا على ضرورة عدم الوقوع فى مصيدة هذه التكتيكات فى المناطق الجبلية. وقد انتشر الذعر بينهم مثل انتشار الحمى بانه لا يمكن لاحد النجاة اذا ما وقع فى هذه المصيدة.

و"تكتيك لاوا" هو الاسم الذى اطلقه جنود وشرطة اليابان ومنشوكو على الكمائن، احد اكثر الاساليب نموذجية فى معارك حرب العصابات التى خاضها الجيش الثورى الشعبى الكورى. وكلمة "لاوا" هى اللفظ الصينى المرادف لعبارة الوقوع فى الشبكة والتى تتضمن كذلك معنى الحصار او المصيدة التى لا يمكن الافلات منها عبر الفضاء او عبر الارض.

وفى حديثهم عن تجاربهم فى "عملية التأديب الشتوية الكبرى" الفاشلة، التى جرت ما بين اواخر عام ١٩٣٦ واوائل عام ١٩٣٧، كان الاعداء يشيرون بكثرة الى الرعب الذى يثيره فيهم "تكتيك لاوا".

فى عددها لشهر ايار ١٩٣٧، نشرت مجلة "تييسين" الناطقة بلسان شرطة منشوكو موضوعات تحمل عناوين "حول عملية هجوم وحدة حرب العصابات بقيادة كيم إيل سونغ" و"آراء حول حملة التأديب الحالية" كتبهما ايشيزاوا، المستشار العسكرى للواء المشترك، وقد اعترف المؤلف، مثلما اعترف فى مقابلة له فيما بعد "حديث عن تجاربى التأديبية" بدقة تكتيك "عملية لاوا" واكد: حسب التكتيكات المطبقة من جانب رجال جيش حرب العصابات فى سياق حملة "التأديب" المذكورة، نصل الى نتيجة انهم استخدموا "تكتيك لاوا" فى الغالب، بغض النظر عن كون التفوق العددى للقوات فى صالحهم او غير صالحهم. فى المواجهة مع وحدة حرب العصابات التى يقودها كيم إيل سونغ ، والتى جرت فى شهر شباط من السنة الحالية على مقربة من داجيافيكو، فى الجزء الجنوبى الغربى من حاضرة محافظة فوسونغ، قاتل جميع رجالنا بشجاعة، ولكنهم لقوا مصرعهم بصورة مجيدة دون ان يتمكنوا من الانتصار لانهم وقعوا فى حبائل "تكتيك لاوا" التى نصبها رجال حرب العصابات. ويعترف بان هناك امثلة مماثلة لا حصر لها تدفع للتحذير من خطورة هذا التكتيك.

ويبدو ان مدارس الاممية الشيوعية كانت تولى اهتماما خاصا لاسلوبنا فى

عمليات حرب العصابات. فالمناضل الثورى المناهض لليابان باك كوانغ سون كان يتذكر احيانا كيف كان المحاضرون فى تلك المدارس يذكرون بكثرة تكتيكات حرب العصابات التى يتبعها الجيش الثورى الشعبى الكورى.

لقد كانت توجد فى الاتحاد السوفييتى مراكز تعليمية تديرها الاممية الشيوعية، وكان الشيوعيون فى منشوريا يطلقون على تلك المراكز تسمية مدارس او معاهد الاممية الشيوعية. وكان يجرى فيها الاعداد السياسى والعسكرى للطلاب والنشطاء الشيوعيين الذين توفدهم المنظمات الثورية من مختلف البلدان، وقد درس باك كوانغ سون فى احد تلك المراكز لبعض الوقت.

ان طلقات الجيش الثورى الشعبى الكورى التى دوت فى تشانغباى بعثت الرعشة فى قادة هيئة الحاكم العام، وفى نفوس الجنود والشرطة اليابانيين فى كوريا، وكذلك فى نفوس السياسيين والعسكريين والرأسماليين فى اليابان. فحين سمعها المعتدون ورجعيون آخرون، انقبضت قلوبهم من الرعب، بينما احس شعبنا بالبهجة.

ان العمليات العسكرية الجريئة التى خضناها بصورة متوالية وناجحة فى تشانغباى، مهدت الطريق لتقدم الجيش الثورى الشعبى الكورى الى داخل البلاد، وعززت موقع جيشنا باعتباره القوة الرئيسية الفاعلة فى الثورة الكورية.

لا اريد التأكيد بان هذه المعارك كانت واسعة النطاق لدرجة تثير معها اصداء عالمية. ففى تاريخ الحروب العالمى ثمة حملات ومعارك ضخمة سقط فيها آلاف او عشرات آلاف الاشخاص، بل ومئات الآلاف بين قتلى وجرحى. اما نحن، فكنا نعبئ بضع مئات من الرجال فقط، ولم تكن خسائر العدو تتجاوز المئة او الالف بين قتيل وجريح.

ومع ذلك، فاننا نتذكر باعتزاز كبير هذه المعارك. ذلك اننا نقدر الروح التى اظهرها الجيش الثورى فى هذه المعارك اللاهبة. وفرض ارادته على العدو تماما. فمن يفرض روحه تماما على العدو، سينتصر حتما، وهذا قانون مؤكد.

وهنا يكمن السبب فى تقديرنا العالى للمواجهات المسلحة الدامية فى تشانغباى.

٤ـ الدوزونغ باك اين زين

فى عددها الافتتاحى، نشرت مجلة "سامئيل وولغان" لسان حال جمعية استعادة الوطن، خبرا صغيرا بعنوان: "السيد (س)، احد زعماء ديانة تشوندو، زار ممثل جمعية استعادة الوطن". وقد جاء فى الخبر ان السيد (س) المذكور هو عضو مجلس رئاسة هذه الديانة ذات القاعدة الجماهيرية القوية داخل البلاد وخارجها، جاء لزيارتى، انا ممثل جمعية استعادة الوطن مدفوعا بالمشاعر الوطنية المتأججة، واعرب عن اتفاقه التام مع برنامج منظمتنا ومع طرحنا، وعن استعداده لتعبئة المليون عضو فى حزب الشبيبة التشوندية كى يشاركوا فى النضال من اجل استقلال كوريا، وتعهد بتمتين الروابط مع الجمعية.

الشخصية المعنية فى هذا الخبر هو الدوزونغ(٠) باك اين زين. ووراء هذا الخبر القصير الذى اضطرتنا ظروف الامن الى كتابة "السيد (س)"، توجد قصة متكاملة لا يتسع لها كتاب. ولمعرفة سوابق وحيثيات الطريق الذى قاده الى معسكر بايكدوسان السرى للقاء معى، يجب ربط ذلك بمضمون مقال ظهر فى العدد نفسه من المجلة، حيث يرد كلام عن الالتحاق المتواصل للشبان الوطنيين المتحمسين بجيشنا لحرب العصابات. وقد وردت فى المقال فقرة تقول:

"شبان ذوو مشاعر وطنية متأججة، يأتون من شمال غربى كوريا، ويجتازون يوميا نهرى آمروك ودومان فى جماعات من سبعة او ثمانية اشخاص، ويلتحقون بوحدة القائد كيم ... وحيث انهم يعرفون جيدا طبيعة الارض والطرق والوضع فى كل منطقة فى كوريا، فانهم يرغبون فى ان يشكلوا طليعة الوحدات فى عمليات التوغل الى داخل البلاد."

---

(٠) الدوزونغ: منصب فى مراتب ديانة تشوندو ـ المترجم

حدث ذلك بمناسبة زيارتنا الثانية او الثالثة لمنطقة سينتشانغدونغ بعد ان استقرينا فى المناطق الحدودية. فقد مثل امامنا عدد من الشباب وطلبوا الانضمام الى جيش حرب العصابات. ونظرا لان الامر يتعلق بمتطوعين من هذه المنطقة الحدودية، فقد اصدرت التعليمات بقبولهم جميعا ما لم تكن لديهم مشاكل صحية، واكد لى دونغ هاك بانه ربما يمكننا قبول الجميع، باستثناء واحد منهم مشهور باسم "التشوندى" وهو من فونغسان. وقال وهو يهز رأسه انه على الرغم من اننا ندعو الى الجبهة المتحدة، الا انه سيكون من غير المفهوم قبول شخص متدين فى جيشنا الثورى.

طلبت منه احضار ذلك الشاب الى مقر القيادة. وهكذا جاء فى اثر لى دونغ هاك شاب جيد المظهر، يمشى نحوى بخطى ثابتة، وليس فيه ما يشير الى انه قروى على الرغم من ملابسه الرثة. وكان يلفت النظر فى هيئته عيناه اللتان لهما خط مزدوج عند حافة الجفون، وسن ذهبية تظهر فى فمه كلما ابتسم.

كان اسمه لى تشانغ سون، وكان قد عاش فى قرية سولرى بناحية تشوننام فى قضاء فونغسان، وهى القرية التى كان يقطنها باك اين زين، دوزونغ المناطق الشمالية من ممر ماتشون الجبلى. وقد تربى لى تشانغ سون على يديه وتأثر به، فانضم الى عضوية حزب الشبيبة التشوندية. ولانه كان افضل اتباع باك اين زين وتلميذه المفضل، فقد اصبح هدفا لمراقبة الشرطة وملاحقتها باستمرار. وكانت الشرطة تعتبر معلمه شخصا مشبوها لانه امضى فى السجن عدة سنوات بتهمة اثارة حركة اول آذار فى فونغسان. وقد علق رجال الشرطة صندوق التفتيش المتنقل على افريز بيته، وكانوا يزورون البيت كل اسبوع متذرعين بالمجىء لرؤيته، ولكنهم كانوا يحاولون مراقبة سلوكه، وكان آمر الشرطة نفسه يقوم بتلك الزيارة مرة فى الشهر. وقد امتدت تلك الزيارات والمراقبة المقيتة الدورية لتشمل لى تشانغ سون. واصبح رجال الشرطة الذين يأتون الى بيت باك اين زين يمرون ببيته ايضا. وقال انه قرر، وبموافقة معلمه، ان ينتقل الى اراضى تشانغباى حيث مراقبة عملاء الشرطة ووقاحتهم اقل الحاحا.

حين وافقت فورا على انضمام لى تشانغ سون الى قوات حرب العصابات، قال لى دونغ هاك بنبرة جافية، وكأنه قد تلقى عقوبة جائرة:

"ايها الرفيق القائد، هل سيخرج مقاتل حرب عصابات جيد من شخص متدين؟ وهل ثمة ضرورة لقبول هذا التشوندى وتشويش البنية الاجتماعية لصفوفنا فى الوقت الذى يوجد فيه الكثير من الشغيلة الشباب؟"

فقلت له مؤنبا بين الجد والمزاح:

"لست ادرى ما الذى اصاب عينيك. لقد عرفت على الفور من قبل ان لى زى سون هو موهبة متكاملة، ولكنك لا ترى ان لى تشانغ سون هو اشبه بالكنز. انت لا تعانى اى قدر من الحول، ولكنك ترى الامور منحرفة فى بعض الاحيان."

"ألا تذكر ايها الرفيق القائد ان ماركس نفسه يؤكد على ان الدين مثل الافيون؟ فكيف يمكن لهذا التشوندى ان يكون كنزا؟ سنكون محظوظين اذا هو لم يسبب لنا الازعاج على الاقل."

لقد كانت احكامه المسبقة متمادية بشكل قاطع فيما يتعلق بالمتدينين.

فكان على ان اشرح له بجدية انه يجب عدم تفسير مقولة ماركس بان الدين مثل الافيون بصورة متطرفة واحادية الجانب؛ وانه لم يقل ذلك بمعنى الرفض الكامل للمتدينين عموما، وانما للتخلى عن الانسياق وراء الاوهام الدينية؛ وانه علينا ان نجتذب الى صفوفنا جميع المتدينين ذوى المشاعر الوطنية، مهما كانوا، والالتحام معهم؛ وانه لا بد من الاخذ بعين الاعتبار ان جيشنا لحرب العصابات هو قوات مسلحة وطنية مهمتها الاساسية هى النضال ضد اليابان من اجل الخلاص الوطنى؛ اى انه جيش الشعب الذى يقاتل ليس من اجل العمال والفلاحين وحدهم، وانما من اجل الامة بأسرها، وانه لا شك لدينا فى ان دور النواة فى هذا الجيش يجب ان يتولاه الشيوعيون؛ ولكن هذا لا يعنى انه من المسموح به استبعاد فئات وقوى اجتماعية اخرى؛ وحتى عندما يتعلق الامر بمتدين، فانه لا بد لنا من قبوله دون تردد فى صفوفنا المسلحة اذا كان هو نفسه يرغب فى ذلك؛ وبينت له انه لم ينتبه الى الجوهرة التى وصلت الى ايدينا، لاننا سنتمكن من خلال هذا الشاب غرس بذرة

جمعيـة اسـتعادة الـوطن بـين المـؤمنين بالتشـوندية فـى منـاطق كابسـان وفونغسـان وسامسو، وسنحول المناطق الفسيحة الى الشمال من ممر ماتشون الى منطقة لنا على المدى البعيد، وسنتوصل مع مرور الوقت الى معرفة مدى قيمة هذا الشاب. ونصحته كذلك بان يعامله جيدا ويعنى بحمايته.

لست ادرى كيف تقبل توضيحاتى.

ان لقـب "التشـوندى" الـذى اطلقـه اهـالى سينتشـانغدونغ علـى لـى تشـانغ سـون، لحقه مثل ظله حتى بعد انضمامه الى جيش حرب العصابات. ولـم تكـن منـاداتـه بـذلك اللقب تنطوى على محبة رفاقية، وانما على نبرة ساخرة غير وديـة ومزدريـة. وحين كانوا ينادونـه بهذا اللقب، كان يقطب جبينه ويبدى استياءه بصورة سافرة.

فـى احـدى المـرات، اقـيم فـى المعسـكر نشـاط ترفيهـى تكريمـا لمقـاتلى حـرب العصابات الذين انضموا حديثا الى الجيش. وكان برنـامج الحفلـة حـافلا، تنـاوب علـى تقـديم فقراتهـا المقـاتلون القـدماء والمسـتجدون. فعلـى شـرف هـؤلاء الاخيـرين قـدم الاولـون كل مـا لـديهم. كمـا ان المسـتجدين المتحمسين لـم يتخلفـوا عـنهم. ولكـن حفلـة السمر تلك التى تم الاعداد لها بدقة، وقع بها خطـأ بسـبب تعبيـر غيـر سـليم مـن جانـب عريـف الحفـل. فعنـدما جـاء دور لـى تشـانغ سـون، ارتكـب عريـف الحفـل خطـأ فاحشـا بقوله: "والآن، سيغنى لنـا الرفيـق (التشـوندى) رجـل حـرب العصـابات الجديـد القـادم من سينتشانغدونغ". فغضب لى تشانغ سون، وانسحب من المكان.

جرى فى الوحدة جدل واسع حول ما حدث. وكان عريـف الحفـل هـو المسـتهدف الاول بالانتقـادات. وقـد انبـه كثيـرون لانـه دعـا باسـتخفاف احـد المقـاتلين المسـتجدين بلقب "التشوندى" وهو امر يمكن اعتباره افراطا فى الازدراء والسخرية.

بينما اتهم آخرون لى تشانغ سون بالمسكين. وقـالوا انـه لـم يفكـر بنتـائج تصـرفه عندما انسحب من المكـان دون ان يغنـى لمجـرد انـه نـودى بلقبـه؛ وقـالوا انـه لا يتمتـع بـاى قـدر مـن الرجولـة، لانـه لـم يسـتطع تجـاوز مثـل ذلـك الامـر التـافـه رغـم قولـه انـه غـادر بيتـه للانضمام الى الجيش الثورى؛ وانه ساذج جدا بحيث لا يمكن لـه ان يصـبح مقـاتل حـرب عصـابات.

هذه التعليقات المتناقضة حول عريف الحفل ولى تشانغ سون، جاءت اخيرا لتصب فى البحث عن كيفية التعامل مع المتدينين عموما والتشونديين بصورة خاصة. وجدت نفسى مضطرا الى ان ابين امام جميع ضباط وجنود الوحدة وجهة نظرنا وموقفنا من ديانة تشوندو بكل وضوح.

قلت ان التشوندية هى ديانة وطنية خاصة، لا توجد الا فى بلادنا وحدها.

ومجرد حقيقة كون تشاى زاى وو يطلق على هذه الديانة اسم "اللاهوت الشرقى" لتمييزها بدقة عن "اللاهوت الغربى" (الكاثوليكية)، يظهر بوضوح الطابع الوطنى لهذه الديانة. انها ديانة وطنية وتقدمية فى مفهومها الرئيسى وفى مثلها الاعلى؛ وهو ما يثبته تماما شعاراها القائلان: "مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب" و"نجدة الشعب"؛ وقد ناضل التشونديون وهم يرفعون هذين الشعارين على امتداد عشرات السنين من اجل تحقيق استقلال البلاد واقامة مجتمع مثالى، حيث يعيش الشعب كله سعيدا. وقد كان من الجور رفض التشوندية رفضا قاطعا لمجرد كونها ديانة، واهانة المؤمنين بها بتسميتهم "تشونديين".

حدثتهم عن المثل العليا للتشوندية، وانها تتميز بحبها للبلاد والشعب، وعن النضال الوطنى للمؤمنين بها، واكدت مرة اخرى على سياسة الجبهة المتحدة والموقف المبدئى الذى يجب ان نتمسك به فى معاملة معتنقى هذه الديانة.

بعد هذه الحادثة، اختفى لقب "التشوندى" وظهر مكانه لقب آخر هو "كيمباى"، اى السن الذهبية. وحين رأى ان هذا اللقب الجديد قد استقر بين المقاتلين كاسم له، قرر ان يطلق على نفسه اسم "كيم كاب بو" مستبدلا بذلك كنية "كيم" بكنيته الاصلية، واسم "كاب بو" باسمه الاصلى. وفيما بعد، استخدم هذا الاسم فى جولاته التى قام بها لممارسة العمل السياسى.

لقد ولد لى تشانغ سون فى منطقة ريفية، ولكنه كان مثقفا وذكيا يمتلك مستوى عاليا الى حد ما من الثقافة. ولانه كان ماهرا فى الرقص والغناء والفكاهة، فقد امسك بزمام النشاطات الترفيهية. وكان شخصا اجتماعيا جدا، حتى انه كان يعقد الصداقات بسهولة مع اناس يلتقيهم لاول مرة. وكان مفرطا فى الصراحة، ولكنه كان متكبرا فى الوقت نفسه.

بعد مضى شهر او شهرين على انضمامه الى جيش حرب العصابات، جاء كيم بيونغ لمقابلتى، وكان حينئذ رئيسا لشعبة التنظيم فى القسم السياسى للوحدة، وقد قال لى ان "كيمباى" سأله اذا كان الوقت لم يحن بعد لترقيته الى منصب اعلى، منصب الموجه السياسى للسرية. وكان الموجه السياسى لسريته يعانى شيئا من الضعف على المستويين النظرى السياسى والعملى. يبدو ان علامة "كيمباى" الذى راكم منذ زمن بعيد الخبرات والتجارب بما فى ذلك عمله ككادر فى حزب الشبيبة التشوندية، كان يرى انه من المجحف ان يكون رئيسه شخصا يراه اقل كفاءة منه.

استدعيت لى تشانغ سون، وبعد ان حدثته عن المظاهر الايجابية لموجهه السياسى ومآثره التى لا يعرفها، قدمت له بعض النصائح: فيمكنه مع الوقت ان يصل، ليس الى منصب الموجه السياسى لسرية وحسب، وانما الى مناصب اكثر أهمية؛ ولكن، مثلما يبدأ طريق المئة رى بخطوة واحدة، ومثلما يبدأ الطالب الجامعى بالمدرسة الابتدائية، فانه لا بد كذلك للكادر العسكرى والسياسى الكفء من ان يمر بالضرورة بمراحل الممارسة العملية الاساسية والتدريب؛ وانه قد انهى مرحلة التدرب كجندى فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، وعليه من الآن فصاعدا ان يمر بمرحلة الاعداد كعامل سياسى ممتاز؛ واننى عندما قبلته فى جيشنا كنت افكر فى تكليفه بالقيام بالعمل السياسى بين التشونديين؛ وانه عليه ان يعد نفسه كعامل سياسى، بل كادر سياسى كبير ليضم ليس عددا صغيرا كعدد افراد السرية، وانما مئات وآلاف، بل وعشرات الآلاف من المؤمنين بهذه الديانة الى جمعية استعادة الوطن. واوضحت له اننى سأخصص لتدريبه كيم بيونغ، رئيس شعبة التنظيم فى القيادة، وكوون يونغ بيوك، رئيس شعبة الدعاية، بحيث يكتسب المعارف السياسية والنظرية واساليب العمل مع الجماهير وفى السرية، وان كان الشىء الاساسى هو استيعاب الملامح الشعبية؛ ومع الاخذ بعين الاعتبار ان التواضع هو اجمل الفضائل، فان عليه ان يقف موقف التلميذ الذى يود ان يتعلم مدى الحياة، وألا يعتبر ان معلميه هم رواد الثورة وحدهم، وانما كذلك من هم فى مثل سنه، ومن هم اصغر منه سنا ايضا، وعندئذ سيحترمه الجميع ويتبعونه.

وفيما بعد، نقلناه من السرية المقاتلة الى القسم السياسى فى القيادة. ومنذ ذلك الحين عمل كموجه دعائى للفوج السابع بينما هو داخل الوحدة، واثناء وجوده خارج الوحدة كان يتصرف كعامل سياسى مكلف بالعمل مع معتنقى ديانة تشوندو. ثم عكف بعد ذلك على ممارسة النشاط السياسى السرى وحسب.

لقد كانت احدى مآثره البارزة هى ضم باك اين زين وعدد كبير من التشونديين فى المناطق الشمالية من كوريا الى صفوف جمعية استعادة الوطن.

ومن خلاله كنا نحصل على اخبار باك اين زين والوضع الداخلى للتشوندية، ونقيم اتصالات مع معتنقى هذه الديانة.

لقد كان باك اين زين شخصية بارزة فى المراتب الدينية التشوندية. كان اسمه الدينى مون آم، وقد انضم الى هذه الديانة فى عام ١٩٠٩ وتولى عدة مناصب فيها حتى عام ١٩٣٢، حين جرى تعيينه "دوزونغ" فى زيوونبو.

وقد كان للتشوندية تسعة وعشرون فرعا فى مختلف انحاء التراب الوطنى سمى كل واحد منها "بو"، وكان فرع زيوونبو احد اكبر الفروع، فهو يضم اساسا فونغسان وسامسو وكابسان وتشانغباى وعدة اماكن اخرى. وكان باك اين زين معروفا كذلك على انه "دوزونغ" منطقة ريونغبوك (وهى منطقة تقع الى الشمال من ممر ماتشون الجبلى).

كان والده عضوا فى حزب دونغهاك، وقد انضم الى الجيش الجنوبى المتمرد بقيادة زون بونغ زون وقاتل ببسالة فى حرب كابو الفلاحية. وحين اخفق التمرد وبدأت المجزرة الكبرى ضد مئات آلاف المتورطين، غادر مسقط رأسه فى محافظة زولا والتجأ الى ريونغبوك النائية.

ان روح المقاومة التى أظهرها التشونديون وابوه فى وقائع يرويها وكأنها حكايات، اثرت على سيرة حياة باك اين زين.

وشكلت انتفاضة أول آذار الشعبية اكبر محن لارادته وقناعته. فقد نظم مظاهرة استقلالية فى فونغسان، وتقدم صفوف اكثر من ألف متظاهر وحاول الدخول الى مبنى البلدية، ولكنه أصيب اصابة خطرة بالرصاص.

وكـان عليـه ان يعـانى طـوال ثـلاث سـنوات فـى سـجن هـامهونـغ وسـجن سـودايمون. وكانت أساليب التعذيب التى مورست ضده متوحشة، ولكنهم لم يستطيعوا مع ذلك تحطيم ايمانه الدينى وروح المقاومة لديه المحفورين عميقا فى قلبه. ولـدى خروجـه مـن السـجن، أقام اتصالات مع القوات الاستقلالية، وكـرس نفسـه خـلال ثـلاث أو أربـع سـنوات للعمـل على مساعدة تلك القوات، مما اضطره الى التنقل عبر أماكن كثيرة. وعندما جرى طـرد تلـك القـوات الـى ارض الغربـة قبـل أن تقـوم بأعمـال جـديرة بالـذكر، ودعهـا بـالزفرات والدموع وبحث عن مكان لا يرى فيه إلا اقل ما يمكن من آثار اليابانيين الكريهـة. وهكذا انتقـل مـع أسـرته الـى قريـة جبليـة نائيـة فـى ناحيـة تشـوننام بقضـاء فونغسـان، حيث أقـام مصلى ومدرسة ليلية. وكرس نفسه هناك لاقناع لى تشانغ سون وآخرين من أهالى القرية بالمعتقدات التشوندية والروح الوطنيـة. ولكـن، حتـى ذلـك المكـان الجبلـى لـم يكـن بـالملجأ الآمن. فالزيارات التى كان يقوم بها أناس غير مرغوبين فى نهاية كل أسبوع وكـل شـهر اضطرته الى مغادرة فونغسان ليستقر فى شارع جديد بمحافظة تشانغباى.

لقد روى لنـا لـى تشـانغ سـون حدثـا ممتعـا آخـر يمكـن لـه أن يسـاعد فـى التعـرف على شخصية باك ان زين. ففـى احـدى المـرات، وكـان عازبـا فـى التاسـعة والعشـرين مـن عمـره، ذهـب الـى القريـة المجـاورة ليتعـرف علـى فتـاة. وبعـد التعـارف سـألته الوسيطة العجوز اذا كانت الشابة قد أعجبته، فقال لهم نعم. وكـان والـد الفتـاة قد بقـى صـامتا وهـو يـدخن فـى غليـون قصـير، وبعـد أن انتظـر وقتـا طـويلا توجـه اليـه يسـأله بنبرة فظة، وكأنه يريد الشجار معه:

"هل أنت فى الرابعة والعشرين من عمرك حقا؟"

فاخبره باك اين زين بالحقيقة وقال له ان عمره تسع وعشرون سنـة. ولانـه كـان رجـلا مستقيما لـم يكـذب مـرة واحـدة فـى حياتـه، فانـه لـم يعلـم ان الخاطبـة كانـت قـد انقصت خمس سنوات مـن سنـه عندما قدمتـه. وعندئـذ خـرج صـوت متحشـرج مـن فـم الخاطبة العجوز.

فى ذلك الزمان كانت تسود عادة الزواج المبكر، واذا ما تأخر شاب فى الـزواج الى ما بعد بلوغه العشرين، فان الشكوك حولـه تبـدأ بـالظهور علـى انـه مصـاب بخلـل

جسدى او انه معتوه. ولهذا، كان من الطبيعى ان يقطب والد الفتاة العجوز حاجبيه حين سمع ان عمر الشاب تسع وعشرون سنة. ولكن باك اين زين لم يكن قد تزوج بسبب فقره الشديد.

قال والد الفتاة بصورة قاطعة انه لا يستطيع تسليم ابنته الى عانس يقترب من الثلاثين من عمره، وقد كان لقوله ذاك وقع القنبلة على باك اين زين.

احس بكل شىء يظلم امام عينيه، ولكنه استعاد السيطرة على نفسه وفاجأ الشيخ بصوت حاد: "قل لى، ما هو العيب الذى تراه بى؟ هل ينقصنى أنف او عين؟ هل تستطيع ان توضح لى سبب رفضك؟".

ارتبك العجوز وحاول ان يبرر موقفه بالقول انه ليس لديه سبب محدد؛ وان كل شىء فيه على ما يرام، باستثناء عمره، وهو الشىء الوحيد غير المؤاتى، وانه قد تظهر اشاعات سفيهة تقول انه قد تخلى عن ابنته الحبيبة لعجوز ارمل يكبرها باحدى عشرة سنة.

لكن باك اين زين لم يستسلم امام هذا التفسير، بل على العكس من ذلك، حاول ان يفرض مشيئته. قال له انه اذا كان عمره هو السبب الوحيد للرفض، فانه مصمم على الزواج من الفتاة مهما كلف الامر؛ وانه من الظلم معاملته على انه ارمل فى حين لم يلمس يد فتاة رغم بلوغه تلك السن؛ وانه لن يتحرك خطوة واحدة من مكانه الا بعد موافقة والد الفتاة على الزواج؛ وانه اذا اصر على الرفض فانه سيخطف ابنته ويحملها فى كيس، وهكذا لا بد للاب ان يفكر بصورة جدية ويعطيه رده النهائى.

فى هذه اللحظة، ابتسم شقيق الفتاة ابتسامة موحية وهو يهمس له بان اذا كان مصرا على الزواج من اخته، فعليه ان يدفع الف وون. وقد كان ذلك مبلغا كبيرا جدا يمكن الحصول به على اكثر من عشرين ثورا. وكان امرا لا يمكن ان يتصوره باك اين زين الذى لا يملك حتى عجلا واحدا؛ ولكنه اكد مع ذلك باطمئنان انه سيدفع هذا المبلغ اذا ما اعطوه الفتاة. اما العجوز الذى كان يتفحص وجه الشاب لوقت لا بأس به، وكأنه عالم بالفراسة، تكلم اخيرا واعلن عن موافقته.

وهكذا تحرر من حياة العزوبية. ولم تستمر بالطبع المطالبة بمبلغ الالف وون.

والواقع انها كانت اختبارا لمعرفة مدى تصميم المتقدم للزواج. ففكرنا بأنه دون ريب شخص حازم وفخور بنفسه وذو ارادة فولاذية.

لقد كان فى شخصية باك اين زين الذى عرفناه من خلال الحديث مع "كيمباى" شىء يثير الاعجاب.

بعد الانتهاء من اعداد لى تشانغ سون كعامل سياسى مسؤول عن خط التشوندية، وعندما اردنا ايفاده الى باك اين زين، اكدت له اننا نحن واتباع ديانة تشوندو كوريون محبون للبلاد والامة واصدقاء للجماهير الشعبية البائسة والفقيرة؛ وان هدفنا الاول هو النضال من اجل "طرد اليابانيين" و"مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب"، وان الواجب يحتم علينا ان نتوحد ونقاتل بقوانا الموحدة ضد الامبريالية اليابانية، وان رغبتنا هى ان يجتمع عما قريب مندوبون من كلا الطرفين ليتفاوضوا بكل صراحة.

وقد عاد "كيمباى" الى المعسكر السرى بعد ثلاثة ايام من ذلك.

لقد اعرب باك اين زين عن دعمه لاقتراحنا بتوحيد قوانا من اجل الحرب المناهضة لليابان وطلب منا ان نرسل ممثلا عنا للمباحثات.

اعددت نفسى للذهاب. ولكننى لم استطع مع ذلك مغادرة المعسكر بسبب ظروف قاهرة. فقد جرت فى ذلك الحين "محادثات تومين" بين مينامى وويدا. ومع بدء "عملية التأديب الشتوية الكبرى" كان على الجيش الثورى الشعبى ان يواجه محنا قاسية.

وكان هناك فى الوقت نفسه عدد كبير من عملاء العدو يجوبون المنطقة بجنون للاعتداء على حياتنا بالذات.

عارض رفاقى فى السلاح ذهابى بصورة قاطعة، وذلك، كما قالوا، من اجل مصير المعسكر السرى الذى اقيم حديثا ومن اجل ضمان أمنى الشخصى. وحيث ان عملاء العدو كانوا قد توغلوا قبل ذلك بقليل حتى مسافة قريبة من المعسكر، فقد كان جميع الرفاق متوترين.

فاضطررت اخيرا الى ارسال كيم بيونغ ولى تشانغ سون الى المحادثات.

كان كيم بيونغ يتمتع بمهارة عملية، فمنذ نعومة اظفاره عرف اعمالا عديدة وتعلم تنفيذ اى مهمة دون صعوبات. كما انه كان بارعا فى معرفة رموز اللغة الصينية، بفضل تلقيه العلم لخمس او ست سنوات فى مدرسة خاصة. وفى صباه، تلقى التعليم فى مدارس نظامية، وبعد انضمامه الى الجيش الثورى الشعبى، اجتاز دورة عسكرية وسياسية فى المدرسة الميدانية، مركز اعداد قادة جيش حرب العصابات. كما انه عمل معلما فى مدرسة. اما اختياره، مع لى تشانغ سون، لتمثيلنا فى المحادثات مع التشونديين، فربما يكون قد تم بسبب تقديرنا الكبير لمعارفه حول التشوندية وخبراته فى النشاطات السياسية.

جرى اللقاء بين باك اين زين ومندوبينا فى غرفة داخلية من بيت لى زون هوا؛ رئيس زونغريوون(٠) تشانغباى، وكان يقيم فى قرية وانغكيدونغ بسيتشيداوكو فى محافظة تشانغباى.

فى البداية، عرض كيم بيونغ على باك اين زين اوراق اعتماده كمندوب والتى تحمل توقيعى، ثم سلمه برنامج النقاط العشر والبيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، ثم تحدث بعد ذلك باسهاب حول امكانيات التحالف.

ابدى باك اين زين اهتماما كبيرا بنوع السلطة التى سنقيمها بعد طرد الامبرياليين اليابانيين. لقد كان يعارض بعث النظام الملكى الذى كان سائدا فى كوريا القديمة، والنموذج السوفييتى الذى اقيم فى روسيا، وكذلك التوجه الى اضفاء الشرعية على "الحكومة المؤقتة لجمهورية كوريا" والمعروفة باسم "حكومة المنفى".

اشار كيم بيونغ الى البند الاول من برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن، واوضح له بالتفصيل اننا نتطلع الى اقامة سلطة شعبية تستند الى النظام البرلمانى لممثلى الشعب الذين يتم اختيارهم بطريقة ديمقراطية، بما يتفق وارادة الامة بأسرها. واعرب باك اين زين عن دعمه غير المشروط لاقامة سلطة الجماهير

---

(٠) زونغريوون: مؤسسة تشوندية تعالج الشؤون المتعلقة بالامور الادارية فى منطقة معينة – المترجم

الشعبية، مثلما هو وارد فى البرنامج. ولكنه اعترف بكل صراحة فى الوقت نفسه بقلقه وارتيابه من انه اذا تحققت استعادة البلاد وحانت لحظة اقامة الحكومة، فاننا سنتجاهل العهد الذى قطعناه، وسنقيم سلطة شيوعية من النمط السوفييتى.

كانت تجرى فى الاتحاد السوفييتى آنذاك حملة تطهير ضد العناصر المناهضة للحزب والعناصر المعادية الاخرى، وهو ما كانت له اصداء سلبية بين شعوب البلدان المجاورة.

فقال كيم بيونغ مؤكدا انه حتى بعد استعادة البلاد، فان الشيوعيين الذين خاضوا الكفاح المسلح المناهض لليابان لن يقوموا، عند توليهم السلطة، بتقليد النموذج السوفييتى، وانه وفقا لما يشير اليه برنامج جمعية استعادة الوطن، فان الحكومة التى سنقيمها فى الوطن المستقل ستكون سلطة للشعب، يمارس صلاحياتها السياسية سادتها، اى الجماهير الشعبية نفسها، وانها ستجسد اقصى درجات الديمقراطية، وستمثل وتدافع ليس عن مصالح العمال والفلاحين وحدهم، وانما كذلك عن مصالح جميع القوى الوطنية التى تضم قطاعات وفئات اجتماعية واسعة.

وقد اخبرنى انه لكى يثبت صحة طرحنا، روى له كيف حولنا السوفييتات الى حكومات ثورية شعبية فى مناطق حرب العصابات فى تشينتاو .

قال باك اين زين انه لم تعد لديه آراء اخرى فيما يتعلق ببرنامج النقاط العشر والبيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، واذا لم تكن كلتا الوثيقتين دعاية، بل تعكسان اخلاصنا، واذا كانت لدينا الارادة الحديدية لنقلهما الى الممارسة العملية، فان التشونديين سيكونون على استعداد للمشاركة فى الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان. واضاف قائلا ان اتخاذ القرار بهذه المشاركة يشكل قضية هامة، فانه لا يستطيع اتخاذه بمفرده، وانه سيقدم الرد النهائى بعد ان يتشاور مع المتدينين الآخرين ومع تشاى رين، رئيس المحفل المركزى للتشوندية. وحاول، بصورة غير مباشرة، ان يعرف اذا ما كان بامكان كيم بيونغ ان يأخذه الى المعسكر السرى ليلتقى معى قبل ان يقابل تشاى رين. وقد اكد له كيم بيونغ انه سيبذل كل ما يستطيع من اجل ارضاء رغبته.

ولم يقل باك اين زين باستخفاف اذا ما كان سيتعاون معنا ام لا. بل اعطى جوابا غير محدد. ولم يكن هناك اى شك فى انه ينوى اعطاء كلمته النهائية بعد ان يلتقى معى. ولكن تلك المحادثات كانت، على اى حال، مثمرة جدا.

فى اليوم التالى، جمع اكثر من خمسين رجلا وامرأة من معتنقى التشوندية فى كنف زونغريوون تشانغباى، واقام مأدبة عظيمة تكريما لممثلى الجيش الثورى الشعبى الكورى. فقد ذبحوا خنزيرا واعدوا كعك الارز لتكريمهما. نشروا حول المكان حراسا من حزب الشبيبة التشوندية، بل ونظموا كذلك نشاطا ترفيهيا. وقد اعترف لى كيم بيونغ بانه قدر مرة اخرى روح التشونديين الوطنية، فجميع الاغانى والرقصات التى قدموها كانت تنضح بالوطنية والحماسة الكفاحية. وقال لى ان مضيفهم لى زون هوا انشد اغنية "عثرت، عثرت، ... عثرت اخيرا على العدو"، وهى الاغنية التى انشدها وو دوك سون الذى رافق آن زونغ كون حين انطلق هذا الاخير الى هاربين لاغتيال ايتو هيروبومى. وقد كان غناؤه شجيا، حتى ان جميع مستمعيه بكوا من الحزن والقهر.

فى اوائل شتاء ١٩٣٦، زار باك اين زين معسكرنا. ومازلت اذكر حتى الآن، ان لى زون هوا كان بين مرافقيه.

كانوا جميعهم يرتدون الدورماغى(٠) الاسود. وبدلا من شرائط التحزيم القماشية، وضعوا زرين بعروتين وليس زرا واحدا. وقد فعلوا ذلك لتمييز انفسهم فى المظهر الخارجى حسب قواعد اللباس التشوندية.

وفور لقائنا مع باك اين زين، اعرب عن شكره من اعماق قلبه لدعوتى اياه.

"لم يخطر ببالى مطلقا ان يكون تحقيق رغبتى برؤية القائد بمثل هذه البساطة. اننا نشعر بالخجل الكبير لاننا لم نقدم بندقية واحدة او فلسا واحدا للحرب المناهضة لليابان من اجل الاستقلال."

حين سمعت كلامه ادركت انه متواضع جدا ومهذب ونزيه. فقلت له باخلاص:

---

(٠) الدورماغى: نوع من الملابس التقليدية الكورية تشبه القفطان – المترجم

"اننا نعتز بالقلب اكثر من اعتزازنا بالمال او المتاع. ونحن نعير لمحبة البلاد اهتماما اكبر من اهتمامنا بتقديم كمية معينة من النقود او من البنادق كمساعدة. لقد سمعت ايها الدوزونغ انكم قد حافظتم بثبات حتى اليوم على مشاعركم الوطنية. وهذه المشاعر النبيلة تضاعف حماسنا مئة مرة. كما ان وجود شخص مثلكم ايها الدوزونغ يزودنا بقوة وسعادة كبيرتين، خصوصا وانكم تحافظون على نقائكم الوطنى رغم هذه الازمنة المظلمة."

فرد على باك اين زين:

"انكم تبالغون فى المديح، فانا لا استحق كل هذا." ثم اعتذر باخلاص لانه انخدع لبعض الوقت بدعاية اليابانيين الدنيئة، واعتقد ان الجيش الثورى الشعبى هو "عصابة من قطاع الطرق" بينما هو فى الواقع جيش يقاتل باندفاع فى سبيل عملية استعادة الوطن المقدسة. قلت له ان عدم تعارف الناس جيدا قد يؤدى الى بروز سوء تفاهم، بل وظهور مشاعر العداء ايضا؛ واننا لا نلقى اللوم على احد فى هذا الشأن؛ وان الشىء المهم هو كيفية التصرف فيما بعد؛ وانه علينا نسيان الماضى والتفكير معا فى المستقبل وحده؛ وانه قد علم من ممثلينا اننا قد اسسنا فى الربيع الماضى جمعية استعادة الوطن بهدف جمع شمل المواطنين من مختلف القطاعات والطبقات ممن يحبون البلاد والامة ويكرهون الاوغاد اليابانيين لكى نخوض الحرب الوطنية العظمى المناهضة لليابان؛ وانه اذا كان التشونديون الشرفاء متفقين مع برنامج الجمعية، فلينضموا الى المعركة المقدسة؛ واننا اذا ناضلنا متحدين، فسوف ننتصر، اما اذا تفرقنا الى فئات وشيع فسوف نتعرض للهزيمة فى جميع المعارك ولن نتوصل الى استعادة الوطن؛ وهذا درس مرير نستخلصه من التاريخ؛ ففى اوج حرب كابو الفلاحية، لو ان تشاى سى هيونغ، القائد الاعلى لجيش منطقة هوسو(٠) الشمالى المتمرد، وافق فى الوقت المناسب على اقتراح التعاون الذى تقدم به زون بونغ زون الذى كان يقود جيش منطقة هونام(٠) الجنوبى المتمرد، ولم يعارض الزحف نحو سيؤول، فلربما كان قد تغير وجه

---

(٠) منطقة هوسو: منطقة تضم محافظتى تشونغتشونغ الشمالية والجنوبية – المترجم

(٠) منطقة هونام: منطقة تضم محافظتى زولا الشمالية والجنوبية – المترجم

التاريخ الى حد ما؛ كما ان احد الاسباب الرئيسية لفشل انتفاضة حزب دونغهاك يكمن فى ان القوى الوطنية من مختلف الاماكن والطبقات الاجتماعية قاتلت مشتتة وعلى هواها، دون ان تتوصل الى توحيد صفوفها؛ ولهذا، اذا كنا نريد الوصول بالحرب المقدسة المناهضة لليابان الى الانتصار وتحقيق استعادة البلاد، فلا بد للامة كلها من ان تناضل متحدة فى كيان واحد؛ فالوحدة هى الاجراء الاكثر حكمة الذى يتيح توجيه كل قدرة الامة الى المعركة المناهضة لليابان والى طريق انتصارها العظيم؛ لا يمكن للتشونديين بقواهم وحدها ان "يدحروا اليابانيين" ولا يمكنهم كذلك "مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب"؛ كما لا يمكن للجيش الثورى الشعبى الكورى ان يحقق وحده استقلال كوريا؛ ولكن، بتوحيد جميع القوى الوطنية المناهضة لليابان فقط، يمكن الامل بالانتصار؛ ولهذا، علينا ان نلتف كلنا حول جمعية استعادة الوطن، ليتحول كل واحد منا الى شريطة فى ضفيرة الوحدة الوطنية الكبرى.

اكد باك اين زين على انه لا غبار على البيان التأسيسى وبرنامج جمعية استعادة الوطن، وان آرائى صائبة تماما، ولهذا فانه سيسعى لاقناع تشاى رين رئيس المحفل التشوندى لكى يدعو الثلاثة ملايين تشوندى للانضمام الى جمعية استعادة الوطن فى آن واحد فى كل انحاء البلاد. وهذا يشير الى انه فى الديانة التشوندية، التى كان يسودها بصورة صارمة مبدأ الديمقراطية المركزية، يمكن للهيئة المركزية ان تتمتع بصلاحية مطلقة فى اتخاذ القرار. ولكن الوصول الى هذا الهدف كان شبه مستحيل مع ذلك. فقد كانت المراتب العليا فى التشوندية آنذاك آخذة بالتفسخ والانحدار.

اطلعت باك اين زين بصراحة على رأيى بانه اذا ما توصل الى ذلك، فانه لن يكون هناك اى شىء افضل منه. ولكننى ارى انه يجب عليه عدم انتظار تشاى رين كثيرا. فنشاطاته وكتاباته فى الفترة الاخيرة تشير الى انه يمضى فى طريق مختلف تماما عن الطريق الذى كان يسير عليه من سبقوه من رؤساء الديانة التشوندية. فقد خان المثل العليا لدونغهاك وللامة، وكان ينحدر الى خادم للسلطة المعادية.

سألنى باك اين زين وهو مستغرب بعض الشىء عن الطريقة التى جعلتنى

اعرف تشاى رين جيدا، واعترف لى ان هناك بين المؤمنين من ينظرون باستياء الى تحوله الغريب، وانه هو نفسه ايضا يرتاب منه.

كان تشاى رين قد شارك فى تحرير بيان الاول من آذار الاستقلالى. وساهم مساهمة كبيرة فى بدء حركة اول آذار. وقد تعرض للسجن بسبب ذلك. ولكنه بعد اطلاق سراحه وترقيته الى منصب الزعيم الروحى للطائفة بتوصية من سون بيونغ هى، الكيوزو(٠) الثالث للتشوندية، بدأت تظهر فى مسيرة حياته بعض مظاهر "تبديل الاتجاه".

ادعى انه من اجل اقامة "الفردوس الارضى" عن طريق "تحويل العالم الحالى"، وهو الهدف الاعلى للتشوندية، لا بد من الترحال الى كل الارجاء من اجل الاطلاع على الوضع السياسى للشرق والغرب، والبحث من خلال ذلك عن مشروع واقعى وعقلانى للاصلاح. وقد قام بجولة عبر العالم استغرقت عاما كاملا. وعند عودته بشر بأنه من المستحيل فى ظل الاوضاع الراهنة ان تستقل كوريا وتتحرر من السيطرة الاستعمارية اليابانية، وان قوة اليابان تتعاظم على المستوى العالمى، ولهذا فان افضل ما يفعله التشونديون هو "حركة الحكم الذاتى" دون اثارة مواجهات غير مجدية الف مرة مع اليابان.

وقد اصر تشاى رين على ضرورة المشاركة فى الحكومة من اجل حماية التشوندية من قمع الامبريالية اليابانية.

اعرب باك اين زين عن موقفه بوضوح من يقطع لفتة بسكين:

"على الرغم من ان تشاى رين يؤدى دور الخادم لدى الحاكم العام، الا انه يدعى بانه يفعل ذلك كله من اجل التشوندية واتباعها، ولهذا فان الاغلبية المطلقة من المؤمنين لم ينتبهوا الى خدعته. انا نفسى كنت اثق به واوقره. فى الصيف الماضى، ذهب لى زون هوا، رئيس الزونغريوون، الى سيؤول وقابل هناك تشاى رين. وقد قال لى انه قد تبدل كثيرا بالنظر الى بيته الفخم الذى تم تجديده واسلوبه فى الحديث

---

(٠) الكيوزو: اعلى مرتبة تشوندية – المترجم

والتصرف. ومع ذلك، لا اريد تصنيفه كمرتد قبل ان اراه بعينى. ولهذا فاننى افكر بمقابلته حين تتاح لى فرصة الذهاب الى سيؤول، بعد وقت قصير. سيعقد فى سيؤول المؤتمر المركزى للتشوندية، وسوف اشارك فيه. فاذا ما تأكد لنا ارتداده، فاننا سنطرده من صفوفنا. سوف نتصرف وفق ارادتنا."

تبادلنا خلال اللقاء آراء عديدة، فتحدثنا حول الوضع الداخلى والخارجى، والحالة الحقيقية للحركة القومية، ومسيرة الكفاح المسلح المناهض لليابان، وبناء الوطن بعد استعادته اضافة الى موضوعات اخرى.

وكانت محادثاتنا تدور فى ساعات الليل والنهار على السواء. وفى اوقات الراحة القصيرة كنا نعرض على ضيوفنا مظاهر الحياة فى وحدتنا.

قال باك اين زين باعجاب ودهشة ان اسلحة الجيش الثورى الشعبى الكورى واعتدته احدث بكثير مما كان يتصور؛ وان مظهر جنوده انيق جدا وتبدو عليهم الحماسة؛ وان النظام والنظافة يسودان المعسكرات ومحيطها؛ وان النشاطات اليومية منسقة جيدا؛ وان المقاتلين يعملون كرجل واحد لشدة النظام والانضباط، ويثيرون الانطباع بانهم جنود جيش نظامى. اضف الى ذلك، انه قدر عاليا الموقع الجبلى النادر الذى اقمنا فيه معسكرنا السرى. وحسب تعبيره، فان الجبال والجداول فيما حول معسكر جيش حرب العصابات تعطى المرء انطباعا بانه فى احد اودية جبل تشونسونغ فى ريانغسان بمحافظة كيونغسانغ، حيث اقام تشاى زاى وو، مؤسس التشوندو(٠) مرتين لتثقيف نفسه. ومعبد نايوون الموجود فى هذا الجبل، كان يرتبط بحكاية قديمة تروى كيف ان الكاهن البوذى وون هيو، والد سول تشونغ، مؤلف كتاب "هواوانغكى" الشهير، علم اكثر من الف كاهن من تانغ تعاليم "هواومكيونغ" حيث تمتدح فضائل بوذا العشرة آلاف، وقد تمكن بذلك من تحويلهم الى بشر سامين. فى هذا المكان العريق بتاريخه، هذب مؤسس دونغهاك نفسه ووضع تصوره لهذه العقيدة.

---

(٠) التشوندو: تعاليم اخلاقية او قوانين ينظر اليها على انها من وحى السماء — المترجم

وقال باك اين زين انه يشعر بان قوته تتضاعف وهو يرانا نعد العدة لتحرير الوطن ونحن فى قلب غابة بايكدو، بل ونصوغ مشروعا مثل "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن"، وهو اعظم مشروع لبعث الامة، حتى انه اكثر حيوية من "هواومكيونغ" او "دونغكيونغ دايزون" واننا ندرب شبانا كثيرين ونعدهم كمقاتلين.

ولكن ذروة تأثره كانت فى اللحظة التى اعددت له الوضع المناسب لممارسة "تشونغسو بونغزون".

هنالك فى الديانة التشوندية خمسة فروض اخلاقية يتوجب على المؤمنين ان يتقيدوا بها بصورة دقيقة، وهذه الفروض هى: زومون، تشونغسو، سيئيل، سونغمى، كيدو. اما "تشونغسو بونغزون" فتعنى التعبد امام ماء نقى فى قصعة من النحاس، وهو فرض لا يمكن للتشونديين ان يخرقوه ولو يوما واحدا. وترمز "تشونغسو" الى اصل السماء والارض وتعكس تعهد المؤمنين بعدم نسيان بركتهما. وطوال فترة صقل نفسه روحيا، كان تشاى زاى وو يستسلم بعمق لتأملاته ثلاث مرات فى اليوم قبالة اناء من الماء الصافى ويمارس هذه الفريضة حتى اللحظات الاخيرة، قبل ان يتم قطع رأسه. ولهذا، جعل التشونديون من شعيرة تشونغسو بونغزون نظام سلوكهم التقليدى الذى لا يمكن خرقه، لانها ترمز الى روح ودم مؤسس ديانتهم. وحين كنت اتعلم فى مدرسة هواسونغ، شاهدت كيف كان تشاى دونغ او وكانغ زى ها وتشونديون آخرون يجمعون اسرهم فى مكان محدد فى الساعة التاسعة ليلا لممارسة هذه الشعيرة.

فى ساعات الليل، كنت اتحدث مع الدوزونغ باك حول امور عادية، ولكن مع اقتراب الساعة من التاسعة تذكرت ان هذا الوقت هو موعد اداء التشونغسو بونغزون، فارسلت جندى اتصال لاحضار الماء الصافى فى اناء. ووضعته على طاولة مصنوعة من جذوع الاشجار، وقلت للدوزونغ:

"هذا الماء من مكان مقدس، ولكننى متأسف لان الوعاء مطلى بالميناء وليس من النحاس. تفضل ايها السيد الدوزونغ وقم بعبادتك. وارجو ألا يشكل الاناء عائقا."

تطلع الى باك اين زين بعينين ملؤهما الدهشة:

"كيف تريدنى ان اؤدى هذه الشعيرة وانا فى ثكنة وحدة القائد الذى لا يؤمن بالتشوندية؟"

"يقال انه خلال تمرد حزب دونغهاك، كان معتنقو التشوندية يمارسون هذه الطقوس حتى وهم فى ميدان المعركة؛ فكانوا يرتلون صلواتهم كل يوم امام (تشونغسو). فهل يمكن لوجودكم فى معسكرنا ان يكون سببا فى تخليكم عن الفريضة التى احترمتموها لعشرات السنين؟ ارجوكم ألا تشعروا بالأسف، وتؤدوا عبادتكم."

لم يشأ اداء شعائره معتبرا ان ذلك لا يليق به كضيف، ولكننا طلبنا منه اداءها باصرار، وقلنا له اننا اذا كنا ندعو فى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن الى ضمان المساواة للجميع وتأمين حرية المعتقد الدينى، فاننا لن نشعر بالراحة اذا ما تخلف السيد الدوزونغ، وهو الارسخ ايمانا دينيا، عن اداء فروضه ولو مرة واحدة لمجرد انه موجود بين اناس ملحدين.

واخيرا، رتل دعاء من واحدة وعشرين كلمة امام اناء الماء الصافى. ثم كرره بعد ذلك ثلاث مرات متتالية وتناول رشفة من الماء، وقال بلهجة وقورة:

"ان لماء هذا الجبل طعما خاصا حقا. لن انسى طوال حياتى هذه الليلة، فقد اديت طقوسى الدينية بماء صاف كان يشرب منه مؤسس بلادنا. لم اكن اتصور حتى فى الاحلام ان يحترم رجل مثلك، ايها القائد، تعاليمنا الدينية. اننى متأثر حقا."

من الواضح ان باك اين زين، كغيره من المتدينين الملوثين بالعداء للشيوعية، كان يفكر بان الشيوعيين يحتقرون ويكرهون ويعادون الدين وتعاليمه.

فى احدى السنوات، واثناء غداء تناولته مع القس كيم سونغ راك، وهو كورى يقيم فى الولايات المتحدة وجاء لزيارة البلاد، نصحته بان يصلى قبل تناول الطعام. فأبدى دهشة كبيرة لما قلته. ويبدو انه لم يستطع ان يستوعب اهتمام رئيس دولة شيوعية بصلاة متدين قبل تناول الطعام.

واذا كنت قد فعلت ذلك يومئذ، فان السبب لم يكن ترك انطباع طيب لدى الضيف او الدعاية الى اننا لا نتعامل مع الدين والمتدينين بصورة سلبية. بل لقد فعلت فقط كجزء من تكريم المضيف للضيف وباحساس انسانى محض لمنحه امكانية

ممارسة طقوسه الدينية دون اى قيود كذلك فى الوطن، خصوصا وانه كان على الدوام مسيحيا مخلصا.

ان الفقرة التى تتحدث عن الحرية الدينية فى دستور جمهوريتنا، ليست مجرد كلمات بلا مضمون او عهد مثل رغوة الصابون. فنحن لم نخرق هذه الحرية فى اى وقت من الاوقات ولم نقمع المتدينين سواء فيما مضى او فى الوقت الراهن. واذا كان هناك متدينون تعرضوا فى ظل نظام جمهوريتنا للعقاب او للملاحقة السياسية، فليس ذلك الا لانهم مجرمون او خونة باعوا مصالح الوطن والشعب.

بعد تحرير البلاد، وقعت فى بعض المناطق حوادث قيام عناصر فئوية بالاساءة الى المتدينين والتعامل بعدوانية مع الدين نفسه، وهى انحرافات اثارت الاستياء الاجتماعى، ولكنها لم تكن ظواهر عامة، كما انها لم تكن بأى حال من الاحوال اعمال تعسف تقترف بمشيئة تنظيمية او بتعليمات من الهيئة المركزية.

فالى ما قبل حرب التحرير الوطنية ضد الامبريالية الامريكية، كان يوجد فى بلادنا العديد من الكنائس والمعابد. فقد ذهبت الى تشيلغول بعد تحرير البلاد، وكانت الكنيسة ماتزال هناك على حالها ومثلما كنت اراها عند دراستى فى مدرسة تشانغدوك. وعلى رابية نامسان فى بيونغ يانغ، حيث توجد الآن دار الدراسة الشعبية الكبرى، كانت هناك كنيستان كبيرتان. ولكن الامريكيين الذين يسمون انفسهم احبار "الرب" قصفوا بطائراتهم تلك الكنائس ودمروها. كما تحولت معابد كبيرة وصوامع فيها تماثيل لبوذا الى هدف للقنابل ايضا. اما الصلبان والايقونات والاناجيل فقد احرقت وتحولت الى رماد او دفنت تحت الانقاض. وجرى قتل العديد من المتدينين.

وكما هو واضح، فان من عاثوا فى الكنائس خرابا وقتلوا المؤمنين هم الامريكيون. ولم يستطع "الرب" منع هذه الفظائع. وهذا هو السبب الذى جعل عدد من يترددون على الكنائس يتناقص خلال فترة الحرب، اذ لم يعد متدينونا يشعرون بالحاجة للصلاة امام "الرب" لكى يرسلهم الى "الجنة". فحين ادركوا انه لا يمكن ان يكون للدين اى دور فى صياغة مصير الكائن البشرى، هجروه من تلقاء انفسهم واعتنقوا فكرة زوتشيه المستندة الى مبدأ ان الانسان هو سيد كل شىء وهو الذى

يقرر كل شيء، وانه هو مبدع العالم والمسيطر عليه. وعندما انتهت الحرب، لم يسارعوا الى جمع التبرعات لاعادة بناء الكنائس، بل عملوا اولا على بناء المساكن والمصانع والمدارس.

لا يوجد بين اجيالنا الشابة اليوم من يرون انه من اجل تحقيق السعادة او الذهاب الى الجنة يتوجب عليهم الايمان "بالرب" او "بهانووليم"(٠) او ببوذا. ولهذا فانهم لا يؤمنون بالاديان ولا ينضمون الى منظمات دينية.

وكعادتنا، فاننا لا ننظر بعين السوء الى الدين ولا نسيء كذلك الى المتدينين. بل على العكس من ذلك، فالدولة تبنى لهم الكنائس مجانا وتوفر لهم ظروف الحياة. ومنذ سنوات اوجدنا كرسى الاديان فى كلية التاريخ بجامعة كيم إيل سونغ. وفيها يتم اعداد المتخصصين. وكما هو الحال فى بلدان اخرى، تتم فى بلادنا ايضا حماية كل نشاطات المنظمات الدينية والمؤمنين بقوة القانون.

وحسب المعلومات المتوفرة، توجد فى جنوبى كوريا اعداد كبيرة جدا من المتدينين. وقد ظهر بينهم عدد غير قليل من الوطنيين والمناضلين الذين يعملون بنشاط على الجبهات الثلاث: الديمقراطية، والتوحيد، والسلام.

وفى الوقت الراهن، يتزايد بكثرة عدد الشخصيات الوطنية بين المتدينين فى جنوبى كوريا وفى الخارج، ممن يدعون الى التحالف مع الشيوعيين، وليس هذا لانهم يتعاطفون مع "البيان الشيوعى"، وانما لان فكرة محبة البلاد والامة تدفعهم للارتباط معنا.

وقد وجدت مثل هذه الروابط فى عقد الثلاثينات. فقد كان مبدأ الجبهة المتحدة يقوم على انه يمكن الاتحاد مع اى فئة اجتماعية على قاعدة محبة الوطن والامة، وهو مبدأ وارد فى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن، وقد توصلنا بمقتضاه الى مصافحة يد الدوزونغ باك اين زين ايضا.

هنالك اناس يشوهون فكرتنا حول حرية الدين على انها حيلة للمصالحة المؤقتة تستهدف ادخال المتدينين فى شبكة الجبهة المتحدة. وعلى الرغم من

---

(٠) هانووليم: الكون مجسدا فى الانسان – المترجم

ان لهذا التحريف صوتا عاليا، الا انه لا يمكن سماعه كحقيقة. فالعلاقات الحميمة التى ربطتنى بكل من او دونغ زين، وسون زونغ دو، وتشاى دونغ او، وكانغ زى ها وغيرهم من المتدينين، كانت تستند الى المشاعر الوطنية الخالصة، ولم يكن مصدرها الاحتيال باى حال من الاحوال. فانا لم احاول على الاطلاق تحويلهم الى اتباع لماركس، كما اننى لم افكر فى استخدامهم لحماية الحزب الشيوعى. والشىء الوحيد الذى فعلته هو الاحترام المخلص لمعتقدهم الدينى ولشخصيتهم ولحقوقهم ككائنات بشرية.

لم يكن من قبيل المصادفة ان الدوزونغ، وبعد ان تعبد امام الماء الصافى، قال بصراحة انه قد توصل الى فهمنا بطريقة اخرى. فبعد ان انهى طقوسه الدينية فى ذلك اليوم، سألنى بصورة مفاجئة:

"اود ان اسألك ايها القائد، هل تقدس شيئا مثلما نقدس نحن (هانووليم)؟ فاذا كان الامر كذلك، ما هو هذا الشىء؟"

تقبلت سؤاله كاعراب عن ثقته بنا، واوضحت له بكل نزاهة:

"هنالك بالطبع شىء اقدسه، مثلما تقدسون انتم الرب. وهذا الذى اقدسه هو الشعب. اننى اقدره وكأنه السماء واحترمه كاله. فالهى هو الشعب ولا احد سواه. وليس هنالك فى هذا الكون كائنات تضاهى الجماهير الشعبية بذكائها وقوتها. ولهذا، فان معتقدى طوال حياتى هو (اعتبار الشعب هو السماء) ..."

حين سمع باك اين زين هذه الكلمات، قال بصورة معبرة جدا ان زيارته الى جبل بايكدو تستحق العناء، فقد توصل خلالها، وان متأخرا، الى معرفة من هو "هانووليم" الحقيقى واين يوجد. وشدد برضى خالص على التشابه القائم ما بين فكرنا وفكر تشاى زاى وو، مؤسس التشوندية، حول "الانسان هو السماء".

خلال الايام الثلاثة التى امضاها باك اين زين ومرافقوه، تجولوا فى المطبعة ومشغل الخياطة، وشاهدوا تدريبات على الرماية وحضروا نشاطا فنيا اقامه المقاتلون.

وفى لحظة الوداع قال:

"لقد عرفت هنا ورأيت للمرة الاولى ما لم استطع معرفته ولا رؤيته خلال خمسين سنة من حياتى. لقد كان كل شىء كالمعجزة فى الواقع. واقول بكل صراحة اننى افتتنت تماما بهذا المعسكر. لقد اصبحت اعرف الآن ما هو واجبى وانا مستعد للقيام به. سأذهب عما قريب للقاء تشاى رين وسأسعى لضم كل التشونديين الى جمعية استعادة الوطن. واذا لم استطع التوصل الى هذا الهدف، فاننى سأعمل لكى ينضم اليها على الاقل جميع معتنقى الديانة فى الثمانية زونغريوون التى تحت امرتى فى المناطق الواقعة الى الشمال من سلسلة جبال ماتشون. وسأبذل كل ما استطيعه من جهود لكى يحمل السلاح مليون عضو متحمس من حزب الشبيبة التشوندية ويتحولوا الى جنود لك ايها القائد. ويمكنك ان تثق بكلمتى."

بعد زيارته الى المعسكر، سعى باك اين زين بدأب لضم التشونديين الى منظمات جمعية استعادة الوطن. وفى الوقت الذى كان يبذل فيه المساعى بهذا الاتجاه فى تشانغباى، ذهب فى آب ١٩٣٧ الى زونغريوون سامسو، حيث تشاور مع رئيسه زو وان هيوب ومع لى زون هوا الذى كان رئيسا فى تشانغباى، ليدفع بقوة عملية تشكيل الجبهة المتحدة معنا.

وقد ساعده "كيمباى" بفعالية. كان باك اين زين قد بعث الينا قبل ذلك بسبعة او ثمانية شبان معربا عن رغبته فى اعدادهم ليكونوا مثل تشانغ سون، بحيث يمكنهم مع مرور الوقت مساعدته فى عمله. فكان ان انضم آنذاك لى كيونغ وون، رئيس حزب الشبيبة التشوندية فى قضاء فونغسان، الى الوحدة الرئيسية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى.

فى شهر كانون الاول من ذلك العام، ذهب باك اين زين الى سيؤول للمشاركة فى المؤتمر المركزى للتشوندية، مثلما كان قد قال لنا.

وكان هناك احتمال وقوع حدث خطير اذا ما اقدم تشاى رين على الوشاية به او نظم عملا ارهابيا ضده شخصيا. ولكى نساعده فى لقائه مع تشاى رين ونضمن سلامته، كلفت لى تشانغ سون بمهمة مرافقته، مع مراسلى الخاص كيم بونغ سوك، حتى سيؤول فى ظروف مضمونة.

وفى سيؤول، عرف باك اين زين ان تشاى رين قد اعاد ترميم مسكنه بفخامة اكبر، وهو مبنى على الطريقة الغربية يقع فى حى ميونغريون، وقد تعلل بانه فى سبيل الحصول على "الحكم الذاتى من اجل الاستقلال" لا بد من المصالحة مع اليابان، وقد سحب مبلغا ضخما من ارصدة التشوندية وسلمه لهيئة الحاكم العام "كمساهمة فى الدفاع عن البلاد"، واشياء بائسة اخرى لم يسمع بها. وقد كبح باك اين زين سخطه بمشقة كبيرة وحاول اقناعه بصبر.

لكن تشاى رين تصرف بغطرسة. فغضب باك اين زين غضبا شديدا، وباغته بالقول: "المساهمات المالية التى تقدمها هى عمل خيانى بحق البلاد والامة، ومناقضة للعمل من اجل الاستقلال، ولن تكون نتائجها سوى زيادة القوة اليابانية واطالة امد السيطرة الاستعمارية فى كوريا". ثم راح يهز امام وجهه برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن، وقال مؤكدا: "ان الطريق الحقيقى من اجل استقلال كوريا ليس فى تقديم التبرعات المالية، وانما هو محدد بدقة فى هذه الوثيقة. وهذا هو الطريق الوحيد الذى يتوجب علينا السير فيه. يجب علينا نحن التشونديين ان ننضم الى جمعية استعادة الوطن التى نظمها القائد كيم إيل سونغ، وان نخوض الحرب الكبرى المناهضة لليابان متحدين مع الجيش الثورى الشعبى الكورى".

وبعد ان قرأ مطولا فى برنامج النقاط العشر، حاول تشاى رين ان يقنع باك اين زين: "لا داعى للهيجان. فكيم إيل سونغ يريد الوصول الى المحيط، وهذا هو هدفى ايضا. ويمكن الوصول الى المحيط عبر طرق عديدة، بعضها عريض، وبعضها الآخر ضيق. وهذه اللحظة ليست بالمناسبة للمضى بصخب على الطريق العريض، فلكل شىء وقته. يكفينا فى الوقت الراهن ان نهيئ الاوعية، اما الماء فسوف نغرفه فى اى وقت آخر".

فرد عليه باك اين زين الغاضب بعبارات قاسية وغادر بيته.

انفصل نهائيا عن تشاى رين، ودون ان يضيع الوقت انشأ منظمة منطقة فونغسان لجمعية استعادة الوطن من معتنقى التشوندية فى هذا القضاء. ثم فعل الشىء نفسه بعد ذلك فى كابسان، وسامسو، وهيسان، وتشانغباى، بضم العناصر

المتقدمة من التشونديين. وقد جمعت هذه المنظمات شمل عدد كبير من التشونديين والفلاحين. وقد ارسلت المنظمات الخاضعة لتأثير باك اين زين مساعدات كثيرة الى معسكرنا السرى. وكان باك اين زين شخصيا يكثر من السفر الى هيسان وفونغسان للحصول على تلك المساعدات. وفى احدى المرات حصل على اكثر من عشرة جلود وارسلها الينا لنستخدمها كفراش عندما نضطر الى المبيت فى العراء. وقد كان عمله موضع اطراء شديد من قبل رفاقى فى السلاح.

ومن بين اتباعه فى ديانغسى كان هناك من تعرقوا كثيرا لكى يفلحوا بصمت آلاف البيونغات المستأجرة من كيم زونغ بو، بهدف انتاج الحبوب للجيش الثورى الشعبى. وكان الدوزونغ باك هو الشخص الوحيد الذى يعرف ان الحبوب التى يتم جنيها من تلك الاراضى ترسل الى معسكرنا السرى.

وقد ساهمت زوجته وبناته مساهمة فعالة فى نقل هذه المساعدات الى الجيش الثورى الشعبى الكورى.

ان باك اين زين، الذى كرس الايام والليالى بكل تصميم من اجل حرية شعبنا وانعتاقه، وقع للاسف الشديد فى شهر تشرين الاول ١٩٣٧ فى يد الشرطة اليابانية التى اعتقلته بسبب "حادثة هيسان".

كانت لدى الاعداء ادلة غامضة حول نضاله وعلاقته بنا، فطلبوا منه بعناد ان يخبرهم بذلك: "اننا نعرف منذ زمن بعيد انك تتعاون مع وحدة حرب العصابات التى يقودها كيم إيل سونغ. كما نعرف انك حشدت على ضفتى النهر عناصر متمردة فى منظمات سرية لكى تقلب نظام الدولة. اخبرنا بصراحة عن التعليمات التى تلقيتها من القائد كيم إيل سونغ وما هى تركيبة منظماتك".

لم ينطق بكلمة واحدة، وبقى فمه مطبقا باحكام.

وحين رأى الاعداء انه من المستحيل ثنى صموده وارادته، هاجموا التشوندية قائلين: "ان ديانتك التشوندية تعظ بانه لا وجود لشىء فوق الانسان او تحته، وان الانسان بالذات هو (هانووليم). أو ليس من الهرطقة المعادية للتشوندية اذن، ومن الاهانة لاخلاق الانسان، ان تتذرعوا بالنضال ضد اليابان وبالاستقلال لتدفعوا الى

ميدان المعركة بكائنات قيمة كالسماء لكى يهدروا دمهم دون جدوى؟".

فرد عليهم باك اين زين بصوت مرعد:

"لسنا نحن من يهين اخلاق الانسان بل انتم. وانتم بالذات من شوهتم هدف ديانتنا التشوندية. أو لستم انتم من يقود كل يوم الى المسلخ آلاف وعشرات آلاف (الهانووليم) فى كوريا وكأنهم النعاج او الخنازير؟ ألا تعلمون انه حيث تلمع حراب وبنادق الجنود والشرطة اليابانيين تجرى جداول وانهار من دماء امتنا ذات الملابس البيضاء، وان حقد الاحياء عليكم يفتت اكبادهم؟ اجيبونى. من هم الذين يقترفون الجرائم ويجب محاكمتهم؟ نحن لن نغفر ابدا لقطاع الطرق الذين خرقوا قوانين كوريا المقدسة وذبحوا اعدادا لا حصر لها من الاهالى. كما اننا لا نعترف بنظام الدولة المزعوم الذى اصطنعه قطاع الطرق هؤلاء بصورة غير شرعية. لهذه الاسباب، فان ثلاثة ملايين من معتنقى ديانتنا، جنبا الى جنب مع عشرين مليونا من مواطنينا، ينهضون بسخط ويريقون الدماء فى حرب المقاومة المقدسة. اذا ما تحولت دماء جسدى الى شرارة تحرق امبراطوريتكم، فاننى سأموت بوقار، حتى ولو تحولت الى حفنة من رماد."

اثار تشهيره الساحق الرعشة فى نفوس الاعداء. فاستولى عليهم الغضب واخضعوا الدوزونغ العجوز لتعذيب رهيب ولم يتركوه الا بعد ان انهار تماما. وقد اصابه بعد ذلك مرض خطير، مما جعل حياته فى خطر.

وحين ادركوا انه يعيش لحظاته الاخيرة، اطلقوا سراحه بكفالة بسبب المرض.

لزم باك اين زين الفراش فى ربيع عام ١٩٣٩. وقبل لحظات من وفاته استدعى زوجته التى ساعدته طوال حياتها باخلاص، وجمع انفاسه الاخيرة ليقول لها:

"لقد جاءت نهايتى، ولكننى سعيد لانى انهيت الجزء الاخير من حياتى بجدارة، تماما مثلما يليق بأحد احفاد معلمنا الموقر سو وون. لقد ولد باك اين زين كرجل كورى وهو يموت كذلك. فاذا تحررت البلاد، اذهبى انت والاولاد الى حيث القائد كيم إيل سونغ."

حين علم احد تلاميذه المفضلين بانه على فراش الموت، ذهب مسرعا لرؤيته.

فطلب منه الدوزونغ ان يغنى "دوندولارى" وهى اغنيته المحببة. ويقال ان "دوندولارى" هى اختصار لعبارة "سيبزغ الفجر" وتعكس كلماتها الايمان بأنه سيتم طرد المعتدين اليابانيين وسيبرز يوم جديد يعود الناس فيه للعيش بسلام.

ويقال ان اغنية "دوندولارى" مع الرقص قد انتشرت على نطاق واسع منذ اوائل عقد الثلاثينات بين اهالى فونغسان التى يفصلها ممر هوتشى عن بوكتشونغ، ومنذ بدأت المنظمات القاعدية لجمعية استعادة الوطن التى يقودها باك اين زين بتقديم مساعدة مكثفة لجيش حرب العصابات، كانت المنظمات السرية فى المنطقة تستخدم هذه الاغنية بكثرة كوسيلة لحرف انتباه الاعداء كلما عملت على جمع المساعدات.

بدأ التلميذ المخلص انشاد الاغنية لارضاء معلمه، ولكن عقدة فى حلقه منعته من مواصلة الغناء، فأجهش بالبكاء وهو يصيح: "يا معلمى"، "يا معلمى".

امسك باك اين زين بيده وقال له بصوت منطفئ:

"ما دام القائد كيم والجيش الثورى موجودين بسلام فى جبل بايكدو، فان يوما جديدا سيصل حتما الى مواطنينا ذوى الملابس البيضاء. انتم ستعيشون فى بلاد (هانووليم)، حيث ستنمو وتتفتح اجمل الازهار. اننى ارى هذا اليوم. اننى اراه حقا."

الدوزونغ باك اين زين، مجترح المآثر الكبيرة فى عملية انقاذ الوطن بالتحالف مع الشيوعيين، كان احد الوطنيين الذين ظهروا خلال الثورة المناهضة لليابان.

بعد تحرير البلاد، كلما كنت اتذكر باك اين زين، كنت اذهب لزيارة ارملته واولاده. وفى صيف ١٩٩٢، حين التقيت بذوى شهداء الثورة المناهضة لليابان، علمت انها مازالت على قيد الحياة رغم تجاوزها التسعين من عمرها، فطلبت احضارها، ولو محمولة على الظهور اذا كانت لا تستطيع المشى. وما ان توقفت السيارة التى اقلتها، حتى نزلت العجوز وتقدمت نحوى بخطوات مسرعة دون مساعدة من احد.

لم تنادنى بلقب "القائد" او "الزعيم" مثلما فعل ذوو الشهداء الآخرين، وانما نادتنى "هانووليم".

قلت لها انه يجب عليها عدم اطلاق هذه التسمية على، ولكنها لم تتقبل رجائى.

"لقد رأيتكم ايها (الهانووليم) حتى فى الاحلام."

هذا اللقب الذى لا يمكن ان تنطق به الا ارملة باك اين زين، واعترافها المخلص اثارا انفعالاتى وجعلانى استعيد ذكرياتى القديمة حول لقائى معه.

اما لى تشانغ سون، الذى كان يساعد باك اين زين بفعالية فى نشاطاته الكثيرة، وكان عضوا فى حزب الشبيبة التشوندية، ثم بعد ذلك عاملا سياسيا فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، ففقد حياته الثمينة بسبب تجمد اصابه بتأثير برد جبل بايكدو القارس فى شتاء عام ١٩٣٨ على ما اذكر. وقد عثر مؤخرا على صورة مفاجئة له فى البوم صور اخى زوجة ابن عم "كيمباى".

لقد التقط لى تشانغ سون تلك الصورة مع اخوته الروحيين فى الفترة التى كان فيها عضوا فى حزب الشبيبة التشوندية، واحد الاشخاص الذين يظهرون فى الصورة هو بالتحديد لى اين مو، المناضل الذى يجسد الايمان والارادة. ويبدو لى انه كان ايضا واحدا من تلاميذ باك اين زين. وحين نتحدث بعد هذا الزمن عن باك اين زين، فاننا نقول انه كان معلما موقرا ربى الكثير من الوطنيين البارزين.

٥ـ التشوندية ديانة وطنية

لقد كان لفهمي وموقفي من التشوندية فعالية كبيرة في تحويل متدينين مشهورين، مثل باك اين زين، الى مرافقين للثورة. ولو اننا كنا غير عارفين، وجاهلين تماما بشأن هذه الديانة، او تعاملنا معها باحكام مسبقة وعدائية، لما كنا سعينا الى التحدث مع باك اين زين، ولما كنا استطعنا كذلك تحقيق العمل الضخم بضم ملايين التشونديين في كل انحاء البلاد تحت راية جمعية استعادة الوطن.

وانا انوي تكريس هذه الصفحات لمزيد من الحديث عن وجهة نظري وموقفي من التشوندية. فلدي الكثير لأقوله حول الدونغهاك وتاريخها.

انني اعتبر ان ثمة دروبا ومناهج مختلفة تنفتح امام الانسان للتعرف على عقيدة او مذهب.

واذا كانت الكتب هي اول دليل يقودني الى الماركسية ـ اللينينية، فان الكنيسة عرفتني على المسيحية. لقد ذكرت من قبل انني كنت اتردد في طفولتي على الكنيسة برفقة امي. وقد رأيت هناك لأول مرة الطقوس الدينية، واستمعت الى مواعظ القس حول المذهب المسيحي. كما ان والدي الذي درس في مدرسة سونغسيل الثانوية، وجدي لأمي الذي كان قسا في كنيسة تشيلغول، ومعلما في المدرسة، كانا يعرفان الكثير عن المسيح. وحين كنت اتعلم في مدرسة تشانغدوك، كان الكثيرون من اهالي تشيلغول مسيحيين. وقد كان السيد كانغ ريانغ ووك ايضا واحدا من معتنقي هذه الديانة.

كما ان الكثيرين من اصدقاء ابي، بمن فيهم سون زونغ دو، واو دونغ زين، وزانغ تشول هو، وكيم سا هون، وكيم سي وو، كانوا يؤمنون بالمسيح. ويمكنني القول انني كنت في طفولتي محاطا بالمسيحيين. فكثيرون من زملائي في المدرسة الابتدائية ايضا كانوا مسيحيين. وكانت تنتشر بين ايدي الناس في ذلك الحين كتب

كثيرة حول هذه الديانة. وقد كانت تلك الاجواء مؤاتية لتوسيع فهمى للدين المسيحى.

اما طريقى لمعرفة الديانة الاسلامية فكان مختلفا بعض الشىء، وهو مرتبط بحادثة فكاهية. فزميلى ما كوم دو فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين هو اول من جعلنى اعرف شيئا عن هذه الديانة. فقد كان محمديا. لانه كان نهما جدا، فقد كان يتردد على احد المطاعم، حيث كان يخرق محرمات الاسلام بتناوله الخمر ولحم الخنزير. فقد كان يختار اكثر الاماكن انزواء، فى احد الاركان المعتمة، ولكنه لم يكن يتوقف عن الالتفات الى ما حوله بقلق وهو يأكل. فلو علم الآخرون بذلك، فانه سيفقد مصداقيته كمسلم، وقد يتعرض لانتقاد شديد من قبل ابناء دينه.

لقد ذهبت معه مرات عديدة الى المطاعم، وهكذا عرفت ان تناول الخمر ولحم الخنزير محرم بين المسلمين. اما معارفى التى اكتسبتها حول الاسلام فى تلك الفترة، فكانت تقتصر على ما سمعته ورأيته وانا اشاطر ما كوم دو حياة المدرسة.

اما اهتمامى بديانة تشوندو فقد بدأ منذ عرفت شيئا عن زون بونغ زون، الذى كانوا يدعونه "جنرال الفول الاخضر" فى حرب كابو الفلاحية. فكلما تحدث والدى عن الشهداء الاسلاف، كان اسم هذا الجنرال يرد الى جانب اسماء هونغ كيونغ راى، ولى زون، وآن زونغ كون، وهونغ بوم دو وغيرهم. كانت معارفى فى تلك الايام حول زون بونغ زون تقتصر على انه كان البطل الاساسى للحرب الفلاحية المذكورة، وشخصا عظيما وشجاعا لا مثيل له، حافظ على نقائه حتى اللحظة الاخيرة من حياته. ولم يستطع والدى ان يخبرنى باكثر من ذلك لانى كنت ماأزال صغيرا.

وقد كان السيد كانغ ريانغ ووك هو اول من قدم لى معلومات مفصلة عن حياة "جنرال الفول الاخضر" وعن كل ما يتعلق بحرب كابو الفلاحية. وكان هو نفسه مسيحيا مخلصا، ولكنه كان متعمقا كذلك بالديانة التشوندية. وبعد ان استمعت الى روايته المتماسكة، اصبحت اربط بين حرب كابو الفلاحية والديانة التشوندية. فالنتائج الكارثية لتمرد حزب دونغهاك والميتة المأساوية "لجنرال الفول الاخضر" جعلتانى اشعر بسخط لا كابح له حيال ارتهان وعدم كفاءة البلاط الاقطاعى الذى قاد البلاد الى الدمار، وحيال اطماع وتدخل اليابان وتشنغ فى شؤون كوريا. وفكرت بان

التمرد كان فى الواقع حدثا عظيما زين بطريقة لامعة تاريخنا الحديث فى النضال ضد العدوان والاقطاع، وان المقاتلين الشجعان الذين برزوا فى تلك الحرب كانوا صقورا مارست تأثيرا عظيما على الحياة السياسية والروحية لأمتنا الكورية فى العصر الحديث. اما زون بونغ زون، ابن احداث كابو الصاخبة، فقد بقى فى قلبى مثل شرارة لا تخمد.

ثم تعمقت معارفى حول التشوندية خلال السنوات التى امضيتها فى مدرسة هواسونغ. فقد كان هناك عدد كبير من معتنقى هذه الديانة. وفى احياء ذكراهم، قال تشاى دوك سين ابن تشاى دونغ او، مدير المدرسة، ان اباه كان من اتباع سون بيونغ هى، الكيوزو الثالث لديانة تشوندو. كما ان مراقب المدرسة كانغ زى ها، وابنه كانغ بيونغ سون كانا من معتنقى التشوندية. وكان فى المدرسة عدد كبير من الطلاب الذين يحبون اظهار سعة معارفهم بان يرتلوا من الذاكرة، ودون نقصان، كتابات الدونغهاك، مثل "دونغكيونغ دايزون" و"ريونغدام يوسا"، كما كان هناك قراء شغوفون بمجلة "كايبيوك" الشهرية التى تصدرها الهيئة المركزية للتشوندية، فكانوا يحملون هذه المجلة ويعلقون بعبارة او باخرى حول وضع الريف فى كوريا متبنين وجهة نظر حزب دونغهاك وبالاستناد الى كتابات لى دون هوا.

كان تشاى دونغ او يتحفظ على قراءة الطلاب "البيان الشيوعى"، ولكنه كان يشجعهم بالمقابل على قراءة "دونغكيونغ دايزون" او مجلة "كايبيوك". واذا ما تغيب استاذ التاريخ بين الحين والآخر، كان المدير نفسه يأتى ويعطى درسا بدلا منه، وفى هذه الحالة، يكون الموضوع الرئيسى دون استثناء هو تاريخ "دونغهاك". وحتى عندما يتحدث عن الاحداث والوقائع المهمة فى تاريخنا المعاصر، كان يحللها على الدوام ويحكم عليها بربطها ب"دونغهاك". وانطلاقا من العقائد التشوندية، كان يلح بكثرة على الاسس الثلاثة: البلاد، والشعب، والانسان، وهى فكرة تشبه الى حد ما مبادئ صون يات صن الشعبية الثلاثة.

ومن القصص التى رواها لنا يبرز وصفه لسو وون تشاى زاى وو، مؤسس هذه الديانة والكيوزو الأول لها. ومازلت اذكر حتى الآن الكلمات التى كان يشدد

عليها حين يتحدث عن نشاطات تشاى زاى وو، وكيف توصل هو نفسه الى استيعاب لاهوت الدونغهاك:

"جميعنا نتحدث باحترام عن السيد تشاى زاى وو، مؤسس الدونغهاك، ونسميه سو وون معلمنا الموقر. لذا، من الافضل ان تستخدموا انتم ايضا لقب التكريم هذا، بدلا من ان تسموه ببساطة تشاى زاى وو."

وحسب تأكيداته، فان كو وون تشاى تشى وون، الحكيم الشهير فى بلادنا فى القرن التاسع، كان احد اجداد تشاى زاى وو.

اما ابوه تشاى اوك، فكان يملك موهبة شعرية بارزة. وقد كانت مجموعة اشعاره التى تحمل عنوان "مجموعة كونآم الادبية" مشهورة فى ايامه.

وحين اصبح تشاى زاى وو يتيم الأم وهو فى السادسة من عمره، ثم فقد اباه بعد عشر سنوات من ذلك، ارتحل فى انحاء البلاد طوال عشرين سنة تقريبا. وكان فى تجواله يبحث عن السبيل لتحرير البلاد والشعب من الظلم السياسى والشرور الاجتماعية. واخيرا، اصدر فى شهر نيسان ١٨٦٠ العقائد التشوندية، فكان لها تأثير كبير على التاريخ المعاصر لبلادنا. وهكذا اصبح المؤسس للاهوت الدونغهاك.

لقد اطلق تشاى زاى وو على التشوندية اسم دونغهاك(٠) مقابل الكاثوليكية، اى "سوهاك"(٠)، لكى يؤكد ان الاولى هى فلسفة دينية للكوريين الذين يعيشون فى الشرق.

فى الفترة التى مارس فيها تشاى زاى وو نشاطه، كانت البلاد تعانى اقصى حالات الفقر والضعف بسبب سوء استغلال السلطة والنزاعات الفئوية. كانت التمردات الفلاحية تتوالى ضد السياسة الاقطاعية الشرسة، اضف الى ذلك وقوع المجاعات والفيضانات، مما اوصل الفوضى الاجتماعية السياسية الى اقصى حدودها بكل ما فى الكلمة من معنى. كما بلغت التناقضات بين المراتب الاجتماعية

---

(٠)دونغهاك: اللاهوت الشرقى – المترجم

(٠)"سوهاك": اللاهوت الغربى – المترجم

والتناقضات الطبقية بين النبلاء والعامة كذلك حدها الاقصى. فالعلاقات بين المراتب الاجتماعية التى درجت منذ قرون، ومن خلال النظام الاقطاعى، على دعم وجود سلالة لى، تحولت الى عائق بغيض لا يتيح اعادة استقرار البلاد وتطورها الاجتماعى. فالطغيان والقمع الذى مارسه الموظفون الفاسدون قاد حياة الشعب الى هوة البؤس وديست الحقوق المدنية حتى لم يبق لها اى ظل.

وهكذا اصبحت كوريا، التى ابقت ابوابها مغلقة لمئات السنين، محط اطماع القوى العظمى المهووسة بامتلاك الثروات وتوسيع اراضيها. وباتخاذ المسيحية دليلا لهم، راح الغربيون يمدون مخالبهم شيئا فشيئا على شبه الجزيرة الكورية.

وقد كان مطلع "الحسرات الكبرى على دمار البلاد" قد بدأ عمليا منذ ذلك الحين. ولهذا، كان من الطبيعى ان يسعى رواد ذلك العصر القلقون فعلا على مصير البلاد والامة، للبحث عن افكار وغايات جديدة. وكان فى مقدمتهم تشاى زاى وو الذى اعلن الدونغهاك، وكانت مبادئه الاساسية تتلخص فى "الانسان هو السماء" و"مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب" وقام بنشاطات حماسية لنشر معتقداته على طول البلاد وعرضها.

وكلما تحدث تشاى دونغ او عن التشوندية، كان يبدأ برفع هذه المقدمة وكأنها يافطة:

"ايها السادة، اذا اردتم ان تعرفوا حقيقة الدونغهاك، فتأملوا اولا فى شعار: (مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب)."

وفى احد الايام، وجه الى سؤالا غير متوقع:

"ان (مساعدة البلاد) تتطلب الدفاع عنها من الاعتداءات الاجنبية، و(ضمان رفاهية الشعب) تعنى تأمين السلام له بمعارضة سياسة القسوة الداخلية. يا لهذه الوصية السماوية الرائعة! ما رأيك بهذا الشعار يا سونغ جو؟"

"اننى اعتبره جيدا. اذا كانت التشوندية تدعو اليه فاننى سأدعمها."

لقد كان جوابى مخلصا. وبالرغم من ان الافكار الشيوعية كانت تشكل فى ذلك الوقت الدعامة الفكرية الهامة فى حياتى، الا اننى اعربت دون تردد عن دعمى

للدونغهاك. فكل انسان عاقل يرغب بحرقة فى الدفاع عن البلاد وضمان رفاهية الشعب.

فنظر الى تشاى دونغ او وهو يبتسم راضيا، واضاف:

"ان من يعارضون هذا الشعار ليسوا بكوريين. ان شعار الحزب الشيوعى من اجل الثورة العالمية جيد، ولكن (مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب) هو شعار حيوى لبلادنا ولأمتنا الكورية. أليس كذلك؟ لا ريب فى ان المعلم الموقر سو وون كان شخصية نافذة البصيرة."

فى مرحلة مدرسة هواسونغ، كانت معارفى حول التشوندية ضئيلة وهزيلة وعادية ومجزأة وتفتقر الى الاسس العملية.

اما فى جيلين، فقد بدأت اهتم بدراسة الدونغهاك فى علاقتها بالممارسة العملية. كانت عملية البحث عن سبل جديدة للثورة الكورية تبتعد عموما عن المبادئ والنظريات والتفسيرات المرفوضة تاريخيا، ولكننا امتنعنا عن اتخاذ موقف عدمى يمس بالمثل العليا والحركات القديمة نفسها. وعارضنا النقل الاعمى للنظريات القائمة او التجارب الغريبة، بالرغم من اننا استوعبنا بنزاهة مظاهرها الايجابية. فقبل اجتماع كارون وبعده، طرح تشكيل الجبهة المتحدة كمهمة استراتيجية بالغة الأهمية فى عملنا الثورى. وقد اثيرت مسألة الناس الذين يجب قبولهم فى الجبهة او رفضهم او استبعادهم فى كل مكان، وكثيرا ما كانت تثير مناقشات معقدة. وكلما كانت تجرى مناقشة مسألة من هم الذين سنشكل معهم الجبهة المتحدة، كانت مسألة الدين، الى جانب مسألة الرأسماليين الوطنيين، تبرز كأحد المواضيع الاساسية التى لا يمكن نكرانها.

لقد كانت التشوندية، مثلها مثل المسيحية، احد الاديان التى تحتل الصدارة فى اعتباراتى. فقد شدت التشوندية انتباهنا وايقظ سلوك معتنقيها اهتمامنا لانها، كديانة كورية محلية، اثارت بوعى مشاعر الوطنية وحب الشعب فى تعاليمها ونشاطاتها العملية، كما انها كانت واسعة الانتشار وذات قوة كبيرة راسخة.

وقد كانت دراسة "دونغكيونغ دايزون" ممتعة مثلما هى ممتعة دراسة "رأس

المال"، على الرغم من صعوبة فهم اغوارها. فقد كان تشاى زاى وو يصف الكون والاشياء والظواهر الطبيعية بطريقة صوفية وتجريدية، ولهذا السبب كانت ثمة افكار غامضة تبدو مفهومة فى بعض الاحيان وغير مفهومة فى احيان اخرى. وقد وافق كيم دال هيون، الذى عمل ككادر فى الهيئة المركزية للتشوندية بعد تحرير البلاد، على ان كتابات المعلم الموقر سو وون صعبة الفهم. وقال لو ان تلك الكتابات كانت سهلة مثل نداءات ليو رين سوك على الاقل، لاستطاع الدونغهاك اجتذاب بضع مئات آلاف الاتباع الاضافيين.

وقد افادتنا مجلة "كايبيوك" كدليل لفهم التشوندية. وتسميتها "كايبيوك" مشتقة من "هوتشون كايبيوك" (اى تحويل العالم الراهن – المترجم) وهى احدى معتقداتهم الاساسية. وخلال فترة صدورها وتقديمها عشرات الاعداد، حافظت على مظهرها كمجلة سياسية اخبارية شاملة، وساهمت مساهمة مهمة فى تنوير الامة.

وعلى الرغم من انها كانت ذات جوهر قومى، الا انها نشرت كذلك مقالات تعرض فيها الافكار الاشتراكية. وقد كانت فى ذلك الحين مطبوعة جماهيرية، اصيلة ومجددة، حازت على شعبية واسعة.

كان حزب الشبيبة التشوندية آنذاك يمد فروعه فى الجزء الشمالى من كوريا، وفى المناطق الشرقية والجنوبية والشمالية من منشوريا، بما فى ذلك هاربين البعيدة، وكان للمجلة عدد كبير من القراء فى تلك الاراضى ايضا.

وقد رأيت فى مجلة "كايبيوك" ايضا كتابات سين ايل يونغ، خصمى النظرى الذى تعرفت عليه فى مرحلة جيلين. وكان متعمقا فى المسألة الزراعية فى منتصف العشرينات. واطروحته "دراسة المسألة الريفية" التى نشرت فى هذه المجلة كانت عميقة نظريا.

لقد نشرت هذه المجلة موضوعات كثيرة حول السياسة والاقتصاد والثقافة فى بلدان مختلفة من العالم. وقد كان اكثرها تأثيرا هو الذى قرأته فى غويوشو او فى ووتشازى. وكان عبارة عن ملاحظات حول "رحلة نحو منشوريا الجنوبية"، من تأليف لى دون هوا، ويقدم فيها وصفا مفصلا لطبيعة منشوريا، وعادات الصينيين،

والوضع الرهيب لعمال مناجم الفحم فى فوشون، ونشاطات الاستقلاليين الكوريين. وحسب ملاحظاته، كانت هناك فى منشوريا الجنوبية عادة غريبة. فاذا مات احدهم، فانهم لا يدفنون جثته مع التابوت وانما يتركونه خارجا، اما اذا كان الميت طفلا دون السابعة من عمره، فانهم يلفون جسده بحصيرة من القش ويعلقونه بشجرة.

ومن بين الموضوعات الكثيرة التى كانت تنشرها "كايبيوك"، فان اكثرها اثارة للاهتمام هى تلك التى تدعو للوطنية. وكثيرا ما كانت تنشر مقالات تتحدث بفخر عن تاريخ كوريا وجغرافيتها، وعن طبيعتها الجميلة، وعن خصائصها ومنتجاتها الخاصة فى كل منطقة، ومن ابرز تلك المقالات "الفضائل التى تنفرد بها الامة الكورية" و"روح اهالى كوغوريو وجهودهم" و"الجغرافية الكورية المباركة بثروات طبيعية متعددة". وكان من تلك الاعمال ايضا مقال بعنوان "فخر ممثلى المحافظات الثمانى" وهو تصنيف للمدائح التى وضعها ممثلو المحافظات لأرضهم يستند اساسا الى الافكار التى طرحها علامة من مدرسة سيلهاك فى تعليقه على امزجة اهالى المحافظات الثمانى. فهو يصف طبع سكان بيونغآن بانه "نمر خارج من الغابة". ويقول المقال ان اهالى هذه المحافظة الذين لهم طبع النمر الرهيب، لا يحقدون مطلقا على احد ويبرزون فضائل منطقتهم، اما اهالى محافظة هامكيونغ الذين يتميزون بطبعهم العنيد، مثل طبع "كلب يصارع فى الوحل"، فان احدهم، ويدعى "زو يالكاى" فيقول مفاخرا ان جبل الاجداد بايكدو يقع فى محافظته ويعدد محاسن تلك المحافظة حتى يجف لعابه. وهكذا، يتوالى ممثلو المحافظات الثمانى على تعداد خصائص ومحاسن محافظاتهم بتفصيل ينتزع قهقهات القراء.

لقد صنفت كل مفاخر المحافظات الثمانى على شكل حكايات تنفخ فى النفس الاحساس بالشرف والعزة الوطنية.

وقد توصلت من خلال العاملين المختصين لمعرفة ان هذا المقال قد نشر فى عدد شهر تموز ١٩٢٥. وحصلت مؤخرا على نسخة وعدت لقراءة المقال بانفعال جديد. وقد وجدته مهما جدا مثلما كان قبل نصف قرن.

ومن بين الموضوعات الهامة الاخرى التى نشرتها "كايبيوك" هناك ايضا

"انطباعات الاجانب حول كوريا". وقد جمعت آراء المان وفرنسيين وصينيين ويابانيين وامريكيين وروس وانكليز واناس من بلدان اخرى، ونشرت تحت عناوين، مثل: "اكثر شعوب العالم موهبة"، "ثلاثة مبررات للاعجاب"، "اكثر شعوب العالم تهذبا"، "اربع جماليات من كوريا"، "سبع معتقدات حول كوريا"، "طبيعة جميلة وقلب طيب"، و"انطباعات حول الكوريين". والواقع انه مما يبعث الرضى والسعادة فى النفس ان يعود المرء، من وجهة نظره ككورى، الى تقويم ما كتبه الاجانب من تقدير لكوريا حسب وجهة نظرهم.

وحول المظاهر التى تبعث الفخر فى نفوس الكوريين، كانت المجلة تقدم: "اكبر طيبة قلب فى الدنيا"، "مزايا فى مجال الصحة"، "ادب واخلاق منقطعا النظير"، "الامة النموذج لعالم المستقبل"، و"كوريون دون قسوة".

كما ايقظ اهتمام القراء مقال بعنوان: "حزب الدونغهاك فى كوريا والكومنتانغ فى الصين". وقد اكد الكاتب ان هذين الحزبين هما التنظيمان الوحيدان فى الشرق اللذان يسعيان للتوصل الى الهدف الاعلى بتحويل المجتمع، ويبرز بافتخار ان تشاى زاى وو صاغ تصوره لحزب الدونغهاك قبل اربعين سنة من تأسيس صون يات صن لحزب الكومنتانغ فى الصين.

واذكر ان لى دون هوا كان اكثر من يكتب بين محررى مجلة "كايبيوك"، وقد كان رئيسا لشعبة التحرير فى الهيئة المركزية للتشوندية ورئيس تحرير المجلة. وكان يستخدم الاسم المستعار يا روى. وقد كان منظرا موهوبا تولى الدور الاساسى فى صياغة النظرية المنهجية لمعتقدات "دونغهاك" وتفسيرها فلسفيا. ففى مؤلفاته: "المغزى الاساسى لفكرة كون الانسان هو السماء"، و"الفلسفة حول الرب – الانسان"، و"دراسة القوانين السيكولوجية لدى سو وون"، و"تاريخ ظهور التشوندية"، حقق مآثر كبيرة فى نشر هذه الديانة، واظن انه لا بد لتلك المؤلفات من ان تحتل المكانة التى تستحقها فى صفحات تاريخ التشوندية.

كنت اهتم بلى دون هوا بقوة لا يمكن تجنبها بعد ان اصبحت من قراء "كايبيوك". وقد كان باك اين زين هو من قدم لى معلومات مفصلة نسبيا حوله. وكان

باك اين زين نفسه يقدره كثيرا. بل انه نصحنى باللقاء معه ولكن، بما اننى كنت اقاتل فى الجبال ضد الامبريالية اليابانية، فقد كان من الصعب طلب اللقاء معه وهو يقيم فى سيؤول. وبعد تحرير البلاد، علمت انه يسكن فى يانغدوك، وانه مرتبط بالتشوندية، ولكننى لم استطع مع ذلك اللقاء به بسبب ضيق الوقت. وكان كيم دال هيون، رئيس حزب تشوندو تشونغو الدينى هو الوحيد الذى يقدم لى بين الحين والآخر بعض الاخبار المتقطعة عنه.

ولكن كيم دال هيون لم يعرف كذلك كيف توفى لى دون هوا.

وحسب ما اخبرنا به العاملون المختصون فيما بعد، فقد اقتفى فى خريف عام ١٩٥٠ اثر وحدات الجيش الشعبى الكورى المتوجهة الى الشمال، ووصل بهذه الطريقة الى محافظة زاكانغ، حيث توفى بعد زمن قصير ضحية القصف الجوى الامريكى.

لقد كان موت شخص موهوب مثل لى دون هوا، خسارة مؤسفة ومؤلمة لقراء "كايبيوك" والتشونديين الذين احبوه. واذا اخذنا رؤيته السياسية بالاعتبار، فان لى دون هوا يعتبر من افراد الجماعة المحافظة المعتدلة وليس من الشباب الاصلاحيين. ولكن، بسبب كتاباته التى تدعو الى الحفاظ على القومية والسمعة الوطنية والى التسامى الاخلاقى، صرت افكر بانه كان مثقفا ومتدينا نزيها ومخلصا احب البلاد والامة بحرارة.

بعد قراءتى المقالات المنشورة فى "كايبيوك"، كنت اتبادل الانطباعات بكثرة مع كانغ بيونغ سون واتناقش معه حول مكانة "الدونغهاك" ومعتقداته. وقد كان اكثر اعضاء "الاتحاد لاسقاط الامبريالية" اطلاعا حول التشوندية. لقد كان من اتباع الشيوعية المتحمسين، كما كان يكن فى الوقت ذاته قدرا كبيرا من التعاطف مع مفاهيم "الدونغهاك" التى يوقرها، ومع المنظمة التشوندية. ففى تشانغسونغ، مسقط رأسه، وفى ويزو، وبيوكدونغ، وساكزو كان يوجد عدد كبير من المؤمنين بالتشوندية. وقد كان كانغ زى ها، وتشاى دونغ او، وكونغ يونغ وغيرهم وطنيين لعبوا دورا اساسيا فى اوساط الطائفة التشوندية فى هذه المناطق من محافظة بيونغآن

الشمالية، حيث استفاد كانغ بيونغ سون من خط هذه الديانة، واقام عددا كبيرا من منظمات جمعية استعادة الوطن القاعدية فى النصف الثانى من الثلاثينات.

ومثله مثل كثيرين آخرين ممن كانوا ينتمون الى جماعة الشباب الاصلاحيين، ضمن التشوندية، كان هو ايضا فى البداية ينظر نظرة مطلقة الى التشوندية فى النضالات ضد العدوان والاقطاعية فى بلادنا، مبتدئا بتمرد حزب دونغهاك، وفكر بان جميع المشاكل، كبيرتها وصغيرتها، التى تنشأ لصياغة مصير الامة، يمكن حلها عن طريق التشوندية. ويمكن القول ان نقطة النقاش فيما بيننا حول التشوندية كانت تتركز على هذا الامر.

لقد كنت اعترف بشكل كاف طبعا بمزايا "دونغهاك" فى النضال ضد الاقطاعية والعدوان، وفى سبيل تحديث البلاد والتقدم الاجتماعى، وكذلك بطابعه القومى والوطنى والمحب للشعب. ولكننى لم اكن استطيع مع ذلك الموافقة على الموقف والسلوك اللذين كان يتبناهما مدعيا انه يمكن حل جميع المشاكل بالاستناد الى هذه الديانة.

فيما بعد، ومن خلال الممارسة العملية، صحح كانغ بيونغ سون نفسه وجهة نظره حول القدرة المطلقة للتشوندية. وفى النصف الاول من الثلاثينات، كرس نفسه مع تشانغ وى هوا للنشاطات السرية فى فوسونغ، وفى النصف الثانى من العقد نفسه، وبينما كان يعمل فى منشوريا الشمالية كعامل سياسى موفد من طرفنا، وقع فى براثن الشرطة ومات ببطولة فى السجن.

ان فكرة "الانسان هو السماء" التى دعا اليها انصار "دونغهاك" يمكن اعتبارها تقدمية نسبيا لانها تحترم البشر وتقارنهم بالسماء، بالرغم من انها لم تتخلص من اللاعقلانية النظرية لانها لم تتجاوز حدود المفهوم الدينى واعتبرت الانسان كائنا الهيا.

ان تشاى زاى وو، مؤسس "الدونغهاك" والزعيمين الاعليين اللذين خلفاه فى ترأس الدين، اكدوا ان التشوندية تسعى لان تكون الحقيقة العليا المتولدة من الدمج العضوى للاديان الثلاثة – الكونفوشية والبوذية والسونكيوية – وهى ليست، بالتالى، ديانة هرطقة مثل الكاثوليكية.

وقد خطا التشونديون خطوة اخرى الى الامام بفكرة اسلافهم حول الدمج المبسط للاديان الثلاثة حين اثنوا على الاصالة الذاتية للدونغهاك باعتبارها ديانة وطنية.

فأحد منظرى الجماعة الاصلاحية، وفى معرض تحديده لاصالة معتقداته، رفض كل المذاهب الدينية السابقة، الصوفية منها واوهام الحكماء، مثل النيرفانا البوذية، وصوفية السونكيو، وفردوس المسيحية، والجبرية الكونفوشية، وبشر "بتطابق الرب والانسان" او "الانسان – السماء"، اى ان الانسان بالذات هو بوذا، والخير، والرب، والسماء، وبالتالى فانه لا وجود لاى شيء بعيدا عن الانسان.

ان الفكرة القاعدية "للدونغهاك" هى "تطابق الرب والانسان" اى "الانسان – الرب" وهو ما يعنى ان الانسان نفسه هو "هانووليم".

تؤكد التشوندية ان "هانوول" اى (الكون كله) مكون من شيء خاص يدعى "زيغى". ومع ان هذا الشيء ليس ماديا وليس روحيا، الا انه يمثل فى الوقت نفسه ما هو مادى وروحى، ومنه تتكون الطبيعة والانسان والرب وكل شيء.

وتؤكد هذه النظرية على ان "زيغى" هو اصل العالم والاشياء الاخرى، وهو ما يسمح بادراجها ضمن مذهب الروحيين كنوع من المفهوم الروحى الذى يرى ان لكل شيء مادى روحا خاصة به.

وبالاستناد الى "نظرية زيغى" هذه، فان التشوندية تدعو ان الانسان ايضا، مثله مثل "الكون كله" الذى يدعى "هانوول" يملك روحا فى الحياة وفى الموت. وبكلمة اخرى، فان الانسان هو جسد خاص يملك افضل روح تملكها الاشياء فى العالم.

ومن يعترف بالنظرية الروحانية، يصل الى نتيجة مؤداها ان الكائن البشرى، وبدلا من ان يعيش بصورة مستقلة ومبدعة، بما يتفق ووعيه وارادته، فانه مجبر على السير فى طريق مخصص له سلفا تحت سيطرة الروح. وهذا التوجه يصب حتما فى الجبرية. ولا يمكن الخروج من هذه التوجهات بفكرة ان الكائن البشرى هو سيد كل الاشياء ومن يقرر كل الاشياء، كما انه لا يمكن التوصل الى حقيقة ان

الانسان هو سيد مصيره ومن يملك القوة على صياغة هذا المصير.

ان امكانيات المجتمع المستقبلى الذى كان يطرحه "دونغهاك" لم تكن بالهدف العلمى الذى يستجيب لقوانين تطور المجتمع. فقد كان التشونديون يؤكدون على انه اذا ما تم فرض الفضيلة فى العالم كله عن طريق نضال غير عنيف، فسيأتى يوم يصبح فيه كل كائن بشرى شبه اله، وبهذا يتم التوصل الى الفردوس الارضى. وكانوا يؤمنون بان هذا التحول فى الكائنات البشرية يمكن له ان يتحقق اذا ما رتل كل شخص الصلوات يوميا، وقام بتطهير نفسه بنفسه وطور ضميره باستمرار.

وباختصار، فان فكرة "الانسان– السماء" لا تستتند الى المادية وانما الى الغيبية.

لم تستطع التشوندية ان تتولى دورا قياديا فى نضال التحرر الوطنى المناهض لليابان بسبب محدوديتها الطبقية وعدم نضوجها النظرى والعملى. وكان هذا هو السبب الرئيسى الذى جعلنا لا نؤيد جبروت "دونغهاك".

وبالرغم من وجهة النظر هذه، فقد قدرنا نقاطه الايجابية ورأينا امكانية مصافحتهم من اجل الجبهة المتحدة سواء على المستوى الايديولوجى او العملى.

لقد اكدت هذه الديانة فى مثلها الاعلى على بناء فردوس على الارض. واذا كانت هناك اديان اخرى تطرح ان هذا هو عالم آلام ولا خلاص له، فان التشوندية كانت السباقة فى ادراك امكانية تحويل العالم الى فردوس. وانطلاقا من هذا المبدأ تحديدا، بشرت "بتحويل العالم الحالى" كواحدة من مهماتها الاساسية وقامت بحركة لكى تنقل الى ارض الواقع ما اسمته الاصلاحات الثلاثة: "الاصلاح الروحى" و"الاصلاح الوطنى" و"الاصلاح الاجتماعى".

يؤكد لاهوتيو "دونغهاك" ان التشوندية لا تختلف فقط عن المسيحية التى ترمى الى تحقيق السعادة فى عالم آخر، فى الجنة بعد الممات، انطلاقا من معتقداتها الدينية، وعن الكونفوشية التى تستبق تهذيب الاخلاق واكتساب المعارف كوسيلة اساسية للتكوين الدينى وتدعو الى التقارب بين السياسة والدين، مضفية اهمية خاصة على الممارسة الاخلاقية فى العالم الراهن، بل انها تختلف كذلك عن البوذية التى ترى فى الرحمة معتقدها الاساسى وتؤكد انه يمكن لسائر البشر ان يصبحوا مثل بوذا.

كما كان التشونديون يقولون انه اذا كانت المسيحية ديناميكية بالمقارنة مع سكونية البوذية، فان التشوندية اكثر ديناميكية بكثير من المسيحية، وانه اذا كان لدى البوذية ميل عقلانى بارز ولدى المسيحية ميل الى الحسية، فان التشوندية تجمع بين المظهرين كليهما.

كنا نأخذ بعين الاعتبار ان تعاليمهم تعارض التقديس الاعمى للسماء وتدعو للثقة بالانسان، كما انها على خلاف اديان اخرى، لم تكن تعظ بان النظام الاجتماعى الاقطاعى ونظام المراتب الاجتماعية الاقطاعية يصدران عن قانون تقره السماء، متذرعين بان السماء والرب خارقان للطبيعة وفوق البشر. وبهذا المعنى، نرى ان لدى التشوندية نقاطا ايجابية كديانة تقدمية تدعو الى مساواة واحترام الانسان.

حين رسمنا خطوطا ملائمة لثورتنا، ابدينا اهتماما بالنظريات والحركات الموجودة وقدرنا الى حد ما موقف ودور التشوندية كديانة وطنية. ولكننا، انطلاقا من الطريقة المخلصة فى تفحص خصائص التطور التاريخى لبلادنا والظروف التى تمر بها ثورتنا، ومن التحليل التاريخى للحركات السابقة، وبالتقدير الكافى لتقاليد امتنا وميزان القوى الطبقية استنادا الى القواعد العلمية، وضعنا تصورنا لعقيدة زوتشيه، وباسترشادنا بها وجدنا طريق ثورتنا وصغنا الاستراتيجيات والتكتيكات المناسبة.

لم نفكر نحن شيوعيى الجيل الجديد مطلقا بان الثورة ستتحقق بمساعدة السماء او وفق ارادتها، بل انطلقنا فى طريق النضال بالقناعة النظرية والايمان بانه لا بد من الثقة بقوة الشعب والاستناد اليها.

ولم نناقش مسألة النظرة الى التشوندية باسهاب الا بعد تأسيس جمعية استعادة الوطن. وفى الفترة التى سبقت وتلت زيارة الدوزونغ باك اين زين الى معسكرنا السرى، تنامى بشكل خاص بين قادة وحداتنا الاهتمام بدونغهاك.

وبعد تلك الزيارة استطعنا ان ندفع بطريقة اكثر امانا عجلة العمل من اجل تشكيل الجبهة المتحدة مع معتنقى الديانة التشوندية.

ولو عدنا بنظرة متفحصة الى الوراء، لوجدنا ان التشوندية، انطلاقا من مثلها

العليا، اثارت نضالا عمليا من اجل "مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب"، وذلك بشجبها القوى الاجنبية ودعوتها الى الاستقلال الوطنى واقامة السلطة الشعبية، ثم من اجل اقامة عالم مسالم، على المدى البعيد، وفردوس على الارض عن طريق "تشجيع الفضيلة فى العالم" و"انقاذ الشعب".

تلقت "دونغهاك" دعم قطاعات واسعة من الفقراء والمعدمين ومن النبلاء المفلسين، وذلك لطابعها الوطنى ولحب الشعب لعقيدتها وقوة روح المقاومة لديها. ان انتشار افكار دونغهاك الداعية الى تصفية كل اشكال الفوارق بين النبلاء والعامة، شكل تهديدا خطيرا للكونفوشية الاقطاعية السائدة والتى كانت تؤيد بالمطلق تلك الفوارق، كما شكل تحديا جديا للفئات الاقطاعية ذات الامتيازات. ولهذا، جرى اعدام تشاى زاى وو، مؤسس "دونغهاك" واول الكيوزو لها، فى شهر آذار ١٨٦٤ فى دايكو، بتهمة خرقه للاعراف الاخلاقية وتسببه فى الاضطرابات السياسية. كما تم الحكم بالاعدام فى سيؤول على تشاى سى هيونغ، الكيوزو الثانى، الذى كرس نفسه كليا لنشر دعوة "دونغهاك" سرا وتوسيع منظماتها وعمل كواحد من قادة حرب كابو الفلاحية بالرغم من الملاحقة والقمع الوحشيين اللذين كانت تشنهما حكومة كوريا من سلالة لى الاقطاعية.

وسون بيونغ هى، الكيوزو الثالث، الذى اطلق على الديانة اسم التشوندية وفق ارادة مؤسسها، وكان احد المبادرين الى القيام بحركة اول آذار، عانى كذلك الملاحقة القاسية وسوء المعاملة على يد جلادى الامبريالية اليابانية. وكما هو واضح من سيرة حياة زعمائها المتتالين، فقد كانت التشوندية ديانة وطنية ومحبة للشعب ليس فى نشأتها وحسب وانما طوال مسيرة تطورها ايضا.

لقد كانت حرب كابو الفلاحية، التى تطلق عليها الطائفة التشوندية اسم ثورة "دونغهاك" الاولى، كانت، سواء بالنظر الى اتساعها اوعنفها، اكبر تمرد فلاحى بين جميع الاعمال التى قام بها شعبنا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ضد العدوان الاجنبى والاقطاعية.

لم تخطط لتلك الحرب الاوساط العليا فى الديانة التشوندية، كما انها لم تجر

وفق توجيهاتها، وانما كانت على اى حال، تمردا وحربا ضد الحكومة خاضها الفلاحون الساخطون على التعسف والاستغلال الوحشى الذى فرضته الطبقات الاقطاعية الفاسدة والعاجزة وذات الامتيازات. وكان من بدأ تلك الحرب هو زون بونغ زون وغيره من قادة الفلاحين الذين انتفضوا تحت راية "تصفية الطغيان وانقاذ الشعب"، و"مناهضة القوى الغربية واليابانية" و"مساعدة البلاد وتوفير الرفاه للشعب"، وذلك بصورة مستقلة عن الفئات العليا فى "دونغهاك". وبالاستفادة من المنظمات الدينية التى كانوا ينتمون اليها، وبالاتصال مع فروعها القائمة فى مناطق مختلفة، حولوا تمرد فلاحى كوبو الى حرب فلاحية واسعة النطاق.

هذه الحرب، التى كانت حدثا تاريخيا شكل مقدمة لنضال التحرر الوطنى المناهض للامبريالية فى آسيا فى القرن التاسع عشر، يمكن وصفها بشكل خاص، جنبا الى جنب مع حرب تايبينغتيانغو الفلاحية فى الصين وتمرد سيبوى فى الهند، كواحدة من اكبر ثلاث حروب للمقاومة فى آسيا.

لقد انتهت حرب كابو الفلاحية الى الاخفاق بسبب تدخل القوات المسلحة لليابان وتشنغ، لكن المتمردين الذين انتشروا فى انحاء البلاد، شكلوا فيما بعد القوى الرئيسية لحركة المتطوعين المناهضين لليابان وواصلوا المقاومة من اجل الخلاص الوطنى.

لم يقتصر تأثير حرب كابو الفلاحية على بلادنا وحدها، وانما تركت تأثيرا كبيرا كذلك على تطور الوضع السياسى فى الشرق وبقية العالم. فقد قام احد المؤرخين الكوريين بتحليل المعنى العالمى لثورة "دونغهاك"، وعلق قائلا بان كل الاحداث التى تسببت فى قلب اوضاع العالم مع بداية القرن العشرين، اتخذت نقطة انطلاقها من ثورة "دونغهاك". وكتب يقول انه لو لم تقع تلك الثورة على الاراضى الكورية، لما كانت جرت الحرب بين تشنغ واليابان، ولو ان تشنغ انتصرت فى تلك الحرب، لما سنحت الفرصة لروسيا كى تعتدى على منشوريا، ولكان ذلك سيحول دون وقوع الحرب الروسية – اليابانية، ولو ان روسيا لم تخسر هذه الحرب، لما استطاعت الامبراطورية النمساوية – المجرية مد براثنها نحو شبه جزيرة البلطيق،

ولو لم تضم هذه الامبراطورية البوسنة والهرسك الى اراضيها، لما نشبت الحرب بين النمسا والصرب، ولما وقعت بالتالى الحرب العالمية الاولى، ولو لم تسنح هذه الفرصة، لما كان بالامكان حتى فى الاحلام الحاق الهزيمة بالامبراطور الروسى رومانوف، ولما كان ممكنا بالتالى ظهور روسيا الحمراء. وقد هتف ذلك المؤرخ قائلا: "ياه! لقد كنت انت يا حزب (دونغهاك)، بصورة غير مباشرة، فتيل الحرب العالمية، والقابلة التى اخرجت روسيا العمال والفلاحين الى النور".

وقد اكد معتنقو فكرة "دونغهاك" على ان الخطوة الاولى نحو الحداثة فى الشرق انطلقت من الدونغهاك فى كوريا.

لقد كان للتشونديين كذلك دور هام فى انتفاضة اول آذار الشعبية. صحيح ان القوى الاساسية التى قامت بالانتفاضة تضم قطاعات واسعة من العمال والفلاحين والطلبة الشباب والمثقفين. ولكن، كان بين ممثلى الامة الذين دفعوا هذه الانتفاضة مسيحيون وبوذيون، ناهيك عن التشونديين الذين كانوا يمسكون بزمام المبادرة فيها، حيث شارك فى المظاهرات معظم معتنقى هذه الديانة فى كافة انحاء البلاد والبالغ عددهم ثلاثة ملايين. وهذه الوقائع تؤكد الدور الكبير الذى لعبته التشوندية فى ذلك النضال المناهض لليابان.

ان روح المقاومة القوية لدى التشونديين كانت احد الاسباب الرئيسية التى جعلتنا نهتم بتشكيل الجبهة المتحدة معهم.

وكديانة كورية اصيلة، كانت لها مثل عليا وطروحات جديدة وروح مقاومة جبارة، كما كان لها فى الوقت نفسه طابع شعبى يتمثل بطقوسها البسيطة وممارسات التعبد المتواضعة.

وقد كان كيم زونغ زو، اول وزير الاتصالات فى حكومة الجمهورية، يقول متفاخرا باستمرار ان "دونغهاك" هى ديانة وطنية متواضعة. ففى الفترة التى نظمنا فيها جيش حرب العصابات المناهض لليابان تقريبا، اعتنق هذه الديانة ثم جرت ترقيته فيما بعد ليصبح عضو اللجنة التنفيذية المركزية لحزب الشبيبة التشوندية. وكان واسع الاطلاع على تعاليم ديانته.

لقد كان ضخم الجثة، وقد اعتاد المزاح معى كلما التقى بى:

"يا رئيس الوزراء المحبوب، لا بد ان رأسكم مثقل بما تقومون به من اعمال طوال النهار. يجب ان تستريحوا بالاستماع الى احاديثى القديمة."

كانت تلك هى الخطوة الاولى التى يقوم بها كلما جاء الى مكتبى، ثم يبدأ برواية حكاياته لوقت لا بأس به. فى احدى المرات، وكان ذلك فى يوم عيد، جاء لمقابلتى، وقال ممتدحا التشوندية:

"ان ديانتنا التشوندية تعبق برائحة حساء عجينة فول الصويا البيتية."

وعندما سألته عما يعنيه، رد قائلا بانه يكفى تناول "التشونغسو بونغزون" كمثال، لتتأكد بوضوح الحرية فى هذه الديانة، وهو امر لا يمكن تصوره فى ديانات اخرى. فحيث ان ممارسة هذه الشعيرة لا تتطلب اتخاذ وضع محدد، فانه يمكن للمرء ممارستها وهو يجلس القرفصاء او وهو مستند الى ركبتيه او متكئ على مرفقه.

لقد كنت اتبادل الحديث بكثرة حول هذه الديانة مع كيم دال هيون ايضا. وكثيرا ما كان يتذكر الاحداث التى عاشها ابان السيطرة اليابانية، حين كان يعمل فى منظمة تشوندية. وكلما كانت تزداد لقاءاتنا ومحادثاتنا، كانت الروابط الانسانية فيما بيننا تتعزز اكثر فاكثر، بعيدا عن المفهوم الواقعى بكونى رئيسا للوزراء وكونه رئيسا للجنة المركزية لحزب تشوندو تشونغو الدينى. وقد وصل به الامر حد مصارحتى بالمصاعب التى يواجهها فى حياته الخاصة.

فى احدى المرات، جاء بعد منتصف الليل الى مقر اللجنة الشعبية المؤقتة لشمالى كوريا وطلب مقابلتى. وكان ذلك على ما اعتقد فى عام ١٩٤٦، حيث كنت اتولى منصب رئيس اللجنة المذكورة.

لقد فاجأتنى زيارته المباغتة دون اشعار مسبق فى تلك الساعة المتقدمة من الليل. بل وفكرت بان شيئا استثنائيا قد حدث وانه يريد اطلاعى عليه بصورة مستعجلة.

ولكن ما ادهشنى اكثر من ذلك كله هو ان طلبه مقابلتى لم تكن له اى علاقة بالشؤون الرسمية.

فمـا ان دخـل مكتبـى، حتـى بـدا عليـه الارتبـاك للحظـة، ثـم قـال بعـد ان اسـتعاد حماسته:

"ارجوكم ألا تنتقدوا هذا العجوز لافتقاده اللياقة. فما سأطلبه منكم فى منتهى الفرادة. ألا تستطيعون الحصول لى على جذر انسام (جنسنغ) برى او قرن ايل وغيره من المقويات؟"

ثم احنى رأسه دون ان يجرؤ على النظر الى، كما انه ارتكب خطأ. تأملته وانا افكر بما حدث لهذا الرئيس المسن ورأيت ان وجهه قد احمر خجلا حتى اذنيه.

دعوته للجلوس وسألته بلهجة متلطفة:

"كيف يمكن ان تكون بحاجة لمقو، وانت الذى كنت تفاخر بصحتك الجيدة على الدوام؟"

"الحقيقة اننى اجد مصاعب فى علاقتى بزوجتى. لقد عدت للزواج مؤخرا من امرأة شابة، وهى تزعجنى كثيرا ... ايها القائد، ارجوك ان تساعدنى."

"حسن، سأساعدك حتى لا تعود زوجتك الى الشكوى منك."

وقد خرج كيم دال هيون من الغرفة سعيدا جدا. فقد حصلت له على "انسام" برى وعلى قرن ايل.

وبعد مرور سنة، جاءنى مبتهجا:

"ايها القائد، لقد انجبت ابنا وانا فى السبعين من عمرى، والفضل فى ذلك يعود اليكم. ان زوجتى فى منتهى السعادة، ويشرفنى ان ادعوكم لحضور حفلة مرور مئة يوم على ميلاد طفلى."

"هذا حدث سعيد جدا، وقد جرى لأننا نعيش ازمنة جيدة. اننى اوافق بكل سعادة على دعوتك. وارجو ان تنقل تهنئتى الى زوجتك بميلاد ابنها."

وقد خرج فى هذه المرة من مكتبى بوجه باسم ايضا.

وقد ذهبت الى حفلة الوليد مثلما وعدته. وقدمت لى زوجته مائدة عامرة بالمأكولات الشهية، وانحنت لى بتوقير وهى تقول ان الفضل يعود الى فى تفتح السعادة فى بيتها. وكانت تحيطنا بكرم ضيافتها وهى تبتسم طوال الوقت.

فى اثناء الحرب التقيت مع كيم دال هيون فى بيولوو بمحافظة زاكانغ. وبينما نحن نتناول الشعيرية الباردة تبادلنا الحديث حول التشوندية.

قال لى ان التبرع بالارز هو من الاخلاقيات الرائعة التى تنفرد بها التشوندية، وقد كانت تشكل احد المصادر الاساسية لموارد التمويل.

وباستثناء تشاى رين وعدد محدود من الاشخاص، كانت الاغلبية الساحقة من زعماء التشوندية المتتالين تعيش حياة متواضعة، ولم يكونوا يهتمون مطلقا بمطامع الثروة والشهرة الشخصية. وكانوا يعانون المصاعب على الدوام بسبب افتقارهم الى وسائل العيش. فالعمل من اجل الديانة دون تلقى اى اجر لم يكن سهلا مثل الحديث عنه. لقد سمعت ان من يتفرغون لشؤون الديانة التشوندية لا يتلقون اى راتب.

ولدى معلومات عن ان التشونديين فى جنوبى كوريا حولوا فى احد الاوقات مبنى مطبعة مجلة "كايبيوك" الى مسرح، وكانوا يغطون بدخله نفقات الدين. كما ان قاعتى حفلات الزفاف القائمتين فى المعبد المركزى، استخدمتا كوسيلة هامة للتمويل، اذ كانوا يتقاضون اجرهما بالساعة. لم يكن ذلك بالشىء البديع، ولكنه كما يقولون، امر لا بد منه لتأمين الموارد المالية.

واكثر الاسباب وجاهة، فى جعلنا نولى اهمية للجبهة المتحدة مع التشونديين، هو ان اغلبيتهم المطلقة، بغض النظر عن الموقف المتردد والانتهازى لفئتهم العليا، كانوا معادين لليابان ووطنيين، وكان القسم الاكبر من تركيبتهم الطبقية مؤلفا من اناس بسطاء وفلاحين فقراء. فقد نشأت التشوندية من حركة فلاحية وكان لمثلها العليا هذا الجوهر نفسه ايضا. وفى ظروف ذلك الزمان، حين كانت الرأسمالية ما تزال مستجدة ولم تكن توجد طبقة عمالية حديثة بعد، كان من الطبيعى والحتمى ان تستند حركة "دونغهاك" على الفلاحين. ولكنها لم تكن تقتصر على هؤلاء فقط، بل كانت حركة جماهيرية واسعة لانها مثلت تطلعات ومصالح جميع المحرومين، بمن فيهم الفقراء وصغار التجار فى المدن. وصارت فى الوقت نفسه حركة وطنية محلية معادية للعدوان، لانها كانت تعارض وتشجب الغزاة الاجانب بصورة واعية وتتطلع بقوة الى تحديث البلاد.

بعـد اخفـاق حركـة الاول مـن آذار، فقـدت الفئـة العليـا فـى التشـوندية الـروح الكفاحيـة واقتصـرت علـى بعض النشـاطات الضـعيفة فـى نشـر معتقداتها ونظرياتهـا الموجهـة الـى الحفـاظ علـى الهويـة الوطنيـة، وتحولـت بعض شخصـياتها الـى مـوالين لليابان، كما هو حال تشاى رين مثلا، بعد خروجه من السجن الذى امضـى فيـه ثـلاث سنوات.

اما الفئات الدنيا فى الديانة التشوندية، وعلى الرغم من خيانة الحلقة العليا ومـن الظروف الصارمة التى فرضـها الامبرياليون اليابانيون المحتلون، فقد قامت بكل مـا تستطيعه لكى تدفع تقاليدها الوطنية قدما الى الامام. وكانت تلك بالتحديد هى الركيزة التى جعلتنا ننظر باهتمام الى الجبهة المتحدة مع التشوندية ونقتنع بامكانية اقامتها.

فقادة التشوندية الاصـلاحيون الـذين كـانوا يتحركـون دون توقف مـن اجل اقامـة اتصالات مع القوى الثورية الاخرى فى البلاد والتعاون مع الثـورة العالميـة، رغبـوا فى اقامة علاقـات مـع الامميـة الشيوعية معربين عن ان ديـانتهم هـى "خـادم مخلـص للجماهير الفقيرة والمحرومة" و"حزب مشابه للشيوعية فى طابعه، علـى الـرغم مـن الاختلاف فى الحجم".

واعتقد ان المثال الذى يثبت ذلك هو حقيقة ان لى دون هوا طلـب، باسم مجلـس الجمعيـة الفلاحيـة الكوريـة، بقبولـه فـى الامميـة الفلاحيـة الحمـراء فـى اواخـر تشـرين الاول عام ١٩٢٥.

والجمعيــة الفلاحيــة الكوريــة هــى منظمــة كانــت تنتمــى الــى حــزب الشــبيبة التشوندية، وقد تأسست فى تشرين الاول ١٩٢٥ فى سيؤول.

فى ايلول ١٩١٩، وسط الوضع الداخلى والدولى الذى تلا نهاية الحرب العالمية الاولـى، واقامـة السـلطة العماليـة – الفلاحيـة فـى روسـيا وانتفاضـة الاول مـن آذار الشعبية، قـام لـى دون هـوا، وزونـغ دو زون، وبـاك راى هونـغ وغيرهم من الشباب المـؤمنين بالتشـوندية بتأسـيس دائـرة للمحاضـرات حـول معتقـدات الشـبيبة التشـوندية بهدف تشـجيع دراسـة ونشـر مـذهبهم وتحسـين وتطـوير الثقافـة الكوريـة الجديـدة، ممـا كـان يعنـى ظهـور المنظمـة الشـبابية الاولـى التـى لهـا قـوام الحركـة فـى بلادنـا. وقـد

استبدلت اسمها بعد مرور بعض الوقت لتصبح جمعية الشبيبة التشوندية. وقد اقامت دار نشر كايبيوك كجهاز للنشر، واعتبارا من عام ١٩٢٠ بدأت باصدار المجلة السياسية – الاخبارية التى تحمل الاسم نفسه، كما نظمت قسما للاحداث عمل على تنفيذ مخططات مكثفة لاغناء مشاعر الاطفال الكوريين وتحسين معاملتهم الاخلاقية ووضعهم الاجتماعى بما يتفق وفكرة احترام الانسان مثل احترام السماء.

وفى عام ١٩٢٣ تطورت جمعية الشبيبة التشوندية الى حزب الشبيبة التشوندية، وهو منظمة طليعية وضعت نصب عينيها هدف اقامة الفردوس على الارض عن طريق "تحويل العالم الراهن".

وكان لهذا الحزب جهاز تنظيمى جيد الاعداد يتألف من قيادة مركزية، واقسام محلية فى المناطق والاقضية، ومنظمات محلية تدعى "زوب" فى النواحى والاحياء. ووفق خطة ثلاثية لتوسيع نفوذه، قام بنشاطات دؤوبة من اجل نشر معتقداته، وتمكن خلال وقت قصير من توسيع صفوفه باعداد كبيرة من الشباب الفقراء والمحرومين. وقد تحول هذا الحزب الى اكبر قوة دينية مؤثرة، وخصوصا فى المناطق الواقعة الى الشمال من نهر ريسونغ، وهى المناطق التى لم تعان من نتائج تمرد حزب "دونغهاك".

وحسب حوليات حزب الشبيبة التشوندية التى نشرت عام ١٩٣٥، كانت لهذه المنظمة فى ذلك الحين اكثر من مئة فرع محلى داخل البلاد وخارجها. وكان معظم تلك الفروع، اى ٧٠ بالمئة منها، فى المناطق الشمالية، وكانت محافظة بيونغآن تحتل المكانة الاولى بوجود ٤٠ فرعا فيها. والواقع ان محافظة بيونغآن فى ذلك الحين، والتى كانت تضم محافظة زاكانغ الحالية ومدينتى بيونغ يانغ ونامبو، لم يكن يوجد فيها قضاء الا وفيه فرع محلى لهذا الحزب.

ويمكن القول ان الاغلبية الساحقة من القوى التشوندية التى كانت موجودة عمليا فى المناطق الشمالية، شكلت احد العوامل التى لا يمكن نكرانها فى ايلائنا الاهتمام لاقامة الجبهة المتحدة معها.

بعد حركة الاول من آذار، بذلت القوى الاصلاحية التشوندية جهودا كبيرة،

مسايرة التيار العالمى، من اجل توسيع صفوفها وخوض النضال الوطنى المناهض لليابان بصورة اكثر نشاطا.

وبعد موت سون بيونغ هى، الكيوزو الثالث لديانة تشوندو، قامت القوى الاصلاحية الشابة بتنظيم لجنة كوريو الثورية فى تموز ١٩٢٢، وبذلت الجهود لاعادة تنظيم وبناء الصفوف، وكثفت نشاطاتها فى الخارج متخذة من بريموريه ومنشوريا مركزا لها، وكذلك فى داخل البلاد. ثم جرت فيما بعد اعادة تنظيم لجنة كوريو الثورية فى منظمة سرية تدعى لجنة الطوارئ الثورية العليا لديانة تشوندو.

وكان من ابرز النشاطات الخاصة التى قامت بها هذه اللجنة طلب الدعم السياسى والمساعدة العسكرية واسعة النطاق نسبيا الذى تقدمت به الى حكومة روسيا السوفييتية والاممية الشيوعية، ومساعيها المكثفة من اجل نقل هذا الطلب الى حيز الواقع. ويقال انها استغلت مناطق استخراج الذهب الثلاث بالقرب من تشيتا فى سيبيريا، فطرحت مسألة تدريب نحو الف عنصر عسكرى خلال سنتين بحجة استخدامهم كأيد عاملة، وانشاء جيش كوريو الثورى الوطنى من خمسة عشر لواء مختلطا.

ولقد حثت هذه المنظمة السرية التشوندية حكومة العمال والفلاحين السوفييتية لتقدم دعما فعالا من اجل انجاز هذه الخطة.

وفى حوزتنا وثائق قديمة تثبت جزءا من النشاطات الدبلوماسية التى قام بها اصلاحيو التشوندية مع شخصيات روسية سوفييتية واممية شيوعية فى فلاديفوستوك بالشرق الاقصى، فى اوائل عام ١٩٢٤.

ففى رسالة موجهة الى كادایاما شين، سأله تشاى دونغ هى عن نظرة الاممية الشيوعية الى الثورة الكورية وتطور الوضع فى كوريا، وطلب من هذه المنظمة الدولية ان تساعده دون اى احكام مسبقة.

وطرح التشونديون انه فى حالة اندلاع الثورة فى كوريا، فانهم سيقيمون علاقات عميقة ووثيقة مع قوى الثورة الاجتماعية فى اليابان فى الشرق، ومع روسيا السوفييتية والاممية الشيوعية فى الشمال، من اجل تعاون ثلاثى ما بين كوريا واليابان وروسيا.

وكما نرى، فان القوى الاصلاحية التشوندية بذلت جهودا متعددة من اجل شن نضال المقاومة المسلح بالتعاون مع قوى الثورة العالمية، بالرغم من عرقلة تلك الجهود وكرهها من قبل الفئة المحافظة.

لقد فعلوا كل ما يمكنهم من اجل تكريس انفسهم للنضال المناهض لليابان بحماستهم الوطنية وحبهم للشعب وسخطهم المتراكم على العدو منذ مرحلة حركة "دونغهاك"، ولكنهم لم يتوصلوا مع ذلك الى النتائج المرضية. والاسوأ من ذلك، انه بعد اخفاق حركة الاول من آذار، وقعت فى صفوف ديانة تشوندو تناقضات حادة وانشقاقات بين الراديكاليين والمعتدلين، وقد سعت الامبريالية اليابانية الى جنى الفوائد من تلك الحالة. وفى هذه الظروف، ساوم الراديكاليون اليابان بدعوى منع الانشقاق. وبالنتيجة، جرت فى اعتقادى تصفية القوى الاصلاحية وتراجعت الحركة المناهضة لليابان تدريجيا الى ان تحولت الى حركة اصلاحية. ولان الفئة العليا سقطت فى الاصلاحية الوطنية ومالت نحو اليابان بشكل سافر، اخذت التشوندية تفقد تدريجيا روحها الثورية ولحظاتها المؤاتية.

ومع ذلك، فان منظماتها المحلية والاغلبية الساحقة من اعضائها واعضاء حزب الشبيبة التشوندية انشأوا عدة منظمات شرعية وغير شرعية وناضلوا عبر سبل مختلفة ضد السيطرة الاستعمارية للامبريالية اليابانية. ومن المؤسف انه لم تكن لديهم استراتيجية عمل واضحة ولا قوى قيادية قادرة على توجيه نضالهم بصورة موحدة.

فى هذه اللحظات بالذات، تقدمنا نحو جبل بايكدو واعلنا "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن".

وقد اعرب ملايين التشونديين عن تأييدهم للبرنامج. واتحدوا بثبات تحت راية جمعية استعادة الوطن، موقنين ان البوق المنذر بمجىء اليوم الجديد، والذى طالما انتظروه بلهفة، قد بدأ يصدح من جبل بايكدو. واذا كانوا قد وافقوا على تشكيل الجبهة المتحدة معنا وانضموا بشكل جماعى الى منظمات جمعية استعادة الوطن القاعدية، فان السبب فى ذلك هو الجهود الجبارة التى بادرنا الى بذلها انطلاقا من

تقديرنا الصحيح وتفهمنا الواسع لهذه الديانة، كما كان ذلك حتمية تاريخية ونتيجة منطقية لتطور التشوندية نفسها بمثلها العليا الوطنية والمحبة للشعب والمعارضة للقوى الاجنبية.

لقد كانت هناك بالطبع اختلافات فى المثل العليا، والاهداف والمعتقدات والطرح، وكذلك فى طريقة بدء الحركة، ولكننا تصافحنا بقوة انطلاقا من الواجب الاخلاقى الملقى على عاتقنا كأبناء امة واحدة يجرى فى عروقها الدم نفسه. وقد فكرت آنذاك بانه لا يمكن وجود الحركة الشيوعية بعيدا عن الامة، وانه لا بد لها على الدوام من الاهتمام بالمصالح الوطنية كاهتمامها بالمصالح الطبقية.

وبفضل هذه المشاركة تحديدا، استطعنا التصالح بسهولة مع تشاى دوك سين، الذى كان يعمل فى السابق فى مقدمة التيار المعادى للشيوعية.

لقد عدت للقاء مع تشاى دوك سين بعد ان تجاوز كل منا السبعين من عمره، وتبادلنا الذكريات دون اى اثر للعداوة، انما بتلك المشاعر التى كنا نحس بها ونحن نزرع الروح الوطنية فى كنف اهتمام السيد تشاى دونغ او، وتحدثنا فى اجواء ودية ودافئة كأبناء امة واحدة، وكمواطنين، اسمى بكثير من الخلافات فى الافكار القائمة بين الشيوعيين والتشونديين.

لقد اعلنت للملأ مؤخرا "برنامج النقاط العشر للوحدة الوطنية الكبرى من اجل توحيد الوطن"، وهو ما يمكن اعتباره نسخة مجددة من "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن". ففى الثلاثينات، لدى استقرارنا فى منطقة جبل بايكدو واقامة التعاون مع باك اين زين، كانت اسمى مهمة لأمتنا هى استعادة الوطن، اما اليوم، فى اواخر القرن العشرين، فان مشروعنا الاقصى ومثلنا الاعلى هو توحيد الوطن المشطور. ومن المنطقى فى هذه الحالة ان يحظى نضالنا من اجل تصفية القوى الاجنبية واسترجاع السيادة الوطنية بالدعم المتحمس من جانب اتباع "دونغهاك" التشونديين، الذين رفعوا فى الماضى شعارى "مساعدة البلاد وضمان رفاهية الشعب" و"مناهضة القوى الغربية واليابانية".

لقد عانت امتنا كل انواع النكبات منذ ما يقرب من نصف قرن بسبب انشطار

البلاد. وليست امتنا هى التى تتحمل مسؤولية هذه المأساة، وانما هى فرضت عليها من القوى الاجنبية. فكيف اذن لا نعارض هذه القوى وندعو الى توحيد الامة، وتعزيزها، والوحدة الوطنية الكبرى؟

لهذا، فان التشونديين والمسيحيين والبوذيين الوطنيين المقيمين فى شمالى كوريا وجنوبيها وفى الخارج يسعون معا لوضع حد لمأساة الانشطار وتقريب يوم توحيد الوطن.

لقد خضنا منذ زمن بعيد النضال المسلح المناهض لليابان طوال اكثر من عشرين سنة فى قفار منشوريا ومناطق جبل بايكدو الشاسعة، ولكننا لم نفعل ذلك من اجل الرفاهية والمتعة الشخصية او من اجل مصالح طبقة او فئة اجتماعية معينة، وانما من اجل تحرير الامة كلها من نير السيطرة الاستعمارية للامبريالية اليابانية.

ففوق مصلحة الامة لا يمكن ان يكون هناك اله او مصالح طبقية او حزبية، ولا يمكن ان تكون هناك عقبات او موانع لا يمكن تجاوزها فى سبيل خير الامة. وهذا هو سبب الهدف المشترك للكوريين اليوم، سواء فى شمالى البلاد او جنوبيها، او من يقيمون منهم فى الخارج، وهو واقع يصبح الشعور به اكثر الحاحا يوما بعد يوم.

ومازلت افكر اليوم بان التوصل الى الاهداف والمثل العليا لشيوعيينا الذين ضحوا بحياتهم فى النضال من اجل خير الامة، ومن اجل اتاحة الفرصة لابناء امتنا السبعين مليونا كى يتمتعوا، جيلا بعد جيل، بالسعادة والرخاء فى الوطن الموحد، فان هذا لا يعنى اى شىء آخر سوى العالم او الفردوس الارضى الذى رغب فى اقامته شهداء "دونغهاك".

ان اخذنا المثل العليا لدونغهاك والتشوندية النابضة بقوة بروح الامة، بعين الاعتبار، يشكل مصدر فخر للكوريين.

فالولاء الوطنى للشهداء التشونديين الذى يتبدى فى حبهم للبلاد والامة والشعب، سيبقى منقوشا الى الابد فى حوليات تاريخ الامة.

٦ـ لا يجوز الابتعاد عن الشعب

بعيدا عن الشعب، لا يمكن لاى جيش ان يكون مقتدرا، ولا يمكن لـه الانتصـار فـى المعركة. هذه حقيقة اختبرناها بانفسنا حتى الثمالـة علـى امتداد مسيرة الثورة المناهضـة لليابان. وقد حافظنا بالتالى بثبات على شعار: "لا يمكن لجيش حرب العصابات ان يوجد بمعزل عن الشعب مثلما لا يستطيع السمك العيش خارج المـاء". وكـان يجرى تلخيص ذلك بعبارة "اونغكون آيمين"، اى ان الشعب يحمى الجيش وهذا يحب ذاك.

لقد تحدثت سابقا عن مدى فعالية دعم الشعب وتفانيـه حين كنـا نخوض النضـال فى جبل بايكدو.

فمن اين ظهرت هذه الحماسة وهذا الموقف فى حماية ومساعدة الجيش بهذه الطريقة التى لم يعرف لها مثيل فى تاريخ حروب العصابات، سواء فى الغرب او فى الشرق، وفى العصور القديمة او العصر الحديث؟ وما هو العامل الذى اتاح لشعبنا ان يكون الذات الفاعلة والمسؤول عن تقديم الحماية والمساعدة الثابتة والمتفانية لجيشنا؟

يجب البحث عن الاجابة قبل كل شىء فى الطابع الشعبى لجيشنا. فلأنه كان مؤلفا من ابناء وبنات الشعب، وكان يناضل من اجل حرية الشعب وانعتاقه وحماية حياته وممتلكاته، فقد كان من المنطقى ان يتبعه الشعب ويساعده.

ومع ذلك، وعلى الرغم من كون تركيبة الجيش ومهمته على هذا النحو، فان الجيوش لا تتمتع كلها بدعم الشعب ومساعدته على الدوام. وبالرغم من ان بعض الجيوش تلحق باسمائها كلمة "الشعب"، الا ان الشعب نفسه قد لا ينظر اليها بعين الرضى اذا هى لم تسلك سلوكا جيدا وكانت تفتقر الى الاخلاق العسكرية. فالشعب يحتفظ بدعمه النزيه لذلك الجيش الذى يحبه ويحترمه باخلاص ويدافع بغيرة عن مصالحه وحياته وممتلكاته.

وقد كان الجيش الثورى الشعبى الكورى يتمتع بكل هذه الصفات.

فجوهر اخلاقه العسكرية كان يكمن فى حبه المطلق للشعب. وكان ضباطه وجنوده يقومون وجودهم بارتباطهم بالشعب. فقد كانوا يرون انه لا يمكن لهم ان يعيشوا ويكونوا سعداء الا اذا كان الشعب كذلك. ومن هنا، جاءت مشاطرتهم اياه الافراح والاتراح. فبعيدا عن الشعب، كان الجيش الثورى الشعبى الكورى شيئا بلا قيمة ولا يستحق الوجود ولا يستطيع اعالة نفسه.

منذ الايام الاولى التى تلت بدء خوض حرب العصابات، اعتبرنا الشعب مهد وجودنا ودعمه مصدر غذائنا.

لقد كان الشعب منبع جيشنا لحرب العصابات، وكان ابانا وحامى ثورتنا.

ولهذا، فان الوحدة بين الجيش والشعب واجهتنا كمسألة لا يمكن تجاهلها.

ان مسألة حب الجيش للشعب وتلقيه الدعم منه، تحدد حياة الجيش او موته، قبل ان تكون شرطا للنجاح او الاخفاق فى المعركة. ولو اننا لم نول اهتماما لهذه النقطة، لما كنا استطعنا تفادى مصير الحياة البائسة، والحكم على انفسنا بالتلاشى مدفوعين من مكان الى آخر مثل "حبة الدخن فى المحيط"، كما كان يحلو للاعداء ان يقولوا.

ففى سياق حرب العصابات، احسسنا بضرورة وضع مفهوم جديد يكون بالنسبة للجيش الثورى قاعدة واسلوب عمل لعلاقاته مع الشعب، وللعلاقات بين الضباط والجنود، ولحياته اليومية. ولهذا السبب الفنا "الانظمة المؤقتة للجيش الثورى الشعبى الكورى".

وكان الهدف الاساسى لهذه الانظمة هو اظهار الطابع الشعبى لجيشنا الثورى، واضفاء الشرعية على مشاعر حبه للشعب والحفاظ على استمراريتها.

لم يكن جيشا نظاميا بالتأكيد، ولكنه كان يملك مع ذلك قوى وبنى لا تقل انضباطا عن الجيش النظامى. فقوة اوامر القادة وتوجيهاتهم والعادات كانت قاصرة فى تحريك مقاتلين كثيرين.

فى اواسط عقد الثلاثينات، عجل الاعداء فى بناء قرى الاعتقال الجماعى فى تشينتاو الغربية وركزوا كل جهودهم على "فصل الاهالى عن قطاع الطرق

الشيوعيين" ليحولوا دون تأثير الجيش الثورى الشعبى. ولم يكن الامبرياليون اليابانيون يتورعون عن استخدام اية اساليب او وسائل لدق الاسافين بين جيش حرب العصابات والشعب وقطع قناة مساعدات الشعب التى كانت تشكل مجرى التنفس بالنسبة لقوات حرب العصابات. فكانوا يدبرون كل انواع المكائد التى يمكنها ان تشوه سمعة الجيش الثورى الشعبى وتحاصره على الصعيد العسكرى والسياسى والاقتصادى.

كانوا يعرفون جيدا ان جيشنا هو جيش الشعب حقا، وانه لا يسلك سلوك قطاع الطرق، وانه جيش ذو قيم اخلاقية، ولا يمكن مقارنته بجيشهم على الاطلاق. ولكنهم كانوا يفترون عليه مع ذلك باتهامه بانه "قاطع طريق"، وفى هذا كان يتلخص استهتارهم، ومحاولتهم للنيل من سمعة جيشنا سياسيا واخلاقيا.

فبينما كنا نرى ان الوحدة بين الجيش والشعب هى بمثابة مجرى التنفس، كان الاعداء يصرون على "فصل الاهالى عن قطاع الطرق الشيوعيين".

وفى محاولة للتقليل من الطابع الشعبى لجيشنا، كانوا ينسبون اليه حتى تلك الجرائم التى تقترفها عصابات قطاع الطرق. ولكى نصحح تلك الصورة المحرفة التى تشيعها دعاية العدو اللئيمة ونرفع سمعته الى الاعلى، كان لا بد لنا من ان نبرز الطابع الشعبى لجيشنا بوضوح، وهو ما يستدعى منا ان ننقل الى الورق مطالبنا بهذا الخصوص.

فمنظمات جيش الاستقلال المنتشرة فى مناطق منشوريا، وعلى الرغم من الانطباع الطيب الذى خلفته بين الاهالى، الا انها تسببت لهم فى الوقت نفسه باضرار كبيرة جدا. والسبب الرئيسى فى ذلك يتلخص فى انها، مع وحدات جيش المتطوعين، لم تحترم بصرامة القواعد الاخلاقية فى تعاملها مع الاهالى، وحملتهم ما يفوق طاقتهم على الصعيد الاقتصادى. فبعض قادة جيش الاستقلال، كما هو حال آمر سرية فى مجموعة زونغوى، ومن اجل اشباع نزواتهم الشخصية، فرضوا على الشعب دون تردد مبالغ باهظة وجمعوها تحت اسم المساعدات لجيش او حركة الاستقلال.

وقد استخدم الجيش اليابانى ايضا مثل تلك الاساءات لكى ينال من جيشنا الثورى الشعبى ويشوه سمعته. وقد ذم جيشنا مثلما ذم جيش الاستقلال، مدعيا ان جميع اولئك الذين يرفعون راية الاستقلال هم، دون استثناء، لصوص ينهبون ممتلكات الاهالى ويستولون عليها. ولكى نتخلص من هذه الوصمة، كان علينا ان نوضح الطابع الشعبى لجيشنا.

والهدف الآخر الذى كنا نرمى اليه حين صغنا "الانظمة المؤقتة"، هو المرتبط بتزايد عدد الجنود المستجدين فى صفوفنا.

لم يقم الجيش الثورى الشعبى الكورى على الاطلاق باى عمل قتالى يمكن له ان يلحق الضرر بالاهالى. وقد كان الاعداء يعرفون ذلك جيدا، ولهذا فانهم حين يجدون الوضع غير مؤات لهم فى ساحة المعركة، كانوا يتراجعون نحو الدساكر ويقاومون من وراء جدران او اسوار المنازل. اما نحن، فلم نلجأ الى مثل هذا الاسلوب، ولم نفكر حتى باللجوء اليه مهما ساء الوضع واصبح غير مؤات لنا.

ففى اوائل صيف عام ١٩٣٤، حدث مثل هذا الامر فى سانداوهيجى، عشية معركة لوزوكو. فقد هاجمنا العدو باعداد كبيرة لكى يحول دون تقدمنا الى لوزوكو. فاصدرت الامر لاجتذابهم وضربهم بقوة خارج سانداوهيجى، وذلك للحيلولة دون الحاق اضرار بالاهالى. وكانت النتيجة ان لاذ نصفهم تقريبا بالفرار. ولم يقتصر حدوث ذلك على مرة واحدة او مرتين.

وحين كان جيشنا الثورى يمر من احدى القرى، لم يكن يظهر اى نوع من الغطرسة او الزهو، لأنه جيش يناضل من اجل تحرير الشعب. فما ان يتخفف جنودنا من حقائب ظهورهم حتى يبدؤوا بجلب الماء ويشعلوا المواقد للأهالى، وينظفوا لهم افنية بيوتهم او يقطعوا الحطب، دون استثناء القائد من ذلك. وقد كنا نوجه اعضاء القيادة دائما ليكونوا مرآة لمرؤوسيهم وان يربوهم بان يكونوا قدوة لهم.

وباختصار، كان حب الشعب ومد يد المساعدة اليه هو الواجب الاول والقاعدة الاخلاقية الرئيسية لاعضاء الجيش الثورى الشعبى الكورى منذ تأسيسه.

مع ذلك، ومنذ الايام الاولى لاستقرارنا فى منطقة جبل بايكدو، ظهرت فى

بعض الاحيان بين المستجدين ممارسات غير مرغوبة تضر بالعلاقات مع الشعب. وكان بعض اولئك المستجدين ينحدرون من الريف، وآخرون من الوحدات المناهضة لليابان، وغيرهم من المتمردين على جيش منشوكو العميل. ولأنهم لم يمروا بمرحلة التدريب الاساسية، فقد كانوا يتصرفون بين الحين والآخر بما يتناقض مع الانضباط التقليدى للجيش الثورى، متسببين فى ذلك بالنيل من سمعته.

خلال الفترة القصيرة التى امضتها وحدتنا فى بيت الشيخ المدعو لى فى ليوتيباودونغ بشيجيوداوكو، قدم لنا ذلك الشيخ ابن اخيه، وهو فتى جاء لمساعدته فى الحصاد. وبالنظر الى الحذاء والطماق اللذين كان يلبسهما، كان يبدو انه مستعد جيدا لجنى المحصول. لقد اثارت المحادثة مع الشاب اهتمامى الكبير. فقد كان يتمتع بموهبة الكلام لدرجة القدرة على تحديد جوهر اى شىء بكلمة او كلمتين.

خرج الفتى من البيت ثم قفل راجعا على الفور، فلاحظت ان حذاءه وطماقه قد استبدلا بآخرين قديمين، وبدت على وجهه امارات الاستياء. سألته عن السبب، ولكنه لم يجب بسبب تردده.

امرت كيم زونغ بيل، آمر الفصيلة، ان يستطلع ما جرى. وبعد قليل اخبرنى وهو ساخط بان احد الجنود القادمين من جيش منشوكو العميل، اجبر الفتى على مبادلته حذاءه وطماقه، وانه يستهين بانتقادات آمر الفصيلة، رغم اقدامه على ذلك التصرف المشين.

"وهو يحاول تبرر فعلته بالقول انه من الطبيعى جدا ان يقدم الاهالى خدماتهم للجيش الذى يقاتل من اجل مصالحهم معانيا المصاعب فى الجبال، وان مثل هذا الامر لا يستوجب العقاب فى جيش منشوكو العميل."

صدمتنى تلك الكلمات. هنالك امثلة لا تعد ولا تحصى عن قادة الجيوش المعتدين الذين يحتلون بلدانا اخرى ويبيحون فيها القتل واللصوصية والاغتصاب والسلب وغيرها من الجرائم، ويسمحون لجنودهم باقترافها. فخلال الحرب الصينية – اليابانية وحرب الباسفيك، اقتاد الجيش اليابانى معه حتى النساء لخدمته. وقد كان جيش منشوكو العميل مشابها له فى اقتراف الدناءات بحق الاهالى.

فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان ذلك الجندى كان معتادا الى ابعد الحدود على اقتراف اعمال غير اخلاقية فى جيش لا هم له سوى القتل والحرق والنهب، يمكننا ان ندرك بوضوح استبداله لأشياء مثل الطماقات او الاحذية. ومع ذلك، لم يكن ممكنا على الاطلاق التهاون فى مثل تلك الامور فى جيشنا الثورى الشعبى. لقد كان عملا غير شرعى من وجهة نظرنا، نحن الذين نعتبر حب الشعب مبدأ حتميا.

وجدت نفسى مضطرا الى الاعتذار من الشيخ:

"ايها الجد، تكرم وسامحه، حتى ولو كان ما فعله يضايقك، واعتبر خطأه كحماقة ارتكبها ابنك. الحقيقة اننا لم نحسن تربيته جيدا."

فقفز الشيخ ورد على قائلا:

"اذا كنت تقول هذا الكلام، فاننى سأتضايق اكثر. كيف يمكن الاعتذار اذا ما قام جندى يقاتل فى الجبال باستبدال زوج من الاحذية؟"

بعد تلك الحادثة، تعمقت الصداقة اكثر فأكثر بيننا وبين الشيخ. وكلما كنا نذهب الى شيجيوداوكو، كنا نعرج على ليوتيباودونغ لنسلم عليه.

وكان جنودنا يترددون على المكان للحصول على المواد التموينية. وفى احدى المرات، حصلوا على دجاجتين، بناء على ايعاز منى، لتقديمهما الى وى جين مين الذى كان فى وحدتنا بعد ان تفاقم مرضه. اعترف المقاتل الذى احضر الدجاجتين بانه لم يدفع ثمنهما لأن صاحبهما رفض اخذ النقود. فسألته عن ذلك الشخص وعرفت انه الشيخ لى نفسه. وعلى الرغم من خبرة ذلك المقاتل بشؤون التموين، الا انه ارتكب الخطأ بعدم الدفع.

فذهبت برفقة آمر فصيلته فى وحدة التموين، لمقابلة الشيخ. وساعدناه فى الدرس واوعزت الى مرافقى بان يقدم له عشرة يوانات وان يعتذر منه لعدم دفع ثمن الدجاجتين فى الوقت المناسب. كان ثمن الدجاجة الواحدة فى السوق فى ذلك الوقت يوانا واحدا ونصف اليوان، وهكذا كان يكفى ان ندفع له ثلاثة يوانات، ولكننى رغبة منى فى مساعدة اسرته، اردت ان ادفع له اكثر، فأثار ذلك استياء الشيخ.

"اذا اخذت هذه النقود، فلست استحق ان اكون كوريا. هنالك مثل يقول: (ابن

اوى ايضا له وجه) وهذا ينطبق على حالتى ايضا. أليس كذلك؟"

"خذ النقود ايها الجد. لو كنا نعرف انها دجاجات بياضة، لاعدناها اليك. ولكننا ذبحناها ولن يكون لديكم بيض فى الربيع. لقد انتزعنا منكم هذا الاحتمال."

وضعنا النقود فى يده.

فمسح العجوز دموعه بكمه، وتحدث عن عملية السطو التى تعرض لها قبل سنتين من ذلك:

فى احد الايام، اصطاد ايلا وباعه الى احد الاثرياء. فعلم بعض الجنود بذلك وجاؤوا مندفعين وطلبوا منه اعطاءهم النقود على الفور ودون جدال، وهم يصوبون بنادقهم نحوه. واخيرا، انتزعوا منه كل ما كسبه من بيع الايل، بعد ان استسلم امام التهديد بقتله فى الحال. ومنذ ذلك اليوم، كان يهز رأسه كلما سمع حديثا عن الجيش. ولكنه حين رأى رفاقنا يقدرون الشعب غير موقفه، مؤكدا انه يجب على المرء ألا يبخل باى شىء لهذا الجيش. وفى احدى المناسبات علم ان رفاقنا يبحثون عن دجاجات سوداء، ففكر بان اللحظة قد حانت لاظهار اخلاصه حتى ولو كانت مساهمته ضئيلة، وهكذا تبرع بدجاجتيه البياضتين. ولكنه قال حين تلقى اكثر من ثلاثة اضعاف لثمن الدجاجتين، انه يشعر بالذنب لانه لم يقم بواجبه كمواطن.

حين سمعته يقول ذلك، سألت نفسى عن مقدار جهلى بمدى اخلاصه. ولكننى لم استطع قبول هديته لانى بذلك اخرق احد تقاليد الجيش الثورى بمكافأة سخاء الشعب فى حينه.

ومع ذلك، كان بعض الجنود المستجدين يرون انه من الطبيعى ان يقدم الشعب مساعدته النزيهة الى الجيش الثورى، ولهذا كانوا يحملون ما يقدم اليهم، دون ان يحللوا حالة الشعب وظروفه المعيشية.

واحد الامثلة المعبرة على ذلك هو ما حدث بشأن ثور فى ياوشويدونغ فى خريف عام ١٩٣٦.

اقامت وحدتنا فى قرية ديانغسى، بشيجيوداوكو فى محافظة تشانغباى. وقد عانينا هناك الكثير بسبب نفاد المواد التموينية. فذهب جنديان مستجدان الى

ياوشويدونغ لجمع بقول جافة، وعادا سعيدين وهما يقودان ثورا. سألتهما عن الأمر، فاوضحا ان اهالى المنطقة ارسلوا الثور حين علموا ان مقاتلى حرب العصابات لا يأكلون سوى حساء البقول المجففة بسبب افتقارهم الى الارز.

وقالوا انهما رفضا اخذ الثور فى اول الامر، لكن الفلاحين اقنعوهما بأخذه وهم يتوسلون اليهما ويضعون عنان الثور فى يد احدهما باصرار.

كان الماء يغلى فى احد الاركان. وحيث ان الجميع لم يتذوقوا الحبوب منذ عدة ايام، فقد بدت السعادة على وجوه الجنود المستجدين والقدماء والضباط على السواء، وراحوا يمنون انفسهم بتناول مرق لحم البقر بعد زمن طويل من عدم تناوله. كدت ان اصدر الامر بذبح الثور بسرعة حين فكرت بان الجنود سيتناولون كأسا من مغلى البقول بدلا من الطعام. وعندئذ انتبهت الى زينة الحيوان الذى كان يخور خوارا كئيبا نحو السماء، فغيرت قرارى. فحلقة الانف المشغولة باتقان، والرسن المربوط جيدا بشريطة قماشية حمراء، والجلجل النحاسى، وقطع النقود البرونزية، كل هذا يشير الى محبة صاحب الحيوان الحقيقية لثوره. جمعت المقاتلين الذين كانوا منهمكين فى العمل بحماس من اجل ذبح الثور فورا والقاء قطع من لحمه الى الماء الذى يغلى، وقلت لهم بصوت خافت:

"سنعيد الثور الى صاحبه."

تطلع الى اللذان احضراه وقد فغرا فاهيهما من الدهشة. كما توقف مستجدون آخرون عن الابتسام واكتست وجوههم بخيبة الامل. كان امرا شديد القسوة بالنسبة لأولئك الرجال الذين كانوا يصارعون ضد الجوع منذ ايام. فتنهدوا، وقلت لاقناعهم: "لماذا نقترح اعادة الحيوان الى صاحبه؟ لأن هذا الثور هو ثروة كبيرة لصاحبه. انظروا كم كان يقدره! مما لا شك فيه ان هذا الجلجل النحاسى هو ميراث ثمين تتوارثه الاسرة منذ عدة اجيال. وربما تكون هذه القطع النقدية البرونزية هى دوطة جدة صاحب الثور التى احتفظت بها طول حياتها فى كيس نقود. هكذا تعبر امهاتنا عن حبهن للابقار. والسبب الآخر الذى يدفعنا لاعادته هو ان اعمال الفلاحين فى ياوشويدونغ تعتمد الى حد بعيد على هذا الحيوان. فاذا ذبحناه دون ان نأخذ ذلك بعين

الاعتبار، متعللين باخلاص الاهالى، فما الذى سيحدث عندئذ؟ ان صاحب الثور وجيرانه الذين كانوا يستفيدون من الحيوان، سيكونون مضطرين الى الحلول محله منذ الغد. كم سيعانون من نقل الاحمال على كواهلهم وحراثة الارض بالمعول او المعزق بدلا من الثور؟ فاذا كان الامر كذلك، فهل سنشعر بالراحة بعد ذبحه؟ جميعكم تقريبا من ابناء الفلاحين الفقراء؛ فتصوروا آباءكم وهم يعملون ويتعرقون فى العمل الشاق."

ربما اصابت كلماتى اعمق اعماق من احضرا الثور. فسالت الدموع من اعينهما وطلبا منى ان اعاقبهما معترفين بخطئهما. وبدلا من معاقبتهما، ارسلناهما مرة اخرى الى ياوشويدونغ لاعادة الثور الى صاحبه.

حين كان يأتينا جنود مستجدون فى ذلك الحين، كنت اشاطرهم الطعام والمهجع لبعض الوقت قبل توزيعهم على السرايا او الفوج، حين يكونون قد تصلبوا الى حد ما. وقد كنت اتصرف على هذا النحو ولو لبضعة ايام حين يكون عدد المستجدين قليلا، اى نحو ثلاثة اشخاص، بالرغم من انه كان يصعب على ذلك حين يصل العدد الى بضع عشرات. وقد اتاحت لى هذه الطريقة معرفة الوضع العائلى لكل واحد منهم، ومستوى استعداده، وطبيعة شخصيته وميوله، وكنت اتخذ بناء على ذلك الاجراءات التربوية المناسبة.

فى شهر تشرين الاول ١٩٣٦، وافقت وحدتنا على قبول اكثر من عشرة عمال من احدى محطات قطع الاخشاب دفعة واحدة، وقد بقى الثلاثة الاحدث سنا منهم الى جانبى منذ لحظة انضمامهم.

وعند عودتهم من نوبة الحراسة فى احد الايام، ملؤوا حقائب الظهر التى يحملونها بعرانيس ذرة قطفوها من حقل احد الفلاحين دون اذن منه. وتعللوا بانهم احضروها ليقدموا لى منها كمية كبيرة لأننى كنت اعيش على الماء بسبب افتقار الوحدة الى الاغذية. وقد فوجئت كثيرا لانهم كانوا يفكرون بانهم يقومون بهذه الطريقة بأداء واجبهم الاخلاقى حيال القائد على الرغم من اقترافهم جنحة مد ايديهم الى ممتلكات الشعب.

لقد تفهمت مشاعرهم، ولكننى لم استطع تقبل ما جاؤوا به.

"اشكر اهتمامكم، ولكن يجب ان تعلموا انكم اقترفتم اليوم جناية خطيرة ضد ممتلكات الشعب. اين يوجد مثل هذا العالم الفوضوى الذى يمكن فيه ملء ثلاث حقائب بعرانيس الذرة دون اذن صاحبها؟"

"اننا اعضاء فى الجيش الذى يعانى من اجل استقلال كوريا، ثم، ما هى قيمة ثلاث حقائب من الذرة ؟ لقد تبرع اهل قريتنا فيما مضى بحلى ذهبية لجيش الاستقلال. واذا كان هناك فلاحون يتضايقون من اجل بضعة كيزان من الذرة، فانهم موالون لليابان دون شك."

قال ذلك مستجد فطن، باسم الثلاثى. وعبر الاثنان الآخران عما يفكران فيه على طريقتيهما، ودون اى شعور بتأنيب الضمير. اذا هم لم يصححوا موقفهم الخاطئ بالاعتداء على مصالح الشعب تحت ذريعة النضال من اجل استعادة الوطن، فلن يكون بالامكان تصور المفاجآت والنكبات التى ستظهر فيما بعد.

عملت على اقناعهم طوال اكثر من ساعة، ثم امرتهم بعد ذلك بان يضعوا كل ما احضروه من كيزان الذرة على طرف الحقل. وقد رافقهم فى ذلك احد آمرى السرايا.

مضت عدة ساعات على ذهابهم ولم يرجعوا. فراودنى القلق، وذهبت الى حقل الذرة يسبقنى جندى اتصال، فوجدتهم يجلسون على حافة الحقل والى جانبهم عرانيس الذرة.

سألت آمر السرية عما يفعلونه، فقال لى انهم ينتظرون مجيء صاحب الحقل.

نظرت اليهم واحدا واحدا؛ وكانت عيونهم جميعا محتقنة. وقد جعلنى ذلك اتذكر الفقرة الاولى من كتاب "سانزوجينغ" الذى قرأته اثناء دراستى فى المدرسة الابتدائية فى باتاوكو، وتقول الجملة الاولى من تلك الفقرة: "رينزوتشو سينغبنشان" اى ان الانسان يولد طيبا. والواقع ان طبيعة الكائن البشرى رائعة جدا.

وبينما نحن فى طريق العودة الى المعسكر، نصحتهم من جديد: احبوا الشعب من الآن فصاعدا، واستخلصوا العبرة مما جرى اليوم؛ لاننا اذا ازدرينا الشعب،

فسوف يدير لنا ظهره؛ وليس هناك ما هو اشد فظاعة من كون المرء مرفوضا من جانب الشعب؛ فخسارة حبه هى اكبر مأساة يتعرض لها الثوريون؛ فإلى من سنستند فى النضال اذا نحن لم نتمتع بمحبة الشعب وتأييده؟

ذهبوا الى النوم فى تلك الليلة دون ان يقولوا شيئا. امسكت يد اصغرهم سنا وسألته عن سبب صمته وعما اذا كان مستاء مما حدث.

فأجاب قائلا:

"لا، لقد فكرت بان جيشنا هو جيش رائع حقا. ولن اعود الى اقتراف الاخطاء."

ثم اقسم والدموع تملأ عينيه بانه سيصلب نفسه كمقاتل رائع يتمتع بحب الشعب.

ولم يقتصر ظهور ممارسات تسيء الى سمعة الجيش الثورى على العلاقات مع الشعب فقط.

فمع ازدياد عدد المقاتلين، ظهر بين الضباط الاعلى من آمرى الفوج من كانوا يقودون القاعدة دون الاقتراب منها ودون الاختلاط جيدا بجماهير الجنود، مقتصرين على اصدار الاوامر العامة، بل كان بينهم من يقولون: لقد ازداد عدد افراد "الاسرة" الى المئات؛ ولهذا لا بد من ارتداء ملابس تتناسب مع الرتبة، وتناول الطعام والنوم فى مكان منفصل عن الجنود، والا فان اى تهاون قد يؤدى الى ظهور ديمقراطية عسكرية متطرفة تحول دون السيطرة على الصفوف.

وكثيرا ما ظهرت بين الآمرين الصغار الذين تمت ترقيتهم حديثا، مواقف متعجرفة لاعتقادهم بانهم يحتلون مناصب رفيعة.

ففى خريف عام ١٩٣٦، حين كانت وحدتنا تعمل فى منطقة تشانغباى، حدث ان انطلقنا فى مسيرة ليلية من مكان قريب من شيسيداوكو متوجهين الى المعسكر السرى. وقبل الانطلاق، شكلت المفرزة المتقدمة وقدمت بعض التنبيهات التى يجب التقيد بها خلال المسيرة. وقد اكدت بشكل خاص على ضرورة عدم التدخين، لأن التدخين اثناء المسير الليلى يعنى كشف المرء لنفسه بنفسه امام العدو. ومع ذلك، وبينما الوحدة تسير فى منعطف جبلى، وصلتنا رائحة دخان سيجارة من السرية الثانية التى كانت تسير فى مقدمة الطابور. لم يكن هناك شك فى ان احدهم اراد ان

ينتهز فرصة المرور فى المنعطف الذى يخفيه عن اعين القيادة فى المؤخرة.

فى اليوم التالى استدعيت قادة السرايا وسألتهم عن ذلك؛ وقد فوجئت بان من خرقوا النظام لم يكونوا من الجنود العاديين، وانما اثنان من قادة السرايا هما لى دو سو وكيم تايك هوان. وقد اعترفا بذلك بصراحة. فقد كانا معتادين على لف سيجارة واشعالها قبل البدء بأى عمل.

انبتهما بقسوة:

"لن احدثكم طويلا عن ضرورة عدم التدخين. لو رأى الاعداء فى الليل بصيص السجائر او شموا رائحة الدخان، لاطلقوا علينا النار فجأة. فما الذى كان سيحدث للوحدة؟ يمكن القول ان حرب المقاومة المناهضة لليابان التى نخوضها هى حرب الارادة والانضباط، اى انها مواجهة جدية بين الارادة الثورية لتحرير الوطن وبين الجشع العدوانى الساعى الى اضفاء الشرعية والديمومة على احتلال بلاد اخرى. واذا كنا قد خرجنا ظافرين على الدوام فى هذه الحرب، فان السبب فى ذلك فى التحليل الاخير هو ان ارادتنا وانضباطنا اكثر صلابة من ارادة العدو وانضباطه، كما اننا نتفوق عليه بما لا يقارن على المستويين السياسى والاخلاقى. فما النتائج التى ستحدث اذن، اذا ما تواصل ظهور اناس ضعيفى الارادة مثلكما فى صفوفنا؟ من المنطقى ان مثل هذه الجماعة العسكرية غير المنضبطة وضعيفة الارادة ستتعرض للاخفاق فى المعركة. انكما تعتبران نفسيكما مدخنين مدمنين، ولكن هناك عددا كبيرا من المدخنين المدمنين كذلك بين المقاتلين العاديين. وعندما تدخنان فانهم سيشعرون برغبة فى التدخين ايضا. ومع ذلك، فان ايا منهم لم يفعل ذلك الليلة الماضية. ماذا يعنى هذا؟ يعنى انكما تفكران بانكما متميزان. لا وجود للاستثناءات عند تطبيق الانضباط العسكرى. اما انتما فقد تصرفتما باعتباركما استثناء. واذا سمحنا بهذا، فانه يعنى منح امتياز للضباط. نحن لا نعترف بمثل هذا الامتياز. لاننا اذا سمحنا به، فانه سيجعل المرؤوسين يفقدون الثقة برؤسائهم. وهذا سيؤدى فى النهاية الى الحاق الضرر بالوحدة بين الضباط والجنود، والضرر بحماية الضباط ومحبة الجنود. فهل كان الخطأ الذى ارتكبتماه جسيما ام لا؟"

اعترف لى دو سو وكيم تايك هوان بجسامة الخطأ واعربا عن استعدادهما لتقبل اى عقوبة.

"يمكننى بكل تأكيد ان اعاقبكما. ولكن العقوبة ستكون طريقة سهلة. اننى احذركما باخلاص من مغبة الوقوع فى هذا الخطأ مرة اخرى. ويمكنكما اعتبار تحذيرى هذا بمثابة عقوبة."

فى ذلك اليوم بالذات، عينت لى دو سو "آمرا لمفرزة الاشراف على منع التدخين".

فى تلك الفترة، دافع هو بوم زون، جندى الاتصال عند المفوض السياسى للفوج كيم بيونغ، عن المساواة المتطرفة وغير المنضبطة بين الرؤساء والمرؤوسين، وقد خلق ذلك نوعا من البلبلة فى اجواء الوحدة. وكان هو بوم زون جنديا قديما مجربا وكبير السن، وله تاريخ طويل نسبيا فى الكفاح المسلح. وقد كان فى اول الامر جندى اتصال عندى، ولكن كيم بيونغ اخذه بعد ذلك قائلا انه غير مناسب للقيادة لانه بطىء الحركة. وارسل لنا بدلا منه جندى اتصاله لى كوون هاينغ.

بعد ان انتقل هو بوم زون للعمل تحت امرة كيم بيونغ، اثار عدة فضائح بردوده الوقحة على الضباط. فاذا ما اوكلوا اليه مهمة العمل كجندى ارتباط، كان لا ينصاع دائما بوداعة، وكان يتصرف بين الحين والآخر بعدم لباقة. لم يعد الضباط قادرين على تحمل المزيد منه، ونقلوا الأمر فى النهاية الى الهيئة العليا. ولو انهم استمروا فى تحمله، لأدى ذلك الى تحطم العلاقات الرفاقية بين المراتب العليا والدنيا ولاختفت اجواء حماية الكوادر.

ومع اخذنا جيدا بعين الاعتبار بعض الاسباب المذكورة آنفا والظروف الجديدة التى نشأت فى جيشنا الثورى الشعبى، اصدرنا "الانظمة المؤقتة" لهذا الجيش. واذكر ان ذلك كان فى اواخر عام ١٩٣٦، لان كيم زو هيون كان مشغولا جدا عندئذ فى الاعداد لحفلة رأس السنة، قائلا انها المرة الاولى التى نحتفل بهذا العيد فى جبل بايكدو ولا يمكنه اهماله. وقد صاغ كيم بيونغ مشروعا لم يكن له النكهة المنشودة. ولهذا، اعدت صياغته فى خمسة عشر بندا. واضفت الى تلك الانظمة صفة "المؤقتة" مستشفا امكانية زيادتها واستكمالها فيما بعد.

لقد عرضت فى تلك الانظمة بالتفصيل طابع ورسالة جيشنا الثورى، وقوانين وقواعد السلوك التى يتوجب على الضباط والجنود ان يلتزموا بها فى حياتهم اليومية.

وتم توجيه اهتمام خاص الى العلاقات بين الجيش والشعب، وبين الضباط والجنود. وهو ما يثبته التأكيد على الطابع الشعبى لجيشنا الثورى فى كل بنود الوثيقة.

كان البند الاول يشير الى:

"جيشنا هو الجيش الثورى الشعبى الكورى الذى يناضل ضد الامبريالية اليابانية وعملائها، ومن اجل استعادة الوطن وحرية الشعب وانعتاقه."

وكان البند الثانى الذى يحدد مبدأ تنظيم الجيش، يؤكد ان جيشنا هو الجيش الثورى الحقيقى للشعب الكورى، وهو يضم خيرة ابناء وبنات هذا الشعب.

اما بالنسبة للعلاقات بين الجيش والشعب، فقد حددت كما يلى:

"ان جيشنا الذى يدرك جيدا انه (لا يمكن للسمك ان يعيش خارج الماء) يحمى ويدافع عن حياة وممتلكات الشعب، ويقاسمه الافراح والاتراح، ويناضل متكاتفا معه من اجل استعادة الوطن وانعتاق الشعب."

والبند المخصص للوحدة بين الضباط والجنود يقول:

"ان عناصر القيادة والجنود فى جيشنا يراعون طوعا الانضباط العسكرى والاخلاق العامة، انطلاقا من روح حماية الكوادر والمحبة للجنود والوحدة بين هؤلاء واولئك."

كما تضمنت الانظمة المؤقتة بنودا تقول: تتم مصادرة ممتلكات الامبرياليين اليابانيين وعملائهم لاستخدامها فى الحرب المناهضة لليابان وتقديم جزء منها لاغاثة الاهالى الفقراء. ويضمن الجيش الثورى الشعبى الكورى الجبهة المتحدة مع الوحدات الراغبة فى خوض عمليات مشتركة ومع البلدان والشعوب التى تعرب عن تعاطفها.

وقد حددت الانظمة كذلك سلم الرتب فى الجيش الثورى الشعبى وصلاحيات

القيادة فى تعيين وتنحية الآمرين على كل المستويات، والشروط الواجب توفرها فى مقاتل حرب العصابات، واجراءات الانضمام الى الجيش والانسحاب منه، واسباب العقوبات، وكذلك راية ورموز الجيش وشارة النجمة الخماسية للقبعة.

لقد كان الهدف من الانظمة واضحا تماما: التوصل المؤكد، بقوانا الذاتية، الى تحقيق القضية التاريخية فى استعادة الوطن، التى يتلهف اليها الشعب بشدة، دون الحاق اى ضرر بمصالحه، وبالروح الثورية فى الاعتماد على القوى الذاتية والمثابرة فى النضال الشاق، وباتحاد الجيش والشعب، والضباط والجنود فى كيان واحد.

وكانت المحبة هى الروح الجوهرية التى تطغى على الانظمة، وهذا يعنى ان محبة الشعب ومحبة الجنود ومحبة اعضاء القيادة كانت تشكل قاعدة فولاذية.

وقد توصلت من التجربة الى ان الوحدة بين الجيش والشعب وبين الضباط والجنود هى فى تطابق الافكار والمشاعر، وانه لا يمكن التوصل اليها من خلال الانظمة والمبادئ وحدها، وانما فى الوقت نفسه، من خلال تواصل المشاعر الانسانية التى تدفع الجيش والشعب، والضباط والجنود، والرؤساء والمرؤوسين الى تقدير ومساعدة بعضهم البعض. فمشاعر المحبة والتقدير الحميم هذه التى يكنها بعضهم لبعض اصبحت لاصقا قويا يربط افكارهم بثبات.

بهذا المعنى، لم تكن الانظمة المؤقتة للجيش الثورى الشعبى الكورى لوائح او وثيقة قانونية للرقابة والضبط، وانما دليلا قانونيا، وميثاق حب، يربط ربطا متينا وبمشاعر دافئة ما بين الجيش والشعب وبين الضباط والجنود.

وفور اعلان هذه الانظمة، تمكنا من جعل جميع اعضاء القيادة والجنود من احترامها بصرامة. وكانت النتيجة ان العلاقات بين الجيش والشعب، وبين الضباط والجنود اصبحت متينة جدا، مثل روابط الدم، لا يمكن لأحد قطعها.

وحتى فى الظروف القاسية، حين كان الموت من الجوع او البرد يهدد حياة ضباطنا وجنودنا، لم يقدم اى منهم على الاعتداء التعسفى ضد ممتلكات الشعب. وحين كانوا يضطرون بصورة حتمية لاخذ بضع حبات من البطاطا دون اذن من

صاحبها، كانوا يتركون نقودا تزيد على ثمن ما يأخذونه، ومعها رسالة اعتذار، عند حافة الحقل او فى القبو المستخدم كمستودع.

وعندما كانوا يحلون فى القرى، كان اول ما يفكرون به هو مساعدة اهلها وليس ان يكونوا ضيوفا عليهم.

ولا يمكننى ان انسى ما حدث حين كانت وحدتنا فى احدى قرى ايرشيداوكو بمحافظة تشانغباى.

فقد اقمت فى كوخ صغير يبدو انه افقر بيت فى القرية. وكان الزوجان العجوزان، وعمرهما يزيد على الستين، يربيان حفيدا لهما بكل اخلاص. وقد اخبرانى بان ابنهما قد مات وهو يقود طوفا من الاخشاب، ثم ماتت كنتهما بالتيفوس. وبسبب افتقارهما الى ايد قوية، كان قش السقف قد تعفن واصبح يقطر منه ماء المطر، وان المصطبة قد تخربت. وكان ذلك البؤس يوحى لنا بان البيت مهجور. وفى اليوم الذى وصلنا فيه، صعدت انا ومراسلى الى الجبل الواقع وراء القرية، وجمعنا نحو عشر حزم من العشب الجاف وغطينا بها السطح، كما اننا اصلحنا المصطبة ايضا.

وبعد ان تقدم الليل، سمعت خفق اجنحة طيور ونظرت الى الخارج بقلق خشية ان يقتنص ابن اوى الدجاجات. فرأيت العجوز على ضوء قدة من الخشب المضمخ بالزيت تحملها زوجته، وهو يخرج الطيور من الخم. فسألت لماذا يفعل ذلك فى مثل تلك الساعة من الليل، فرد ان لديه حاجة مستعجلة. كان فى الخم ثلاثة طيور فقط، فاخرج اثنين منها ديك ودجاجة سمينة كنا قد رأيناها فى النهار تقيق طويلا بعد ان وضعت بيضة. ربط الشيخ الدجاجة والديك من قوائمهما بحبل، ثم ترك الدجاجة فى المطبخ. وحمل الديك تحت ابطه وخرج من الكوخ. مضت زوجته العجوز فى اثره دون ان ندرى السبب، ولم يرجعا الا بعد مرور ساعتين او ثلاث ساعات.

كنت اجلس على المصطبة بانتظار عودتهما. وقد رجعا عند الفجر يحملان الديك وقد خمدت همتهما.

سألتهما:

"من اين انت قادم الآن ايها الجد؟"

فرد العجوز وهو يضع الديك على المصطبة:

"ياه! لقد تجولنا على كل بيوت القرية، وهى اكثر من خمسين بيتا."

لم افهم ما يعنيه؛ وعدت استفهم عن سبب هذا الانهماك فى الليل:

"سمعت ان قائدكم هو كيم إيل سونغ. وقد اردنا الوصول الى المكان الذى يبيت فيه، ولكننا اخفقنا فى ذلك."

"ولماذا تريد البحث عنه؟"

"لكى احدثه عن سلوككم الحميد واعرب له عن احترامنا العميق. أوتظننا سنبقى مكتوفى الايدى ومحط افضالكم فقط؟ اننا نرغب فى ان نقدم ولو ديكا واحدا، ولكن ..."

كان الشيخ قد ذهب قبل كل شىء الى بيت الاقطاعى الذى يعيش فى القرية العليا. فقد ظن ان القائد سيكون دون شك فى اكبر بيوت القرية. ثم بحث فى بيت الوكيل، وهو البيت الثانى من حيث الحجم فى القرية، ثم جال على كل البيوت الاخرى، بيتا بيتا، دون ان يهمل واحدا منها. قال ذلك وهو يتأفف لأن القرية كلها تزدريه بسبب فقره ووحدته.

"وبصراحة، كيف يمكننا المثول بمثل هذا المظهر البائس امام القائد؟ ومع ذلك، فقد كان فى ما فعلوه مبالغة. بل ان بعضهم سخروا منا بالقول اننا نبحث عمن هو موجود فى بيتنا. انظر، اننى اسألك، اين يبيت قائدك؟"

لم يكن هنالك شك فى انه لا يستطيع ان يتصور ان من يبحث عنه موجود فى بيته، بالرغم من انه جاب كل انحاء القرية. وحين رأيت غمه اخبرته بمن اكون. ولكنه لم يثق بكلامى. وقال ان ذلك غير ممكن.

واضاف باستياء شديد: عندما كان جيش الاستقلال يتردد على القرية، كان حتى آمر السرية منهم ينزل فى اكبر البيوت ويقيم حفلة شواء على لحم بقرة تذبح خصيصا، فكيف يمكن للقائد ان ينزل فى بيت قذر مثل بيتى؟ وكيف يمكن للسيد القائد ان يقوم باكساء السقف بالاعشاب الجافة واصلاح المصطبة وان يأكل

باستمتاع حساء السرغوم؟ لا بد انك تزدريني انت ايضا وتريد التكتم على مكان قائدك.

ولم يقتنع بالحقيقة الا بعد ان استمع الى مراسلى فى اليوم التالى. عندئذ اراد الزوجان ان يذبحا الديك، ولم نستطع منعهما من ذلك الا بصعوبة كبيرة، ثم غادرنا القرية. ومثل هذا الواقع لم يحدث مرتين او ثلاث مرات فقط.

لقد اظهرت الانظمة المؤقتة للجيش الثورى الشعبى الكورى حيوية عظيمة حقا فى تمتين روابط الوحدة بين الجيش والشعب.

ولو لم نغرس روح حب الشعب وخدمته بصرامة بين صفوف الجيش، لما كان لنا ان نخرج ظافرين من مصاعب كثيرة، ولكنا تخلينا عن الثورة فى منتصف الطريق فى ايام المحن القاسية تلك، حين كان مصير الجيش الثورى الشعبى ووجودنا نفسه مهددا باستمرار.

بعد صدور تلك الانظمة، لوحظ كذلك حدوث تبدل فى الوحدة بين الضباط والجنود.

فقد اعتاد الآمرون على مشاطرة الجنود الافراح والاتراح. فعندما يأكل الجنود الحساء او ينامون على اوراق الشجر الجافة التى تغطى الثلج، كان الآمرون يفعلون مثلهم.

لقد كان الجميع، من القائد وحتى آمر الفصيلة، يحذرون من "القدر الصغيرة" ويعارضونها بصرامة.

وقد ظهرت عبارتا "القدر الكبيرة" و"القدر الصغيرة" فى جيش الكومنتانغ الذى يقوده تشانغ كاى تشك. فمن يترقى الى رتبة ضابط فى ذلك الجيش، كان يرى ان له الحق فى تناول اطعمة خاصة يتم تحضيرها فى "قدر صغيرة"، وليس من قدر الجنود الكبيرة. كما ان تمييز الرئيس عن المرؤوس من اجل التأكيد المطلق على المعاملة التفضيلية للأول والاضطهاد للثانى، كان ممارسة تطبق بصرامة فى الجيش اليابانى. فبمجرد ترقية المرء الى رتبة عريف، يصبح بامكانه التصرف وفق نزواته فى فرض عقوبات بربرية على مرؤوسيه واجبارهم على لحس باطن قدمه او نعال حذائه.

لم يسمح جيشنا الثورى الشعبى على الاطلاق بوجود "القدر الصغيرة". ولو انه سمح بذلك، لكان من الطبيعى ظهور فئة ذات امتيازات، تتمتع بمعاملة خاصة ومأكولات متميزة، وهو ما سيؤدى حتما الى تحطيم الروابط بين هذه الفئة وجماهير الجنود الواسعة التى تأكل بصورة مشتركة ما يتم طهوه فى "القدر الكبيرة". فاذا كانوا يدعون بلسانهم من اجل المساواة للجميع، ولكنهم يميزون انفسهم فى المأكل مشجعين بذلك عدم المساواة، فمن ذا الذى سيتبع مثل هؤلاء المنافقين؟

لقد كان على جميع اعضاء القيادة، بغض النظر عن رتبهم، وفى اى وقت وأى مكان وأية ظروف، ان يتناولوا مع الجنود العاديين الطعام الذى يتم طهوه فى القدر نفسها، وكنا نعتبر هذا الأمر قاعدة حديدية، واحد انظمة الانضباط والاخلاق التى لا يمكن خرقها فى الجيش الثورى الشعبى.

وحيث ان الجميع كانوا متساوين فى المأكل والملبس والمسكن، فقد كانت هناك حالات كثيرة اصبح فيها الضباط المضطرون الى العناية بمرؤوسيهم فى ظروف اسوأ من ظروف اولئك المرؤوسين فى المأكل والملبس والمنام.

نحن نعارض الآن ايضا "القدر الصغيرة". ومع ذلك فقد برز ذلك منذ زمن بعيد، ففى عدد غير قليل من مطاعم العاصمة والمدن الاخرى تم فرز الخدم لتقديم مأكولات خاصة للكوادر. وعلى الرغم من تحذيرات المركز المتوالية، الا ان بعض العاملين فى قطاع الخدمة اصروا على الحفاظ على "القدر الصغيرة". وكانت النتيجة هى تشجيع الامتيازات بين الكوادر الذين لا يمتلكون الروح الشعبية.

وقد رغب بعضهم فى تلقى معاملة متميزة، معتبرا ان دعوة مرؤوسيه له الى الاجنحة الخاصة او صالات البروتوكول هو امر طبيعى.

اعود واكرر اننا نعارض "القدر الصغيرة". لأنه يمكن ان تظهر منها كل انواع "الاشباح". ولن يتولد من ذلك سوى الافكار الرأسمالية. فاذا ما ابيح ذلك، فستتمزق الروابط بين الحزب وبقية الجماهير، ويتضاءل الايمان بالاشتراكية. واذا كانت الاشتراكية على نمطنا قد حافظت على سلامتها وثباتها، فان السبب فى ذلك بالتحديد هو ان حزبنا لم يتحول الى البيروقراطية ولأننا لم نقبل بوجود "القدر الصغيرة".

ان سياسات حزب العمل الكورى تستند، دون استثناء، على الطابع الشعبى، وهذا هو العامل الرئيسى الذى يحكم طبيعة حزبنا وطبيعة جيشنا وطبيعة دولتنا. وقد اثبتت تجربتنا حقيقة انه لا يمكن هزيمة الحزب والجيش اللذين يتخذان من هذا الأمر اسلوبا اساسيا فى الوجود. ان حصر الخدمة على اقلية من ذوى الامتيازات ليس امرا غير انسانى وحسب، وانما هو تعبير سافر كذلك عن الطابع غير الشعبى.

لا توجد فى الجيش الرأسمالى، ولا يمكن ان توجد العلاقات الحقيقية بينه وبين بقية الشعب، والعلاقات بين الرفاق وبين الرؤساء والمرؤوسين، وانما يوجد الاكراه والخداع والتناقض والمواجهة والانصياع والطاعة العمياء فقط. من المحزن انه فى جيوش الدول الامبريالية لا يمكن اكتشاف العالم الجميل للكائن البشرى، حيث يتعاون الجنود ويحترمون بعضهم بعضا.

"يجب ان اكون اول من يأكل! فاذا لم آكلك، فانك ستبتلعنى!" هذه هى فلسفة الحياة التى يرددها ضباط الجيش الرأسمالى. وهى فلسفة ترى فى كل شىء خارج "الأنا" عدوا وهدفا للابتلاع. ويقال ان جنود الجيش اليابانى فى جبهة غينيا الجديدة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية كانوا يلتهمون اناسا آخرين حين تنفد منهم الاغذية.

ويشيع اليوم ايضا بين جنود جيوش البلدان الرأسمالية اسلوب الحياة المتوحش "انت ام انا؟".

ان تقاليد الوحدة بين الجيش وبقية الشعب، وبين الضباط والجنود التى ترسخت فى سياق تطبيق الانظمة المؤقتة للجيش الثورى الشعبى الكورى، تتقدم اليوم الى الامام وتتطور باكتمال اكبر بفضل القيادة الصائبة لحزبنا.

ان جنود جيشنا الشعبى يرون سعادتهم الكبرى فى حبهم للشعب ومساعدتهم له. فمساعدة الجيش للشعب، والشعب للجيش تشكل ظاهرة عادية يمكن رؤيتها فى اى مكان فى البلاد.

وكما يقرأ الجميع فى الصحف ويشاهدون بكثرة على شاشة التلفزيون، فان فتياتنا يتطوعن للزواج من الجنود المكرمين الذين اصيبوا بجراح فى مواقع الدفاع عن الوطن، لكى يكن بمثابة العيون والاذرع والارجل لهم.

اننـى اشـعر ببـالغ الرضـى وانـا ارى نمـاذج الوحـدة بـين الجـيش وبقيـة الشـعب تتزايد باطراد مع مرور الوقت.

كما تتعزز ايضا تقاليد الوحدة الوطيدة بين الضباط والجنود. ففى الوقت الراهن يحترم كل فريق منهما الآخر ويعتنى به وكأنهم ابناؤهم واخوتهم فى الدم. وهناك الكثير من الضباط الابطال الذين ضحوا بحياتهم لانقاذ جنودهم. ويدعو هؤلاء الجنود ضباطهم وموجهى سراياهم السياسيين باخوتهم واخواتهم الكبار. هكذا هى العلاقات المتينة بين الرؤساء والمرؤوسين فى السرايا، الوحدات المقاتلة الاساسية فى الجيش الشعبى.

ان لدى جيشنا سلاحا جبارا يحق له ان يفاخر به امام العالم كله، وهذا السلاح تحديدا هو الوحدة ما بين الجيش وبقية الشعب، وما بين الضباط والجنود.

هذا السلاح لا يمكن صنعه باى علم او تقنية عسكرية، وانما هو ثمرة الحب الحقيقى وحده.

٧ـ شهادة كفالة مواطن صالح

فى آذار ١٩٣٧، عشية اجتماع سيكانغ، اوفدنا كيم جونغ سوك الى تاوتشوانلى.

فى تلك السنة كانوا فى كل الانحاء يطلبون منا مزيدا من الرجال. فذلك ما كان يفعله على السواء كل من لى زى سون، وباك دال، وكوون يونغ بيوك، وكيم زاى سو. وكرد على احدى هذه الطلبات، جرى ارسال كيم جونغ سوك الى تاوتشوانلى. واذا كان الخط السرى الذى يصل ما بين سينسينغتشون التى يشرف عليها لى زى سون وقرية كونونغدينغى حيث باك دال، يستخدم كسبيل لتوسيع شبكة منظماتنا السرية الى كافة انحاء محافظة هامكيونغ الشمالية والمنطقة الشرقية من محافظة هامكيونغ الجنوبية، فيمكن القول ان الخط الذى يصل تاوتشوانلى مع سينفا كان يشكل ممرا لتوسيع شبكة المنظمات نحو المناطق الغربية والجنوبية من محافظة هامكيونغ الجنوبية ومناطق اخرى داخل البلاد. وتاوتشوانلى هى قرية تقع فى الجزء الاوسط من منطقة سياكانغتشو فى محافظة تشانغباى، يمكن لها ان تكون نقطة ارتكاز قاعدية، سواء من اجل تفرعات جمعية استعادة الوطن ليس نحو سياكانغتشو وحدها وانما كذلك نحو مناطق واسعة من اراضى منشوريا الجنوبية، بما فى ذلك محافظة رينتشيانغ، او من اجل اقامة الاتصالات مع هذه الشبكات.

اما سينفا التى تقع قبالة تاوتشوانلى، فكانت ذات موقع مؤات من اجل اقامة اتصالات مع منطقة هونغنام الصناعية، حيث تتركز حشود من عمال بلادنا ويمكن تحويلها الى قاعدة مثالية من اجل ايصال خيوط شبكتنا حتى المناطق الجنوبية من الساحل الشرقى والى عمق المناطق الداخلية.

لقد نظرنا باهتمام خاص الى سينفا لاننا اكتشفنا هناك امكانية اعداد الممر، بسهولة نسبية، من اجل الخط السرى داخل البلاد.

كان زانغ هاى وو (زانغ هيو ايك) موجودا فى سينفا. ومن بين الرجال الذين

زاروا معسكرنا السرى كان هناك من قالوا انه منذ خروجه من السجن اصبح يبدو وكأنه ينحدر الى مجرد برجوازى صغير. ولم يتجاوز ذلك الرأى كونه حكما ذاتيا صادرا عن اناس غرباء يجهلون الامور الداخلية لعالم سينفا السرى. فمن خلال تقارير كوون يونغ بيوك، كنت اعرف انه، بعيدا عن الانحدار الى برجوازى صغير، كان يشارك فى الثورة وانه قد اقام اتصالات مع كيم زاى سو.

كان زانغ هاى وو ينعم بحب الاستقلاليين. وبصلته الوثيقة بوالدى، كان يسافر بكثرة الى بريموريه، حيث كان يقيم العديد من الاستقلاليين وغيرهم من المهاجرين. وكان يمضى فى تلك المناسبات ليلة او ليلتين فى بيتنا. ومازلت اذكر كيف كان ابى يدعوه الى الطعام والشراب.

كنت اعرف انه جرى اعتقاله وحبسه فى منتصف العشرينات بسبب مشاركته فى الحركة الاستقلالية، ولكننى الى ما بعد تحرير البلاد لم اعرف بكم من السنوات حكم عليه ولا كيف انتقل من الحركة القومية الى الحركة الشيوعية. وعلمت فيما بعد ان المحكمة حكمت عليه بالسجن سبع سنوات، ولكن جرى اطلاق سراحه بعد سنتين فى "العفو" الذى صدر بمناسبة تتويج الامبراطور شووا.

على كل حال، كان من حسن طالع عملنا التالى حقيقة ان زانغ هاى وو يعيش فى سينفا، ذلك انه يملك تجربة ثرية فى الحركة الثورية وتربطه بى علاقات صداقة. وحسب ما علمنا فيما بعد من خلال المنظمة السرية فى تاوتشوانلى، فانه كان مايزال على ما يبدو مثلما كان فى السابق على الرغم من بعض التبدل فى طبعه. فاذا ما توصلنا الى التفاهم معه، فان ممرا مأمونا آخر نحو داخل البلاد سينفتح امامنا.

من نرسل للعمل مع زانغ هاى وو؟ ومن هو الذى يستطيع ان يمهد بسهولة نسبية هذا الطريق الواعد؟

عصرنا، انا وكيم بيونغ، دماغينا لاختيار المرشح المناسب. وقد كان كيم بيونغ، المفوض السياسى للفوج السابع، يتولى فى الوقت نفسه مهمة ايفاد العاملين السياسيين السريين.

وبينما كانت ندف الثلج الصغيرة تهطل فى احدى الليالى، استدعيته الى جوار

موقد فـى احـد اكـواخ المعسـكر. كنـا ماضـين فـى المسـيرة نحـو الشـمال، باتجـاه يانغمودينغجى فى محافظة فوسونغ، وكنا نجتاز عندئذ ممر دوغولينـغ. كانـت تقـاطيع وجهـه الجـاف تبـدو اكثـر بـروزا بسـبب المعـارك الكثيـرة والمسـيرة تحـت الثلـوج الغزيرة.

"هل وجدت اخيرا من سيمهد ممر سينفا؟"

كررت السؤال الذى كنت قد وجهته اليه قبل بضعة ايام. ولـم يستطع فـى المـرة السابقة ان يقدم لـى الاجابة الاكيدة والمرضية. اما فى هذه المرة، فظهرت على شفتيه تعابير الثقة.

"اجل، لقد وجدته. اننى ارى ان اكثر الاشخاص ملاءمة لهذا العمل هـى (جونـغ سـوك السوداء)؟"

لقد اذهلنى التوافق فى وجهتى نظرنا، ذلك اننى كنت افكر فيها بالتحديد.

"جونغ سوك السوداء" هو لقب كيم جونغ سوك. فقد كـان فـى وحدتنا مـا لا يقل عن ثلاث مقاتلات لهن الاسم نفسه. كانت اسماؤهن الكاملة: زانـغ جونـغ سـوك، وبـاك جونغ سوك، وكيم جونـغ سوك. وكثيـرا مـا كـان احدهم ينـادى قـائلا: "الرفيقة جونـغ سـوك" فيـأتى الـرد مـن المقـاتلات الـثلاث فـى وقـت واحـد: "اننـى هنـا". وكانـت تلـك المشاهد تثير الضحكات المرحة بين الحين والآخر، ولكن كانـت تقـع بعـض الحـوادث غير المؤاتية او تحدث بعض الارتباكات احيانا. ولهذا، اضـاف رفـاقهن الـى اسمائهن شيئا يميز احداهن عـن الاخـريين، فاصـبحن: "جونـغ سـوك اللاهثـة"، و"جونـغ سـوك الزرقاء"، و"جونغ سوك السوداء".

كـان لقـب "جونـغ سـوك اللاهثـة" يطلـق علـى زانـغ جونـغ سـوك، وقـد جـاء ذلـك اللقـب مـن طريقـة تنفسـها المتقطعـة اثنـاء العمـل او المسيرة. وهنـاك رفـاق يـرون ان السبب فى ذلك اللقب هو حركاتها النشطة والمتحمسة، ولكننى اعتقد ان السببين اخـذا فـى الاعتبـار عند اطـلاق اللقب عليهـا. امـا بـاك جونـغ سـوك، فقد اطلقوا عليهـا لقـب "جونغ سوك الزرقـاء" لانهـا كانـت ترتـدى تنـورة زرقـاء حين جـاءت للانضـمام الـى جيش حرب العصابات. ولقب "جونغ سوك السوداء" الذى اطلق علـى كيم جونـغ سـوك

له قصة مماثلة. فقد كانت ترتدى على الدوام تنورة سوداء، وهى التنورة الوحيدة التى كانت تملكها، سواء حين كانت فى منطقة حرب العصابات او بعد انضمامها الى الجيش الثورى.

ولاننى اردت ان اعرف السبب الذى جعل كيم بيونغ يختار كيم جونغ سوك باعتبارها الشخص المناسب، فقد وجهت اليه سؤالا موحيا:

"أتكون قادرة على القيام بالمهمة الشاقة فى تهيئة الارضية المناسبة فى سينفا؟"

"حين كنت اعمل فى الحزب فى باتاوكو بمحافظة آنزى، كانت هى تتولى نشاطات اتحاد الشباب الشيوعى تحت امرتى. انها تقوم باى عمل بشكل لا تشوبه شائبة، ومثلما تعلمون فان لها خبرة كذلك فى العمل السياسى فى السرية النسائية. لست ادرك ما سيكون رأيها ..."

كنت متفقا معه فى هذا الرأى. هذا لا يعنى اننى كنت اعرف فى ذلك الحين شخصية كيم جونغ سوك تماما. اذ كانت قد انتقلت الى وحدتنا قبل اقل من سنة. وكنا قد عانينا فى اماكن مختلفة حياة من لا وطن لهم، فالقينا بأنفسنا عبر سبل مختلفة الى احضان الثورة. وقد سمعت باسمها لأول مرة فى ماتشون بسياووانغتشينغ. فكانت قد وصلت من بييدونغ فى وانغيوكو فرقة فنية من الاطفال، ومن شفاه اعضاء هذه الفرقة الذين كانوا يزقزقون كالعصافير، سمعت مرة بعد مرة اسمها واسم يون بيونغ دو. فقد كان اولئك الصغار الذين يشبهون الفراشات يكنون احتراما كبيرا لمدربتهم. كما ان لى سون هى، التى كانت رئيسة لقسم الاطفال فى محافظة آنزى الى ان انتقلت الى المنصب نفسه فى محافظة وانغتشينغ، كانت تتذكرها وتتحدث عنها بكثرة. كما كان يون بيونغ دو يتحدث عنها بين الحين والآخر. وهكذا حفظت فى ذاكرتى اسم "جونغ سوك"، وهو اسم شائع جدا لدرجة انه كان هناك فى كل قرية فتاة او اثنتان على الاقل بهذا الاسم. لدى تحليل الآراء حول كيم جونغ سوك، استطعت ان اتوصل الى انها فتاة شديدة الجرأة والمثابرة، فضلا عن كونها طيبة القلب ورحيمة الى اقصى الحدود. وعلى هذه الخطوط العريضة كانت تقتصر معرفتى لكيم جونغ سوك فى مرحلة وانغتشينغ.

عندما حضرت الفرقة الفنية فى رابطة الاطفال بمحافظة آنزى الى وانغتشينغ، بعثت اليهم اربعين منديل عنق احمر اللون. وقد قيل لى ان كيم جونغ سوك التى كانت تشغل آنذاك فى الوقت نفسه، عضوية لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى الدائرة الثامنة ورئاسة فرقة رابطة الاطفال الفنية فى المحافظة، اظهرت تأثرا بالغا عند تلقى تلك الهدية.

من بين اعضاء السرية الرابعة الذين بقوا فى معسكر مآنشان السرى، كانت كيم جونغ سوك هى الوحيدة التى لم تتجرأ العناصر اليسارية المتطرفة على الصاق تهمة "مينساينغدان" بها. ولكنهم ارسلوها مع ذلك الى سرية المشبوهين التى يعتبر اعضاؤها متورطين فى "مينساينغدان". ولا بد انهم فكروا، دون وجه حق، بانه يتوجب عليها ككورية ان تكون مع مواطنيها "المذنبين"، دون ان يهتموا بما اذا كانت مذنبة ام لا.

وقد تقبلت كيم جونغ سوك هذا التدبير الفظ دون اعتراض. فقد كانت مستعدة للعيش مع رفاقها فى السلاح المتهمين ظلما ومشاطرتهم الحياة والموت.

كانت تنام وتأكل فى المكان نفسه مع "المينساينغدانيين" المزعومين، دون ان تعتبر ذلك اذلالا لها.

ومن خلال الحياة العملية، توصلت الى معرفة السبب الذى جعل هذه المقاتلة ذات الجسد الضئيل والتى لا يوجد فى مظهرها الخارجى اى شىء بارز، تتمتع بمحبة السرية كلها.

لم تكن كيم جونغ سوك تعيش لنفسها، وانما من اجل الآخرين. فتكريس نفسها لمصلحة الآخرين هو الطابع الذى ميز سيرتها. فقد كانت تقدم التضحيات على الدوام فى سبيل الآخرين. كانت تقتطع جزءا من وجبتها لتقدمه الى مقاتل ضخم الجسم او الى فدائى شاب. واظن ان اكثر من استفاد من تلك الحصة المقتطعة من وجباتها هو شاب صغير اجعد الشعر من الفصيلة الاولى فى السرية الرابعة، وكان صديقا لشقيقها الاصغر كى سونغ. وحين كان الجميع ينامون، كانت كيم جونغ سوك تقوم بترقيع ملابس المقاتلين واحذيتهم.

لقد كان تكريس نفسها لخدمة الرفاق والقضية المشتركة يشكل لب طابعها وجاذبية شخصيتها.

لقد سمعت مرات ومرات من ريم تشون تشو، وكيم زونغ بيل، وباك سو هوان وغيرهم من المقاتلين القادمين من آنزى انه فى الفترة التى كانت بها عاصفة مناهضة "مينساينغدان" تجتاح منشوريا الشرقية كلها، تمكن المتهمون المزعومون السجناء فى نينغجيوينغ من البقاء على قيد الحياة، ولم يموتوا جوعا، بفضل فتاة كانت تحمل اليهم الطعام خفية كل يوم. وقد قالوا انها كيم جونغ سوك نفسها. ولو اكتشف امرها، لكانت الصقت بها كذلك تهمة "مينساينغدان".

لقد رأيتها اول مرة فى منطقة حرب العصابات فى سانداوان، ولكننى لم اعرف ماضيها ونكبة اسرتها الا فى ربيع عام ١٩٣٦ فى منطقة مانجيانغ. ففى احد الايام، شعرت بالراحة لانى انتهيت من كتابة التقرير الذى سأقره فى اجتماع دونغكانغ، فخرجت للتفتيش على مواقع الحراسة ودنوت من ضفة الجدول، حيث سمعت احدا يغنى بصوت فضى، مخلفا رنة حنين. توجهت نحو اعلى الجدول ورأيت وسط ايكة من اشجار الصفصاف مقاتلتين تغسلان ثيابهما. وكانت احداهما هى كيم جونغ سوك.

فى ذلك اليوم عرفت انها ولدت فى هويريونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية، وان اسرتها كلها غادرت مسقط رأسها وهاجرت الى منشوريا حين كان عمرها خمس او ست سنوات.

ان اهالى هويريونغ يقولون بفخر ان ارضهم هى احد اجمل مناطق المحافظة. وهى منطقة حصينة ذات تاريخ عريق، معروفة كأحد الحصون الستة، وفى مرحلة الثورة المناهضة لليابان كنا نؤشر على موقعها على خريطة عملياتنا باعتبارها عقدة استراتيجية عسكرية توجد فيها ثكنة الفوج الخامس والسبعين من فرقة رانام التاسعة عشرة، ووحدة طيران من الجيش اليابانى.

ويفخر سكانها اليوم بان الموهبة السينمائية را وون كيو، والشاعر المشهور زو كى تشون ينتسبان اليها. كما انهم يتحدثون باعتزاز عن انها مهد المشمش الابيض. ومن يزورون هويريونغ فى الربيع، حين تتغطى الارض كلها بالازهار، يجدون

المدينة وسط بحر حقيقى من ازهار المشمش الابيض.

ولكن كيم جونغ سوك لم تعش سوى سنوات قليلة فى مسقط رأسها الجميل. فما ان بدأت تعى الدنيا، حتى ظهرت امام عينيها جبال تشينتاو الشمالية الوعرة، حيث يطوف قطاع الطرق مثيرين فيما حولها سحب الغبار.

توفى والدا كيم جونغ سوك واخوتها واخواتها تباعا. كان ابوها استقلاليا. وحين سقط فى يد الاعداء تعرض لتعذيب وحشى، وبسبب قضائه وقتا طويلا فى العراء، اصيب بحالة خطيرة من الشرث. فتحطمت صحته نتيجة لذلك، وتوفى فى وقت مبكر. وعند وصوله الى شفير هاوية حياته الشقية، توسل الى جونغ سوك المحبوبة ان تفتح النوافذ. وفيما عيناه التالفتان مغرورقتان بالدموع، حاول التطلع الى سماء الجنوب.

"عندما اموت، اريد ان يدفن جسدى فى كوريا، لأتحول الى تراب كوريا اذا كان على ان اتحول الى تراب. ولكننى اشعر انه لا سبيل حتى الى تحقيق هذه الرغبة. يجب عليك يا ابنتى ألا تنسى مسقط رأسك وكوريا اينما ذهبت، وان تناضلى فى سبيل كوريا."

وفى السنة التى اتمت فيها الرابعة عشرة من عمرها، كان المعتدون اليابانيون قد اغرقوا تشينتاو كلها فى بحر من الدماء، واندفعوا الى بوياندونغ، فاطلقوا النار على القرية وقتلوا امها وزوجة اخيها بطريقة فظيعة. وقد تركت زوجة اخيها ابنها الذى كان مايزال طفلا رضيعا. ومنذ ذلك الحين، وجدت جونغ سوك نفسها مضطرة الى تسول الحليب من الامهات المرضعات. فكانت تحمل ابن اخيها الذى يبكى من الجوع وتتجول عدة مرات فى اليوم على البيوت، بل وتذهب احيانا مشيا على الاقدام الى القرية المجاورة التى تبعد اكثر من اربعة كيلومترات.

وكان عليها ان تنفصل مكرهة عن الطفل الذى كانت تربيه بمنتهى الحنان. فحين ارادت الانطلاق الى منطقة حرب العصابات، قام اخوها كيم كى زون الذى كان سيذهب الى منجم باتاوكو فى مهمة سرية، بانتزاع الطفل منها بالقوة. كانت مصممة على حمل الطفل معها الى منطقة حرب العصابات، لكن اخاها لم يسمح لها بذلك. فاجلت ذهابها الى يوم آخر.

فـى فجـر ذلـك اليـوم، فوجئـت القريـة بقـوة "تأديبيـة" تـداهمها. وحـين سـمعت كيم جونغ سوك صوت الرصاص، حملت الطفل على ظهرها واسرعت بالصعود الى الجبل دون ان تضيع الوقت. كانت تفكر بالذهاب رأسا الى احدى مناطق حرب العصابات. ولكن اخاها لحق بها راكضا وهو يلهث، وانبها لانها ليست مستعدة تماما لصنع الثورة. قال لها انها اذا ارادت المشاركة فى الثورة فعليها ان تفكر بالثورة اولا، وان تفكيرها بافراد اسرتها يحول دون مشاركتها فى الثورة، وانه عليها ان تتخلى عن القلق على مصير ابن اخيها.

ثم حمل الطفل الذى كان يبكى بين ذراعيه ونزل باتجاه الوادى دون ان يلتفت نحوها. ومع انه وجه الى اخته كلمات قاسية، الا انه ذهب باكيا بكل تأكيد، وهذا هو السبب الذى جعله لا يلتفت نحوها. وكان ذلك الفراق هو الفراق الابدى بينهما.

لم تعد كيم جونغ سوك الى رؤية اخيها او ابنه. فقد وقع الاول اسيرا اثناء قيامه بالنشاطات السرية فى المنجم ومات تحت التعذيب، اما الطفل فلم تعرف شيئا عن مصيره، فقد اختفى مثل عصفور صغير وسط الضباب الكثيف. اما اخوها الاصغر كى سونغ، وهو الكائن الوحيد الذى بقى حيا ممن تربطها بهم آصرة الدم، فقد سقط برصاصة غاشمة وهو يعمل على انقاذ اهالى تشانغزايتشون الذين كانوا ينتقلون من بوياندونغ الى منطقة حرب العصابات فى سانداوان، اذ راح ينفخ فى البوق معزوفة رابطة الاطفال لكى يجتذب نحوه جنود الوحدة "التأديبية" الذين كانوا يطاردون الاهالى.

وحتى بعد تحرير البلاد، كانت كيم جونغ سوك تبكى بحرقة كلما فكرت بأخيها الصغير، واذا ما رأت فى الشوارع اطفالا فى نحو العاشرة من العمر، كانت تتنهد خفية وتقول لنفسها انه لو بقى ابن اخيها على قيد الحياة، لصار مثل هؤلاء الاطفال.

بعد ان تحدثت مع كيم بيونغ، استدعيت كيم جونغ سوك الى مقر القيادة.

"لقد ارسل لنا الرفيق كيم زاى سو عدة مرات من خلال المراسلين، يطلب منا ان نبعث اليه مزيدا من النشطاء السريين الماهرين. انه انسان بارع ومجرب فى هذه الاعمال، ولكننا نظن انه يواجه مصاعب كثيرة لأن منطقة عمله واسعة جدا. وهو

يشعر بالجزع الشديد لانه لم يتمكن من دفع عجلة العمل مع النساء بشكل خاص. يقال انه من اجل ضمهن الى المنظمات السرية، لا بد من العمل جيدا مع الشيوخ الذين يفرضون رقابتهم على النساء، وهذا ليس بالأمر السهل على الاطلاق. انت ايتها الرفيقة ستقيمين فى تاوتشوانلى، وستوجهين من هناك عمل جمعية النساء فى منطقة سياكانغتشو، وستساعدين فى الوقت نفسه بحماسة نشاطات الرفيق كيم زاى سو. وبعد تعزيز العمل فى هذه المنطقة، ستجتازين النهر لتستقرى فى سينفا وتشكيل، بالتعاون مع زانغ هاى وو، منظمة سرية مقتدرة فى منطقة سامسو. وستقومين بتوسيع شبكة جمعية استعادة الوطن بسرعة فى هونغنام، وهامهونغ، وبوكتشونغ، ودانتشون، وسونغزين، ووونسان وغيرها من المدن الصناعية والارياف وقرى الصيادين على الساحل الشرقى. ان النشاطات من اجل تشكيل منظمات سرية داخل البلاد هى اكثر خطورة وصعوبة من العمل مع الجماهير فى تشانغباى التى تخضع لحماية الجيش الثورى الشعبى. تصرفى بحذر بالغ. ونحن نثق بقدرتك على انجاز هذه المهمة الصعبة بنجاح. وكلما واجهتك المصاعب، عليك ان تستندى الى مساعدة الرفاق والشعب."

كان هذا بعض ما قلته لها عند ارسالها الى تاوتشوانلى.

منذ اواخر صيف ١٩٣٦، كنا قد اقمنا خط عملنا السرى فى تلك المنطقة. وحين وصلت انباء الدورة الاولمبية من برلين الى تاوتشوانلى النائية، كما روى لنا زونغ دونغ تشول، ظهر فى سياكانغتشو "مقامر" مجهول يدعى كيم وون دال، وراح يتجول بين الشباب ويغرس فيما بينهم عادة لعب القمار. ولكنه اعتاد ان يقول للاعبين الشباب ان الكوريين احتلوا المركزين الاول والثالث فى سباق الماراثون بالدورة الاولمبية، ولكن العلم الذى ارتفع فى مراسيم تقليد الجوائز هو العلم اليابانى.

هذا "المقامر" الشاب، قصير القامة، ورشيق الحركات والذكى هو عاملنا السياسى كيم زاى سو. وقد كان له ماض فريد فى النضال يشبه ماضى شخصيات روايات المغامرات.

اول رئيس لسوفييت وانغيوكو، امين لجنة الحزب فى محافظة آنزى، رئيس

قسم التنظيم فى اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة... هكذا يمكن تقديم موجز سريع لسيرة حياته فى النصف الاول من عقد الثلاثينات.

ومع ذلك، فان طريق حياته الذى كان يمضى مستويا، كاد ان ينقلب تماما بسبب احدى المحن. فحين انتقلت اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة الى لوزوكو، وقع كيم زاى سو، مع زو ميونغ وعدد آخر من اعضاء اللجنة فى مخالب العدو، وجرى نقلهم الى مركز الدرك. وقد تم اجبار كيم زاى سو وزو ميونغ على توقيع وثيقة تبرؤ من معتقداتهما واوكلت اليهما قسرا مهمات مساعدة العدو. وقد جرى تحذيرهما: "لا تخبرا احدا بأمر اعتقالكما على ايدينا. واصلا العمل فى اللجنة الحزبية وفى تشكيل المنظمات الثورية. لن نعير اهتماما لهذا الامر، وما عليكما الا تسليمنا بانتظام قائمة باسماء الاعضاء الجدد. وهذا يكفينا".

صاح الاعداء مبتهجين لارتداد اثنين من كوادر اللجنة الحزبية فى المنطقة الخاصة، ولكن كيم زاى سو تظاهر بالموافقة واقسم على ذلك لكى يتمكن من العودة الى الثورة فقط. وقد استطاع ان ينتزع من العدو وثائق سرية ومبلغا من النقود لنشاطاته ثم ذهب الى اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة، حيث شرح بصراحة كل ما جرى له. اما زو ميونغ الذى مثل متأخرا امام اللجنة الحزبية، فقد كذب مثلما علمه اليابانيون. وقد عوقب بالطبع بالعقوبة التى يستحقها.

لقد سامحت اللجنة كيم زاى سو، ولكنها طردته من الحزب. وهكذا اصبح بحكم الميت سياسيا ومعنويا. اذ انه فقد كل شىء فى لحظة واحدة، وتم طرده من صفوف النضال. اعتزل وحيدا فى قرية جبلية نائية، حيث غرق فى حالة من الكآبة، نادما لكونه قد ارتد، ولو بصورة مزيفة، مما جعله فى حالة اسوأ من الموت. فالثوريون الذين يرون ان الشرف الاعظم والفضيلة الاسمى هى فى الحفاظ بثبات على الايمان والارادة الشيوعيين، وعلى نقائهم الروحى والاخلاقى مهما كانت الظروف غير مؤاتية، فانهم يعتبرون الارتداد، حتى وان كان مزيفا، جريمة لا تغتفر رسميا. لأن ذلك يعنى اعطاء الاعداء حججا فى دعايتهم المضادة، واعطاء المرتدين الحقيقيين سابقة فى الخيانة وسببا لتبرير اعمالهم. والواقع ان الارتداد امام الاعداء ليس بالامر

المحمود على الاطلاق، على الرغم من انه لا يحدث تبدلا فى وعى ونقاء الثورى.

لقد خرق كيم زاى سو القواعد النبيلة لأخلاق الثورى، لأنه فكر ببساطة انه يكفى ان يخدع الاعداء لكى ينجو بنفسه ويواصل المشاركة فى الثورة. وفيما هو غارق فى غمه، علم اننا قمنا فى مآنشان باحراق وثائق "مينساينغدان" والغينا "الجرائم" الموجهة الى اكثر من مئة شخص. فجاء لمقابلتى واعرب عن رغبته فى اظهار نزاهته من خلال النضال العملى.

توسل الى وهو يضرب صدره بقبضته:

"اما ان تأمر باعدامى واما ان تتركنى حيا، هذا ما يمكنك ان تقرره بنفسك. لكننى اريد المشاركة فى صنع الثورة. لا استطيع مواصلة البقاء فى الوضع الحالى."

لقد صدقت كيم زاى سو. ولهذا، ارسلته باتجاه سياكانغتشو فى محافظة تشانغباى، وكلفته بمهمة القيام بنشاطات سرية. كنت واثقا من انه لن يعود الى تلطيخ سمعته على الاطلاق. فموقفه الصريح والمخلص امام المنظمة هو دليل واضح على حفاظه على ضميره الثورى. وقد كنت واثقا من ضميره الثورى هذا بالتحديد. فضيق التفكير دفعه مرة الى ان يقسم يمينا زائفا على الارتداد، ولكنه بعد ان ادرك وجرب مدى العار الذى سببه تصرفه ذاك، صار من الواضح انه يفضل الموت على سلوك ذلك الطريق المشين. دخل الى تاوتشوانلى عبر تيانشانغشوى باسم مزيف. وقد بدأ فى اول الامر "يلعب القمار" ريثما يتعرف على زونغ دونغ تشول، وكيم دو وون، وكيم هيوك تشول (كيم بيونغ كوك)، الذى جرى تقديمهم اليه على انهم اشخاص موثوقون من قبل لى يونغ سول، رئيس فرع جمعية استعادة الوطن فى تيانشانغشوى. لم يكن هناك فى سياكانغتشو ومحيطها من يتقن اللعب بالورق مثله. وكلما لعب القمار كان يضع كمين اضافيين يدخل الاوراق فيهما ويخرجها بحركات خاطفة كالبرق، ويخدع الجميع. واذا ما حصل على ورقتى كابو وزانغتانغ(٠)، كان يترنم بصوت متكاسل "بأغنية اورانغ".

---

(٠) كابو وزانغتانغ: ورقتان عاليتا القيمة فى لعبة ورق تقليدية – المترجم

كان المسنون الذين لا يستطيعون ادراك نواياه الخفية يتذمرون لان كيم وون دال المتشرد هذا يقوم بافساد الشباب. ولكن حلقات لاعبى الورق انتهت رغم ذلك بولادة منظمة سرية جديدة. وقد تحولت هذه المنظمة فيما بعد الى نواة لجنة جمعية استعادة الوطن فى سياكانغتشو. وبفضل عمله المتحمس، ظهرت حتى اوائل عام ١٩٣٧ منظمات لجمعية استعادة الوطن فى جميع قرى سياكانغتشو تقريبا، باتخاذ تاوتشوانلى مركزا لها، ثم تأسست بعد ذلك وحدات حرب عصابات انتاجية ايضا.

المكان الذى اقامت فيه كيم جونغ سوك اتصالها الاول مع كيم زاى سو هو بيت لى يونغ سول، وكان اهالى تيانشانغشوى يطلقون عليه اسم "بيت قاع الوادى". وكانت اسرته كبيرة العدد بشكل غريب. فتحت سقف البيت نفسه كان يعيش ثمانية اخوة واخوات. وقد تشكل فى هذا البيت فرع جمعية استعادة الوطن فى تيانشانغشوى، وكان رئيسه هو الاخ الرابع: لى يونغ سول.

لقد قدم لنا هذا البيت خدمات كثيرة. فعدد كبير من الرفاق الذين كانوا يتوجهون للعمل فى مناطق مختلفة، كانوا يمرون من هناك، حيث كانوا يستقبلون بحفاوة بالغة. وقد ذهبت انا نفسى اليه ثلاث مرات، ما بين اواخر عام ١٩٣٦ وصيف ١٩٣٧، وبقيت هناك فى المرة الاولى ثلاثة ايام. لقد كانوا يعيشون فى ضائقة وهم يزرعون اراضى الوقيد، ولكنهم كانوا مضيافين جدا.

وبناء على رجاء كيم زاى سو، قام اكبر اخوة لى يونغ سول بنقش خاتمين لوحدتنا، وقد استخدمناهما لزمن طويل.

حلت كيم جونغ سوك ضيفة على "بيت قاع الوادى" لمدة خمسة عشر يوما تقريبا، وقدمت فى اثناء ذلك المساعدة لعمل فرع جمعية استعادة الوطن، واستعدت فى الوقت نفسه لانجاز مهمتها وهى متنكرة بزى فلاحة.

وبعد ان اتخذت لنفسها الاسم المستعار اوم اوك سون، وتظاهرت بانها من افراد اسرة مهاجرة قادمة من موسان، ذهبت الى تاوتشوانلى.

ظهرت امام الاهالى وهى ترتدى بلوزة ارجوانية اللون وتنورة صوفية رقيقة زرقاء قاتمة، وجوربين طويلين من القطن. وكانوا ينادونها بلقب "طفلة اسرة

موسان"، ذلك ان الناس فى محافظة هامكيونغ كانوا يقولون طفلة عن النساء الشابات.

كانت تاوتشوانلى قرية جبلية، تبعد نحو اثنى عشر كيلومترا عن النهر الذى يمر قبالة سينفا. وحسب شروحات وى اين تشان الذى عاش هناك اكثر من عشرين سنة، منذ ولادته، فان اول من سكنوا هذه المنطقة كانوا من الاستقلاليين الذين قدموا من كوريا على اثر "ضم كوريا الى اليابان".

وقد بقيت تحت تأثير جيش الاستقلال حتى اوائل عام ١٩٣٠.

ومنذ زمن الرواد الذين شاركوا فى حركة جمعيات الفلاحين المهاجرين بصورة جماهيرية، بدأ يسود فى تاوتشوانلى ومحيطها التيار الفكرى الشيوعى.

وابتداء من النصف الثانى من عام ١٩٣٦، بدأت مفارز صغيرة من الجيش الثورى الشعبى بالظهور بكثرة فى تلك المناطق، حيث راحت تغرس الروح الثورية بين السكان. وهكذا تمت تغطية المنطقة بمنظمات جمعية استعادة الوطن.

وبفعل زيارات الجيش الثورى الشعبى المتكررة وعملياته الظافرة، تضاعفت حماسة الاهالى واندفاعهم النضالى، وكما هو منطقى بالمقابل، فقد انكمش الاعداء على انفسهم من الذعر والهلع.

والحادثة التالية تبين تردى حالتهم المعنوية:

كان يوجد نبع ماء قبالة مدرسة تاوتشوانلى. وكان ماء ذلك الينبوع باردا جدا لدرجة ان الاسنان تتجمد عند شربه حتى فى عز ايام الصيف القائظة. وحين سمع رجال الشرطة اليابانيون بخبر وجود ماء ذلك الينبوع، حاولوا البحث عن سبب جودته. فوزنوا الماء ووجدوا انه اثقل من وزن الماء العادى.

"بفضل هذا الماء يتمتع اهالى تاوتشوانلى الخبثاء بالفطنة وبالعيون السوداء اللامعة. انهم جميعا من رجال جيش حرب العصابات."

واراد الاعداء تخريب الينبوع.

وعندما علم العمدة زونغ دونغ تشول بذلك، قال لهم:

"مقاتلو حرب العصابات يشربون من هذا الماء عندما يمرون من هنا. فاذا

علموا بتخريبكم للنبع فانهم سيصفون الحساب معكم، أليس كذلك؟"

فلم يتجرأ الاعداء على تخريب الينبوع.

وباختصار، كان فى تاوتشوانلى ارضية جماهيرية جيدة، وقوى ثورية جبارة.

كانت كيم جونغ سوك تعمل فى النهار فى الحقول، وتقوم فى الليل بزيارات للتعرف على اهالى البلدة والتآلف معهم. وبعد ان تعرفت عليهم، حفظت اسماءهم واسماء بيوتهم التى كانت تدعى بيت بوكتشونغ، وبيت كابسان، وبيت هونغنام وهكذا دواليك. وقد قالت فيما بعد، انها استطاعت ان تحفظ فى اسبوع واحد اسماء جميع السكان واسماء بيوتهم.

اعتبرت كيم جونغ سوك هذا العمل الذى يبدو تافها، الخطوة الاولى للاتصال بالشعب.

فعند عودتها بعد انجاز عملها فى تاوتشوانلى، قالت لكيم بيونغ:

"ان اول عمل يقوم به معلمو المدارس عند ارسالهم الى صفوف معينة، هو وضع قائمة باسماء التلاميذ امامهم والتعرف عليهم. لأنهم يستطيعون بهذه الطريقة التفاهم معهم. واعتقد ان الامر نفسه يحدث مع العاملين السياسيين. فدون معرفة الاسماء لا يمكن للعامل السياسى ان يتغلغل بين الشعب."

لقد تصرفت مثلما اشارت عليها القيادة: فقد تقربت من النساء بدأب، مولية اهتمامها الاساسى للعمل معهن. ولم تكن لدى نساء تاوتشوانلى حتى ذلك الحين منظمة خاصة بهن. وكان معظمهن حبيسات اعمالهن المنزلية. ولهذا لم تكن لديهن فكرة عما يحدث فى الخارج. اضف الى ذلك ان الشيوخ كانوا يقيدون حريتهن بصرامة. فاذا ما اقتربت احداهن من المدرسة الليلية وهى راغبة فى تعلم القراءة والكتابة، كان المسنون يثورون صاخبين وكأن خطبا عظيما قد حدث.

ادركت كيم جونغ سوك ان مفتاح دفع عملية تثوير النساء هناك هو فى النجاح بالعمل بين الشيوخ. والحقيقة انه بالمقارنة مع الشباب شديدى الحساسية، كان الشيوخ متعنتين الى اقصى الحدود بكل المقاييس. فهم يتذمرون من سوء حظهم، ولكنهم لا يفكرون بالمقابل كيف يمكنهم صياغة مصيرهم. وقد كان من المستحيل

النجـاح فـى تنظـيم الجيـل الشــاب مــا لـم يـتم قبـل ذلـك ايقــاظ المســنين. والواقـع ان كيم جونغ سوك لم تتعرض لصعوبة واحدة او اثنتين بسبب المسنين والنساء.

وقد كانت تجاربنـا فـى منـاطق جيلين وغويوشو وووتشـازى امثلـة دامغـة. فكمـا ذكـرت سـابقا، حـين اردنـا اشـاعة اجـواء ثوريـة فـى ووتشـازى، وقـف الشـيخ "بيـون تروتسكى" عقبـة فـى سبيلنا. ولـم يكـن بمقدورنـا تثـوير تلـك القريـة دون اجتذابـه الـى جانبنا، كما انه لم يكن بالامكان انشاء اى منظمة. ولكننا ما ان تمكنا من كسب تعطفه حتى شكلنا هناك منظمة لاتحاد الشباب المناهض للامبريالية.

امـا فـى غويوشـو، فكـان هيـون هـا زوك هـدفا رئيسـيا لعملنـا. ففضــلا عـن كونـه صديقا لوالدى، كان ايضـا شخصـية مـؤثرة جدا، ممـا اضـطرنـى الـى زيـارة بيتـه اولا كلما ذهبت الى تلك القرية، لكى اسلم عليه وانقل اليه تحيات امى.

كانـت كـيم جونـغ سـوك، بطبيعتهـا، تحتـرم المسـنين وتعـاملهم معاملـة متميـزة. استمعت منها الى تجربتها فـى العمل بين المسنين فـى تاوتشـوانلى ولـم اشـعر تقريبـا بوجود اى تصميم مسبق فى سلوكها.

لم تكن تعامل الاشـخاص باعتبـارهم هدف عملهـا او هدفا للتربيـة، وانمـا كانـت تعاملهم كمجرد رجال. وحتى عندما تقيم علاقة مع شخص يجب كسبه حتما، من اجل احتياجات عملها، لم تكن تضعه فى مقام من يجب ان يكون هدفا للتربية وتضع نفسها فى مقام المربية، وانمـا كانـت تعاملـه عـادة كواحـد مـن جيرانهـا الطيبين. ومـن خـلال ذلك تحولت الى ابنة موثوقة من قبل الشعب وجاراتها. وقد كانت تلك هى الخصـائص الهامة فى العاملة السرية كيم جونغ سوك.

كمـا تعلمـت درسـا بليغـا مـن خـلال تجربـة حيـاتى مفـاده انـه اذا مـا اراد احـد ان يتغلغل فى صفوف الشعب، فيجب بـادئ ذى بـدء ان يعتبـر نفسـه ابنـا للشـعب وخادمـه وصديقه المخلص، وان يعتبـر الشـعب فـى الوقـت نفسـه، ابـاه واخـاه ومعلمـه. امـا مـن يظنـون انهـم معلمـو الشـعب وبيروقراطيـون يقفـون فوقـه وقـادة يوجهونـه، فـانهم لا يستطيعون الدخول الى اعمـاق الشـعب ولا التمتـع بثقتـه. فالشـعب لا يفـتح ابوابـه امـام مثل هؤلاء الاشخاص.

وحتى عندما كانت كيم جونغ سوك تزور احد البيوت بشكل عابر ولوقت قصير، لم تكن تغادر ذلك البيت قبل ان تقوم بعمل ما، كأن تقطع الحطب، او تجلب الماء، او تطحن الحبوب فى الطاحونة التى تدار بالقدم. فاخلاصها لأهالى القرية كان على درجة من التفانى يمكن معها للازهار ان تتفتح حتى على الصخر. ومن خلال هذه السيرة، بدأ الشيوخ بالتعاطف معها. وهكذا فتحت صدعا يمكن منه تحويل تاوتشوانلى الى قرية ثورية.

فى احدى المرات، تخلى اقطاعى من ليوغيدونغ عن خادمته وتركها وحدها فى كوخ فى الغابة، لأنها كانت مصابة بالحمى. ولم يتجرأ احد على رعاية تلك الطفلة البائسة. وحين علمت كيم جونغ سوك بالامر، ذهبت اليها دون ادنى تردد، وامضت الوقت وهى تنام وتأكل مع المريضة للعناية بها.

هرع رفاقها قلقين من ان اقدامها على عمل الاحسان هذا تجاه طفلة لا امل فى شفائها، قد يؤدى الى انتقال العدوى اليها بالذات، وعندئذ لا يتم انجاز المهمة الخطيرة التى كلفتها بها القيادة. ومن سيتحمل مسؤولية الاخفاق عندها؟ ونصحوها انها اذا كانت تصر على العناية بها، فيجب عليها ان تتخلى على الاقل عن الاكل والنوم معها.

فابتسمت كيم جونغ سوك، وحاولت طمأنتهم:

"يمكنكم الذهاب وانتم مطمئنون. اذا كنا عاجزين عن انقاذ طفلة بسبب خوفنا من الموت، فكيف سنتمكن من استعادة البلاد وانقاذ الشعب؟ ولاننى مستعدة للتضحية بنفسى من اجل انقاذ الشعب، فاننى لا اخشى اى شىء."

لم يستطع رفاقها اخراجها من الكوخ.

وبفضل رعايتها المخلصة، استعادت الطفلة عافيتها، وبدأ اهالى تاوتشوانلى ينادونها "ابنتنا اوك سون". وكانوا اذا حصلوا حتى على سمكة اسقمرى مملحة، يدعون "ابنتنا اوك سون" لتذوقها، كما صاروا يدعونها فى مناسبات الاحتفال بمرور مئة يوم على ولادة الاطفال.

وتحولت كيم جونغ سوك الى ابنة وحفيدة واخت لا غنى عنها فى الحياة اليومية للقرية.

وفى الوقت الذى كانت تسهر فيه على العناية باهالى القرية، اولت اهتماما جديا فى ضمان امن كيم زاى سو الذى كان منهمكا فى ايقاظ الاجواء الثورية فى منطقة سياكانغتشو.

فى شهر شباط من تلك السنة، وبينما كان كيم زاى سو يوزع على منظمات جمعية استعادة الوطن مجلة "سامئيل وولغان" التى بعثناها اليه من الجبال، جرى اعتقاله حين لم يعد لديه سوى النسخة الاخيرة من المجلة. وفى مركز الشرطة، تظاهر بانه امى ابله، واصر على موقفه:

"لقد وجدت هذه المطبوعة حين كنت ذاهبا الى الجبل لجمع الحطب. لماذا تأخذونها منى وانا بحاجة اليها لاستخدامها فى لف السجائر؟ اعيدوها الى."

فظنه رجال الشرطة احمق واطلقوا سراحه، ولكنهم واصلوا تحرياتهم عنه.

ان كيم زاى سو، الذى تجول لوقت طويل فى انحاء سياكانغتشو وما حولها تحت الاسم المستعار كيم وون دال، استقر فى بيت شخص من اهالى تاوتشوانلى يدعى لى هيو زون، ولكى يوحى بانه ابن عمه الاكبر، اضطر الى استبدال اسمه. وبعد ان بحث عن اسم مناسب لكلمة "زون" المشتركة فى اسرة ذلك الشخص، قرر تسمية نفسه لى يونغ زون.

وقد بحثت كيم جونغ سوك مع كيم زاى سو عن حل فعال لابعاد الاعداء عن مراقبته. وتوصلا الى رأى واحد بان افضل طريقة هى اقناعهم "ببلاهة لى يونغ زون". وحسب السيناريو الذى وضعاه، ثار فى بيت لى هيو زون فى احد الايام شجار صاخب اجتذب انتباه القرية بأسرها.

وكانت بطلة ذلك الفصل الغريب هى زوجة لى هيو زون الشابة التى لحقت بخشبة ضرب الغسيل "ابن عم زوجها الاكبر" والذى يعيش فى بيتها وعلى نفقة اناس آخرين رغم كونه عازبا. وكانت تبكى بحرقة وتصرخ بأعلى صوتها ان ابن عم زوجها الاحمق هذا يسرقهما لكى ينفق النقود فى لعب القمار، وانه افقرهما حتى اوشكا على التسول.

وبينما كانت الزوجة تقوم بهذا المشهد الصاخب، ذهب لى هيو زون الى

الشرطة شاكيا قريبه الاحمق الذى يتمادى فى لعب القمار مجللا اسرته بالعار، وتوسل اليهم شطب اسمه من قائمة المقيمين فى القرية كى يتمكن من طرده.

ثم دخل الى مركز الشرطة بعد ذلك "ابن العم الاحمق" وهو يحمل مجلة "سامئيل وولغان" على مرأى من الجميع، وقال لرجال الشرطة راجيا: "سأسلمكم هذا الكتاب الذى يعجبكم مقابل ان تمنعوا هيو زون وزوجته من ضربى او طردى".

حين رأى الشرطيون نسخة اخرى من المجلة، سيطر عليهم الذهول، وسألوه من اين اتى بها.

فأوضح لهم كيم زاى سو انه عثر عليها فى سانبودونغ، فى المكان الذى وقع فيه اشتباك قبل ايام من ذلك بين رجال جيش حرب العصابات والجيش اليابانى.

"واقول لكم بصراحة، ان الكتاب الذى احببتموه وانتزعتموه منى قبل بضعة ايام، وجدته هناك ايضا، ولكننى كذبت عليكم بالقول اننى وجدته فى جبل باوتايشان، بالقرب من قريتنا."

وحين رأى عيون رجال الشرطة تلمع من الغضب، اخرج من جيبه الداخلى ساعة جيب، وقال لهم وهو يبتسم ببلاهة:

"يوجد هناك ايضا كمية كبيرة من الساعات واقلام الحبر والنقود واشياء اخرى. اذا اخبرتكم بالمكان فسوف تصبح كل تلك الاشياء لكم، أليس كذلك؟ فاذا منعتم ابن عمى وزوجته من طردى من بيتهما، فسوف آخذكم الى المكان الذى توجد فيه هذه الكنوز."

كان هذا كافيا لاقناع رجال الشرطة ببلاهة لى يونغ زون. وقيل انهم توقفوا بعد هذه الحادثة عن التحرى عنه.

لقد بذل زونغ دونغ تشول وريو يونغ تشان وكيم هيوك تشول ولى تشول سو وغيرهم من الرواد والجماهير الثورية فى تاوتشوانلى، كل ما لديهم من جهود لتأمين ظروف العمل السرى المناسبة لكيم جونغ سوك وضمان امنها الشخصى. كانوا يجتازون النهر ويذهبون الى سينفا، لكى يأتوها بالصحف حتى تطلع على الاخبار بانتظام. كان زونغ دونغ تشول يقدم قيمة الاشتراك فى الصحف الى صاحب محل

الخردوات الذى كان عضوا فى منظمة سينفا، وكان هو نفسه يشترك بها باسمه. وحين كانت تصل احدى الصحف، يرسلها مباشرة او بعد ان يلف بها احدى السلع. وبهذه الطريقة كانت كيم جونغ سوك تقرأ بانتظام صحيفتى "دونغآ ايلبو" و"زوسون ايلبو". وفى جميع المناسبات العائلية، كحفلات الزفاف او مراسم الجنازات كان زونغ دونغ تشول يدعوها ليسهل لقاءاتها مع العاملين السياسيين لجيش حرب العصابات وعناصر ارتباط المنظمات السرية الذين يأتون الى تاوتشوانلى.

فى صيف عام ١٩٣٧، اقام فى بيته احتفالا بمناسبة انجاب مولود ذكر. وقد حضرت الحفلة "جونغ سوك الزرقاء" (باك جونغ سوك) ومعها عدد آخر من النشطاء السياسيين الموفدين من قبل جيش حرب العصابات واعضاء المنظمات السرية، كما حضرها رجال شرطة، والعمدة وبعض المخبرين.

ولكى يموه الامر بطريقة آمنة، جعلهما زونغ دونغ تشول تتبادلان التحية وجها لوجه بتوقير كما هى العادة المتبعة، فانحنت كيم جونغ سوك امام باك جونغ سوك. لقد انحنت لها انحناءة شديدة وهى تقول لها: "يشرفنى التعرف عليك". ومن اجل تلك اللحظة، كان العمدة يدرب كيم جونغ سوك على طريقة الانحناء باحترام عميق. وكانت هى نفسها تذهب فى الليل الى البئر لتتدرب على كيفية حمل جرة الماء على رأسها ولتعتاد على المشى مع تلك الحمولة. وروت انها اضطرت طوال ليال عديدة على تعلم كيفية التأرجح على الارجوحة بمناسبة عيد دانو.

لقد كانت تعتبر ذلك كله عملا لا بد منه لكى تمتلك المواصفات اللازمة للعامل السياسى.

وفى اثناء ادائها مهمة تحويل تاوتشوانلى الى قرية ثورية، اعارت اهتماما اساسيا الى توعية الجماهير وجمع شملها فى منظمات. ومن خلال "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن"، نشرت افكارنا الثورية بنشاط. ودون اثارة ضجيج، شكلت النواة القيادية، وبالاستناد اليها اسست منظمات لاتحاد الشباب المناهض لليابان ولجمعية النساء. واخيرا، تحولت تلك القرية الجبلية الهادئة الى قاعدة مقتدرة لنشاطاتنا. ففى كل مكان غرست كيم جونغ سوك بين الاهالى فكرة دعم الجيش

الثورى ومحبة جنوده، وبالتعاون مع اعضاء جمعية النساء والشباب والاحداث، كانت تحصل على المساعدات وترسلها الى وحداتنا العسكرية. وقد ربت الناس جيدا على فكرة مساعدة جيش حرب العصابات لدرجة ان السكان الصينيين القادمين من منطقة شانتونغ، تحركوا لمساعدة الجيش الثورى الشعبى. اما اعضاء رابطة الاطفال، فكانوا يقومون من جهتهم بجمع الذخائر من ميادين المعارك.

لقد كان ارقى اشكال المساعدة للجيش الثورى الشعبى الكورى هو الانضمام الى هذا الجيش. وقد كانت كيم جونغ سوك تختار مع اعضاء لجنة سياكانغتشو لجمعية استعادة الوطن عددا من الشباب الطليعيين الذين تنتقيهم منظماتهم وترسل افضلهم الى الجيش الثورى الشعبى الكورى. ويتذكر زونغ دونغ تشول انه من منطقة سياكانغتشو وحدها انضم مئة شاب على الاقل. وانضم من تاوتشوانلى اكثر من عشرة شباب، منهم كيم هيوك تشول، وريو يونغ تشان، ولى تشول سو، وتشاى اين دوك، وهان تشانغ بونغ.

ان هان تشانغ بونغ، احد افراد الرعيل الاول من ثورتنا، استطاع خلال حرب التحرير الوطنية ان يجازف بحياته ويحقق المأثرة البارزة باجتيازه نهر راكدونغ على رأس فوجه، واحتلاله المرتفعات التى على ضفافه والاحتفاظ بها.

اما يون او بوك، رئيسة جمعية النساء فى ياوفانغجى التى كانت تتلقى توجيهات كيم جونغ سوك، ومع انها كانت أما لثلاثة اطفال، فقد سارت مسافة اكثر من ٣٢ كيلومترا وهى تحمل على ظهرها احد اطفالها الذى يبلغ عمره سنتين، وحين وصلت الى معسكرنا، طلبت منا باصرار ان نقبلها فى صفوف جيش حرب العصابات.

لقد كانت الحماسة عالية لدرجة ان بعض الاسر كانت ترسل ابناءها الى جيش حرب العصابات، ثم تبنى لهم قبورا، بل وتقيم لهم كذلك الطقوس الجنائزية. ذلك ان مراقبة وملاحقة اسر مقاتلى حرب العصابات كانت صارمة جدا، فكان الناس يلجأون الى تلك الاساليب لخداع الاعداء.

بعد وقت قصير من الامساك بكيم زاى سو وهو يوزع نسخا من مجلة "سامئيل

وولغان"، ارسلنا تشاى هى سوك الى ياوفانغجى بمهمة مساعدة كيم جونغ سوك فى سينفا. وفور وصولها، كلفتها كيم جونغ سوك بمهمة توجيه منظمات جمعيات النساء والشباب والاطفال فى تاوتشوانلى وانحاء اخرى من منطقة سياكانغتشو، وتولت هى نفسها العمل فى سينفا بشكل اساسى.

وقد بدأت نشاطات كيم جونغ سوك فى سينفا بالعمل مع زانغ هاى وو الذى كان يشارك حينئذ فى الحركة الثورية المناهضة لليابان فى منطقة سينفا بالتعاون مع اعضاء لجنة عمل الشيوعيين فى سامسو. وفى تلك الفترة تقريبا اقيمت اتصالات ولقاءات ما بين زونغ دونغ تشول، عمدة تاوتشوانلى والعضو الخاص فى جمعية استعادة الوطن، وكل من زانغ هاى وو وريم وون سام وسو زاى ايل، اعضاء لجنة عمل الشيوعيين المذكورة.

كان سو زاى ايل الذى يعمل غسالا، يشارك فى العمل التنظيمى ويقوم فى الوقت نفسه بمهمة عنصر الارتباط مع كيم جونغ سوك.

ومن اجل معرفة زانغ هاى وو ووضع منظماته بصورة تفصيلية، اشارت كيم جونغ سوك على زونغ دونغ تشول بالتآخى روحيا مع ريم وون سام، عضو المنظمة التى يعمل فيها زانغ هاى وو. وبعد دراسة كافية للاوضاع من خلال زونغ دونغ تشول، دخلت هى نفسها فى اتصال مباشر مع زانغ هاى وو.

وقد جرى اللقاء الاول بينهما فى غرفة خلفية من مشغل سوكزون للخياطة. وقد سلمته يومذاك رسالة شخصية منى.

"بما ان القائد كيم إيل سونغ هو نفسه كيم سونغ جو، ابن السيد كيم هيونغ جيك، فاننى انا زانغ هاى وو، سأتبع القائد مثلما تبعت السيد هيونغ جيك."

وحين علمت باستعداده للتعاون معنا، تأكدت من ان نشاطات كيم جونغ سوك فى سينفا ستتكلل بالنجاح.

لم يكن زانغ هاى وو بالثورى الذى يرضى فى عمله بالقليل او الذى يحيط نفسه بهالة من الاهمية، متفاخرا بسنه وماضيه. بل كان يتبع ويدعم دون تحفظ كل ما هو عادل، ودون ان تسيطر عليه المشاعر الشخصية، وكان

يعرف كيف يضحى دون تردد فى سبيل الاهداف والاعمال العظمى.

بعد فترة من ذلك، اسس فرع سينغالبا لجمعية استعادة الوطن، وكان يضم اعضاء لجنة عمل الشيوعيين فى سامسو. وفى الفترة نفسها، وتحت اشراف كيم زاى سو وكيم جونغ سوك، جرى فى الغرفة الخلفية من مشغل سوكزون للخياطة تنظيم جماعة الحزب فى منطقة سينفا، وكانت تخضع مباشرة للجنة الحزبية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى، باتخاذ لجنة عمل الشيوعيين فى سامسو قاعدة لها.

جرت الاجتماعات لفرع جمعية استعادة الوطن وجماعة الحزب فى استوديو كوانغسون للتصوير من حيث الاساس. وقد كانت غرفة التظهير فى الطابق الثانى من هذا الاستوديو هى مكان اللقاءات السرية الذى كثيرا ما استخدمته كيم جونغ سوك.

اما لى سون وون الذى كان يدير استوديو التصوير ذاك، فكان احد الاعضاء الاوائل فى فرع جمعية استعادة الوطن فى سينغالبا. كان قد اجتاز دورة تدريبية على التصوير الفوتوغرافى فى سيؤول، ثم افتتح ذلك الاستوديو لدى عودته. ولانه كان مصورا ماهرا، فقد كان يتمتع بشعبية ويملك موهبة التعامل مع الناس؛ ومن خلاله كان بالامكان القيام بالعمل بين الجماهير دون مصاعب.

كان يصور الكثير من الاهداف المعادية ويرسل الصور الينا. وفى احد الايام بعث الينا صورة بانورامية لسينفا كى يساعد الجيش الثورى الشعبى الكورى فى تقدمه الى داخل البلاد. وقد قيل لنا ايضا انه يجرى طبع منشورات كثيرة فى غرفة التظهير فى الاستوديو. وكانت زوجته متعاونة متفانية تساهم بصمت فى عمل المنظمة السرى.

اضافة الى استوديو التصوير، كانت كيم جونغ سوك قد حددت اماكن اللقاءات السرية والعمل فى مشغل سوكزون للخياطة، ومطعم سايمولتو للشعيرية، ونزل سينفا، ومحل بيع اوانى الطعام، وبيت الطاحونة المائية واماكن اخرى فى المنطقة، وكانت تتردد على تلك الاماكن خفية وتدفع عجلة النشاطات السرية الى الامام.

وكانت بعض تلك الاماكن، مثل مطعم الشعيرية ونزل سينفا ودكان اوانى الطعام، تستخدم كمراكز لجمع وتخزين المساعدات لجيش حرب العصابات، فضلا

عن استخدامها بكثرة كأماكن اتصال ولقاء لاعضاء المنظمات.

اما المكان الذى كان سبيل النقل السرى الاساسى لتلك المساعدات فهو بيت الطاحونة المائية. فبما انه كان يقع فى مكان بعيد بعض الشىء عن حاضرة القضاء، حيث لا تكاد تصل عيون الاعداء، فقد كان يوفر ظروفا مؤاتية جدا لتخزين ونقل تلك المساعدات. وبما ان احد اقرباء صاحب الطاحونة كان يعمل فى تطويف الاخشاب، فقد كان بالامكان تلقى مساعدته بسهولة عند نقل المساعدات الى الضفة الاخرى لنهر آمروك. وقد كان صاحب الطاحونة وقريبه عضوين فى جمعية استعادة الوطن.

لقد وصلتنا فى الواقع عن طريق سينفا كميات كبيرة من المساعدات. ولأن اشياء كثيرة كانت تفتقد فى شيسانداوكو، فقد كانت المنظمات فى منطقة سياكانغتشو بمحافظة تشانغباى تحصل على تلك المواد من سينفا، على الضفة الاخرى لنهر آمروك.

وقد كان معظم المواد، مثل الحبوب والاقمشة، التى ترسلها منظمات منطقة سينفا بكميات كبيرة الى جيش حرب العصابات، تنقل الى الضفة الاخرى للنهر على الاطواف او فى القوارب من خلال القاعدة السرية فى الطاحونة المائية ونزل اوهامدوك الذى كان يشكل فرعا خاصا لجمعية استعادة الوطن يتألف من افراد الاسرة.

فى فترة عملها فى تاوتشوانلى وسينفا، جاءت كيم جونغ سوك الى قاعدة جبل بايكدو السرية وسامسو، وسافرت الى سينهونغ، بوكتشونغ، دانتشون ومناطق اخرى من الساحل الشرقى، حيث قامت بعمل مكثف مع الثوريين المحليين.

وكثيرا ما كانت اماكن الاتصال السرى فى قرية آنرى واوهامدوك تستخدم كقواعد سرية لارسال النشطاء ممن سيعملون فى مناطق اخرى اساسا. اما اعضاء المنظمات الثورية السرية الذين كانوا يذهبون للعمل فى بوزون وزانغزين وسينهونغ وهونغنام، ومحيطها، فكانت كيم جونغ سوك ترسلهم اساسا من بيت رئيس فرع جمعية استعادة الوطن فى قرية آنرى، ومن يتوجب عليهم العمل فى كابسان وبوكتشونغ ودوكسونغ ودانتشون فكانوا ينطلقون من اماكن الاتصال السرى فى

اوهامدوك. كما انها ارسلت من القاعدة السرية فى قرية آنرى جماعة العمل التى يقودها وى اين تشان للقيام بمهمة تشكيل منظمات ثورية سرية فى منطقة هونغنام الصناعية.

من اجل توسيع شبكة المنظمات، كانت كيم جونغ سوك تتنقل وهى مثقلة بالاعمال بين اماكن لقاءات سرية عديدة منتشرة فى انحاء منطقة سينفا. ولم تكن تستخدم مكانا واحدا على الاطلاق. وكانت هى نفسها تتنكر، وتستخدم بمهارة وبالتناوب عدة نقاط اتصال وعمل سرية. وقد كان هذا التصرف مؤاتيا، سواء من اجل تمويه المنظمات او من اجل امنها الشخصى بالذات.

حين عادت من تاوتشوانلى، سألتها عن الاساليب التى لجأت اليها للحيلولة دون انكشاف امرها امام عيون شرطة سينفا الذين يقال ان لهم حدة نظر البومة، وما هو السر فى قدرتها على العمل بحرية فى سينفا، هذه المنطقة التى كانت تدخلها وتغادرها عشرات المرات دون ان يعتقلها الاعداء.

وبدلا من ان تجيب على تساؤلاتى، روت لى كيم جونغ سوك وهى تبتسم كيف لاحقها احد المخبرين فى سينفا:

"فى الطريق المؤدى من المرسى الى المدينة، لاحظت ان رجلا يعتمر قبعة فلاحية مهترئة يتبعنى. لم انتبه فى اول الامر الى انه يريد ملاحقتى. ولكن، عندما سار فى اثرى حتى المدينة، بدا سلوكه لى مثيرا للشبهة. وامام احد المطاعم، تظاهر الرجل بانه يتسلى، ووضع بين شفتيه سيجارة لم يلفها بنفسه وانما من سجائر المصانع. وقد ازدادت شكوكى حين لاحظت ذلك. لأن الفلاحين الفقراء لا يستطيعون تدخين هذا النوع من السجائر."

قادته كيم جونغ سوك وراءها، وراحت تتجول فى الشوارع الضيقة الى ان دخلت سوقا، فرأت هناك امراة تعرفها تحمل على ظهرها طفلا وعلى رأسها سلة ثقيلة. فدنت وانتزعت السلة منها بحركة سريعة ووضعتها على رأسها. وهكذا استطاعت التخلص من مطاردة المخبر.

"واذا كنت لم اقع فى قبضة المخبرين او رجال الشرطة، فان السبب فى ذلك

هو احساسى بالمسؤولية. فكلما فكرت بان اعتقالى قد يحول دون انجاز المهمة التى كلفتنى بها القيادة، كنت اشعر بجرأة مضاعفة. وكانت الجماهير تحمينى مجازفة بحياتها."

لقد كانت كلماتها فى الوقت نفسه موجزا لنشاطاتها فى تاوتشوانلى وسينفا. ان السر فى قدرتها على تنفيذ المهمة الصعبة بنجاح فى مؤخرة العدو، هو بالتحديد شعورها بالمسؤولية وتغلغلها عميقا بين الجماهير.

كما ان روح المبادرة المذهلة التى اظهرتها فى تلك النشاطات، كانت تنطلق ايضا من ذلك الشعور بالمسؤولية. فحين اوفدناها الى تاوتشوانلى، زودناها فقط بتعليمات تتعلق بالعمل السياسى ولم نكلفها بمهمات اخرى لأن ذلك سيكون عبئا ثقيلا بالنسبة لعملها فى المنطقة المعادية.

ومع ذلك، وبينما كانت تقوم اساسا بتنفيذ العمل السياسى، كانت تجمع فى الوقت نفسه المعلومات العسكرية التى تحتاجها وحدتنا وترسلها الى القيادة.

لقد جمعت معلومات كثيرة من خلال تعبئة المنظمات السرية فى تاوتشوانلى وسينفا. وقد حصلت على معلومات كثيرة من خلال زونغ دونغ تشول، وزانغ هاى وو، وريم وون سام وغيرهم من الثوريين.

كان زونغ دونغ تشول ماهرا جدا فى هذا النوع من النشاطات. فبعد اقامة علاقات تآخى روحى مع رئيس مركز الشرطة، ورئيس الجمارك، وعمدة الناحية وغيرهم من رؤساء اجهزة الحكم، عاملهم معاملة "الاخ الاكبر" او "الاخ الاصغر"، وانتزع بشكل عابر من افواههم معلومات سرية. وقد كان بين اولئك الاخوة الروحيين حتى المخبر الخاص الموفد من سينفا، ناهيك عن رؤساء الهيئات الرسمية فى شيسانداوكو. وكان زونغ دونغ تشول يكثر من تنظيم الحفلات لهم. اما الموظفون المدمنون على الافيون، فكان يعد لهم الظروف الملائمة ليتمكنوا من تدخين هذا المخدر.

وقد تمكنت لجنة جمعية استعادة الوطن فى سياكانغتشو من ايصال اعضائها بذكاء للعمل فى الاجهزة المعادية. وقد قيل لى ان اثنين او ثلاثة من اعضاء جمعية استعادة الوطن تمكنوا من التغلغل للعمل فى مركز شرطة شيسانداوكو وحده. كما ان

معظم عمد ورؤساء العشر اسر، خدم الوحدات الدنيا فى الادارة المعادية، كانوا ينتمون الى منظمات ثورية.

وقد استغل ريم وون سام فرصة قيامه بعمل كتابى فى قيادة فوج قوات جينغآن، فجمع الكثير من الاسرار العسكرية. فقد كان يبحث كل خطة عملياتية وكل معلومة احصائية يمكن ان تفيد عمليات الجيش الثورى وينسخها بسرعة على قصاصة ورقية ثم يعصرها فى قبضته ويلقى بها الى سلة المهملات. وعندما يذهب فى المساء لاحراق الاوراق المهملة، كان يلتقط تلك القصاصات ويرسلها الى المنظمة.

كما جرى استخدام استوديو كوانغسون للتصوير ومشغل سوكزون للخياطة لجمع المعلومات عن العدو فى احيان كثيرة، اضافة لاستخدامهما كمكان للاتصال. وكان من بين اعضاء فرع جمعية استعادة الوطن فى سينفا، اناس يعملون امناء لبعض الاجهزة الحكومية المعادية، مثل بلدية الناحية والوكالة المالية. فكانوا يجمعون المعلومات بانتظام ويحتفظون بها فى استوديو التصوير او فى مشغل الخياطة ليتم ارسالها فيما بعد الى المنظمة. وقبيل وقوع معركة جيانسانفينغ، ارسلت كيم جونغ سوك الى القيادة على وجه السرعة، عبر القواعد السرية فى تلك المنطقة، معلومات مفصلة حول تحركات وحدة معادية كبيرة تحت قيادة كيم سوك وون، فاسهمت بذلك فى انتصار الجيش الثورى الشعبى فى المعركة.

فقد قامت بمساعدة اعضاء المنظمات بعمليات استطلاع لجمع معلومات حول عدد العسكريين ورجال الشرطة المرابطين فى سينفا وما حولها، ومواقع منشآتهم وتسليحهم، ثم عاينت بنفسها عرض وعمق نهر آمروك وسرعة التيار فيه، وحددت كذلك النقاط الملائمة لعبور النهر والانسحاب، واشارت الى كل ذلك على خريطة ارسلتها الينا.

وعندما قومنا نشاطاتها فى تاوتشوانلى، قدرت تقديرا عاليا الجهود التى بذلتها بمبادرتها الشخصية. وحين سألتها كيف خطر لها استطلاع النقاط اللازمة لعبور النهر والانسحاب عبره، اجابت قائلة بانها تصرفت على ذلك النحو حين فكرت بانه لا بد ان يقوم جيشنا الثورى يوما بشن هجوم على سينفا.

لقد جرى اعتقالها فى صيف عام ١٩٣٧.

فلفافات الورق التى حصلت عليها عضوات جمعية النساء فى تاوتشوانلى من اجل مطبعتنا، تم اكتشافها خلال حملة تفتيش قامت بها عناصر من قوات جينغآن، وادى ذلك الى اعتقالها. وقد خرجت كيم جونغ سوك بتبرير مقنع. فقالت انها استجابت لتوسلات العمدة زونغ دونغ تشول، واستطاعت الحصول على لفافات الورق تلك من اجل صنع سجلات للمواطنين منها. وقد اثارت بسلوكها المترفع وشروحها المنطقية حفيظة الاعداء. وقد غضب الضابط حين لم يجد كلمات يرد بها عليها، فاتهمها بالتجسس لصالح الجيش الثورى لأنها لا تشعر بالخوف وتحسن التحدث جيدا على حد قوله. ودون مزيد من التفكير، قيدها واقتادها الى ياوفانغجى، حيث ثكنة وحدته.

ظنت كيم جونغ سوك ان تلك هى لحظاتها الاخيرة فى الحياة، فكتبت وصيتها الى المنظمة: "لا تقلقوا. سأموت، لكن المنظمة ستحيا. اننى ارسل اليكم مبلغ يوانين اثنين هما كل ما املكه، فاستخدموهما من اجل المنظمة".

انتقلت الوصية المكتوبة بقلم رصاص على قصاصة ورق مع مبلغ اليوانين اولا الى عجوز فى البيت الذى حبست فيه كيم جونغ سوك، ثم انتقلت من يد العجوز الى البيت المجاور لتصل بعد ذلك من خلال زونغ دونغ تشول الى المنظمة.

فتحرك اعضاء المنظمة للقيام بعملية استثنائية لانقاذها. ذهب وفد من تاوتشوانلى الى ثكنة قوات جينغآن للاعتراض بشدة على الاعتقال غير الشرعى لمواطنة بريئة والمطالبة بالافراج عنها فورا.

وقد اعطى هذا العمل النتيجة المرجوة. اذ قامت قوات جينغآن بتسليم كيم جونغ سوك الى مركز شرطة شيسيداوكو، متذرعة بانها تنوى نقل ثكنتها الى مكان آخر.

دخل زونغ دونغ تشول فى مفاوضات من اجل نقلها الى مركز شرطة شيسانداوكو، وهو الأمر الذى تحقق دون صعوبات لان هذا المركز الاخير كان من الدرجة الاولى واهم من المركز الاول.

تم اقتياد كيم جونغ سوك والاصفاد فى يديها. وبين مركزى الشرطة كانت تقع بلدة تاوتشوانلى.

وقد مرت من هذه البلدة بعد الظهر.

كانت تمشى حافية ورجال الشرطة يدفعونها ببنادقهم. وقد اثار مشهد "طفلة بيت موسان" المقيدة مشاعر السخط والالم بين اهالى تاوتشوانلى الذين ودعوها بالدموع. وجاءت عجوز راكضة الى الطريق، ووضعت فى قدمى كيم جونغ سوك الداميتين صندلا من القش، وانبت رجال الشرطة قائلة:

"ايها الاوغاد، لماذا تعتقلون ابنتنا البريئة اوك سون؟ ألانها فى الحزب الشيوعى كما تدعون؟ اذا كان الشيوعيون اناسا مثل اوك سون، فأنا سأتبعهم ايضا."

لحق زونغ دونغ تشول بكيم جونغ سوك وبدأ مفاوضات مع رئيس شرطة شيسانداوكو الذى وعد بان يعترف بان كيم جونغ سوك هى "مواطنة صالحة" ويطلق سراحها اذا ما اجتمعت لديه شهادات كفالة "مواطن صالح" من ٥٠٠ شخص، وهو عدد مبالغ فيه، ولكنه يتيح له اثبات براءته اذا ما سأله رؤساءه عن سبب اطلاق سراحها فيما بعد. لقد كان الوفاء بهذا المطلب لا يقل صعوبة عن التقاط نجم من السماء. ومع ذلك، تمكن زونغ دونغ تشول من جمع الشهادات المطلوبة ووضعها فوق مكتب رئيس مركز الشرطة الذى شعر باقصى حدود الاستغراب والدهشة. فقد كان الميل النفسى العام لدى الناس هو عدم وضع بصمتهم على شهادة كفالة "مواطن صالح" تخص "عنصرا مثيرا للشغب"، يشار اليه على انه "مرتد" او "لص شيوعى". وكان رئيس الشرطة قد تقدم بطلبه ذاك مراعاة "لصداقته" مع زونغ دونغ تشول. ولكنه كان واثقا من انه لا يمكن على الاطلاق تحقيق طلبه.

لقد كان الاطلاع على وثيقة تحتوى على خمسمئة اسم، ومقابل كل اسم خاتم او بصمة ابهام اعجوبة ومعجزة كاملة.

كيف حدث ذلك؟

ففى تاوتشوانلى التى لا تضم الا ما يزيد قليلا على مئتى بيت، لا يمكن وجود مثل هذا العدد من اعضاء المنظمات السرية. اضف الى ذلك، انه مهما كانوا قد عملوا بين اهالى القرية الذين يزيدون عنهم عددا بعدة اضعاف، فانهم لا يستطيعون جعل الجميع، وتحت تأثير غريب، يتجرؤون على المجازفة بحياتهم وختم وثائق ملزمة مثل وثائق الكفالة تلك.

ان ما جعل الناس يتصرفون على ذلك النحو هو حبهم ودعمهم المخلص لكيم جونغ سوك. وبكلمات اخرى، فان ثقة الشعب وتأييده المطلقين اقوى من الاكراه ومن المال. وقد قيل لى ان كيم جونغ سوك التى تم تحريرها من براثن العدو، رجعت الى تاوتشوانلى، وحين اصبحت بين القرويين قالت اولا: "آه! لقد كدت اموت جوعا هناك! اعطينى يا زوجة اخى شيئا آكله". مثل هذا التعامل البعيد عن التكلف غير موجود الا بين افراد الاسرة الواحدة. ولو انها لم تكن تعتبر اهالى تاوتشوانلى مثل اسرتها، لما تجرأت على التحدث اليهم بهذه الطريقة.

فى احدى المرات، بعد تحرير البلاد، انتهز ريم وون سام، وهو آنذاك رئيس اللجنة الشعبية فى مدينة هونغنام، فرصة وجوده فى بيونغ يانغ لحضور اجتماع، وجاء لزيارة بيتى مع اصدقائه القدماء فى تاوتشوانلى وسينفا، اى زانغ هاى وو وزونغ دونغ تشول، وكانا يتوليان عندئذ مناصب هامة فى الاجهزة المركزية. وكان معهم ايضا كيم زاى سو، رئيس لجنة الحزب الديمقراطى فى محافظة بيونغآن الجنوبية. فى ذلك اليوم قدمت لهم كيم جونغ سوك الشوشبرك. وقد تطرقنا فى حديثنا بالطبع الى مرحلة تاوتشوانلى وسينفا.

لقد بكت كيم جونغ سوك حين تذكرت بتأثر كيف انقذها الرفاق من الموت. ثم قالت فجأة ان الفرصة اتيحت لها للهرب حين كانت سجينة فى ياوفانغجى، ولكنها لم تفعل ذلك.

"الواقع انه كان من السهل القضاء على الحارس والهرب. ولكننى لم استطع الاقدام على ذلك حين فكرت بما سيحل بالزوجين العجوزين اذا ما قتلت الحارس وهربت من بيتهما حيث كنت مسجونة. فبينما كنت انظر اليهما، فكرت: ليس الهروب من هنا بالامر الصعب. ولكننى اذا ما هربت، ماذا سيحدث لصاحبى هذا البيت العجوزين وللعمدة زونغ الذى تقدم لكفالتى باعتبارى مواطنة صالحة؟ وكم من الاذى والمضايقات ستحل بالمنظمة السرية والاهالى فى تاوتشوانلى؟ عندئذ تولد فى داخلى التصميم على الدفاع عن المنظمة والشعب ولو اقتضى ذلك التضحية بحياتى. وقد استطعت فى تلك الليلة ان انام مطمئنة فى ابعد غرفة عن المطبخ فى ذلك البيت.

فعندما اتخذت قرار مواجهة الموت، احسست بالطمأنينة ولم اعد اشعر بأى شىء من الخوف او التردد."

لقد كانت هذه هى بالضبط صورة "طفلة بيت موسان" فى مرحلة تاوتشوانلى وسينفا.

بعد انقاذها من وضع فى منتهى الخطورة بفضل شهادة كفالة "المواطنة الصالحة"، واصلت كيم جونغ سوك العمل فى تاوتشوانلى وداخل البلاد لفترة اخرى، الى ان عادت الى مقر القيادة. وقد جاء معها الى الوحدة ريو يونغ تشان، عضو فرع تاوتشوانلى لجمعية استعادة الوطن. وبكفالة كيم جونغ سوك استطاع الانضمام الى جيش حرب العصابات. وفى عام ١٩٤٤، عندما كنا مشغولين تماما بالاعداد للعمليات المناهضة لليابان فى قاعدة تدريب قريبة من خاباروفسك، غرق ريو يونغ تشان للأسف، فى نهر آمور بينما كان ينقل عبر الطريق النهرى مواد بناء من اجل ابنية المعسكر. وقد بقيت كيم جونغ سوك تتذكره فى كل مناسبة كأحد المحسنين اليها.

لقد قيل لى انه لم يكن الوحيد الذى اراد ان يتبعها عندما غادرت تاوتشوانلى، وانما كان هناك كثيرون آخرون مستعدون لذلك، بل ان بعض عضوات النساء توسلن اليها باكيات لكى تسمح لهن بالذهاب معها. ولم تشأ احداهن العودة الى بيتها، وبقيت تتبعها الى ان اجتازت باوتايشان.

وبما ان محاولة اقناعها لم تعط نتيجة، فقد وضعت كيم جونغ سوك خاتمها الفضى فى احد اصابع المرأة. وحلت من حول خصر المرأة حزاما احمر وربطته حول خصرها. ذاك الحزام المشغول من خيوط صوفية، كانت قد صنعته المرأة نفسها فى اليوم الذى انضمت فيه الى جمعية النساء بكفالة كيم جونغ سوك، وكانت تحمل ذاك الحزام باعتزاز كزينة ثمينة.

"لا تظنى اننى لست راغبة فى اخذك معى. لا تحزنى، فمن المستحيل ان ترافقينى، ولهذا سأذهب وحدى. سأحمل هذا الحزام حتى لا تبقى فيه نتفة خيط واحدة، كى لا انسى اهالى تاوتشوانلى الاحباء."

امام تلك الكلمات المخلصة والحانية لم يعد بامكان المرأة مواصلة الالحاح على الذهاب معها. رجتها ان ترسل اليها اخبارها اينما ذهبت.

وقد انجزت كيم جونغ سوك وعدها حين رجعت الى الوحدة، فقد كانت تضع ذلك الحزام دائما تحت ملابسها العسكرية. ولم اعرف قصة ذاك الحزام الاحمر الذى لم تكن تنزعه عن خصرها مطلقا الا بعد زواجى منها.

ومن خلال ذلك الحزام، احتفظت كيم جونغ سوك فى جسدها بدفء الشعب الذى لم تبتعد عنه مطلقا.

اننى اسأل نفسى بين الحين والآخر السؤال التالى: بأى طريقة استطاعت كيم جونغ سوك ان تنجز نشاطاتها السرية الصعبة وسط محبة ومساعدة كل اولئك الناس الكثيرين؟

لو انها لم تول الشعب حبها الدافئ، لما كان الشعب اعارها التفاتة واحدة حين وقعت فى مأزق حرج. فمن لا يكرس نفسه للشعب، لا يمكنه ان يأمل بمساعدته المخلصة فى اللحظة الحرجة. وقد تلقت كيم جونغ سوك المكافأة التى تستحقها من الشعب الذى دافعت عنه واحبته بكل اخلاص. وبعد مرور هذا الزمن، استطيع القول ان وثائق كفالة "المواطنة الصالحة" تلك التى حملت اختام خمسمئة شخص هى شهادة ابدية تؤكد انها كانت خادمة مخلصة للشعب.

فى خريف عام ١٩٩١، وبعد مرور اكثر من نصف قرن بكثير على مغادرة كيم جونغ سوك تاوتشوانلى، ذهبت بنفسى لاسداء التوجيهات للعمل فى محافظة ريانغكانغ، وقد زرت فى هذه المناسبة ارض سينفا التى مهدتها كيم جونغ سوك بكل جوارحها. كان قد انقضى زمن طويل جدا، ولكن الاشياء والاماكن المرتبطة بنشاطاتها السرية كانت كلها ماتزال على حالتها الاصلية. والحقيقة ان الاهتمام الذى ابداه اهالى سينفا بكل قطعة من تلك الاشياء التذكارية كان مؤثرا جدا.

فى ذلك اليوم اخذنى الادلاء الى كل الاماكن التى تركت فيها آثارها وقدموا لى شرحا مفصلا عنها. وعرفت ان هناك قدرا غير قليل من الاحداث والتفاصيل التى لم اكن اعرفها حتى ذلك الحين.

وفيما انا اتطلع الى منظر البرج الشاحب الذى مازال قائما بحالته الاصلية على ضفة نهر آمروك، فكرت بان غرس الروح الثورية فى ذلك المكان استدعى من كيم جونغ سوك القيام باعمال كثيرة خطرة والمرور بظروف حرجة الى اقصى الحدود. وبينما انا متوجه الى محطة القطار، عند الغروب، تطلعت مرة اخرى الى مدينة سينفا ووجدت مشقة فى رفع نظرى عنها.